

# قصص العرب

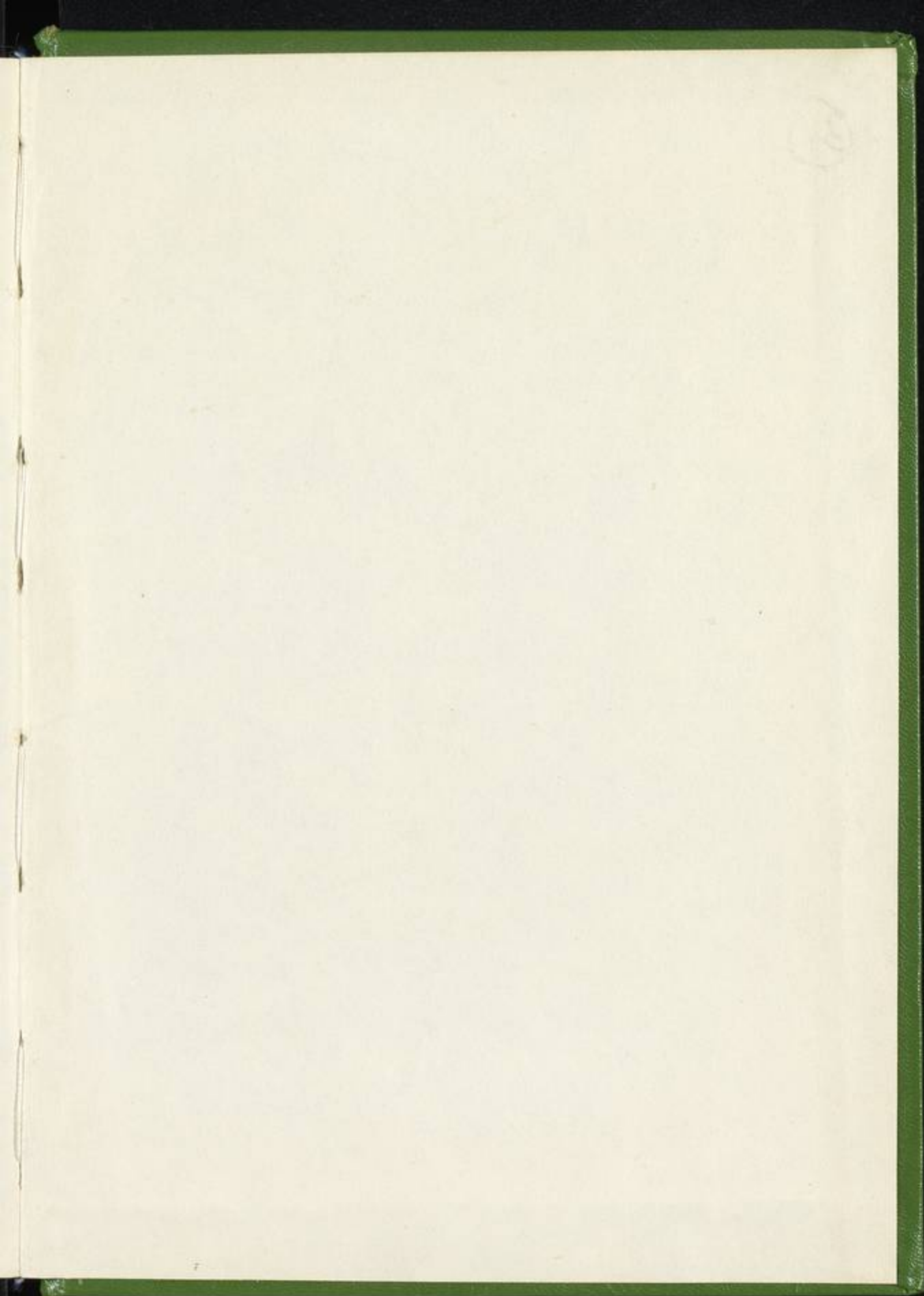
مجلد  
عربی

مؤلف: محمد باقر

مترجم: محمد باقر

مؤلف: محمد باقر







31

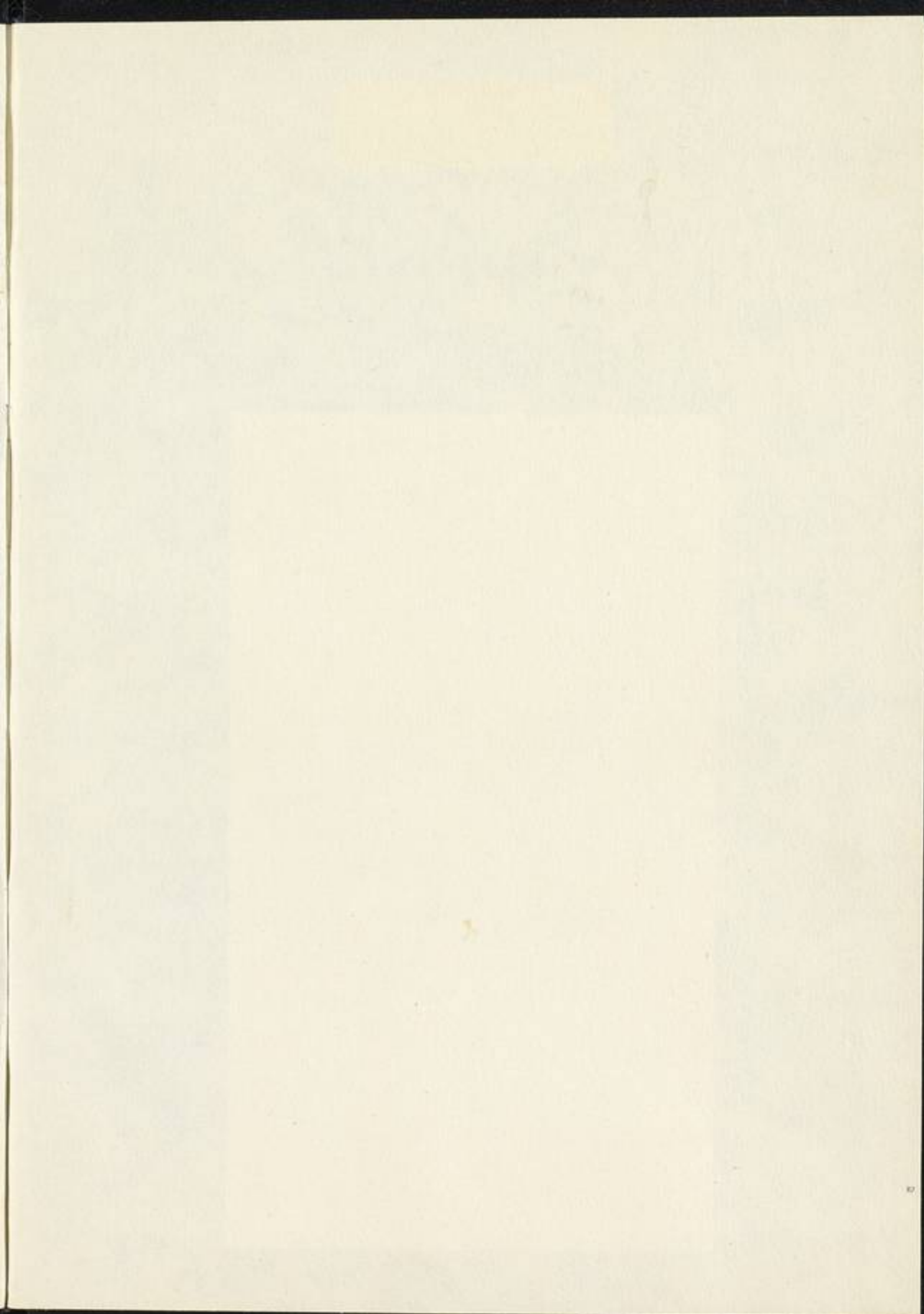


IR-AR-Y8-931147

K4,

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*





Qisas Mawla

# قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى محمد أبو الفضل إبراهيم  
على محمد البجاوى

الجزء الرابع

طبعة جديدة

[ بها إضافة قصص، وفيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق ]

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

مكتبة البابي الحلبي وشركاه

(Arab)

PJ7601

,Q57

al-juz' 4

الكتاب	قصص العرب
المؤلف	محمد أحمد علي أحمد محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر	منشورات الرضى - قم
القطع	وزيري
المطبعة	مطبعة أمير - قم
المطبوع	١٠٠٠ نسخة
الطبعة	الخامسة
سنة الطبع	١٣٦٤ هـ - ش
عدد الأجزاء	أربعة
عدد الصفحات	١٨٦٧ صفحة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

١ - هذا هو الجزء الرابع من كتاب « قصص العرب » وهو الأخير أيضاً؛ ويمتاز هذا الجزء عما سبقه من الأجزاء بأنه يجمع بين دقتيه طائفة كبيرة من القصص التي وضعها الكتاب من العرب قاصدين بها تصوير المجالس والأشخاص، والقصص التي نسبوها للطير والحيوان، والتي حكوها عن شياطين الشعر أو تخيلوها عن الجن، واخترعوا لها من اللفظ الرشيق ما يفصح عن أغراضهم، ومن القول الجزل ما يبلغ إرادتهم؛ وسببهم في كل ما رَوَوْا الوضع والخيال. وبهذه المجموعة وما سبقها يتسق في كتاب واحد نصيب حسنٌ من أروع ما خلفه العرب من قصص تاريخي وموضوعي، وواقعي ومتخيّل، ويتم الغرض الذي قصدنا إليه من: « عرض شامل لحياة العرب: مدينتهم وحضارتهم، وعلومهم ومعارفهم، وأديانهم وعقائدهم، وذكر لعوائدهم وشمائلهم، وما طبعوا عليه من كريم الفرائض وحدة الذكاء، ثم ما كان للمرأة عندهم من سامى المكانة وعظيم المنزلة، وما أثمر عنهم من أخبار صوروا بها حبهم العفيف، وغزلم الرقيق، وعشقهم الشريف . . . وما كان لهم من محاورات ومُساجلات، ومطايبات ومناقلات، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك، وطُرف القضاة والولاة، وأخبار الأيام والحروب . . . »<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

٢ - ولقد ظهرت الأجزاء السابقة من الكتاب ، فلقيت من ثناء الكتاب ، وإقبال القراء واحتفال الصحف والمجلات في العالم العربي جميعه ما جعلنا نزداد إيماناً وبقيناً بأن الحاجة إليه كانت ماسة ، وأنه سيسد في المكتبة العربية فراغاً كبيراً ؛ ولسنا نحاول في هذه الكلمة أن ننقل كل ما تحدثوا به عن الكتاب ؛ ولكننا نورد قُللاً من كُثر مما ذكروه مؤبداً للغاية التي قصدنا إليها :

قالت صحيفة الأهرام الغراء : « ... وما من شك في أن عمل المؤلفين يتجاوز الجمع والطبع ، إلى التبويب والضبط والتحقيق ، وهو قبل هذا قائم على حسن الاختيار والدقة في النقل ، فهم شديدو الحرص على ألا تقع العين في كتابهم إلا على القصص المهدّبة ، والنوادر الرفيعة التي تحث على مكارم الأخلاق .

ولقد كان أكثر المرين يدعون إلى تهذيب الكتب القديمة ، وإبرائها من الأخبار والأشعار التي تنكرها الأخلاق الكريمة ؛ ولكن مؤرخي الأدب وعلماء اللغة لم يؤيدوا هذه الدعوة ؛ لأنهم يشفقون منها على تراثنا الأدبي وفاء لحق التاريخ ، واحتفاظاً للكتب القديمة بمقومات شخصيتها .

وظل الرأي حائراً بين المرين ورجال اللغة والأدب : الأولون يريدون ألا يقرأ الشباب العربي إلا المهدّب الرفيع ، والآخرون يحرصون على أن يبقى للكتب القديمة عناصر شخصيتها ، وتراثها التاريخي .

واليوم يظهر كتاب « قصص العرب » فيوفق بين الرأيين جميعاً ؛ فهو لا يمس تراثنا الأدبي بالتعديل والتغيير ، ولكنه في الوقت نفسه لا يحرم الشباب العربي فضل الانتفاع به والاتصال بماضيه ؛ فهو يترك الكتب القديمة كما هي : للعلماء والمؤرخين ، ويختار منها ما يصح للشبيبة أن تقرأه ، فيعرضه عليهم في أسلوب مهذب .



فالآن نستطيع أن نوجه الدعوة إلى الشباب ، لكي يتصلوا بلغتهم ، ويتعرفوا إلى ماضيها بقراءة هذه المختارات المهدّبة ، التي عاجلت ما نشكوه من سقم وخشونة واضطراب ، وأغفّتهم من بعض أخبارهم التي لا ترضى للشبان قراءتها . . . (١) » .

\*\*\*

وقالت صحيفة البلاغ في كلمتها عن الجزأين الأول والثاني: « ... يشتمل الجزءان اللذان صدرا من هذا الكتاب على خلاصة ما في نحو مائة مؤلف قديم من أروع أقاصيص العرب التي انحدرت عنهم مصوِّرة لجميع مظاهر حياتهم العامة . وقد رتبت هذه الأقاصيص بعد تهذيبها ، وتأليف ما تنافر منها في أمهات المراجع - إلى أقسام وأبواب في هذين الجزأين وما سوف يليهما ، حتى صارت في وضعها الجديد أقرب نسقاً واتصالاً إلى هيئة القاموس ، وانتظام موارده . والحق أن هذه الطرائف المختارة ، والنوادر المنتقاة ، وهي مادة ما عند العرب من قصص كانت أحوج شيء منذ زمن بعيد إلى مثل هذا المعجم القصصي الذي اصطنعه المؤلفون لأروع مخلفات العرب . . . » (٢) .

وقالت صحيفة الهاتف (٣) .

« . . . صدر في ظروف ملائمة جداً لتوجيه الأفكار إلى نفسيّة العرب الذاتية وجبتهم الطبيعية ، وصفاتهم الثابتة ، فكان كصورة ناطقة بما كان يتحلّى به العربي من الصفات النادرة ، وتصوير مجتمعه تصويراً صادقاً في كل حر كانه وسكناته؛ وهي صورة إن لم يكن لها إلا فائدة تنبيه الأمة العربية الحاضرة إلى ما كان يتصف

(١) ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ .

(٢) ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٩ ( من مقال للأستاذ أحمد صبرى ) .

(٣) تصدر في النجف ، ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ .

به العربُ الأقدمون شهامةً وغيرةً وحميةً ، لكنني ذلك نفعاً في هذا الوقت الذي  
تنشد فيه الأمة العربية مجدها ، وتحاول الاقتداء بما كان يتحلى به العربي قديماً من  
جمال الصفات ، وسمو الغايات ، لتبني من كل ذلك وحدةً روحيةً تحقق لها مطالبها  
المشروعة . . . . »

٣ - هذا وقد لاحظ بعض الكتاب أننا لم نورد في كتابنا شيئاً من القصص  
التي قامت عليها كتب ألف ليلة وليلة ، وسيرة عنقرة بن شداد ، وذات الهمة ، وأخبار  
ابن ذي يزن ، وغيرها مما يشبهها . . . . وعذرنا في ذلك أن هذه القصص كتبُ  
قائمة بذاتها ، معروفة بأعيانها ، وكثير منها - كما أوردنا في مقدمة الكتاب - تافه  
الغرض ، مُبهم المقصد ، رديء اللغة والأسلوب . وإنما كان هُنا أن نختار القصص  
الحسنة التي زخرت بها كتب الأدب القديمة ، واختفت تحت ركام من رداء الطبع  
واضطراب النصوص ؛ ثم ما كان منها نبيل المقصد شريف الغاية جيد الأسلوب ،  
فكان من مجموعها « . . . معرض ثمين ، عرضت فيه أفانين جميلة من روائع  
البلاغة العربية ، وبدائع الأساليب ، وطرائف الصور الأدبية من جهة ؛ وعرضت  
فيه من جهة أخرى : ألواح جلييلة مشرقة من حياة العرب في شتى جهاتها وألوانها  
وصورها ، فبرز العرب في هذا الكتاب أناساً أحياء يرؤحون ويفدون أمام عينيك  
بأخلاقهم وشمائلهم وسجاياهم ، بعاداتهم وتقاليدهم وشرائعهم ، بألوان معاشهم  
ومشاربهم ، بأحاسيسهم ومشاعرهم وأذواقهم ، وبكل ما تحفل به حياة العرب الأولين  
من مجاليّ الذهن والعقل والشعور . . . . »<sup>(١)</sup> .

وأخذ بعضهم علينا أيضاً أننا لم نستوعب القصص التي تضمنت أيام العرب

(١) الماتف ١٦ رجب سنة ١٣٥٨ هـ .



المشهوره ، وملاحمهم المأثوره ؛ على كثرتها . والعذر في ذلك أننا حين عالجنا الاختيار من هذه الأيام وجدناها تضم في أثنائها كثيراً من الشعر ، وتحمل في طياتها كثيراً من الحوادث ، وأنها مضطربة الروايات محرفة النصوص ، فهي لذلك تستأهل أن أن تُفرد بكتاب خاص . ونحن آخذون بحول الله في وضع هذا الكتاب ، ونأمل ألا يمضي كبير زمن حتى يكون في يد القراء إن شاء الله<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وفي كل حال تتوجه إلى الله العلي الكبير شاكرين له ما وقفنا إليه من إتمام هذا الكتاب ضارعين إليه أن يسبق عليه حسن القبول ؟

المؤلفون

يناير سنة ١٩٤٨  
صفر سنة ١٣٦٧

---

(١) هذا ما كتبناه في مقدمة الطبعة الأولى . ويسرنا أن نقول : إننا وفينا بوعدنا ، فأخرجنا كتاب « أيام العرب في الجاهلية » ، وكتاب « أيام العرب في الإسلام » وما بأيدي القراء .

## مقدمة الطبعة الجديدة

هذه هي الطبعة الخامسة من كتابنا «قصص العرب» تقدمه بعد أن نفذت طبعته الرابعة . وفي هذه الطبعة أضفنا إلى الكتاب بعض القصص الطريفة التي انتخبناها في أثناء قراءتنا لكتب الأدب والتاريخ . وقد أردنا بذلك أن يكون للكتاب مدد جديد يزيد من رونقه ، ويبقى على جدته .

أما الشرح والضبط فقد زدنا فيه لتقربه إلى القراء جميعا ، ولينهل منه شبابنا وناشئتنا الذين ينشدون المورد الصافي للثقافة العربية ، ويودون لو عرفوا مصادر هذه الثقافة ، وقرأوا من ترانها ما يشبع رغبتهم ، ويقفهم على حياة أسلافهم وأجداد عربهم .

والله نسأله التوفيق ، إنه سميع مجيب .

المؤلفون

المحرم سنة ١٣٩٢ هـ  
مارس سنة ١٩٧٢ م

## البَابُ الْأَوَّلُ

---

في القصص التي تصِفُ ما عقَدوه من مجالس  
الطرب ، وحفَلات الغناء ، وما أثاروه من أسباب  
المنافسة بين المُغَنِّين ، قاصدين التَّرفِيه عن النفوس ،  
وجلاء المِهم ، وتهذيب المشاعر ، وترقيق الوجدان .



١ - الشعر والغناء\*

كان معاويةُ يَمِيبُ على عبد الله بن جعفر<sup>(١)</sup> سماعَ الغناء ، فأقبل معاويةَ عامًا حاجًا ؛ فنزل المدينة ، فمرَّ ليلةً بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناءً على أوتار ، فوقف ساعةً يستمع ، ثم مضى وهو يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله !

فلما انصرف من آخر الليل مرَّ بداره أيضًا ، فإذا عبدُ الله قائمٌ يصليُّ فوقه ليسمع قراءته ، فقال : الحمد لله ، ثم مضى وهو يقول : « خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ »<sup>(٢)</sup> .

فلما بلغ ابن جعفر ذلك أعدَّ له طعامًا ، ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن صياد للغنى ، ثم تقدم إليه وهو يقول : إذا رأيت معاويةَ واضعًا يده في الطعام ، فحرك أوتارك وغنَّ ؛ فلما وضع معاوية يدهُ في الطعام حرك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدِي بن زيد - وكان معاويةُ يعجب به :

يا بُيْتِي أَوْقِدِي النَّارَ      إِنْ مِنْ تَهْوِينَ قَدْ حَارَا<sup>(٣)</sup>  
رَبِّ نَارٍ بِتُّ أَرْمُقُهَا      تَقْضِمُ الْهِنْدِيَّ وَالنَّارَا<sup>(٤)</sup>

\* العقد الفريد : ٤ - ٩٨ ، الأغاني : ٢ - ١٧٤

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريمًا جوادًا ، يحب البذل ويرتاح للمطاء ، وأخبره في الكرم والسماع كثيرة ، توفي سنة ٩٠ هـ . (٢) سورة التوبة ، آية ١٠٢ (٣) حار: ضل .

(٤) النار : شجر طيب الريح ، وشجر السوس .

عندها ظلي يؤججها عاقد في الخصر زئارا<sup>(١)</sup>

فأعجب معاوية غناؤه حتى قبضَ يده عن الطعام ، وجعل يضربُ برجله  
الأرضَ طرباً ؛ فقال له عبدُ الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما هو مختار الشعر  
يركّب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً ؟ قال : لا بأس بحكمة الشعر مع  
حكمة الألحان .

---

(١) الزنار : ماعلى وسط النصارى والمجوس ، وقد روى هذا البيت في الأغاني :  
عندها ظلي يؤرثها عاقد في الجيد تقصارا  
يؤرثها : يوقدها ويكثر حطبها . والتقصار : القلادة .

٢ - قل للكرام بيابنا يلجوا\*

بيننا عبد الله بن جعفر في أزقة المدينة إذ سمع غناء ، فأصغى إليه ، فإذا بصوتٍ  
شجيّ رقيقٍ لقينته نغنى :

قُلْ للكرام بيابنا يلجوا مافي التصابي على الفتى حرجُ

فنزل عبدُ الله عن دابّته ، ودخل على القوم بلا إذن ؛ فلما رأوه قاموا إليه  
إجلالا ، ورفعوا مجلسه ؛ ثم أقبل عليه صاحبُ المنزل ، فقال : يا بن عم رسول الله ؛  
دخلتَ منزلنا بلا إذن ، وما كنتَ لهذا بخلقٍ ! فقال عبد الله : لم أدخل إلا بإذن .  
قال : ومن إذن لك ؟ قال : قينتك هذه ، سمعتها تقول :

\* قُلْ للكرام بيابنا يلجوا . . . \*

فإن كنا كراما فقد أُذِنَ لنا و إن كنا لثامًا خرجنا مذمومين ؛ فضحك  
صاحبُ المنزل وقال : صدقت ، جعلتُ فِدَاكَ ! ما أنت إلا من أكرم الأكرمين .  
ثم بعث عبدُ الله إلى جاريةٍ من جواريه ، فقال لها : غني ، فغنت ؛ فطربَ  
القوم ، وطرب عبد الله ، فدعا بثيابٍ وطيبٍ ؛ فكسا القومَ وصاحبَ المنزل ،  
وطيبهم ، ووهب له الجاريةَ ، وقال له : هذه أحذق بالغناء من جاريته .



٣ - عبد الله بن جعفر ضيف طويس \*

كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عَشِيَّةٍ من عَشَايَا الرَّبِيعِ ، فراحَت عليهم السَّمَاءُ بِمَطَرٍ جَوْدٍ<sup>(١)</sup> ، فَاسْأَلَ كُلُّ شَيْءٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَلْ لَكُمْ فِي الْعَقِيقِ<sup>(٢)</sup> ؟ فَرَكِبُوا دَوَابَّهُمْ ، ثُمَّ اتَمَّوْا إِلَيْهِ ، فَوَقَفُوا عَلَى شَاطِئِهِ ، وَهُوَ يَرِي بِالزَّبَدِ مِثْلَ مَدِّ الْفُرَاتِ . وَإِنَّهُمْ لَيَنْظُرُونَ إِذَا هَاجَتِ السَّمَاءُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ : لَيْسَ مَعَنَا جُنَّةٌ<sup>(٣)</sup> نَسْتَجِنُّ بِهَا ، وَهَذِهِ سَمَاءٌ خَلِيقَةٌ أَنْ تَبْلُ ثِيَابَنَا ، فَهَلْ لَكُمْ فِي مَنْزِلِ طُؤَيْسِ<sup>(٤)</sup> فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مَنَا فَتَسْتَكِنُّ فِيهِ وَيُحَدِّثُنَا وَيُضْحِكُنَا - وَطُؤَيْسٌ فِي النَّظَارَةِ يَسْمَعُ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! وَمَا تَرِيدُ مِنْ طُؤَيْسٍ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ ! هُوَ يَشِينُ<sup>(٥)</sup> مَنْ عَرَفَهُ ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لَا تَقُلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَلِيحٌ خَفِيفٌ لَنَا فِيهِ أُنْسٌ .

فَلَمَّا اسْتَوَى فِي طُؤَيْسٍ كَلَامَهُمْ تَعَجَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَقَالَ لِمَرَأَتِهِ : وَيْحَكَ ! قَدْ جَاءَ نَاعِدُ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ سَيِّدُ النَّاسِ ، فَمَا عِنْدَكَ ؟ قَالَتْ : نَذَبْتُ هَذِهِ الْعَنَاقَ<sup>(٦)</sup> - وَكَانَتْ عِنْدَهَا عُنَيْقَةٌ قَدْ رَبَّتَهَا بِاللَّبَنِ - وَأَخْتَبَزْتُ خُبْزًا رُقَاقًا ؛ فَبَادِرْ فَذَبِّحِيهَا ، وَعَجَّنتُ هِيَ .

ثُمَّ خَرَجَ فَتَلَقَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ لَهُ طُؤَيْسٌ : يَا بَنِي أَنْتَ وَأُمِّي ! هَذَا الْمَطَرُ ،

\* الأغانى : ٣ - ٣٢

(١) الجود : المطر الغزير ، أو مالا مطر فوقه . (٢) العقيق : منزله أهل المدينة في أيام المطر والربيع . (٣) الجنة : ما استترت به . (٤) اسمه عيسى بن عبد الله ، وطويس لقب غلب عليه ، وهو أول من غنى في الإسلام ، وكان ظريفاً طالما بأمر المدينة وأنساب أهلها . (٥) يشين : يمسب . (٦) العناق : الأنتى من ولد المعز .

فهل لك في المنزل قستكركن فيه إلى أن تكف السماء ؟ قال : إياك أريد . قال :  
فامض ياسيدي على بركة الله . وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدثوا حتى  
أدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأمي ! تُكرمني إذا دخلت منزلي بأن تتمشي  
عندي ؛ قال : هات ما عندك . فجاء بعناقٍ سمينة ورُقاق . فأكل وأكل القوم  
حتى تملثوا<sup>(١)</sup> ، فأعجبه طيب طعامه ؛ فلما غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأمي !  
أتمشي معك وأغنيك ؟ قال : افعلي يا طويس ، فأخذ ملحفةً فأترز بها ، وأرختي  
لهذا نبيين ، ثم أخذ المربّع<sup>(٢)</sup> فتمشي ، وأنشأ يفتي :

يا خيلي نابي سهدي لم تنم عيني ولم تكدي  
فشرابي ما أسينغ وما أشتكي ما بي إلى أحد  
كيف تلحوني<sup>(٣)</sup> على رجلٍ أنسٍ تلتذه كيدي  
مثل ضوء البدر طلعتة ليس بالزئيلة النكدي<sup>(٤)</sup>  
من بني آل الغيرة لا خاملٍ نكسٍ ولا جدي<sup>(٥)</sup>  
نظرت يوماً فلا نظرت بعده عيني إلى أحد

فطرب القوم ، وقالوا : أحسنت والله يا طويس ! ثم قال : ياسيدي ؛ أتدري  
لمن هذا الشعر ؟ قال : لا ، والله ما أدري لمن هو . إلا أني سمعتُ شعراً حسناً .  
قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحارث بن  
هشام المخزومي . فنكس القوم رءوسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على  
صدره<sup>(٦)</sup> ، فلو شقت الأرض له لدخل فيها .

(١) تملثوا : اتملثوا من كثرة الأكل . (٢) المربع : آلة من آلات الطرب . (٣) لناه  
يلحوه : لاهمه . (٤) الزئيلة : الجبان الضعيف . (٥) النكس : الضعيف لا خير فيه . والجدد :  
القليل الخير . (٦) ضرب برأسه على صدره : أطرق استحياء وخجلاً ، وهو يريد بعبد الرحمن  
عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .



٤ - سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي\*

جلس عبدُ الله بن جعفر يوماً عند عبد الملك بن مروان ، فخدمته عن إقلال<sup>(١)</sup>  
ابن أبي عتيق وكثرة عياله ؛ فأمره عبد الملك أن يبعث به إليه ، فأتاه ابنُ جعفر  
فأعلمه بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه .

فدخل ابنُ عتيق على عبد الملك ، فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين  
عليه تَمِيسَان<sup>(٢)</sup> كفضنَى بَانٍ ، بيد كل جارية مِرْوَحَةٌ ، تروح بها عليه ، مكتوب  
بالذهب في المِرْوَحَةِ الواحدة :

لَمَنْتِي أَجْلِبُ الرِّيحُ وَبِي يَلْعَبُ الْخَجَلُ  
وَحِجَابٌ إِذَا الْحَبِيدُ بُنِيَ الرَّأْسَ لِلْقَبْلِ  
وَعِغَاثٌ إِذَا النَّدِيمُ نَفَى أَوْ ارْتَجَلَ

وفي المروحة الأخرى :

أَنَا فِي الْكَفِّ لَطِيفُهُ مَسْكِنِي قَصْرُ الْخَلِيفَةِ  
أَنَا لَا أَصْلِحُ إِلَّا لظَرِيفٍ أَوْ ظَرِيفَهُ  
أَوْ وَصِيفٍ<sup>(٣)</sup> حَسَنِ الْقَدِّ شَبِيهِ بِالْوَصِيفَةِ

قال ابنُ أبي عتيق : فلما نظرتُ إلى الجاريتين هَوَّنتا الدنيا عليَّ ، وَأُنْسَتَانِي  
سوءِ حالي ، ثم قلت : إِنْ كَانَتَا مِنَ الْإِنْسِ فَمَا نَسَاؤُنَا إِلَّا مِنَ الْبِهَائِمِ ، فلما كررتُ  
بصري فيهما تذكرت الجنة ، فإذا تذكرت امرأتِي - وكنت لها مُحِبًّا - تذكرت

\* العقد الفريد : ٤ - ٩١

(١) فقر . (٢) تَمِيسَان : تنبخرتان . (٣) الوصيف : الحامد ، غلاماً كان أو جارية .



النار ، وبدأ عبد الملك يتوجع لي بما حكى له ابنُ جعفر عني ، ويخبرني بما لي عنده من جميل الرأي ؛ فأكذبتُ له كلَّ ما حكاه له ابنُ جعفر عني ، ووصفت له نفسي بفاية المَلَأ والجِدَّة<sup>(١)</sup> ؛ فامتلاً عبد الملك سروراً بما ذكرت له وعمّاً بتكذيب ابن جعفر .

فلما عاد إليه ابنُ جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني ، وأخبره بما حلَّيتُ<sup>(٢)</sup> له نفسي ، فقال : كذب ، والله يا أمير المؤمنين ، وإنه أحوجُ أهل الحجاز إلى قليلِ فضلك ، فضلاً عن كثيره .

ثم خرج عبدُ الله فلقيني ، فقال : ما حملك على أن كذبتني عند أمير المؤمنين؟ قلت : أفكنت تراني وقد أجلسني بين شمس وقر ، ثم أتفاقر<sup>(٣)</sup> عنده ! لا والله ، ما رأيت ذلك لنفسي ، وإن رأيتَه لي .

فلما أعلم بذلك عبدُ الله بن جعفر عبد الملك بن مروان قال : فالجاريقان له . قال ابنُ أبي عتيق : فلما صارتا إلى زرتُ عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلاً فرحاً وهو يشربُ ، وبين يديه عُسٌّ<sup>(٤)</sup> فيه عسل ممزوج بمسك وكافور ، فقال : مهمم<sup>(٥)</sup> ؟ قلت : قد والله قبضتُ الجاريتين ، قال : فاشرب ، فتناولت العُسَّ ، فخرجت منه جرعة ، فقال لي : زد ، فأبيتُ عليه ، فقال لجارية له عنده تَغْنِيه : إن هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين نخذي في نَمَمهما ، فحركت الجارية العود ، ثم غنت :

(١) المَلَأ : سعة العيش . والجِدَّة : النقي . (٢) حلَّى نفسه : وصف حلَّيته . (٣) أتفاقر : أظهر الفقر . (٤) العُس : القدح العظيم . (٥) كلمة استفهام : أي ما حالك وما شأنك ؟ أو ما وراءك ؟ أو أحدث لك شيء ؟

عهدى بها في الحىّ قد جردت صفراء مثل المهرة الضامير  
قد حجّم (١) التّدَى على نحرها في مشرق ذى بهجّة ناضر  
لو أسندت مَيْتًا إلى صدرها قام ولم ينقل إلى قَابِر (٢)  
حتى يقول الناس مमारأوا : يا عجباّ للميتِ النماشر  
فلما سمعتُ الأبيات طرّبت ، ثم تناولتُ العُسّ ، فشربت عَلَلًا (٣) بعد  
نَهْلٍ ، ورفعت عتيرتى أغنى :  
سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَاتُنْفِنُّ وَلَوْ سَقَوَا جبال حُنَيْنٍ ما سَقَوْنِي لَفَنَتِ

---

(١) حجّم التّدَى : نهّد . (٢) قبره يقبره : دفنه ، أى إلى دافن . (٣) العلل : الضربة الثانية ،  
أو الشرب بعد الشرب تباعا ، والنهل : الشرب الأول .

٥ - عبدالله بن جعفر عند جميلة \*

جلست جميلة<sup>(١)</sup> يوماً للوفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواربها شعوراً  
مُسْدَلَةً كالعنقايد إلى أعجازهن ، وألبسهن أنواع الثياب المصبغة ، ووَضَعَتْ فوق  
الشعور التيجان ، وزَيَّنَتْهُنَّ بأنواع الخلى .

ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره ، وقالت لكتاب أملت عليه :  
« بأبي أنت وأمي اقدرك يجلي عن رسالتى ، وكرمك يحتمل زلتى ، وذنبى  
لا تقال عثرته ، ولا تغفر حوبته<sup>(٢)</sup> ؛ فإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل  
البيت يؤثر ، والخير والفضل كله فيكم مدخر ، ونحن العبيد وأنتم الموالى .  
فطوبى لمن كان لكم مجاوراً ، وبِعزكم قاهراً ، وبضيايكم مبصراً ! والويل لمن  
جهل قدركم ، ولم يعرف ما أوجب الله على هذا الخلق لكم ! فصغيركم كبير ،  
بل لا صغير فيكم ، وكبيركم جليل ، بل الجلالة التى وهبها الله عز وجل للخلق  
هى لكم ، ومقصورة عليكم ؛ وبالكتاب نسألك ، وبحق الرسول ندعوك  
- إن كنت نسيطاً - لمجلس هياتته لك ، لا يحسن إلا بك ، ولا يتم إلا معك ،  
ولا يصلح أن ينقل عن موضوعه ، ولا يسلك به عن طريقه . »

فلما قرأ عبد الله الكتاب قال : إنا لنعرف تعظيمها لنا ، وإكرامها لصغيرنا  
وكبيرنا ، وقد علمت أنها قد آلت ألية<sup>(٣)</sup> ألا تغنى أحداً إلا فى منزلها . وقال

\* الأغانى : ٨ - ٢٢٧

(١) هى جميلة مولاة بنى سليم ، كانت أصلاً من أصول الفناء ، وعنها أخذ معبد وابن عائشة  
وحبابة وسلامة وغيرهم من المغنين والمغنيات ، توفيت سنة ١٢٥ هـ تقريباً . (٢) الحوبة : الإثم -  
(٣) آلت : أقامت يمينا .



لرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا، وكان في عزمي المرورُ بها؛  
فأما إذ وافقَ مرادها فإني جاعلٌ بعد رجوعي طريقَ عليها .

فلما صار إلى بابها أدخلَ بعضَ مَنْ كانَ معه إليها وصرفَ بعضهم . فنظر إلى  
ذلك الحُسنِ البارِعِ والهَيْئَةِ الباذِةِ<sup>(١)</sup> ، فأعجبه ووقعَ من نفسه ؛ فقال : يا جميلة ؛  
لقد أتيتَ خيراً كثيراً ! ما أحسنَ ما صنعتِ ! فقالت : سيدي ؛ إن الجميلَ للجميلِ  
يصلُحُ ، ولك هَيَّاتُ هذا المجلسِ .

فجلسَ عبدُ الله بنُ جعفر ، وقامت على رأسه ، وقامت الجوارى صَنِينِ ؛ فأقسمَ  
عليها فجلستَ غيرَ بعيدٍ . ثم قالت : يا سيدي ؛ ألا أغنيكَ ، قال : بلى ! فغنتَ :  
بَنِي شَيْبَةَ<sup>(٢)</sup> الحمدِ الذي كانَ وجهُهُ يُضِيُّ ظلامَ الليلِ كالقمرِ البدرِ  
كهُولِهِمْ خَيْرُ الكهولِ ونَسْلُهُمْ كَنَسْلِ الملوِكِ لا يَبُورُ ولا يَحْرَى<sup>(٣)</sup>  
أبوكم قُصَى كانَ يُدعى مُجَمَّعاً به جَمَعَ اللهُ القَبَائِلَ من نَهْرِ  
فقال عبدُ الله : أحسنتِ يا جميلة ! بالله أعيدِ به على ، فأعادته ؛ فجاء الصوتُ  
أحسنَ من الارتجالِ . ثم دعت لكلَ جاريةِ بعودٍ ، وأمرتَهُنَّ بالجلوسِ على  
كراسي صغارٍ قد أعدَّتْها لهنَّ ، فضربنَ ، وغنت عليهن هذا الصوتُ وغنى جوارِيها  
على غنائها .

فلما ضربنَ جميعاً قال عبدُ الله : ما ظننتُ أن مثلَ هذا يكونُ ! وإِنَّه لِمَا  
يَفْتِنُ القَلْبَ !

ثم دعا بيفلته فركبها وانصرفَ إلى منزله - وقد كانت جميلةٌ أعدت طعاماً  
كثيراً - فقال لأصحابه : تخلّفوا فتغدّوا وانصرفوا مسرورين .

(١) الهَيْئَةُ الباذِةُ : الغالبةُ الفاتكةُ . (٢) شَيْبَةُ الحمد : لقبُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشم ، وهو جدُ عبدِ الله

ابنِ جعفر . (٣) يَبُورُ : يهلك ، ويحمرُّ : ينقص .

٦ - يَبْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ \*

قال أبو عبيد : أتيتُ جميلةَ يوماً ، وقد ظننتُ أني سبقتُ الناسَ إليها ، فإذا  
مجلسها غاصَّ ؛ فسألتهَا أن تعلمني شيئاً ، فقالت لي : إنَّ غيرك قد سبقك ، ولا يجملُ  
تقديمك على مَنْ سواك . قلت : جعلتُ فداك ! متى تفرُّغين من سبقتي ؟  
قالت : هو ذاك ، الحقُّ يسعك ويسعهم .

فبينما نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر - وإنه لأوَّلُ يوم رأيتُه وآخره ،  
وكنت صغيراً كئيباً<sup>(١)</sup> ، وكانت جميلةً شديدةَ الفرح - قامت وقام الناس ،  
فطلقتهُ وقلتُ رجليه وبديه ، وجلس في صدرِ المجلس على كؤم<sup>(٢)</sup> لها ، وتحوَّق<sup>(٣)</sup>  
أصحابه حوله ، وأشارت إلى مَنْ عندها بالانصراف ، وتفرق الناس ، وغمزتني ألا  
أبرحَ ، فأمتُّ . وقالت : يا سيدي وسيدَ آبائي وموالي ؛ كيف نشطتَ إلى أن  
تنقل قدميك إلى أمتك ؟ قال : يا جميلة ؛ قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألا تنفي  
أحدًا إلا في منزلك ، وأحببتُ الاستماع . قالت : جعلتُ فداك ! فأنا أصيرُ إليك  
وأكفرُّ . قال : لا أكلِّفك ذلك ، وبلغني أنك تُغنين بيتين لامرئ القيس  
تجيدين الفناء فيهما ، وكان اللهُ أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت :  
يا سيدي ، نعم ! فاندفعتُ نَفْتِي ، ففغنتُ بعودها ؛ فاسمعتُ منها قبل ذلك ، ولا بعد

\* الأغانى : ٨ - ١٩٨

(١) كئيس : عاقل . (٢) الكؤوم : المواضع المشرفة ، واحدها كؤومة . (٣) تحوَّق القوم  
حوله : استداروا وأحاطوا به .



إلى أن ماتت ، مثل ذلك الغناء ، فسبَّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :  
ولما رأت أن الشريعة هُمها وأن البياض من فرائصها دَامِي<sup>(١)</sup>  
تيممت العين التي عند ضارجِ بفيء عليها الظلُّ، عَرَمُضُهَا طَامِي<sup>(٢)</sup>  
فلما فرغت قالت جميلة : أَى سَيِّدِي ؛ أزيدك ؟ قال : حسبي . فقال بعض  
من كان معه : بأبي جعلت فداك ! وكيف أُنقذ الله من المسلمين جماعةً بهذين  
البيتين ؟ قال : نعم ، أقبل قومٌ من أهل اليمن ، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ؛  
فضلُّوا الطريق ، ووقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثاً لا يقدرُونَ على الماء ، وجعل  
الرجل منهم يَسْتَدْرِي<sup>(٣)</sup> بفيء السَّمْرِ والطَّلْحِ يائساً من الحياة إذ أقبلَ رَاكِبٌ  
على بعير له ، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين ، فقال :

ولما رأت أن الشريعة هُمها وأن البياض من فرائصها دَامِي  
تيممت العين التي عند ضارجِ بفيء عليها الظلُّ عَرَمُضُهَا طَامِي

فقال الراكبُ : من يقول هذا ؟ قال : امرؤ القيس . قال : والله ما كذب ،  
هذا ضارجٌ عنديكم ، وأشار لهم إليه ، فحبَّبوا على الرُّكْبِ فإذا ماء عذب ،  
وإذا عليه العَرَمُضُ والظلُّ بفيء عليه ؛ فشربوا منه ريَّهم ، وحملوا ما اكتفوا به  
حتى بلغوا الماء .

---

(١) الضمير في رأت للحمر ، والشريعة : مورد الماء الذي تشرب فيه الدواب ، وهما : طلبها ،  
والقريصة : اللحم الذي بين الكتف والصدر . (٢) ضارج : موضع في بلاد بني عيس ، والعَرَمُضُ :  
الطعلب ، وطام : عال مرتفع . يريد أن الحمر لما أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة  
وأن تدمي فرائصها من سهامهم ، فعدلت إلى ضارج لعدم الرماة على العين التي فيها . (٣) يستدري :



فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وقالوا: يا رسول الله؛ أحياناً الله عز وجل  
ببيتين من شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعر. فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: ذلك رجل مذکور في الدنيا شريفٌ فيها، مَدْنِيٌّ في الآخرة، خاملٌ  
فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار. فكلُّ استحسن الحديث .  
ونهض عبد الله بن جعفر ونهَضَ القوم معه؛ فما رأيت مجلساً كان أحسنَ  
من مجلسه .

٧ - ماذا فعلت يزاهد متعبداً !\*

قال الأصمعي: قدم عراقي بعدل<sup>(١)</sup> من حُرِّ العراق إلى المدينة ، فباعها كلها إلا الأسود؛ فشكا ذلك إلى الدارمي<sup>(٢)</sup> ، وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد ، فقال : ما تجعل لي على أن أحال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك ؟ قال : ما شئت ! فعمد الدارمي إلى ثياب نسكه ، فألقاها عنه ، وعاد إلى مثل شأنه الأول ، وقال شعراً رفعه إلى صديق له من المغنين ، فغنى به ، وكان الشعر :

قُلْ للمايحة في الخمار<sup>(٣)</sup> الأسود ماذا فعلت يزاهد متعبداً  
قد كان شمراً للصلاة ثيابه حتى خطرت له يباب المسجد  
رُدِّي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة ، وقالوا : قد رجع الدارمي ، وتمشق صاحبة الخمار الأسود ، فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود ، وباع التاجر جميع ما كان معه ، فجعل إخوان الدارمي من النساء يلتقون الدارمي فيقولون : ماذا صنعت ؟ فيقول : ستعلمون نبأه بعد حين ، فلما نفذ ما كان مع العراقي رجع الدارمي إلى نسكه ولبس ثيابه !

\* العقد الفريد : ٤ - ٩٦

(١) العدل : نصف الحمل . (٢) هو ربيعة بن عامر ، ولقبه مسكين ، وبصل نسبة إلى دارم بن مالك ، كان شاعراً شريفاً من سادات قومه ، وقد غلب شعره في مدح معاوية ، توفي سنة ٩٠ هـ .

(٣) الخمار : التصيف ، وما تغطى به المرأة رأسها .

٨ - دُعَابَةُ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ \*

لما دخل المدينة عُمان بن حَيَّان المرِّي واليًّا<sup>(١)</sup> عليها اجتمع الأشرافُ عليه من قريشِ والأنصارِ ؛ فقالوا له : إنك لا تعملُ عملاً أُجْدَى ولا أولى من تحريمِ الغناءِ والرِّثاءِ<sup>(٢)</sup> ، ففعل وأجَّل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة .  
فقدَّم ابنُ أبي عَتِيقٍ<sup>(٣)</sup> في الليلة الثالثة ؛ فحطَّ رحله ببابِ سَلَامَةَ<sup>(٤)</sup> ؟ وقال لها : بدأتُ بكِ قبل أن أُصيرَ إلى منزلي ؛ فقالت : أو ما تدري ما حدث ؟ وأخبرتُه الخبر . فقال : أقيمي إلى السَّحر حتى ألقاهُ ! فقالت : إنا نخاف ألا تُغني شيئاً ، وننكُظُ<sup>(٥)</sup> . فقال : إنه لا بأسَ عليك !

ثم مضى إلى عثمان فاستأذنَ عليه ، فأذنَ له وسلمَ عليه ، وذكر له غيبته ، وأنه جاء ليقضى حقه ، وقال له : إن من أفضل ما عملتَ تحريمَ الغناءِ والرِّثاءِ . قال : إن أهلكَ قد أشاروا عليّ بذلك . قال : فإنك قد وُقِّتَ ! ولكني رسولُ امرأةٍ إليك تقول : قد كانتَ هذه صناعتِي فُتبتُ إلى اللهِ منها ، وأنا أسألكَ أيُّها الأميرُ ألا تحولَ بينها وبين مجاورةِ قبرِ النبي صلي الله عليه وسلم .

فقال عثمان : إذن أدعها لك ولكلامك . قال : لا يدعُك الناسُ ؛ ولكن

\* الأغاني : ٨ - ٣٤١ ؛ الكامل : ١ - ٣٨٠ ، ذيل زهر الآداب : ٤٤

(١) دخل المدينة واليًّا لوليد بن عبد الملك سنة ٥٩٣ هـ . (٢) الرثاء : يريد النياحة بالرأى ، وفي رواية الأغاني غير ذلك . (٣) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؛ كان من نساك قريش وظرفاتهم ، وله أخبار طويلة طريفة . (٤) سلامة الزرقاء : من مولدات المدينة ، وكانت أحسن الناس وجهاً وأتمهن عقلاً ، وأجودهن حديثاً ، قرأت القرآن ، وروت الأشعار ، وأخذت الغناء من جميلة مولاة بني سليم . (٥) تنكُظُ : تنالنا شدة .



تدعو بها وتسمع كلامها ، وتنظر إليها ، فإن كانت ممن **مُتْرَكُ تَرْكَتِهَا** . قال :  
فادعُ بها .

فأمرها ابنُ أبي عتيق ؛ فتخشعت ، وأخذتُ سُبْحَةَ في يدها ، وصارت إليه ،  
وحدثته ؛ فإذا هي من أعلم الناس بالناس ؛ فأعجب بها ، وحدثه عن آبائه وأمورهم ،  
فقصده<sup>(١)</sup> لذلك ، فقال لها ابنُ أبي عتيق : اقرئي للأمر ؛ فقرأت له . فقال لها :  
احدي للأمر ، فخرَّكه **حُدَاوَاهَا**<sup>(٢)</sup> . ثم قال لها : **غَبْرِي**<sup>(٣)</sup> للأمر ؛ فجعل  
يُعجبُ بذلك عثمان . فقال له ابنُ أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتها !  
فقال : قل لها فلتقل . فأمرها فقنت :

سَدَدَنْ خَصَاصَ<sup>(٤)</sup> الْحَلِيمِ<sup>(٥)</sup> لِمَادَخَلْنَهُ بِكُلِّ لَبَانٍ<sup>(٦)</sup> وَاضِحٍ وَجَبِينِ  
فنزله عثمان بن حيان عن سريرته ، حتى جلس بين يديها ، ثم قال : والله  
مامثلك يخرج عن المدينة !

فقال له ابنُ أبي عتيق : يقول الناس : أذن لسلامة في المقام وأخرج غيرها .  
فقال له عثمان : قد أذنتُ لهم جميعاً !

---

(١) فكدها : طابت نفسه . (٢) الهداء : غناء خلف الإبل تشبط به . (٣) التغيير : ضرب  
من الفناء اتخذته المتصوفة يتواجدون على أنفامه . (٤) الخصاص : خروق واسعة في الخيم قدر الوجه ،  
الواحدة خصاصة ، وهو يصف نساء تطلعن منها . (٥) الخيم : أعواد تنصب في القيط ، وتجعل  
لها عوارض ، وتظلل بالشجر ، فتكون أبرد من الأخبية . (٦) اللبان : الصدر .

٩ - لَحْنٌ بِجَمِيلَةٍ\*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : حدثني عمّي - وكانت أَسَنَ من أبي وعمرت بعده - قالت : كان السببُ في طلب أبيك الفناء واللواظبة عليه لحناً سمعه لجَمِيلَةٍ في منزلِ يونسَ بنِ محمدِ الكاتب ، فانصرف وهو كَثِيبٌ حزينٌ مهمومٌ ، ولم يَطْعَمْ<sup>(١)</sup> ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب فأمسك ، فألححتُ عليه فانتهرني ، وكان لي مُكْرِمًا ؛ ففضّبتُ وقتُ من ذلك المجلس إلى بيتِ آخر ؛ فتبعني وترضائي ، وقال لي : أحذثُك ولا كتمان منك ! عشقتُ صوتاً لامرأةٍ قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائمٌ ، إن لم يتقدّر كفي الله منه برحمته . قلت : أنظنُّ أن الله يُحيي لك ميتاً ! قال : لا . قلت : فما تعليقك قلبك بما لا يُعطاه أحد ! وأما عشقُك الصوت فهو أن تحذقه وتغنّيه عشرَ مرارٍ ، فتعلّمه ويذهبَ عشقُك له ! فكأنه أروعى ورجع إلى نفسه ، وقام فقبل رأسي وبيدي ورجلي ، وقال لي : فرجّت عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْبِ والنَمِّ ، ثم تمثّل :

\* حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ \*

ولزم بيت يونسَ حتى حَذَقَ الصوتَ ، ولم يمكثُ إلا زمناً يسيراً حتى مات يونس ، وانضمَّ إلى سَيِّاطِ<sup>(٢)</sup> ، وكان من أحذق أهل زمانه بالفناء وأحسنهم أداءً غمّ مضي .

\* الأغاني : ٨ - ٢٢٠

(١) لم يطعم : لم يتناول الطعام . (٢) اسمه عبد الله ، مكي من موالى خزاعة ، وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي ، وكان مقدماً في الفناء ، رواية وصنعة ، مات في أيام المهدي .

قالت عمتي : قلت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأشدني الشعر ولم يُحسن  
أداء الغناء :

مِنَ الْبَكَرَاتِ عِرَاقِيَّةٌ نَسَى سُبَيْعَةَ أَطْرَبَتْهَا  
وَمِنْ آلِ أَبِي بَكْرَةَ الْأَكْرَمِينَ خَصَّصْتُ بُوْدَى فَأَصْفَيْتُهَا  
وَمِنْ حُبِّهَا زُرْتُ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَأَسْخَطْتُ أَهْلِي وَأَرْضَيْتُهَا  
أَمُوتُ إِذَا شَحَطْتُ دَارُهَا وَأَحْيَا إِذَا أَنَا لَا قَيْتُهَا  
فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ مَابِي بِهَا وَكُنْتُ الطَّيِّبَ لِدَاوَيْتُهَا

قالت عمتي : هذا شعرٌ حسنٌ ، فكيف به إذا ما قُطِعَ ومُدِّدَا فما مضتِ  
الأيامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدَّى ؛ فما خرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ؛  
ولقد أذكرني بما يؤثر من حُسن صوتِ داودَ وجمالِ يوسف .

فبينما أنا يوماً جالسةٌ ، إذ طلع عليَّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً ؛ فقال لي :  
ألا أحدثُكِ بمعجَبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إن لي شريكاً في عشق صوتِ جميلة!  
قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا ، وأنا أغنِّيهِ الصوتُ ،  
وقد وقفتُ فيه على شيءٍ لم أكنُ أحكمتُهُ عن يونس ، وحضر عند سِياطِ شيخٍ  
نبيلٍ ، فسبَّح<sup>(١)</sup> على الصوتِ تسبيحاً طويلاً ؛ فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه  
الصوتِ . فلما فرغتُ أنا وسِياطُ من اللحنِ قال الشيخُ : ما أعجبَ أمرَ هذا الشعرِ ،  
وأحسنَ ما غنِّي به ، وأحسنَ ما قال قائله !

قلت له دونَ القومِ : وما بلغ من المعجَبِ به ؟ قال : نعم ! حَجَّتْ سُبَيْعَةُ

(١) سبَّح : قال : سبحان الله !



من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرَةَ ، وكانت من أجمل النساء ، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> ، فلما انحدرت إلى العراق اتبعها يشيئها حتى بلغ معها موضعاً يقال له : الخورنق . فقالت له : لو بلغت إلى أهلي ، وخطبتني لزوجك . فقال لها : ما كنت لأخلط تشيئتي إياك بخطبة ، ولكن أرجع ثم آتيكم خاطباً ؛ فرجع ومراً بالمدينة ، فقال فيها :

من البكرات عراقيةٌ تسمى سبيعة أطريتها

ثم أتى بيت جميلة ، فسألها أن تغني بهذا الشعر ففعلت . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجودة تأليفها ؛ فحسن موقع ذلك منه ؛ فوجه إلى جارية له كانت تطلب الغناء أن تأتي جميلة ، وتأخذ الصوت منها ، فطارحتها إياه أياماً حتى حدقت ومهرت به . فلما رأى ذلك عمر قال : أرى أن تخرجني إلى سبيعة وتغنيها هذا الصوت وتبلغني رسالتي ؛ قالت : نعم ؛ جعلني الله فداك .

فأنتها فرحبت بها ، وأعلمتها الرسالة ، فحيت وأكرمت ، ثم غنتها فكادت تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر .

ثم عادت رسول عمر ، فأعلمته ما كان ؛ وقالت له : إنها خارجة في تلك السنة .

فلما كان أو ان الحج استأذنت سبيعة أباه في الحج فأبى عليها ، وقال لها : قد حججت حجة الإسلام . قالت له : تلك الحججة هي التي أسهرتني ليلي ، وأطالت نهاري ، وتوقفتني إلى أن أعود وأزور البيت والقبر ؛ وإن أنت لم تأذن لي ميت كمدأ وعمأ .

(١) عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، شاعر مشهور ، كان يقد على عبد الملك بن مروان فيكرمه ، وتوفي سنة ٩٣ هـ .

فلما رأى ذلك أبوها رقَّ لها، وقال : ليس يسعني منعها لِمَا أرى بها ؛ فأذن لها  
ووافى عمرُ المدينة ليعرف خبرها ؛ فلما قدمت علم بذلك ، وسألها أن تأتي  
منزل جميلة ، وقد سبق إليها عمرُ ، فأكرمتها جميلة ، وسُرَّت بمكانها . فقالت لها  
سُبَيْعة : جعلني الله فِدَاكَ ! ألقني وأسهرني صوتكِ بشعرِ عمرَ في ، فاسمعي إياه .  
قالت جميلة : وعزَّازةٌ لوجهكِ الجميل ! ففنتها الصوت ؛ فأغنى عليها ساعةً  
حتى رُش على وجهها الماء ، وثاب إليها عقلها . ثم قالت : أعيدى عليّ ، فأعدت  
الصوت مراراً في كل مرة يُغشى عليها .

ثم خرجت إلى مكة وخرج معها . فلما رجعت مرَّت بالمدينة وعمرُ معها ؛  
فأنت جميلة فقالت لها : أعيدى عليّ الصوت . ففعلت ؛ وأقامت عليها ثلاثاً تسألها  
أن تعيد الصوت ، فقالت لها جميلة : إني أريد أن أغنيك صوتاً فاسمعيه . قالت :  
هاتيه ياسيدي ففنتها :

أبتِ المليحةُ أن توأصليني وأظنُّ أني زائرٌ رمسي (١)

لا خيرَ في الدنيا وزينتها مالم توأفيقْ نفسها نفسي

لا صبرٌ لي عنها إذا حسرت (٢) كالبدْرِ أو قرْنٍ من الشمس

قالت سُبَيْعة : لولا أن الأوَّل شعر عمر لقدمتُ هذا على كل شيء سمعته .

فقال عمر : فإنه والله أحسنُ من ذلك ؟ فأما الشعر فلا . قالت جميلة :

صدقت والله !

(١) الرمس : القبر . (٢) يريد ظهرت .



١٠ - في أيام الحج \*

حجَّ عمرُ بنُ أبي ربيعة في عامٍ من الأعوام على نجيبٍ له ، مخضوبٍ بالحِنَّاءِ مشهراً الرَّحْلَ بِقِرَابٍ<sup>(١)</sup> ، مُذْهَبٍ<sup>(٢)</sup> ، ومعه عبيدُ بنُ سُريجٍ على بَقْلَةٍ له شَقْرَاءُ ، ومعه غلامه جَنَادٌ<sup>(٣)</sup> ، وبقودُ فرسٍ له أَدَمٌ أَعْرُ مَحْجَلًا وكان عمر بن أبي ربيعة يسميه « الكوكب » في عنقه طوقَ ذَهَبٍ . ومع عمر جماعةٌ من حَسَمِهِ وغلمانهِ ومواليهِ ، وعليهِ حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يمانية وعلي ابن سُريجِ ثوبانِ هَرَوِيَّانٍ<sup>(٤)</sup> مرتفعان ، فلم يَمْزُوا بأحدٍ إلا عَجِبَ من حسن هَيْئَتِهِمْ ، وكان عمرُ من أَعْطَرَ النَّاسِ وأَحْسَنِهِمْ هَيْئَةً ، فخرجوا من مَكَّةَ يومَ التَّروِيَةِ<sup>(٥)</sup> بعد العصر يريدون مِئِي .

فَرُّوا بِمَنْزِلِ رَجُلٍ من بنى عبد منافِ بِمِئِي ، قد ضُرِبَتْ عليه فَسَاطِيطُهُ<sup>(٦)</sup> وَخِيَمُهُ ، ووَافَى المَوْضِعَ عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من قُبَّتِهَا ، وسَتَرَ جَوَارِيَهَا دون القُبَّةِ لثلاثِ أراها من مَرَّةٍ ، فأشرف عمرُ على النَّجِيبِ ، فنظر إليها ، وكانت من أحسن النساءِ وأجملهن ، فقال لها جوارِيهَا : هذا عمرُ بن أبي ربيعة ، فرفعت رأسها

\* الأغانى: ١-٢٥٩

(١) القِرَاب : جراب السيف يصنع من الجلد . (٢) الإذغاب : الطلاء بالذهب . (٣) في جناد

يقول عمر :

فقلت لجناد خذ السيف واشتمل عليه برفق وارقب الشمس تغرب

وأسرج لى الدهاء واجعل بمطرى ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

(٤) ثوب هروى : منسوب إلى هراة . (٥) يوم التروية : الثامن من ذى الحجة لأن الماء كان

قليلًا يعنى فكانوا يرتوون من الماء لما بعد . (٦) الفسطاط : ضرب من الأبنية ، وجمه فساطيط .



فَنظَرْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَتَرْتُهَا جَوَارِيهَا وَوَلَائِدُهَا<sup>(١)</sup> عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلْتُ ، وَمَضَى عَمْرٌ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَسَاطِيطُهُ بِنِي ، وَقَدْ نَظَرَ مِنَ الْجَارِيَةِ إِلَى مَاتِيهِ ، وَمَنْ جَمَالُهَا إِلَى مَا حِيرَهُ ؛  
قَالَ فِيهَا :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصْبِ<sup>(٢)</sup> مِنْ مَنِيَّ      وَلى نَظَرْتُ - لولا التَّحَرُّج - عَارِمُ<sup>(٣)</sup>  
قُلْتُ : أَشْمَسُ أُمَ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ<sup>(٤)</sup>      بَدَتْ لِي خَلْفَ السَّجْفِ أُمَ أَنْتَ حَالِمُ  
بَعِيدَةٌ مَهْوَى<sup>(٥)</sup> الْقَرْطِ إِمَامًا لِنَوْفَلٍ      أَبُوهَا وَإِمَامُ عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ  
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا      عَلَى عَجَلٍ تَبَاعُهَا وَالخَوَادِمُ  
فَلَمْ أُسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا      عَلَى الرَّغْمِ مِنْهَا كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ  
مَعَاصِمٌ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ<sup>(٦)</sup> بِالضُّحَى      عَصَاهَا وَوَجْهَهُ لَمْ تَلْحَهُ السَّمَامُ  
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أُسَارِيْعَ مَائِهِ<sup>(٧)</sup>      صَبِيحُ نَفَادِيهِ الْأَكْفُ النَّوَاعِمُ  
إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَكَتَفْنَهَا      تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بَيْنَ الْمَاءِ كَمُ<sup>(٨)</sup>  
طَلِبِنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ      نَزَعْنَ وَهَنَّ الْمُسْلِمَاتُ الظَّوَالِمُ

ثُمَّ قَالَ لَابْنِ سُرَيْجٍ : يَا أَبَا بِيحَى ؛ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي رَجوعِنَا مَعَ الْعَشِيَّةِ إِلَى مَكَّةَ مَعَ كَثْرَةِ الزَّحَامِ وَالغُبَارِ وَجَلْبَةِ الْحَاجِّ ، فَثَقُلَ عَلَيَّ ؛ فَهَلْ لَكَ أَنْ نَرُوحَ رَوَاحًا طَيِّبًا مَعْتَزِلًا ، فَنَرَى فِيهِ مَنْ رَاحَ صَادِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ أَهْلِهَا ، وَنَرَى أَهْلَ الدَّرَاقِ

(١) الوليدة : الأمة وجمعها ولائد . (٢) الحصب : موضع رى الجاربي . (٣) عارم : حاد  
(٤) البيعة : كنيحة النصارى . (٥) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق . (٦) البهم :  
جمع بهمة ، الصغير من أولاد الضأن . (٧) أساريع الماء : طرائفه ، والمراد أنه يتفرق فيه  
ماء الشباب . (٨) الماء كم : جمع مأكئة وهي المعجزة .

والشام ، وتعلل<sup>(١)</sup> في عشيئنا وليقتنا ونستريح ؟ قال : وأنى ذلك يا أبا الخطاب ؟ قال : على كَثِيبِ أَبِي شَحْوَةَ<sup>(٢)</sup> ، المشرفِ على بَطْنِ بِأَجَجٍ<sup>(٣)</sup> بين مِئِي وَسَرِفٍ ، فنبصر مرورَ الحاجِّ بنا ونراه ولا يَرُونَا . قال ابنُ سُرَيْجٍ : طَيِّبٌ والله ياسيدي . فدعا بعضَ خَدَمِهِ فقال : اذهبوا إلى الدارِ بِمِسْكَةٍ ، فاعملوا لنا سَفْرَةَ<sup>(٤)</sup> ، واحملوها مع شرابٍ إلى الكَثِيبِ ، حتى إذا أُبْرِدْنَا<sup>(٥)</sup> ، وَرَمِينَا الْجَمْرَةَ<sup>(٦)</sup> صِرْنَا إِلَيْكُمْ .

فصارا إليه فأكلا وشربا ، فلما انتشيا أخذ ابنُ سُرَيْجٍ الدُفَّ فنقره ، وجعل يفتي ، وهم ينظرون إلى الحاجِّ ، فلما أمسبارفع ابنُ سُرَيْجٍ صوته ففتى في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الرُّكْبَانُ فجعلوا يصيحون به : يا صاحبَ الصوتِ ؛ أما تتقَى الله! فقد حَبَسَتْ الناسَ عن مناسكهم ! فيسكُتُ قليلا ؛ حتى إذا مضوا رفع صوته ، وقد أخذ فيه الشراب ؛ فيقف آخرون ، إلى أن مرَّت قطعة من الليل ؛ فوقفَ عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عَتِيقٍ<sup>(٧)</sup> عربيٍّ مَرِحٍ مُسْتَنٍّ<sup>(٨)</sup> ، فهو كأنه تميل ، حتى وقف بأصل الكَثِيبِ ، وثنى رجله على قَرَبُوسٍ<sup>(٩)</sup> مَرَجِيهِ ، ثم نادى : يا صاحبَ الصوتِ ؛ أيسهلُ عليك أن ترُدَّ شيئاً مما سمعته ؟ قال : نعم ، وَنَعْمَةٌ عَيْنٍ<sup>(١٠)</sup> ، فأياها تريد ؟ قال . تعيد علي<sup>(١١)</sup> :

(١) تعلل : تنهس وتنسلى . (٢) موضع على خمسة أميال من مكة . (٣) بأجج : موضع قرب مكة . (٤) السفره : طعام يتخذ للمسافر . (٥) أبردنا : دخلنا في آخر النهار . (٦) الجمرة : واحدة جرات المناسك وهي ثلاث جرات . (٧) العتيق : الفرس الرائع الكريم . (٨) يقال استن الفرس : جرى في نشاطه على سنه في جهة واحدة . (٩) القربوس : مقدم السرج ومؤخره . (١٠) أي فعل ذلك إنعاماً لبيتك وإكراماً . (١١) الشعر لقيس بن ذريح .



أَلَا يَا غُرَابُ الْبَيْنِ مَالِكٌ كُلَّمَا نَعَبْتَ بِفِقْدَانِ عَلَى تَحْوُمِ  
أَبِ الْبَيْنِ مِنْ عَفْرَاءٍ أَنْتَ مُحَبَّرِي عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فَانْتَ مَشُومٌ  
فأعاده ، ثم قال له ابن سُرَيْج : ازدد إن شئت ، فقال : غَنَى :

أَمْسَلُمُ<sup>(١)</sup> إِي - يَا بَنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ  
شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّهُ مِنْ أَقْرَضْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى  
وَنَوَّهْتَ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

فَفَنَاهُ ، فقال له : الثالث ، ولا أستزيدك . فقال : قل ما شئت ، فقال :

تغنيني<sup>(٢)</sup> :

يَادَارُ أَقْوَتُ<sup>(٣)</sup> بِالْجَزْعِ فَالْكَتَبِ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ مَسِيلِ الْعُدَيْبِ<sup>(٥)</sup> فَالْرُحْبِ<sup>(٦)</sup>  
لَمْ تَتَّقَنْغُ بِفَضْلِ مِثْرَهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقِ دَعْدٌ فِي الْعَلْبِ  
فَفَنَاهُ ، فقال له ابن سُرَيْج : أَبَقِيَّتْ لَكَ حَاجَةٌ ؟ قال : نعم ، تنزل إلي  
لأُخَاطِبَكَ شَفَاهَا بِمَا أُرِيدُ . فقال له عمر : انزل إليهِ ، فنزل ، فقال له : لولا أني  
أُرِيدُ وَدَاعَ الْكَعْبَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَنِي تَقَلِّي<sup>(٧)</sup> وَغَلْمَانِي لِأَطَلْتُ الْمَقَامَ مَعَكَ ، وَلَنْزَلَتْ

(١) يريد مسلمة بن عبد الملك . والشعر لأبي نخيلة الجعاني . (٢) نسب هذا الشعر في اللسان - مادة (دعد) - لجرير ، وورد فيه كما يأتي :

يَادَارُ أَقْوَتُ بِجَانِبِ الْبَيْتِ	بَيْنَ تَلَاعِ الْعُقَيْقِ فَالْكَتَبِ
حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَائِمُ فَسَقُوا	صَوْبَ غَمَامٍ مَجْلَجِلِ الْجَبِ
لَمْ تَتَّقَنْغُ بِفَضْلِ مِثْرَهَا	دَعْدٌ وَلَمْ تَقْدُ دَعْدُ بِالْعَلْبِ

والتلفيح : الاشتغال بالثوب كلبسة نساء الأعراب . والعلب : أقداح من جلود ، الواحد علبة يحلب فيه اللبن ويشرب ، أي : ليست دعد هذه ممن تشتمل بثوبها وتشرب اللبن بالعلبة كئساء الأعراب الشقيات ولكنها ممن نشأ في نعمة ، وكسى أحسن كسوة . (٣) أقوت الدار : خلت . والمجزع : منعطف الوادي . (٤) الكتبت : موضع بديار طي\* . (٥) العذيب - كزبير : ماء ، أربعة مواضع (٦) موضع . (٧) النقل : متاع المسافر .



عندكم؛ ولكني أخاف أن يفضحنى الصبح، ولو كان ثقلى معى لما رضيتُ لك  
بالمهوينى<sup>(١)</sup>، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخاتمى ولا تُمدِّع عنهما، فإن شراءهما  
ألف وخمسمائة دينار.

ثم قال له: بالله أنت ابن سُريج؟ قال: نعم، قال: حياك الله. وهذا عمرُ  
ابن أبى ربيعة؟ قال: نعم؛ قال: حياك الله يا أبا الخطاب!  
فقال له: وأنت حياك الله! قد عرفتنا فعرِّفنا نفسك، قال: لا يمكنى  
ذلك، ففضبَّ ابنُ سُريج وقال: والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد، فقال  
له: أنا يزيد بن عبد الملك!

فوثب إليه عمرُ فأعظمه، وابنُ سُريج فقبلَ رُكابه، ثم مضى يزيد إلى ثقله،  
ودفع ابنُ سُريج الحلةَ وانخاتم إلى عمر فأعطاه إياهما، وقال له: إنَّ هَذَيْنِ بك  
أشبه منهما بى، فأعطاه عمر ثلاثمائة دينار وغداً فيهما إلى المسجد، فعرِّفهما الناس،  
وجعلوا يتمعَّبون ويقولون: كأنهما والله حلةَ يزيد بن عبد الملك وخاتمه، ثم يسألون  
عمر فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك!

(١) المهوينى: الأهون والأيسر.

١١ - في وادي العقيق \*

كان ابنُ عائشة<sup>(١)</sup> من أحسنِ الناسِ غناءً ، وأنبههم فيه ، وأضيقهم خلقاً :  
إذا قيل له غنَّ ، يقول : أو لمثلي يُقال هذا ؟ على عتق رقة إن غنيت يومى هذا !  
فإن غنى وقيل له : أحسنت ، قال : ألمثلى يقال أحسنت ؟ على عتق رقة إن غنيت  
سائرَ يومى هذا .

فلما كان في بعض الأيام سال وادى العقيق ، نجاء بالمعجب ، فلم يبقَ بالمدينة  
مُحِبَّةً ولا شابةً ولا شاباً ولا كَهْلاً إلا خرج يبصره ، وكان فيمن خرج ابنُ عائشة  
المغنى ، وهو معتجر<sup>(٢)</sup> بفضلِ رداءه ، فنظر إليه الحسنُ بنُ الحسنِ بنِ علي بن  
أبي طالب - وكان فيمن خرج إلى العقيق - وبين يديه أسودانِ كأنهما ساريتانِ يمشيان  
بين يديه أمام دابته ، فقال لهما : اذهبا إلى الرجلِ المعتجرِ بفضلِ رداءه فخذَا  
بضبعيه<sup>(٣)</sup> ، فإن فعل ما أمره به ، وإلا فاقدِفا به في العقيق .

فضيأ والحسنُ يقفوها ، فلم يشعر ابنُ عائشة إلا وهما آخذانِ بضبعيه ، فقال :  
من هذا ؟ فقال له الحسن : أنا هذا يا بنَ عائشة ، قال : لييك وسعديك ! وبأبي  
أنت وأمي ! قال : اسمع منى ما أقول ، واعلم أنك مأسور في أيديهما ، ففن مائة  
صوت أو يطرَحاك في العقيق ، وإن لم يفعل ذلك لأقطعن أيديهما !

\* العقد الفريد : ٤ - ١١٠

(١) هو محمد بن عائشة : من المقدمين في صناعة الغناء ، ووضع الألحان في العصر الأموى ، توفي  
نحو سنة ١٠٠ هـ . (٢) الاعتجار : لف الغمامة . (٣) أخذ بضبعيه : أى بعضديه .

فصاح ابن عائشة : يا ويلآه ! واعظيم مصيبتاه ! قال : دَعْ صياحَكَ ، وخذُ  
فيما ينفعنا .

قال : اقترح ، وأقم من يحصى ؛ وأقبل بغنى ، فترك الناسُ العقيق ؛ وأقبلوا  
عليه ؛ فلما تمت أصواته مائة كبر الناسُ بلسان واحد تكبيرة واحدة ، ارتجَّتْ  
لها أقطارُ المدينة ، وقالوا للحسن : صلى الله على رُوحك حيًّا وميتًا ! فما اجتمع لأهل  
المدينة سرورٌ قط إلا بكم أهل البيت .

فقال له الحسن . إنما فعلتُ هذا بك يا ابنَ عائشة لأخلاقك الشكيسة ، قال له  
ابن عائشة : والله ما مرت على مصيبة أعظم منها .

فكان ابن عائشة بعد ذلك إذا قيل له : ما أشدُّ ما مرَّ عليك ؟ قال :  
يوم العقيق .



١٢ — من أين صبَّك الله على\*

خرج ابنُ عائشةَ من عند الوليد بن يزيد وقد غنَّاه :  
أبعدك مَعْقِلًا أَرْجُو وَحِصْنًا قَدْ أَعَيْتَنِي المَعَالِقُ وَالْحِصُونُ  
فَأَطْرَبَهُ ؛ فأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارةِ القصار<sup>(١)</sup> كُسوة .  
فبينما ابنُ عائشةَ يسيرُ إذ نظر إليه رجلٌ من أهلِ وادى القرى كان يشتهي  
الفناءَ ويشربُ النبيذَ ؛ فدنا من غلامه وقال : مَنْ هذا الراكب ؟ قال : ابنُ عائشةَ  
اللقى ، فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ! أنت ابنُ عائشةَ أم المؤمنين ؟ قال : لا ،  
أنا مَوْلَى لقريش ، وعائشةُ أُمِّي ، وحسبُك هذا ، فلا عليك أن تُكثِرَ ؛ قال : وما  
هذا الذى أراهُ بين يديك من المِالِ والكُسوةِ ؟ قال : غَنَيْتُ أميرَ المؤمنين صوتًا  
فأطربته فأمر لى بهذا المِالِ وهذه الكُسوةَ . قال : جُعِلتُ فداءك ؛ فهل تمنُّ علىَّ  
بأن تُسَمِّعنى ما أسمعته إياه ؟ فقال له : وَبِئِكَ أُمِثَلِي بِكَلِمٍ بِمِثْلِ هذا فى الطریق !  
قال : فما أصنع ؟ قال : الحَقْنى بالباب .

وحرك ابنُ عائشةَ بَغْلَةً شقراءَ كانت تحته لينقطع عنه ، فعدا معه حتى  
واقفاً البابَ كَفَرَسَى رِهان ، ودخل ابنُ عائشةَ فكث طويلاً طمعاً فى أن يَضْجِرَ  
فينصرف ؛ فلم يفعل ؛ فلما أعياه قال لغلامه : أَدْخِلْهُ ، فلما دخل ، قال له : وَبِئِكَ !  
من أين صبَّك الله على ؟ قال : أنا رجلٌ من أهلِ وادى القرى ، أشتهى هذا

\* الأغانى : ٢ - ٢٢٧

(١) كارة القصار : الثياب التى يجمعها ويحملها . والقصار : محور الثياب .

الفناء؟ فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه؟ قال : وما ذاك؟ قال : ماثا دينار  
وعشرة أثواب تنصرفُ بها إلى أهلِكَ ؛ فقال له : جِئْتَ فداءك ؛ والله إن لي لُبْنِيَّةَ  
ما في أذنها - علم الله - حَلَقَه من الورق فضلا عن الذهب ، وإن لي لزوجة ،  
ما عليها - يشهدُ الله - قميصٌ ؛ ولو أعطيتني جميعَ ما أمر لك به أميرُ المؤمنين على  
هذه الخِلة<sup>(١)</sup> والفقير اللذين عرفْتُكهما ؛ وأضعفتَ لي ذلك ، لكان الصوتُ  
أمجَبَ إليّ - وكان ابنُ عائشة تائهاً<sup>(٢)</sup> لا يغني إلا تخليفةٍ أو لذي قَدْرٍ جليل من  
إخوانه - فتعجَّب ابنُ عائشة منه ورحمه ودعأ بالأداة<sup>(٣)</sup> - وكان يغني مرتجلا -  
فصنَّاه الصوت ؛ فطرب له طرباً شديداً ، وجعل يحركُ رأسه حتى ظنَّ أن عنقه  
سينتصف . ثم خرج من عنده .

وبلغ الخبرُ الوليدَ بنَ يزيد ، فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يغيبُ عن  
الحديث ؛ ثم جدَّ الوليدُ به فصدقه عنه . وأمر بطلبِ الرجل فطلبَ حتى أحضر ؛  
ووصله صِلَةً سنِّيَّة ، وجعله في ندمائه ، ووكله بالسُّقْي ، فلم يزلْ معه حتى مات .

(١) الخلة : الحاجة والمحاصرة . (٢) من التيه ، وهو الصلف والكبر . (٣) الأداة : آلة  
من آلات الفناء .

١٣ - ارجع إلى عمك راشد\*

أتى رجلٌ من العراق المدينة في طلب جارِيَةٍ - وُصِفَتْ له - قارِئَةٍ قَوَالَةٍ ؛ فسأل عنها فوجدها عند قاضي المدينة ، فاتاه وسأله أن يعرضها عليه ، فقال : يا عبد الله ، لقد أبعدت الشقَّةَ في طلب هذه الجاريةِ فما رغبتُك فيها ؟ قال : إنها تُصنِّي فتجيد . فقال القاضي : ما علمتُ بهذا ، فألحَّ عليه في عرضها ، فعرضت بحضرة مولاها القاضي . فقال لها الفتى : هاتي ، ففنت :

إلى خالدٍ حتى أمخنَ بخالدٍ فنعِمَ الفتى برُجى ونعمَ للمؤمل!

فقرح القاضي بجاريته ، وسرَّ بعنائها ، وغشَّيه من الطرب أمر عظيم ، وقال : هاتي شيئاً بأبي أنت ؛ ففنت :

أروح إلى القصاص<sup>(١)</sup> كلَّ عشيةٍ أُرَجِّي ثواب الله في عَدَدِ الخَطَا

فزاد الطرب على القاضي ، ولم يدرك ماذا يصنع ، فأخذ نعله فعلقها في أذنه ، وجثا على ركبتيه ، وجعل يأخذ بطرف أذنه ، والنمل معلقة فيها ويقول : اهدوني إلى البيت الحرام ، فإني بدنة<sup>(٢)</sup> ! حتى أدمى أذنه !

فلما أمسكت أقبل على الفتى فقال : انصرف ! قد كُنَّا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول ، فنحن الآن فيها أرغب . فانصرف الفتى .

\* المسعودي : ٢ - ١٧٠

(١) القصاص : جمع قاص ، وكانوا يجلسون في صدر الإسلام في المساجد يفصلون ما في كتاب الله من قصص الأنبياء ، ابتغاء العبرة . (٢) البدنة : من الإبل والبقر ما تهدي إلى مكة .



وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز؛ فقال: قاتله الله! لقد استرقه الطرب، وأمر  
بصرفه عن عمله.

فلما صرف قال: لو سمعها عمر لقال: ازكبوني فإني مطية!

فبلغ ذلك عمر، فأشخص<sup>(١)</sup> القاضي والجارية؛ فلما دخلا عليه قال: أعد  
ما قلت! قال: نعم! فأعاد ما قال، فقال للجارية: قولي؛ ففنت<sup>(٢)</sup>:

كأن لم يكن بين الحجون<sup>(٣)</sup> إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
بلى! نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواتر  
فما فرغت من الشعر حتى طرب عمر طرباً بينا، وأقبل يستعيدها ثلاثاً،  
وقد بليت دموعه لحيته، ثم أقبل على القاضي، فقال: ارجع إلى عمك راشداً!

---

(١) أشخص: الشخصوس: السير من بلد إلى بلد. (٢) قائل البيتين: عمرو بن الحارث بن ماض  
ابن عمرو يتأسف على البيت. (٣) الحجون: جبل بمكة.

١٤ — الأحوص يحتمل حتى تسمع سلامة غناء الغريص \*

وجّه يزيد<sup>(١)</sup> بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدم عليه ، وكان الغريص<sup>(٢)</sup> معه ، فقال له : اخرجْ معي حتى آخذَ لك جائزةَ أمير المؤمنين ونُفنيهِ ؛ فإنِّي لا أحملُ إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك ، فخرجا .

فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به ؛ فأنشده مدائح فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتُ إليه سلامةَ جارية يزيد بلطف<sup>(٣)</sup> ؛ فأرسل إليها : إنَّ الغريص عندي قدمْتُ به هديةً إليك . فلما جاءها الجواب اشتاقت إلى الغريص وإلى الاستماع منه .

فلما دعاها أمير المؤمنين تمارضتُ وبعثتُ إلى الأحوص : إذا دعاك أمير المؤمنين فاحتلْ له في أن تذكر له الغريص .

فلما دعا يزيد الأحوص قال له يزيد : ويحك يا أحوص ! هل سمعت شيئاً في طريقك تُطْرِفُنَا به ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ مررت في بعض الطريق فسمعت صوتاً أعجبنى حُسْنُهُ وجودةُ شعره ؛ فوقفْتُ حتى استقصيتُ خبره ، فإذا هو الغريص ، وإذا هو يفتي بأحسن صوت وأشجَاه .

\* الأغاني : ٨ - ٣٤٤

(١) بوع يزيد بن عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وكان صاحب لهو ولذات ، محباً لسماع الغناء . توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) اسمه عبد الملك ؛ والغريص لقبه ، أخذ الغناء عن ابن سريج ، وبرع فيه وفاقه . (٣) اللطف : البر .

ألا هاج التذَكَرُ لى سَقَامَا      ونُكْسَ (١) الداءِ والوجعَ الغَرَامَا (٢)  
سَلَامَةً لِمَهَا هَمَّى ودَائِي      وشرُّ الداءِ مَا بَطَنَ العِظَامَا (٣)  
قَلْتُ لَهُ - ودمعُ العَيْنِ يَجْرِي      على الخلدَيْنِ أَرْبَعَةٌ سِجَامَا (٤):  
عَلَيْكَ لَهَا السَّلَامُ فَمَنْ لِيَصْبِرَ      بَيْتُ اللَّيْلِ يَهْدِي مُسْتَهَامَا

قال يزيد: ويليكَ يا أحوص! أنا ذاك في هوى خليلتي، وما كنت أحسب مثلَ هذا يتفق، وإن ذاك لما يزيد لها في قلبي. فاصنعت يا أحوص حين سمعتَ ذلك! قال: سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه، فما صبرتُ حتى أخرجت الغرييض معي وأخفيتُ أمره، وعلمتُ أن أمير المؤمنين بسألني عما رأيتُ في طريق.

فقال له يزيد: اتقني بالغرييض ليلاً وأخفِ أمره؛ فرجع الأحوص إلى منزله، وبعث إلى سلامة بالخبر. فقالت للرسول: جزيتُ خيراً. قد انتهى إلى كلِّ ما قلت، وقد تلطفت وأحسن.

فلما وارى الليلُ أهله بعث إلى الأحوص أن عَجَّلُ الحِجَى إلى مع ضيفك.

فجاء الأحوص مع الغرييض فدخل عليه؛ فقال: غَنَّنِي الصوتَ الذي أخبرني أنه سمعه منك. وكان الأحوص قد أخبر الغرييضَ بالخبر، وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يريد أن يحركه به على سلامة، ويحتمل للغرييض في الدخول عليه.

(١) النكس: عود المرض بعد النقه. (٢) الغرام: اللزوم الشديد. (٣) بطن: دخل.  
(٤) يرمد العاظين والموقين للعينين.



فلما غناه الغريص دمعت عَيْنُ يزيد ، وأمر بإحضار سلامة فحضرت ، وضربَ لها حجاباً فجلست ، وأعاد عليه الغريص الصوت ؛ فقالت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، فاسمعه مني . فأخذت العود فضربته وغنت الصوت ، فكاد يزيد بطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أحوص ؛ إنك لمبارك ! يا غريص ؛ غنني في ليلتي هذا الصوت ، فلم يزل يفنيه حتى قام يزيد وأمر لها بمال ، وبمشت سلامة إليهما بكُسوةٍ ولطف كثير .

---

١٥ — غناء في ختان\*

قال عبدُ الرحمن بن إبراهيم الخزومي : أرسلتني أمي وأنا غلام أسأل  
عطاء<sup>(١)</sup> بن أبي رباح عن مسألة ، فوجدته في دارٍ يقال لها دار المعلى ، وعليه ملجفة  
مُعَصْفَرَةٌ ، وهو جالس على منبر ، وقد خُتِنَ ابنُه ، والطعامُ يوضع بين يديه ، وهو  
يأمرُ به أن يُفَرَّقَ في الخلق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القومُ  
وتفرَّقوا ، وبقي مع عطاء خاصته ، فقالوا : يا أبا محمد ، لو أذنتَ لنا ، فأرسلنا إلى  
الغرييض وابن سُريج فقال : ما شئتم . فأرسلوا إليهما ، فلما أتيا قاموا معها ،  
وثبتَ عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار فغنياً وأنا أسمع ، فبدأ  
ابن سُريج فنقر بالدُّفِّ ، وتغنى بشعر كثير :

بَلَيْلَى وَجَارَاتٍ لِيَلَى كَأَنهَا نِعَاجُ الْمَلَا<sup>(٢)</sup> تُحْدَى بِهِنَّ الْأَبَاعُ  
أَمَّنَّقِطِعْ يَاعَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَشَاجِرُ مِي يَاعَزَّ فَيْكَ الشَّوَاجِرُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عَزَّةَ قَادَنِي إِلِيهِ الْهُوَى وَاسْتَعَجَلْتَنِي الْبَوَادِرُ<sup>(٤)</sup>  
أُصْدُ وَبِي مِثْلُ الْجُنُونِ لَسْكَى يَرَى رُؤَاةُ الْخَنَاءِ أَنِي لِبَيْتِكَ هَاجِرُ  
أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ يَاعَزُّ أَنِي إِذَا بَنَتْ بَاعَ الصَّبْرِ لِي عَنكَ تَاجِرُ

\* الأغانى : ١ - ٢٧٨

(١) هو عطاء بن أسلم بن صفوان . تابعي من أجلاء الفقهاء ، ولد في اليمن ، وفناً بمكة ، فكان  
مفتي أهلها ومحدثهم ، وتوفى فيها سنة ١١٥ هـ . (٢) الملا : الصحراء . (٣) الشواجر : جمع  
شاجر ؛ شجره عن الأمر : صرفه عنه . (٤) البوادر : الدموع .

فكان القوم نزل عليهم السبات ، وأدر بهم العشى ، فكانوا كالأموات ،  
ثم أصفوا إليه بأذانهم ، وشخصت إليه أعينهم ، وطالت أعناقهم . ثم غنى ابن  
سريج ووقع بالقيظ ، وأخذ الغريض الدف ، فغنى بشعر الأخطل :

قلّتُ اصْبَحُونَا<sup>(١)</sup> لا أبا لِأبيكُمُ وما وضعوا الأثقالَ إلا ليَقْعُوا  
وقلتُ : اقتلواها<sup>(٢)</sup> عنكمُ بمزاجها فأكرمُ بها مقتولةً حين تُقتلُ  
أناخُوا فجزوا شاصياتٍ<sup>(٣)</sup> كأنها رجالٌ من السودان لم يتسرّ بلوا  
فوالله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا إلا مستمعين لما يقول .

ثم غنى الغريض بشعر آخر ؛ وهو :

هل تعرف الرسم والأطلالَ والدِّمْنَا زِدَنَّ الفؤادَ على ما عندهُ حزنا  
دارٌ لأسماءٍ إذ كانت تحلُّ بها وإذ ترى الوصلَ فيما بيننا حسنا  
إذ تستيبك بمصقولٍ عوارِضُهُ<sup>(٤)</sup> ومقلتي جوذري لم يعدُ أن شدنا  
ثم غنى الغريض في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وهو قوله :

كفى حزنا أن تجمعَ الدارُ شملنا وأمسي قريبا لا أزوركِ كلثما  
دعي القلبَ لا يزددَ خبالا مع الذي به منكِ أو داري جواه المكتما  
ومن كان لا يعدو هواه لسانه قد حلَّ في قلبي هواكِ وخيا  
وليس يتزويقٍ<sup>(٥)</sup> اللسانِ وصوغه ولكنّه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَّا

(١) اصبحونا : إبتونا بالمصوح ، وهو ما يشرب في الغداة إلى الغائلة . (٢) قتل الحر :  
مزجها بالماء . (٣) الشاصيات : الزقاق المملوءة الشائلة القوام . (٤) العوارض : التنايا ، أو  
هي الأسنان التي تبدو من الفم عند الضحك . (٥) التزويق : التحسين والتزين .



قال الراوى : وما زالا يفنّيان وعطاء يسمع على منبره ومكانه ، وربما رأيت  
رأسه قد مال وشفقيه تتحركان حتى بلغت الشمس ، فقام يريد منزله ، فما سمع  
السامعون شيئاً أحسن منهما ، وقد رفا أصواتهما ، وتفنيا .

ولما بلغت الشمس عطاء قام وهم على طريقة واحدة فى الغناء ، فاطّلع فى كوة  
البيت ، فلما رآوه قالوا : يا أبا محمد ؛ أيهما أحسنُ غناءً ؟ قال : الرقيق الصوت .  
يعنى ابن سُرَيْج !

١٦ — يضطرب حين سمع الغناء\*

لَقِيَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ ابْنَ سُرَيْجٍ <sup>(١)</sup> بَدَى طَوًى <sup>(٢)</sup> ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مَصْبَغَةٌ ،  
وَفِي يَدِهِ جِرَادَةٌ مَشْدُودَةُ الرَّجْلِ بِخَيْطٍ يَطِيرُهَا وَيَجْذِبُهَا بِهِ كَمَا تَخْلَقْتُ ، فَقَالَ لَهُ  
عَطَاءُ : يَا فَتَانُ ؛ أَلَا تَكْفَى عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ ! كَفَى اللَّهُ النَّاسَ مَثُونَتَكَ . فَقَالَ  
ابْنُ سُرَيْجٍ : وَمَا عَلَى النَّاسِ مِنْ تَلَوْنِي ثِيَابِي وَلَعِبِي بِجِرَادَتِي ؟ فَقَالَ لَهُ : تَفْتَنُهُمْ  
بِأَغَانِيكَ الْخَبِيثَةِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ : سَأَلْتُكَ بِحَقِّ مَنْ تَبِعْتَهُ مِنْ أَصْحَابِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا مَا سَمِعْتَ  
مَنِي يَبْتَأُ مِنَ الشَّعْرِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِّي مُفْكَرًا أَمَرْتَنِي بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ ، وَأَنَا  
أَقْسَمُ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ <sup>(٣)</sup> لَئِنْ أَمَرْتَنِي بَعْدَ اسْتِمَاعِكَ مِنِّي بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا أَنَا عَلَيْهِ  
لَأَفْعَلَنَّ ذَلِكَ .

فَأَطَاعَ ذَلِكَ عَطَاءُ فِي ابْنِ سُرَيْجٍ ، وَقَالَ : قُلْ ، فَاذْفَعْ يَغْنَى بِشَعْرِ

جَرِيرٍ :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُلْبُوكِ غَادَرُوا وَشَلَّا <sup>(٤)</sup> بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا <sup>(٥)</sup>

\* الأغانى : ١ - ٥٦ ، نهاية الأرب : ٤ - ٢٤٥

(١) هو عبد بن سريج ، كان من أحسن الناس غناء ، وهو أول من ضرب بالعود على الغناء  
العربي بمسكة ، انقطع إلى عبد الله بن جعفر ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢) ذو طوى : موضع بمسكة . (٣) البنية : السكبة . (٤) الوشل : الدمع الكثير .

(٥) المعين : الجارى السائل .

غِيْضَنْ مِنْ عَبْرَاتِهِمْ وَقُلْنَا لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْمَوِيِّ وَلَقِينَا  
فَلَمَّا سَمِعَ عَطَاءُ الْغَنَاءَ اضْطَرَبَ اضْطِرَابًا شَدِيدًا وَدَخَلَتْهُ أُرْيَحِيَّةٌ ، فَخَلَفَ أَلَّا يَكَلِّمَ  
أَحَدًا بَقِيَّةَ يَوْمِهِ إِلَّا بِهَذَا الشَّعْرِ ، وَصَارَ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَكَانَ  
كُلُّ مَنْ يَأْتِيهِ سَائِلًا عَنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ أَوْ خَيْرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ ، لَا يَجِيبُهُ إِلَّا بِأَنْ  
يَضْرِبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَيَنْشُدُ هَذَا الشَّعْرَ حَتَّى صَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَلَمْ يَعَاوِدْ  
ابْنَ سُرَيْجٍ بَعْدَهَا وَلَا تَعَرَّضَ لَهُ .



١٧ - في قصر الوليد بن يزيد\*

اشتاق الوليدُ بنُ يزيدٍ إلى مَعْبِدٍ<sup>(١)</sup> ، فوجّه إليه إلى المدينة فأحضره ، وبلغ الوليدَ قدومه ؛ فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء وردي قد خلط بمسك وزعفران ، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالث ، وحجى بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجاس رجل واحد ، فقال له الحجاب : يا معبد ؛ سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ، فسلم فرداً عليه الوليدُ السلامَ من خلفِ الستر ؛ ثم قال له : حيّاك الله يا معبد ! أتدرى لم وجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتك فأحييتُ أن أسمع منك . قال معبد : أأعنى ما حضر أم ما اقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل أعنى :

ما زال يعدّو عليهم ريبُ دهرهم حتى تفانوا وريبُ الدهر عداء  
أبكى فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء

ففتناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجوارى السجف<sup>(٢)</sup> ، ثم خرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة ففاص فيها ، ثم خرج منها فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال : أعنى يا معبد :

ياربّع مالك لا تحيب متياً قد عاج<sup>(٣)</sup> نحوك زائراً ومسلماً

\* الأغانى : ١-٥٣

(١) هو معبد بن وهب ، غل المغنين ، وإمام أهل المدينة في الفناء ، اشتغل في أول أمره بالتجارة ، ورعى النعم ، واختلط إلى نسيط الفارسي وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر حتى اشتهر بالحدق وحسن الفناء وطيب الصوت ، مات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد .  
(٢) السجف : الستر . (٣) عاج : مال .

جادتك كلُّ سحاية هطالةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ مُتَبَسِّمًا  
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ دعاكَ أجبته وبكيت من حُرْقِي عليه إِذْ نَدَمًا  
ففتاه؛ وأقبل الجوارى فرَفَعْنَ السُّتْرَ، وخرج الوليد فالتقى نفسه في البركة ففاص  
فيها ثم خرج، فلبس ثيابا غير تلك، ثم شرب وسقى معبداً، ثم قال له: غننى .  
فقال: بمادا يا أمير المؤمنين؟ قال: غننى:

عَجِبْتُ لَمَّا رَأَيْتَنِي أَنْدَبُ الرِّبْعِ المَحْيِلَا<sup>(١)</sup>  
واقفاً في الدار أبكى لا أرى إلا الطلولا  
كيفَ تَبْكِي لأناسٍ لا يَمْلُونِ الذَّمَّ مَيْلَا<sup>(٢)</sup>  
كَلِمًا قَلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمُ قَالُوا الرِّجِيلا

فلما غناه رمى بنفسه في البركة ثم خرج فرَدُّوا عليه ثيابه، ثم شرب وسقى  
معبداً، ثم أقبل عليه الوليد فقال له: يا معبد؛ مَنْ أراد أن يزداد عند الملوك حُظْوَةً  
فليكنتمُ أسرارهم، فقلت: ذلك مالا يحتاج أمير المؤمنين إلى إيصائي به، فقال:  
يا غلام؛ احمل إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تُحَصَّلُ له في بلده، وألني دينار لنفقة  
طريقه، فحَمَلْتُ إليه كلَّها، وحَمَلُ على البريد من وَقْتِهِ إلى المدينة.

(١) المحيل: التي أنت عليه أحوال فقيره . (٢) الذميل: السير اللين .

قال معبد : غَنَيْتُ فَأَعْجِبْنِي غِنَايَ ، وَأَعْجِبَ النَّاسَ ، وَذَهَبَ لِي بِهِ صَيْتٌ  
وَذِكْرٌ ، قُلْتُ : لَأَتَيْنَنَّ مَكَّةَ فَلَا تُسَمِّنَنَّ مِنَ الْمُغْنَيْنِ بِهَا ، وَلَا تُغْنِيَنَّهُمْ ، وَلَا تُعَرِّقَنَّ  
إِلَيْهِمْ .

فَابْتَعَتْ حَمَارًا ، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَتْهَا بَعَتْ حَمَارِي ، وَسَأَلَتْ  
عَنِ الْمُغْنَيْنِ : أَيْنَ يَجْتَمِعُونَ ؟ فَقِيلَ : بِقُعَيْقَمَانَ <sup>(١)</sup> ، فِي بَيْتِ فُلَانٍ .

فَجِئْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْفَلَسِ <sup>(٢)</sup> ، فَفَرَعْتُ الْبَابَ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ :  
انظُرْ عَافَاكَ اللَّهُ ؛ فِدَانَا وَهُوَ يَسْبُحُ وَيَسْتَعِيدُ كَأَنَّهُ يَخَافُ ، فَفَتَحَ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ  
عَافَاكَ اللَّهُ ؟ قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قُلْتُ : أَنَا رَجُلٌ  
أَشْتَهَى الْغِنَاءَ ، وَأَزْعَمُ أَنِي أَعْرِفُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْقَوْمَ يَجْتَمِعُونَ عِنْدَكَ ،  
وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تُنْزِلَنِي فِي جَانِبِ مَنْزِلِكَ وَتَخْلَطَنِي بِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَا مَثُونَةَ عَلَيْكَ  
وَلَا عَلَيْهِمْ .

فَلَوَى <sup>(٣)</sup> شَيْئًا ثُمَّ قَالَ : انْزِلْ عَلَيَّ بَرَكَةَ اللَّهِ . فَتَقَلَّتْ مَتَاعِي فَانْزَلْتُ فِي جَانِبِ  
حُجْرَتِهِ .

ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فأنكروني، وقالوا:

\* الأغانى : ١ - ٥٧

(١) قُعَيْقَمَان : اسم قرية بها مياه وزروع ونخيل قرب مكة . (٢) الفلّس : ظلمة آخر الليل إذا  
اختلطت بظلمة الصباح . (٣) فلوى شيئاً : فتمكت قليلاً .



مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ضَيْفٌ يَشْتَهَى الْفَنَاءَ، وَيَطْرَبُ عَلَيْهِ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ عَنَاءٌ وَلَا مَكْرَهُ. فَرَحَّبُوا بِهِ وَكَلَّمَهُمْ، ثُمَّ انْبَسَطُوا وَشَرَبُوا وَغَنُّوا، فَجَعَلَتْ أُعْجَبُ بِنَغْنَاهُمْ وَأَظْهَرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَيَعْجَبُهُمْ مِنْهُ حَتَّى أَقْنَأَ أَيَّامًا، وَأَخَذْتُ مِنْ غَنَائِهِمْ - وَهُمْ لَا يَدْرُونَ - أَصْوَاتًا وَأَصْوَاتًا وَأَصْوَاتًا؛ ثُمَّ قَلْتُ لِابْنِ سُرَيْجٍ: أَمْسِكْ عَلَى صَوْتِكَ:

قُلْ لِمَنْدٍ وَتَرْبِيهَا<sup>(١)</sup>      قَبْلَ شَحَطِ<sup>(٢)</sup> النَّوَى غَدَا  
إِنْ تَجُودِي فَطَالَمَا      بَتُّ لَيْلِي مُسَهَّدَا

قَالَ: أَوْ تَحْسِنُ شَيْئًا؟ قُلْتُ: تَنْظُرُ<sup>(٣)</sup>، وَعَسَى أَنْ أَصْنَعَ شَيْئًا، وَأَنْدَفَعْتُ فِيهِ فَفَنَيْتُهُ؛ فَصَاحَ وَصَاحُوا، وَقَالُوا: أَحْسَنْتَ! قَاتَلَكَ اللَّهُ! قُلْتُ: فَأَمْسِكْ عَلَى صَوْتِ كَذَا؛ فَأَمْسَكُوهُ عَلَى فَنَيْتِهِ؛ فَازْدَادُوا عَجَبًا وَصِيَاحًا، فَاتْرَكَتْ وَاحِدًا مِنْهُمْ إِلَّا غَنِيَّتَهُ مِنْ غَنَائِهِ أَصْوَاتًا قَدْ تَحْيَرْتَهَا؛ فَصَاحُوا حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ، وَهَرَفُوا<sup>(٤)</sup> بِي، وَقَالُوا: لِأَنْتِ أَحْسَنُ بِأَدَاءِ غَنَائِنَا عَنَّا مِنَّا. قُلْتُ: فَأَمْسَكُوا عَلَيَّ وَلَا تَضْحَكُوا<sup>(٥)</sup> بِي حَتَّى تَسْمَعُوا مِنْ غِنَائِي. فَأَمْسَكُوا عَلَيَّ فَفَنَيْتُ صَوْتًا مِنْ غِنَائِي، فَصَاحُوا بِي، ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ آخَرَ وَآخَرَ؛ فَوَثَبُوا إِلَيَّ وَقَالُوا: نَخْلِفُ بِاللَّهِ إِنْ لَكَ لَصِيْبَتَا وَاسْمَا وَذِكْرًا، وَإِنْ لَكَ فِيهَا هُنَا<sup>(٦)</sup> لِمَهُمَا عَظِيمًا، فَمَنْ أَنْتِ؟ قُلْتُ: أَنَا مَعْبِدٌ؛ فَاقْبَلُوا رَأْسِي، وَقَالُوا: لَفَقَّتْ<sup>(٧)</sup> عَلَيْنَا وَكُنَّا تَهَاوُنُ بِكَ، وَلَا نَعْدُكَ شَيْئًا، وَأَنْتِ أَنْتِ!

فَأَقَمْتُ عِنْدَهُمْ شَهْرًا أَخَذْتُ مِنْهُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنِّي، ثُمَّ انصرفتُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(١) الترب: اللدة، وهو من يمانلك في سنك. (٢) الشحط: البعد، والشعر لعمر بن أبي ربيعة. (٣) تنظر: تأن وتلبث. (٤) هرفبه: مدح حتى جاوز القدر في التناء والإطراء. (٥) ضحك به ومنه بمعنى. (٦) سهما: نصيبا. (٧) لفقت علينا: أي سرت علينا أمرك.

١٩ — مَعْبِدٌ فِي السَّفِينَةِ\*

كان مَعْبِدٌ قد علمَ الفِئَاءَ جاريةً من جوارى الحجاز تدعى ظَبْيَةَ، وعُنِيَ بِتَخْرِيبِهَا؛ فاشتراها رجل من أهل العراق، فأخرجها إلى البصرة، وباعها هناك، فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجبَ بها، ثم مات بعد أن أقامت عنده بُرْهَةً من الزمان، وأخذ جواريه أكثرَ غنائمها عنها، فكان لمحبتة إياها وأسفه عليها لا يزال يسألُ عن أخبار مَعْبِدٍ وأين مستقرُّه؟ ويُظهِرُ التعصبَ له والليل إليه، والتصديمَ لغنائته على سائر أغاني أهلِ عَصْرِهِ إلى أن عرف ذلك منه .

وبلغ مَعْبِدًا خبره، فخرج من مكة حتى أتى البصرة، فلما وَرَدَهَا صادف الرجلَ، وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز، فاكترى سفينة، وجاء مسبدًا يلمس سفينةً يتحدر فيها إلى الأهواز، فلم يجد غير سفينة الرجل، وليس يعرف أحد منهما صاحبه، فأمر الرجلُ المَلَّاحَ أن يجلسه معه في مؤخر السفينة، ففعلوا وحدهوا .

فلما صاروا في فم نهر الأُبَلَّةِ<sup>(١)</sup> تَفَدَّوا وشربوا، وأمر جواريه فتنين، ومعبد ساكت، وهو في ثياب السفر، وعليه فروٌّ وخُفَّانٌ غليظان وزِيٌّ جافٍ من زِيِّ أهل الحجاز، إلى أن غَنَّتْ إحدى الجوارى :

بانت سَعَادُ وأمسى حبلُها انصَرَمًا      واحتلتِ الفُورَ والأجرعَ من إضْمًا<sup>(٢)</sup>

\* الأغانى : ١ - ٤٨

(١) الأُبَلَّة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة . (٢) الفُور: المطنن من الأرض، والأجرع: جمع جرع، وهو مفرد أو جمع جرعة، وهي الرملة الطيبة المنبت لا وعونة فيها، وإضم: واد بجبل تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة، والشعر للتأنيف .



إحدى بليّ وما هام الفؤادُ بها إلاً السّفاهَ وإلا ذِكرَ حُلماً<sup>(١)</sup>  
فلم تُجِدْ أداءه، فصاح بها مَعْبُد: يا جارية ؛ إن غناءك هذا ليس بمستقيم . فقال له  
مولاها - وقد غضب : وأنتَ ما يُدْرِيكُ الغناء ما هو! ألا تُمسِكُ وتلزِمُ شأنك !  
فأمسك .

ثم غنّت أصواتاً من غناء غيره ، وهو ساكت لا يتكلم ، حتى غنّت :  
بابنة الأزديّ قلبي كئيبُ مُسْتَهَامٌ عندها ما يُنِيبُ  
ولقد لاموا قفلك : دَعُونِي إن من تَهَوَّنَ عنه حَبِيبُ  
إنما أبلى عظامي وجسمي حبُّها ، والحبُّ شئٌ عَجِيبُ  
أيها العائبُ عندي هواها أنتَ تَفْدِي من أراك تَعِيبُ  
فأخَلَّتْ ببعْضِهِ ؛ فقال لها معبد : يا جارية ؛ لقد أخَلَّتْ بهذا الصوت إخلاقاً  
شديداً ؛ فغضب الرجل وقال له : ويحك ! ما أنتَ والغناء ! ألا تكفّ عن هذا  
الفضول ! فأمسك وغمّي الجوارى ملياً ؛ ثم غنّت إحداهن :

خليلى عوجاً فابكيا ساعةً معي على الرّبعِ نَقَضِي حاجةً ونودع  
ولا تمجّـلاني أن أليماً بِدِمنَةٍ لعزّةٍ لاحت لي بيضاء بلقَع  
وقولاً لقلبٍ قد سَلَا : راجع الهوى وللعين : أذري من دموعك أودعي  
فلا عيشَ إلا مثلُ عيشِ مَضَى لنا مَصِيفاً أقمناً فيه من بعد مَرَبِيع  
فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه ؛ أما تقومين على أداء صوت واحد!  
فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع<sup>(٢)</sup> هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ ، فأقسم بالله  
لئن عاودتَ لأخرجنك من السفينة !

(١) بلي : اسم قبيلة ، والسّفاه : الطيش ، والذِكرة - بالكسر والضم : تقبض النسيان .

(٢) تدع : ترك



فأمسك معبد حتى إذا سكتت الجوارى سكتة اندفع يعني الصوت الأول حتى فرغ منه ؛ فصاح الجوارى : أحسنتَ والله يا رجل ؛ فأعده ، فقال : لا ، والله ولا كرامة ! ثم اندفع يعني الثاني ، قتلن لسيدهن : ويحك والله ! إن هذا أحسنُ الناس غناءً ، فسأله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة ، لعلنا نأخذه عنه ؛ فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتنَّ سوءَ ردّه عليكن ، وأنا خائفٌ مثله منه ، وقد أسلفناه<sup>(١)</sup> الإساءة فاصبرنَ حتى نُدَارِيه . ثم غنى الثالث ، فزلزل الأرض ، فوثب الرجل وقبل رأسه ، وقال : يا سيدي ؛ أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهبك لم تعرف موضعي ، قد كان ينبغي لك أن تتشبَّتَ ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول ! فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذرُ إليك مما جرى ، وأسألك أن تنزل إليّ ، وتختلط بي ، فقال له : أما الآن فلا .

فلم يزل يرفُق<sup>(٢)</sup> به حتى نزل إليه . فقال الرجل : بمن أخذتَ هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذه عن جارية كانت لي ، ابتاعها رجلٌ من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت عن معبد ، وعني بتخريجها<sup>(٣)</sup> ، فكانت تحل مني محلَّ الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عزَّ وجل بها ، وبقي هؤلاء الجوارى وهنَّ من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصَّبُ أبداً ، وأفضله على الغننين جميعاً ، وأفضل صنعتَه على كل صنعة .

فقال له معبد : أو إنك لأنتَ هو ؟ أفتعرفني ؟ قال : لا . فصك<sup>(٤)</sup> معبدُ بيده صلَّعته ، ثم قال : فأنا والله معبد ، وإليك قدمتُ من الحجاز ، ووافيتُ البصرة ساعة

(١) أسلفناه : قدمنا إليه . (٢) يرفُق به .

(٣) بتخريجها : بتدريجها . (٤) صك : ضرب .

نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ؛ ووالله لا قصرتُ في جواربك هؤلاء، ولأجعلنَّ لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية .

فأكبَّ الرجل والجوارى على يديه ورجليه يقبلونها، ويقولون: كتممتنا نفسك طولَ هذا الوقت حتى جفوناك في المخاطبة ، وأسأنا عشرتك وأنت سيدنا ومن .  
تتمنى على الله أن تلقاه .

ثم غير الرجل زِيتهُ وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه ثمانمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى حذق جواريه ما أخذته عنه ، ثم ودَّعه وانصرف إلى الحجاز .

---

٢٠ - وفاء مالك بن أبي السَّمْح لمعبد\*

كان مالك<sup>(١)</sup> بن أبي السَّمْح المغني من طَيِّبٍ ، فأصابتهم حَطْمَةٌ<sup>(٢)</sup> في بلادهم بالجليلين ؛ فقدِمَتْ به أمه وبأخوة له وأخواتٍ أيتام لا شيء لهم ، فكان يسألُ الناسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَيْرِ - وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم يُغَنِّيهِ - فسمع مالكُ غناءه ، فأعجبته واشتهاه .

فكان لا يفارق باب حمزة ، يسمعُ غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف المدينة ولا يطلب من أحدٍ شيئاً ولا يَرِيْمُ<sup>(٣)</sup> موضعه ، فينصرف إلى أمه ، ولم يكتسب شيئاً فتَضَرَّبَ به ، وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد ، يؤدِّيها دَوْرًا دَوْرًا ، في مواضع صيحاته ونَبْرَاتِهِ<sup>(٤)</sup> نغمًا بغير لفظ ولا رواية شيء من الشعر ؛ وجعل حمزة كلما غَدَا وراح ملازمًا لبابه ، فقال لغلامه يوماً : أَدْخِلْ هذا الغلام الأعرابي إليّ ؛ فأدخله ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أنا غلام من طَيِّبٍ أصابتنا حَطْمَةٌ بالجليلين فخطَّتنا إليك ، ومعى أم لي وإخوة ، وإني قد لُزِمْتُ بآبِكَ فسمعت من دارك صوتاً أعجبنى فلزمتُ بآبِكَ من أجله ، قال : فهل تعرفُ منه شيئاً ؟ قال : أعرفُ لحنه كله ؛ ولا أعرفُ الشعر . فقال : إن كنت صادقاً فإنك لفهم .

ودعا بمعبد ، فأمره أن يُغَنِّيَ صوتاً فغناه ، ثم قال للمالك : هل تستطيع أن

\* نهاية الأرب : ٤ - ٢٨١ ، الأغاني : ٥ - ١٠٢

(١) أخذ مالك الغناء عن جميلة ومعبد وأدرك الدولة العباسية ، وانقطع إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور . (٢) الحطمة : السنة والجدب . (٣) يريم موضعه : يفارقه .

(٤) نبرة المغني : رفع صوته عن خفض .



تقوله؟ قال: نعم، قال: هاتيه، فاندفع فغناه، فأدى نغمه بغير شعر، يؤدى مَدَاتِهِ وَلِيَّاتِهِ، وَعَظْفَاتِهِ وَنَبْرَاتِهِ، لَا يَنْحَرِمُ حَرْفًا.

فقال لمعيد: خذ هذا الغلام إليك وخرّجه فليكونن له شأن، قال معبد:  
ولم أفعل ذلك؟ قال: لَتَكُونَ محاسنه منسوبةً إليك.

فقال: صدق الأمير، وأنا أفعل ما أمرتني به. ثم قال حمزة لملك: كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ قال: أرايت لو قلتُ فيك غير الذى أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنت تَرْضَى بذلك؟ قال: لا. قال: وكذلك لا يسرُّك أن تُحمَدَ بما لم تفعل؛ قال: نعم. قال: فوالله ما شيعتُ على بابك شَبَعَةً قط، ولا انقلبتُ منه إلى أهلى بخير. فأمر له ولأُمَّه ولإخوته بمنزل؛ وأجرى لهم رزقًا وكسوة، وأمر لهم بخادم يخدمهم، وعَبَدٍ يسقيهم الماء، وأجلس مالكا معه فى مجالسه، وأمر معبداً أن يُطَارِحَه، فلم يَنْشَبْ<sup>(١)</sup> أن مهرَ وحَدَقَ، وكان فى ذلك بعقبِ مقتل هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمَ؛ فخرج مالك يوماً، فسمع امرأة تنوحُ على زيادة الذى قتله هُدْبَةَ بنِ خَشْرَمَ بشعر أخى زيادة:

أبعد الذى بالنَّعْفِ<sup>(٢)</sup> نَعْفِ كَوَيْكِبِ رَهِينَةَ رَمْسِ ذِي تَرَابٍ وَجَنْدَلِ  
أذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِى وَبُقْيَاى أَنِى جَاهِدَ غَيْرَ مُؤْتَلِ<sup>(٣)</sup>  
فلا يدعُنِ قَوْمِ لَزِيدِ بنِ مالِكِ لئن لم أعجِّلْ ضربةً أو أعجِّلِ

(١) لم ينشب: لم يلبث. (٢) النعف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل.

(٣) غير مؤتل: غير مقصر، والبقيا: الاسم، من أبقيت عليه إذا رعبت عليه ورحمته. وقد

رد هذا البيت فى اللسان منسوباً إلى أبى القمام الأسدى هكذا:

أذكر بالبقوى على ما أصابنى . وبقواى أنى جاهد غير مؤتل

وإلا أنلّ نأري من اليوم أو غدٍ      بنى عننـا فالدهرُ ذو مُتطوّلٍ  
أمخّتمُ علينا كلكلّ الحربِ مرّةً      فنحن منيخوها عليكم بكلّكلّ  
فغنى في هذا الشعر لحنين : أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّةهُ  
وأصلحه ، وزاد فيه ، والآخ نحا فيه نحو معبد في غنائه .

ثم دخل على حمزة فقال له : أيها الأمير ؛ إني صنعتُ غناءً في شعرٍ سمعتُ  
بعض أهل المدينة ينشده . وقد أعجبني ؛ فإن أذن الأمير غنيته فيه . قال : هاتيه ؛  
فغناه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد ؛ فطرب حمزة ، وقال له : أحسنت يا غلام !  
هذا الغناء غناء معبد وطريقته ، فقال : لا تعجل أيها الأمير ، واسمع مني شيئاً ليس  
من غناء معبد ولا طريقته . قال : هات ، فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة ؛  
فطرب حمزة حتى ألقى عليه حلةً كانت عليه قيمتها مائة دينار .

ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليه ، فأنكرها ، وعلم حمزة بذلك ، فأخبر  
معبدًا بالسبب ، وأمر مالكاً فغناه الصوتين ؛ فغضب معبد لما سمع الصوت الأول ،  
وقال : قد كرهتُ أن آخذَ هذا الغلام فيتعلم غنائى فيدعيه لنفسه . فقال له حمزة :  
لا تعجل واسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأمره أن يُغنى الصوت  
الآخر ، فغناه فأطرق معبد ، فقال له حمزة : والله لو انفردَ بهذا لضاهك ، ثم  
يتزايدُ على الأيام ، وكلما كبرَ وزاد شخّت أنت ونقصت ، فلأن يكون منسوباً  
إليك أجملُ .

فقال له معبد - وهو منكِرٌ : صدق الأمير اثم أمر حمزة لمعبد بخلعته من  
ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه ، فقام مالك فقبل رأس معبد ، وقال له :

يا أبا عباد؛ أساءك ما سمعت مني؟ والله لا أغني نفسي شيئاً أبدا ما دمت  
حيّاً، وإن غلبتني نفسي فغيت في شعر استحسنته لا نسبته إلا إليك، فطِبْ  
نفساً وارضَ عني. فقال له معبد: أو تفعلُ هذا وتني به؟ قال: إني والله  
وأزيد.

فكان مالكٌ بعد ذلك إذا غنى صوتاً وسئِلَ عنه قال: هذا لمعبد، ما غنيت  
لنفسى شيئاً قط، وإنما آخذُ غناء معبد فأقله إلى الأشعار وأحسنه وأزيدُ فيه  
وأُنقص منه.



٢١ - مالك بن أنس يعني\*

قال حسين بن دحمان الأشقر : كنتُ بالمدينة ، فخلا لي الطريقُ وسَطَ النهارِ  
فجعلتُ أتعنى :

ما بالُ أهلكِ يا ربابُ خزرأ<sup>(١)</sup> كأنهمُ غضابُ

قال : فإذا خوخة<sup>(٢)</sup> قد فُتحتُ ، وإذا وجهٌ قد بدا تتبعه لحيَةٌ حمراءُ ، فقال :  
يا فاسقُ ، أسأتَ التَّأديَّةَ ، ومنعتَ القائلةَ<sup>(٣)</sup> ، وأذعتَ الفاحشةَ ؛ ثم اندفعَ بعينيه ،  
فظننتُ أن طويساً قد نُشِرَ بعينه .

قلت له : أصلحك الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأت وأنا غلام  
حدّثتُ أتتبعُ المغنّين ، وآخذُ عنهم ؛ فقالت لي أمي : يا بني ؛ إن المغنى إذا كان  
قبيحَ الوجه لم يلتفتْ إلى غنائه ؛ فدع الغناء واطلب الفقه فإنه لا يضرُّ معه قُبْحُ  
الوجه . فتركت المغنين واتّبعت الفقهاء ، فبلغ الله لي عزّ وجل ما ترى . قلت له :  
فأعدّ ، جعلتُ فداك ! قال : لا ! ولا كرامة ، أتريد أن تقول : أخذته عن مالك  
ابن أنس ! وإذا هو مالك<sup>(٤)</sup> بن أنس ، ولم أعلم .

\* الأغاني : ٤ - ٢٢٢

(١) الخزر : النظر بلحاظ العين . (٢) الخوخة : البوب ، أو الباب الصغير في الباب الكبير .

(٣) القائلة : القيلولة . (٤) مالك بن أنس : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة كان صلباً في

دينه بعيداً من الأمراء والملوك ، وهو صاحب كتاب اللوطأ ، توفي سنة ١٧٩ هـ .

٢٢ — أَفْسَدَ آخِرًا مَا أَصْلَحَ أَوْلًا\*

قدم ابنُ جامع السَّهْمِيَّ مَكَّةَ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، ففَرَّقَهُ فِي ضُعْفَاءِ أَهْلِهَا ؛ فَقَالَ  
سُفْيَانُ بْنُ عِيْنَةَ<sup>(١)</sup> : بَلَفَنِي أَنْ هَذَا السَّهْمِيُّ قَدِيمٌ بِمَالٍ كَثِيرٍ ! قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ :  
فَعَلَامَ يُعْطَى ؟ قَالُوا : بِغِنَى الْمَلُوكِ فَيُعْطَوْنَهُ . قَالَ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَغْنِيهِمْ ؛ قَالُوا : بِالشَّعْرِ .  
قَالَ : فَكَيْفَ يَقُولُ ؟ فَقَالَ لَهُ فَتَى مِنْ تَلَامِيذِهِ : يَقُولُ :

أَطْوَفُ بِالْبَيْتِ مَعَ مَنْ يَطُوفُ وَأَرْفَعُ مِنْ مِزْرَى الْمَسْبِلِ<sup>(٢)</sup>

قَالَ : بَارِكْ اللَّهُ عَلَيْهِ ، مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ! ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :

وَأَسْجُدُ بِاللَّيْلِ حَتَّى الصَّبَاحِ وَأَتْلُو مِنْ الْمُحْكَمِ الْمُنْزَلِ

قَالَ : وَأَحْسَنَ أَيْضًا ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :

عَسَى فَارِجُ الْمَهْمِ عَنْ يَوْسُفَ يُسَخَّرُ لِي رَبَّةَ الْحَمَلِ

قَالَ : أَمْسِكْ ! أَفْسَدَ آخِرًا مَا أَصْلَحَ أَوْلًا !

\* المقدم الفريد : ٤ - ٩٣

(١) محدث الحرم ، كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، ولد بالكوفة ، ومات بمكة سنة ١٩٨ هـ .

(٢) المسبل : اللرخي .

٢٣ - ابن جامع في دار الخلافة\*

قال إسماعيل بن جامع السهمي<sup>(١)</sup> :

ضَمِنِي<sup>(٢)</sup> الدهر ضماً شديداً بمسكة ، فانتقلتُ منها إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملكُ إلا ثلاثة دراهم ، فهي في كُفِّي إذا أنا بجارية مُحَيَّرَاءَ على رقبتهَا جِرَّةٌ تريد الرِّكِي<sup>(٣)</sup> تسعى بين يَدَيَّ ، وتُرَمُّ بِصَوْتِ شَجِيٍّ تقول :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوَّلَ لَيْلِنَا      قَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا !  
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عَيْونَهُمْ      سِرَاعاً وَمَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمَ أُعْيِنَا  
إِذَا مَا دَنَا اللَّيْلُ الْمُضِرُّ لِذِي الْهُوَى      جَزَعْنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ إِذَا دَنَا  
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُبْلِقُونَ مِثْلَ مَا      نَلَقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا

فأخذ الغناه بقلبي ، ولم يدُرْ لي منه حرف . قلت : يا جارية ؛ ما أذرى أوجهك أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ . قلت : حباً وكرامة . ثم أسندت ظهرها إلى جدار قُرب منها ووضعت إحدى رجليها على الأخرى ، ووضعت الجِرَّةَ على ساقيهَا ، ثم انبمَتْ تُغَنِّيهِ ؛ فوالله ما دار لي منه حرف . قلت : أحسنتِ !

\* الأغانى : ٦ - ٣١١

(١) اشتهر ابن جامع بالغناء ، ولكنه كان من أحفظ خالق الله لكتاب الله ، وكان ورعاً تقياً يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة ، فيصل الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصل الناس الجمعة حتى يتم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله . (٢) ضمني : ضفطني واشتد علي ، من شدة الفقر . (٣) الركي : جمع الركية ، وهي البثر .



فلو شئت أعدت مرة أخرى! ففطنت وكَلَّحت<sup>(١)</sup> وقالت: ما أعجب أمركم! أحدكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضريبة فيشغلها! فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليهما، وقلت: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي. فأخذتها كالسكاره وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار؛ وانبعثت تُغني؛ فأعملت فِكْرِي في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته، وانصرفت مسروراً إلى منزلي أرَدَّده حتى خَفَّ على لساني.

ثم إنني خرجت أريد بَعداد، فدخلتها، فنزل بي المُسكاري على باب مُحَوَّل<sup>(٢)</sup>؛ فبقيت لا أدري أين أتوجه ولا من أقصد! فذهبت أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً، فقلت: مسجد قوم سراة؛ فدخلته وحضرت صلاة المغرب، وأمت بمسكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب، وانصرف أهل المسجد، وبقي رجل يُصلي، خلفه جماعة: خدم وخول ينتظرون فراغه، فصلي ملياً ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً. قلت: أجل. قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتى مما يمتُّ بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغني. فوثب مُبادِراً، ووكل بي بعض من معه، فسألت الموكِّل بي عنه، فقال: هذا سلام الأبرش<sup>(٣)</sup>.

(١) كَلَّح: تكشَّر في عبوس. (٢) باب محول: محلة كبيرة من محال بَعداد. (٣) سلام الأبرش: خدم النصور وتولى الظالم للهدى وعاصر الهادي والرشيدي.

قال ابنُ جامع : وإِذا رسولٌ قد جاء في طلي ، فاتمى بي إلى قصرٍ من قصورِ الخِلافة ، وجازَ بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أُذخِلتُ مقصورةً في آخرِ الدَّهليز ، ودعا بطعامٍ فأُتيتُ بمائدةٍ عليها من طعامِ اللوك ، فأكلتُ حتى امتلأتُ .

فإني لسكذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدَّهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو ذا ، قال : ادعوا له بِسول<sup>(١)</sup> وخِلعةٍ وطيبٍ . ففعل ذلك بي ، فَحَمِلتُ على دابةٍ إلى دارِ الخِلافة - وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران - فجاوزتُ مقاصيرَ عِدَّة ، حتى صيرتُ إلى دارِ قوزاء<sup>(٢)</sup> فيها أسيرةٌ في وسطها ، قد أُضيفَ بمصمما إلى بعض .

فأمرني رجلٌ بالصعود فصعدتُ ، وإِذا رجلٌ جالس ، عن يمينه ثلاثُ جوارٍ في حجورهن العيدان ، وفي حجرِ الرجلِ عود ، فرحبَ الرجلُ بي ، وإِذا يجالسُ حياله كان فيها قومٌ قد قاموا عنها ، فلم ألبثُ أن خرجَ خادمٌ من وراءِ الستر ؛ فقال للرجل : تَعَنَّ ، فانبعثَ يَفْنَى بصوتٍ لي وهو :

لم تَمْشِ مِيلًا ولم تَرْكبْ على قَتَبٍ      ولم تر الشمسَ إِلا دونها السِكل<sup>(٣)</sup>  
تَمْشِي الهويْنِي كأنَّ الرِّيحَ تَرْجِعُها      مَشَى اليَعاْفيرِ في جِيئَاتِها الوَهْل<sup>(٤)</sup>  
فَفَنَى بغيرِ إِصابة ، وبأوتارِ ودساتين<sup>(٥)</sup> مختلفة ، ثم عاد الخادمُ إلى الجارية التي

(١) السول : الماء يفتسل به . (٢) الدار القوزاء : الواسعة . (٣) السكل : جمع كلة ، وهي ستر يخاط كالبيت . (٤) اليعافير : الظباء ، والوهل : الفزع . (٥) الدساتين : الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .



تلى الرجل ، فقال لها : تغنى ، فغنت أيضاً بصوت لي ، كانت فيه أحسن حالاً من  
الرجل ، وهو :

يادارُ أضحتَ خلاءَ لا أنيسَ بها      إلا الظباءَ وإلا النَّاشِطُ<sup>(١)</sup> الفردُ<sup>(٢)</sup>  
أينَ الذينَ إذا مازرتُهُمُ جَدُّوا<sup>(٣)</sup>      وطارَ عن قَلبي التَّشَوَّاقُ والكَمَدُ !

ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها ، فانبعثت تُغنى :

فوالله ما أدرى أَيْغَلِبُنِي المَوى      إذا جَدَّ وَشَكَ البَينِ أم أنا غَالِبُهُ ؟  
فإن أُسْتِطِعَ أُغَلِبُ ، وإن يَغَلِبِ المَوى      فمَلُ الذي لا قِيتُ يُغَلِبُ صاحِبُهُ

ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت :

مَرَرْنَا على قَيْسِيَّةِ عَامِرِيَّةِ      لها بَشْرٌ صافي الأديمِ هِجانِ<sup>(٤)</sup>  
فقالَت ، وألقتْ جانِبَ السَّترِ دونها :      من آيةِ أرضِ أو منِ الرِّجْلانِ ؟  
فقلتُ لها : أمّا تَمِيمٌ فأسرقتى      هُديتِ ، وأما صاحِبِي فَيَمَانِ  
رَفِيقانِ ضَمَّ السَّفَرُ بَني وبيئته      وقد يَلتقي الشَّتَى فيأْتلفانِ

ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتاً فشبّه<sup>(٥)</sup> فيه وهو :

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معموداً      إذا أقول صحا يعتاده عِيداً  
أجرى على موعِدٍ منها فتخلفنى      فما أَمَلٌ ولا توفى المواعيدِ  
كانَ أخورَ من غِزْلانِ ذى بقرِ<sup>(٦)</sup>      أعارها شَبَهَ العينينِ والجِيدِ  
قامت ترأى وقد جدَّ الرحيلُ بنا      لَتَنَكَّأَ القَرَحَ من قلبِ قد اصْطِيدِ

(١) الناشط : الثور الوحشى . (٢) الفرد : المنفرد . (٣) جزلوا : فرحوا . (٤) الهجان : الأبيض : الخالص من كل شئ . (٥) شبه : خلط فيه ولم يحسن أداءه . (٦) ذو بقر : قرية في ديار بني أسد .



بمشرقِ كُشَاعِ الشَّمْسِ بِهَجْتِهِ      وَمُسْبِكِرٍ<sup>(١)</sup> عَلَى لَبَاتِهَا سُودًا

ثم عاد إلى الجارية ، فتفتت :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا      قَلَّتْ لَهَا : إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلُ

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا      عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً      إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا      وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

وتفتت الثانية :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُكٍ خَالِصًا      وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صِرَتْ نَهَبًا مَقْسَمًا

وَلَا يَلْبَثُ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاؤُهُ      عَلَى كَثْرَةِ الْوَرَادِ أَنْ يَتَهَدَمَا

وتفتت الثالثة :

وَمَا كَرَّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ طَاعِنٍ      وَمَا أَبْصَرْتُهُ الْخَلِيلُ إِلَّا اقْشَعَرَّتْ

فَيُدْرِكُ نَارًا وَهُوَ لَمْ يُحِطْهُ الْعَيْنِي      فَمَثَلُ أَخِي يَوْمًا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ

فَلَسْتُ أُرْزَأَ بِمُدَّةِ بَرْزِيَّةٍ      فَاذْكُرْهُ إِلَّا سَلَتْ وَتَجَلَّتْ

وعنى الرجل :

لِحَى اللَّهِ صُعْلُوكًا مَنَاهُ وَهْمُهُ      مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا

يَنَامُ الضُّحَا حَتَّى إِذَا لَيْلُهُ انْتَهَى      تَنْبَهُ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مُورَمًا<sup>(٢)</sup>

وَلَكِنْ صُعْلُوكًا بِسَاوِرُ هَمِهِ      وَيَمْضَى عَلَى الْهَيْجَاءِ لَيْثًا مَقْدَمًا

فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْكَرْيَهَ يَلْقَاهَا      كَرِيمًا ، وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَرَبَّمَا

(١) شعر مسبكر : مترسل . (٢) مورما : أى منتفخا بادنا لعدم مايشغله من أمور الحياة .

وتفنت الجارية :

إذا كنت ربًّا<sup>(١)</sup> للقلوص فلا يكن رفيقك يمشي خلفها غير راكب  
أنيها فأزديفه فإني حملتكما فذاك ، وإن كان العقاب<sup>(٢)</sup> فمقاب  
وتفنت الثانية :

ألم تر لما ضمني البلد القفر سمعت نداء يصدع القلب يا عمرؤ ا  
أغشنا فإننا عصابة مذحجية نزارُ على وفرٍ وليس لنا وفرُ  
وتفنت الثالثة :

فلمّا توافقنا وسلّمْتُ أسفرتُ وجوه زهاها الحسنُ أن تتقنمًا  
تبالهنّ بالعرفان لما عرفتني وقلن امرؤ باغرٍ أكلٌ وأوضعا<sup>(٣)</sup>  
ولما تنازعن الأحاديث قلن لي أخفت علينا أن نفرّ ونخدعا ا  
قال ابن جامع : وتوقعتُ بحجى الخادم إلى ، فقلت للرجل : بأبي أنت ا  
خذ العود ، فشدّ وترَكَذا وارفع الطبقة ، وحط دُستان كذا ، ففعل ما أمرته .

وخرج الخادم فقال لي : نعن ، عافاك الله ! فتغنيتُ بصوتِ الرجل الأول على  
غير ماغناه ، فإذا جماعةٌ من الخدم يحضرون حتى اسقندوا إلى الأسمرة ، وقالوا:  
ويحك ! لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فانصرفوا عني بتلك السرعة ، وخرج إلى  
لخادم وقال : كذبت ! هذا الغناء لابن جامع . ودار الدور ، فلما انتهى الغناء إلى  
قلت للجارية التي تلي الرجل : خذي العود فعليت ما أريد ، فسوت العود على  
غنائها للصوت الثاني فتغنيتُ به ؛ فخرجت الجماعة الأولى من الخدم فقالوا :

(١) ربا : صاحب . (٢) العقاب : هو أن تركب الناقة مرة ، ويركبها صاحبك مرة أخرى .

(٣) أكل : أعبا . وأوض : أسرع ؛ يريد أنه أوض فأكل ، ولكن قدم وأخر .

وَيَحْكُ! لمن هذا؟ قلت: لى. فرجعوا وخرج الخادم فقال: كذبت، ثم تفتيتُ بصوت لى، فلا يُعرف إلا بى، وهو:

عُوجِي عَلَى فِلسَى جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمُّ سَفَرُ<sup>(١)</sup>  
مَانَلْتَقَى إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

فتزلزلتُ والله الدَّارُ عليهم، وخرج الخادمُ فقال: وَيَحْكُ! لمن هذا الفناء؟ قلت: لى. فرجع، ثم خرج فقال: كذبت! هذا غناه ابن جامع، قلت: فأنا إسماعيل بن جامع.

فما شعرتُ إلا وأميرُ المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلَا من وراء السَّترِ الذى كان يخرج منه الخادم. فقال لى الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك؛ فلما صعد السريرَ وثبتُ قائماً، فقال لى: ابن جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين! قال: ويحك! متى كنتَ فى هذه البلدة؟ قلت: آنفاً، دخلتها فى الوقت الذى علم بى أميرُ المؤمنين. قال: اجلس، ويحك يا ابن جامع!

ومضى هو وجعفر، فجلسا فى بعض تلك المجالس، وقال لى: أبشِرْ وابسُطْ أَمَلِكْ؛ فدعوتُ له. ثم قال: غننى يا ابن جامع، فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيْرَاءِ، فأمرتُ الرجلَ بإصلاح العودِ على ما أردتُ من الطبقة، فعرف ما أردتُ، فوزن العودَ وَزَنًا، وتعاهدَهُ حتى استقامت الأوتار، وأخذت اللسانين مواضعها، وانبعثتُ أغنى بصوت الجارية الحُمَيْرَاءِ:

(١) سفر: مسافرون.



شكوتنا إلى أحببنا طولَ ليلنا      فقالوا لنا : ما أقصرَ الليلَ عندنا !  
وذلك لأنَّ النومَ يَغشى عيونهم      سِراعاً وما يَفشى لنا النومَ أُعيننا  
إذا مادنا الليلُ المِضرُّ لذي الهوى      جَزَعنا وهم يستبشرون إذا دنا  
فلوأنهم كانوا يلاقون مثلَ ما      نُلَاقِي لكانوا في المضاجعِ مثلنا

ف نظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ مثلَ هذا قطاً ! فقال : لا والله ماخرقَ  
مسامعي قطاً مثله . فرفع الرشيد رأسه إلى خادمٍ بالقربِ منه ، ودعا بكيس فيه  
ألفُ دينار ، فجاء ورعى به إلى فصيرته تحت نخذي ودعوتُ لأمير المؤمنين .

فقال : يابن جامع ؛ ردّ على أمير المؤمنين هذا الصوت ، فرددته ، وتزيّدتُ  
فيه ؛ فقال له جعفر : ياسيدي ؛ أما تراه كيف يزيّد في الغناء ! هذا خلاف  
ما سمعناه أولاً ، وإن كان الأمر في اللحن واحداً .

فرفع الرشيدُ رأسه إلى ذلك الخادم ، ودعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار ،  
فجاءني به ، فصيرته تحت نخذي ، وقال : تَفَنِّ يا إسماعيل ما حَضَرَكَ ،  
فجعلتُ أقصد الصوتَ من بعد الصوت ؛ مما كان يبلغني أنه يشتري  
عليه الجوارى فأغنيه ، فلم أزلُ أفعلُ ذلك إلى أن عَسَسَ<sup>(١)</sup> الليل . فقال :  
أُتَعِبْنَاكَ يا إسماعيل هذه الليلةَ با لغناء ؛ فأعدْ على أمير المؤمنين الصوت ( يعني  
صوت الجارية ) فتغنيت ؛ فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ  
دينار ؛ فذكرتُ ما كانت الجارية قالت لي فتبسّمتُ ، ولحظني ؛ فقال :  
مِمَّ تبسّمت ؟ فجنّوتُ على ركبتي وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ الصدقُ منجاة ،

(١) عسس الليل : أقبل ظلامه .

فقال لي بانتهار : قُلْ ! فَصَصْتُ عَلَيْهِ خَيْرَ الْجَارِيَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْعِبَهُ <sup>(١)</sup> قَالَ :  
صَدَقْتُ ، قَدْ يَكُونُ هَذَا ؛ وَقَامَ .

وَنَزَلْتُ مِنَ السَّرِيرِ وَلَا أُدْرِي أَيْنَ أَقْصِدُ ، فَابْتَدَرَنِي <sup>(٢)</sup> فَرَّاشَانِ فَصَارَا بِي إِلَى  
حَارٍ قَدْ أَمَرَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفَرَّشَتْ وَأَعِدَّ فِيهَا جَمِيعُ مَا يَكُونُ فِي مِثْلِهَا مِنْ آلَةٍ  
جَلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَنَدَمَائِهِمْ ، وَمِنْ كُلِّ آلَةٍ وَخَوْلٍ <sup>(٣)</sup> إِلَى جَوَارٍ وَوُصَفَاءٍ ، فَدَخَلْتُ  
بِنَدَادٍ قَبِيرًا وَأَصْبَحْتُ مِنْ جِلَّةٍ <sup>(٤)</sup> أَهْلِهَا وَمِيَاسِيرِهِمْ !

---

(١) عرفه كله . (٢) ابتدرني : أسرع إلى . (٣) الحول : الخدم .  
(٤) الجلة جمع جليل : عظيم .

٢٤ - ابن جامع وأبو يوسف القاضى \*

قديم ابن جامع قَدَمَهُ له من مكة على الرشيد - وكان ابن جامع حسن السَّمْتِ كثير الصلاة ، قد بَانَ أترُ السجودِ في جَبْهته ، وكان يَعْتَمُّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة ، ويلبس لباسَ الفقهاء ويركب حماراً مَرِيْسِيًّا<sup>(١)</sup> في زِيّ أهلِ الحجاز .

فبينما هو واقفٌ على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذن ، إذ أقبل أبو يوسف القاضى بأصحابه أهل القلانس ، فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعت عينه على ابن جامع ، فرأى سمته وحلاوة هيئته ؛ فجاء فوقف إلى جانبه ، ثم قال له : أمتع الله بك ؟ توهمت فيك الحجازية والقرشية ، قال : أصبت ، قال : فمن أى قريش أنت ؟ قال : من بنى سهم . قال : فأى الحرمين منزلك ؟ قال : مكة ، قال : ومن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سل عن شئت ، فقامحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب ؛ فأعجب به ، ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضى أبو يوسف قد أقبل على المَعْنَى - وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع ؟ فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى موافقته بعد اليوم فَلِمَ نَعْمَهُ !

فلما كان الإذن الثانى ليحيى غداً عليه الناس وغداً عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه ، فحادثة طويلة كما فعل في المرة

\* الأغانى : ٦ - ٢٩١

(١) مريسي : نسبة إلى مريسة ، وهي قرية بمصر مشهورة بالمخبر .



الأولى ، فلما انصرف قال له أصحابه : أيها القاضي ؛ أتعرفُ هذا الذي تُوَاقِفُ (١) وتُحَادِثُ ؟ قال : نعم ؛ رجلٌ من قريش من أهل مكة من النقباء . قالوا : هذا ابنُ جامعٍ للمغنى ، قال : إنا لله ! قالوا : إن الناسَ قد شَهَرُواكَ بمُواقِفَتِهِ ، وأنكروا ذلك من فِعْلِكَ .

فلما كان الإذْنُ الثالثُ جاء أبو يوسف ونظر إليه فتَنَكَّبَهُ ، وعرف ابنُ جامعٍ أنه قد أُذِنَ بِهِ ، فجاء فوقف فسلمَ عليه ، فردَّ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يَلْقَاهُ به ، ثم انحرف عنه .

فدنا منه ابنُ جامعٍ ، وعرف الناسُ القِصَّةَ ، وكان ابنُ جامعٍ جهيزاً ، فرفع صوته . ثم قال : يا أبا يوسف ؛ مالك تَنَحَّرِفُ عَنِّي ! أَيَّ شَيْءٍ أَنْكَرْتِ ؟ قالوا لك : إني ابنُ جامعٍ للمغنى ، فكهرتَ مُواقِفَتِي ! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت . ومال الناسُ فأقبلوا نحوها يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرايياً جِلْفاً وقف بين يديك فأنشدك بجفاءٍ وغلظةٍ من لسانه وقال :

يَا دَارَ مَيْمَةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتٌ وَطالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ

أ كنت ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر قولٌ ورُوِيَ في الحديث .

قال ابنُ جامعٍ : فإن قلتُ أنا هكذا . . . ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف ؛ رأيتني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ؛ أَعَفِنَا مِنْ ذَلِكَ . ثم قال : يا أبا يوسف ؛ أنت صاحبُ فُتْيَا ، ما زدته على أن حسنته بألفاظي ، فحسُن في السماع ، ووصل إلى القلب ! ثم تنحى عنه ابنُ جامعٍ !

(١) واقفه : سأله الوقوف .

٢٥ — سَرَقَةُ الْغَنَاءِ\*

قال الرشيدُ يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختِلاطِ الأمرِ فيها ، فهلْ أَفَاسَمَكِ إياها وَأَخَايِرُكَ ؛ فاقسما الغنّين ، على أنْ جملاً بإزاء كل رجلٍ نظيرَه ؛ وكان ابنُ جامعٍ في حَيِّزِ الرشيدِ ، وإبراهيمُ الموصليّ في حَيِّزِ جعفر بن يحيى ، وحضر النَّدْماءُ لِمِحْنَةِ<sup>(١)</sup> الغنّين .

وأمرَ الرشيدُ ابنَ جامعٍ فغنى صوتاً أَحْسَنَ فيه كلَّ الإحسان ، وطربَ الرشيدُ غايةَ الطرب ، فلما قطعهُ قال الرشيدُ لإبراهيمَ : هاتِ يا إبراهيمُ هذا الصوتَ فغنّه . فقال : لا ، واللهِ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما أَعْرِفُهُ ؛ وظهر الانكسارُ فيه ، فقال الرشيدُ لجعفر : هذا واحدٌ .

ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنِّ يا إسماعيلُ ؛ فغنى صوتاً ثانياً أحسنَ من الأول ، فلما استوفاه قال الرشيدُ لإبراهيمَ : هاتِه يا إبراهيمَ ، قال : ولا أعرفُ هذا ! فقال : هذان اثنان ! غنِّ يا إسماعيلُ ؛ فغنى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأولين ويفضّلُهُما . فلما أتى على آخره قال : هاتِه يا إبراهيمَ ، قال : ولا أعرفُ هذا أيضاً . فقال له جعفر : أَخْزَاكَ اللهُ .

وأتمَّ ابنُ جامعٍ يومه ، والرشيدُ مسروراً به ، وأجازه بجوائز كثيرة ، وخلعَ عليه خِلاًماً فاخرةً ، ولم يزل إبراهيمُ مُنْخَذِلاً منكسراً حتى انصرف . ومضى إلى

\* الأغاني : ٥ - ٢٠٦

(١) المحنة : الاختبار .



منزله ، فلم يستقرّ فيه حتى بعث إلى محمد المعروف بالزّف (١) - وكان من المغنين  
المحسنين ، وكان أسرع من عرف في أيامه في أخذ صوت يريد أخذه ، وكان الرشيد  
قد وجد (٢) عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله ، فالزمه بيته وتناساه - فقال إبراهيم  
للزّف : إني اخترتك على من هو أحبُّ إليّ منك لأمرٍ لا يصلح له غيرك ، فانظر  
كيف تكون ! قال : أبلغ في ذلك محبتك ، إن شاء الله تعالى . فأدّى إليه الخبر ،  
وقال : أريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتعلمه أنك صيرت إليه مهنتاً بما  
تهيأ له على وتنفقني وتثلبني (٣) وتشتني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات  
وتأخذها منه ، ولك ما تحبُّه من جهتي من عرض من الأعراض مع رضا الخليفة  
إن شاء الله .

فمضى واستأذن على ابن جامع فأذن له ، فدخل وسلم عليه وقال :  
جئتك مهنتاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابن الجرّمقانيّة (٤)  
على يدك ، وكشف الفضل في محلك من صناعتك ، قال : وهل بلغك خبرنا ؟  
قال : هو أشهر من أن يخفى على مثلي ، قال : ويحك ! إنه يقصر عن العيان .  
قال : أيها الأستاذ ؛ سرّني بأن أسمعه من فيك حتى أرويه عنك ؛ قال : أقم  
عندي حتى أفعل ، قال : السمع والطاعة .

فدعا له ابن جامع بالطعام فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحذّته بالخبر حتى

---

(١) هو محمد بن عمرو ، مولى بني تميم ، كوفي الأصل والمولد ، والزّف لقب غلب عليه ، كان  
مغنيا ضاربا ، طيب السموع ، صالح الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذا للفناء .  
وأصحهم أداء له ، كان يتعصب لابن جامع ، مات في خلافة الرشيد . (٢) وجد عليه : غضب .  
(٣) ثلبه : عابه وتنفقه . (٤) الجرّمقاني واحد الجرماقة : وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في  
أوائل الإسلام .



انتهى إلى خبر الصوت الأول . فقال له الزّف : وما هو أيّها الأستاذ ؟ فنّاه ابنُ جامع إياه ، فجعل محمد يُصَفِّقُ وينقر ويشربُ وابنُ جامعٌ مجتهدٌ في شأنه حتى أخذَه عنه ، ثم سألَه عن الصوت الثاني فنّاه إياه . وفعل مثلَ فعلِهِ في الصوت الأول ، ثم كذلك في الصوت الثالث .

فلما أخذ الأصوات الثلاثة وأحكمها ، قال له : يا أستاذ ؛ قد بلغتُ ما أحبُّ فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ .

فانصرف محمدٌ من وجهه إلى إبراهيم ، فلما طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلُّ ما تحبُّ ؛ ادعُ لي بعُودٍ ، فدعا له به ؛ فضرَبَ وغنّاه الأصوات . قال إبراهيم : وأبيك هي بصوِّرها وأعيانها ؛ ردّها علىّ الآن ، فلم يزل يردّها حتى صحّت لإبراهيم ، وانصرف الزّف إلى منزله .

وغدًا إبراهيم إلى الرشيد فلما دعا بالمُعَنِّين دخل فيهم ، فلما بصُرَ به قال له : أو قد حضرت ! أما كان ينبغي لك أن تجلسَ في منزلك شهرًا بسبب ما لقيتَ من ابن جامع ! قال : ولمَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداك ! والله لئن أذنت لي أن أقولَ لأقولنَّ ، قال : وما عساک أن تقول ! قل . فقال : إنه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطًا لشيءٍ ، فيعارضك ، ولا أن تكونَ متعصِّبًا لحيزٍ وجنبةٍ<sup>(١)</sup> فيقالبك ؛ وإلا فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه . قال : دعْ ذا عنك ؛ قد أقررتَ أمس بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا ، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفةٍ كما تقول فهاته اليوم ، فليس ههنا عصبيةٌ ولا تمييز .

(١) الجنبة : الناحية .

فاندفع فأمر الأصوات كلها ، وابن جامع مُصغِرٌ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ، فاندفع ابن جامع خلف بالإيمان المُخرِجَة أنه ما عرفها قط ولا سمعها ، ولا هي إلا من صنّعته ، ولم تُخرِجْ إلى أحد غيره ، فقال له : ويحك ! فما أحدثت بعدى ! قال : ما أحدثتُ شيئاً .

قال : يا إبراهيم ؛ بحياتي ، اصدقني . فقال : وحياتك لأصدقنك ؛ رميته بِحَجَرِهِ<sup>(١)</sup> ، فبعثت إليه بمحمد الزّرف وضمنتُ له ضماناتٍ ، أوّلها رضاك عنه ؛ ففضي فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلتها حتى سقط الآن اللومُ عني بإقراره ، لأنه ليس عليّ أن أعرف ما صنّعه هو ولم يُخرِجْه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنما يلزمني ألا يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلا فلو لزمني أن أروى صنّعتَه للزمه أن يروى صنّعتي ولزم كل واحدٍ منا لِسائر طبقتِه ونظرائه مثل ذلك ، فمن قصر كان مذموماً ساقطاً .

قال له الرشيد : صدقت يا إبراهيم ونصحت<sup>(٢)</sup> عن نفسك وقت بحجتك . ثم أقبل على ابن جامع ، فقال له : يا إسماعيل ؛ أتيت أبيت ادهيت دُهيت اأبطل عليك الموصلي ما فعلته به أمس ، وانتصف اليوم منك ، ثم دعا بالزّرف فرَضِي عنه .

(١) رى فلان بحجره : إذا قرن بئله . (٢) نضح عن نفسه : دغم عنها بالحجة .

٢٦ — أنا والصبح كَفَرَسَى رِهَانِ \*

قال إبراهيم<sup>(١)</sup> للموصلي :

قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ؛ بكّر على غدا حتى نصطبّح ؛ فقلت له : أنا  
والصبحُ كَفَرَسَى رِهَانِ ، فبكرت فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنها  
خُوطُ<sup>(٢)</sup> بَانٍ ، حُلْوَةُ المنظر ، دَمِيئَةُ الشمائل ، وفي يدها عود ، فقال لها : غَيِّ ،  
فغنت في شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ وهو :

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَذَهُ      وفيه مكانَ الوهم من نظري أثر<sup>(٣)</sup>  
ومرَّ بِفِكْرِي خَاطِراً فَجَرَحْتَهُ      ولم أرَ جِسمًا قطَّ يَجْرَحُهُ الفِكرُ  
وصالِحُه قَلْبِي فَأَلَمَ كَفَّهُ      فَمِنْ غَمَزِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَقْرُ<sup>(٤)</sup>  
قال إبراهيم : فذهبت والله بعقلي حتى كِدْتُ أن أفتضح ، قلت : من هذه  
يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لَهَا قَلْبِي الغَدَاةَ وَقَلْبُهَا لِي      فنحنُ كذاك في جَسَدَيْنِ رُوح  
ثم قال : غَيِّ ، فغنت :

تقولُ غَدَاةَ البينِ إِحدى نَسَائِمِهِمْ :      لِي الكَيْدُ الحَرَمِيُّ فِيسِرُ وَلِكَ الصَّبْرُ<sup>(٥)</sup>

\* الأغانى : ٥ - ٢٢٨

(١) أوحد زمانه في الفناء واختراع الألمان ، اتصل بالخلفاء فكانت له عندهم منزلة حسنة .  
ومات في بغداد سنة ١٨٨ هـ . (٢) الحُوط : العُصن ، والبان : نوع من الشجر ، لب ثمره  
دهن طيب . (٣) أثر الجرح : أثره يبقى بعد ما يبرأ . (٤) العقر : الجرح . (٥) الشعر  
لأبي الشيص .



وقد خنقتها عذبة فدموعها على خدّها بيض وفي نحرها صفر  
قال : فشرِب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنّ يا إبراهيم ؛ فننيت حسب  
ما في قلبي غير متحفّظٍ من شيء :

تشرّب قلبي حبّها ومشي به تمشّى تحمياً الكأس في جسمٍ شارِب  
ودبّ هواها في عظامي فشفّتها كادبّ في اللسوع سمّ العقارب  
قال : ففطن بتعريضي - وكان جهالةً مني - وأمرني بالانصراف ، ولم يدعني  
شهرأ ، ولا حضرتُ مجلسه .

فلما كان بعد شهر دسّ إليّ خادماً معه رقعةً ، فيها مكتوب :  
قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوجْدِ ولم يدري من هويتُ بما بي  
يا كتابي فاقرّ السلامَ على من لا أمّي وقل له يا كتابي  
إن كفاً إليك قد بعثتني في سقاءٍ مواعيلٍ وعذابٍ

فأتاني الخادم بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي  
غنّتك بين يدي أمير المؤمنين ؛ فأحسست القصة ، فشممتُ الخادم ووثبتُ عليه  
وضرَبته ضرباً شقّيتُ به نفسي وغَيّظي .

وركبتُ إلى الرشيدِ من فوريّ فأخبرته القصةَ وأعطيتُه الرقعة ؛ فضحك حتى  
كاد يستلقي ، ثم قال : على عمديّ فعلتُ ذلك بك لِأمتحنَ مذهبَكَ وطريقَتَكَ ،  
ثم دعا بالخادم ، فلما خرج رأيتُ فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، ويحك !  
قتلتني ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حَقِّك لما وردتَ به عليّ ، ولكن رحمتُك  
فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتي في عقوبتك بما تستحقّه . وأمر لي  
الرشيدُ بصلّةٍ سنّيةٍ .

٢٧ — ما هذا يجرأني منك \*

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : مررتُ بدار الزَّيْبِرِ بالبَصْرَةِ ، فإذا شيخٌ قديمٌ من أهل المدينة من ولد الزبير ، يكنى أبا رِيْحَانَةَ ، جالسٌ بالباب عليه شَمْلَةٌ<sup>(٢)</sup> تستره ؛ فسلمتُ عليه ؛ وجلستُ إليه ؛ فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سُوَيْدَاءُ ، تحمل قِرْبَةً ، فلما نظر إليها لم يتمالكُ أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتنا ! فقالت : إن موالى أعجلوني<sup>(٣)</sup> ؛ فقال : لا بدَّ من ذلك ! قالت : أمّا والقربةُ على كتفي فلا ! قال : فانا أحملها ؛ فأخذ القربةَ منها ؛ فاندفعتُ نَفْيً :

فَوَادُ أُسِيرٌ لَا يَفُكُّ وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ

وَلِي مَقَلَّةٌ قَرَحَى لَطُولَ اسْتِيقَامِهَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولٌ<sup>(٤)</sup>

فَدَيْتُكَ ! أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقَّتِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ

فطرب، وصرخ صرخةً ، وضرب بالقربةَ إلى الأرض فشققها !

فقامت الجارية تبكي ، وقالت : ما هذا يجرأني منك ! أسعفتك بمحاجبتك

فعرّضتني لما أكره من موالى !

قال : لَا تَفْتَمِّي ؛ فَإِنَّ الْمَصِيبَةَ عَلَى حَصَلَتِ ! وَنَزَع شِمْلَتَهُ ، وَابْتَاعَ لَهَا قِرْبَةً

جديدة ! وَقَعَدَ ؛ فَاجْتَازَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَعَرَفَ حَالَهُ ،

\* زهر الآداب : ١ - ١٥٦

(١) هو عبد الملك بن قريب ، اشتهر بالرواية والتضلعق للغة ، توفي سنة ٢١٦ هـ . (٢) الشملة :

كساء دون القטיפفة يشتمل به . (٣) أمجله : استعنه . (٤) تفيض بالدمع .

قال : يا أبا ريمحانة ؛ أحسبك من الذين قال الله فيهم : ﴿فَمَا رَجِحتَ تِجَارَتَهُمْ وَمَا كَانُوا مُهتَدِينَ﴾ (١) .

قال : لا ؛ يا بن رسول الله ، ولكنى من الذين قال الله فيهم : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (٢) !  
فضحك وأمر له بألف درهم .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٦

(٢) سورة الزمر ، آية ١٧ ، ١٨



٢٨ — ما نفَعنى الغنَاءُ إلا ذلك اليوم \*

قال إبراهيم<sup>(١)</sup> بن المهدي: حججتُ مع الرشيد، فبينما نحن في الطريق وقد انفردتُ أُسِيرُ وَحْدِي، وأنا على دابَّتِي إذ غلبتني عيناي، فسلكتُ بي الدابةُ غيرَ الطريق، فانتبهتُ وأنا على غير الجادة<sup>(٢)</sup>، فاشتدَّ بي الحرُّ، فطشست عطشاً شديداً، فارتفعَ لي خَبَلاءُ قفصته، فإذا بقبَّةٍ، وبجانبها بئرُ ماء، بقرب مزرعة — وذلك بين مكة والمدينة — ولم أر بها إنسياً، فاطلعت في القبة، فإذا أنا بأسود نائم، فأحسَّ بي، ففتح عينيه ثم استوى جالساً، فإذا هو عظيمُ الصورة. قلت: يا أسود، اسقني من هذا الماء، فقال: يا أسود، اسقني من هذا الماء، مُحَاكِيًا لِي. وقال: إن كنتَ عطشان فانزل واشرب، وكان تحتي برِّذون<sup>(٣)</sup> خبيث نفور، فخشيتُ أن أنزل عنه، فَيَنْفِرَ، فضربتُ رأس البرِّذون.

وما نَفَعنى الغنَاءُ قطَّ إلا في ذلك اليوم، وذلك أني رفعتُ عَقرتِي وغَنَيْتُ. فرفع الأسودُ رأسه إلىَّ، وقال: أيما أحب إليك، أن أسقيك ماءً وحده، أو ماءً وسويقاً<sup>(٤)</sup>؟ قلت: للماء والسويق. فأخرج قَعْبًا<sup>(٥)</sup> له، فصَبَّ السَّوِيقَ في القدح فسقاني، وأقبل يضرب بيده على رأسه وصَدْرِهِ، ويقول: واحرَّ صَدْرَاهُ! يا مولاي؛ زدني وأنا أزيدك، وشربتُ السويق، ثم قال لي: يا مولاي، إن بينك

\* المَعْدِي: ٢ - ٢٧٠

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي أخو هارون الرشيد، كان أسود حالك اللون فصيح اللسان واسع الصدر، سخر الكف حاذقاً بصنعة الفناء، توفي سنة ٢٢٤ هـ. (٢) الجادة: معظم الطريق (٣) البرِّذون: الدابة. (٤) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير. (٥) القعب: القدح الضخم.

وبين الطريق أميالاً ، ولست أشك أنك تمطش ؛ لكنى أملأ قريتي هذه وأحلبها  
قدامك . قلت : افعل .

فلما قريته ، وسار قدامى وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الإيقاع ، فإذا  
أمسكت لأستريح أقبل على ، فقال : يامولاي ؛ عطشت ؛ فأغنيه إلى أن أوقفني  
على الجادة ، ثم قال لي : سير رعاك الله ، ولا سلبك ما كسك من هذه النعم -  
بكلام مجمى ، معناه هذا الدعاء - فلحقت بالقافلة ، والرشيد قد قدنى ، وقد بث  
الخيال في طلبي ، فسرّ بي حين رآني ، فأتيته فقصصت عليه الأمر ، فقال :  
على بالأسود ، فما كان إلا هنيهة حتى مثل بين يديه ، فقال له : ويحك ! ما حره  
صدرك ؟ فقال : يامولاي ، ميمونة ! قال : ومن ميمونة ؟ قال : حبشية يامولاي ؛  
فأمر من يستفهمه ، فإذا الأسود عبدٌ لبني جعفر الطيار ، وإذا السوداء التي يهواها  
قوم من ولد الحسن بن علي ؛ فأمر الرشيدُ باتباعها له ، فأبى موالها أن يقبلوا لها  
ثمنًا ، ووهبوا للرشيد ، فاشترى الأسود وأعتقه ، وزوجه منها ، ووهب له من  
ماله بالمدينة حديقتين وثلاثمائة دينار .

٢٩ — طَفِيلِي وَلَكِنَّهُ ظَرِيفٌ\*

حدّث إسحاق<sup>(١)</sup> الموصليّ قال : غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرُّ من مُلازمةِ دارِ  
الخلافةِ والخدمَةِ فيها ؛ فخرجتُ وركبتُ بُكْرَةَ<sup>(٢)</sup> ، وعزمتُ على أن أطوفَ  
الصحراءَ وأتفرّج . فقلتُ لِعِلمانيّ : إن جاء رسولُ الخليفةِ أو غيرهُ فعرّفوه أنّي  
بُكْرَتُ في بعضِ مُهمّاتي ، وأنكم لا تعرفون أين توجّهتُ !  
ومضيتُ وطُتُ ما بدّأ لي ، ثم عدتُ وقد حمىَ النهار . فوقفتُ في  
الشارعِ المعروفِ بالمُخرَمِ<sup>(٣)</sup> في فناءِ نخينِ الظل ، وجناحِ رَحْبِ<sup>(٤)</sup> كَلَى الطريقِ  
لأَسْتَرِيحَ .

فلم ألبثُ أن جاء خادمٌ يقودُ حِمَاراً فأرّها عليه جاريةً راكبةً ، تحمها منديلٌ  
دَبِيقِي<sup>(٥)</sup> ، وعليها من اللبسِ الفاخرِ ما لا غايةَ بعده . ورأيتُ لها قواماً حسناً  
وشمائلَ حسنةً .

فخرّصتُ<sup>(٦)</sup> أنها مُغَنّيةٌ ، فدخلتِ الدارَ التي كنتُ واقفاً عليها .

ثم لم ألبثُ أن جاء رجلانِ شابانِ ، فاستأذنا فأذنَ لهما ، فنزلا ، ونزلتُ معهما

\* الأغانى : ٥ - ٤٢٣

(١) إسحاق الموصليّ : من أشهرِ ندماءِ الخلفاء ، تفرد بصناعةِ الغناء ، وكان عالماً باللغة والموسيقى  
والتاريخِ وعلومِ الدينِ وعلمِ الكلام ، وراويّةً للشعرِ وحافظاً للأخبار . توفي ٨٢٣٥ . (٢) باكرأ  
(٣) المُخرَم : محلةٌ ببغداد . (٤) رَحْب : واسع . (٥) دَبِيق : منسوبٌ إلى دَبِيق ، وهي بليدة  
كانت بين الفرما وتنبيس من أعمالِ مصر ، وتنفب إليها الثياب . (٦) خرّصت : ظنفت .



ودخلت ؛ فظننا أن صاحبَ الدارِ دَعَانِي وظنَّ صاحبُ الدارِ أني معهما ؛ فجلسنا  
وأُتِيَ بالطعام فأكلنا وبالشراب فَوَضِعَ ، وخرجت الجارية وفي يدها عودٌ فغَنَّتْ  
وشرَبْنَا ؛ وَقُمْتُ قَوْمَةً ، فسأل صاحبُ المنزلَ الرجلين عَنِّي ، فأخبراهُ أَنهما  
لا يعرفانِي ؛ فقال : هذا طفيليٌ ولكنه ظريفٌ ، فَأَجْلَوْا عِشْرَتَهُ ، وَجِئْتُ جُلِيسَتُ ؛  
وَوَغَّتَ الجارية في حَنِّ لِي ، فَأَدَّتْهُ أَدَاءَ صالِحاً ؛ ثم غَنَّتْ أصواتاً شتى ، وَغَنَّتْ في  
أضعافها من صَنَعَتِي :

الطلولُ الدَّوَارِسُ      فارقَتُها الأوائِسُ  
أوحشتُ بعد أهلِها      فهي قَفَرٌ بِسَائِسُ<sup>(١)</sup>

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأول ؛ ثم غَنَّتْ أصواتاً من القديم والحديث ،  
وَوَغَّتْ في أثنائها من صَنَعَتِي :

قل لمنْ صَدَّ عاتِباً      ونأى عنكَ جانباً  
قد بلغتَ الذي أَرَدْتُ      وإن كنتَ لا عِيباً

فكان أصلح ما غَنَّتَهُ . فاستعدتُهُ منها لأصَحِّحَهُ لها . فأقبلَ عليَّ رجلٌ من  
الرجلين ، وقال : ما رأيتُ طفيلياً أصفقَ وجهاً منك ! لم ترضَ بالتَّطفيلِ حتى  
اقتَرَحْتَ ، وهذا غاية المثل : « طُفَيْلِيٌّ مُقْتَرِحٌ » ؛ فأطَرَقْتُ ولم أجبهُ . وجعل  
صاحبُهُ يَكْفُهُ عني فلا يَكْفُ . ثم قاموا للصلاة وتأخرتُ قليلاً ، فأخذتُ عودَ  
الجارية ، ثم أصلحتُهُ إصلاحاً مُحْكَمًا ، وعدتُ إلى موضعي فصلَّيتُ . وعادوا ثم  
أخذ ذلكَ الرجلُ يُعَنِّفُنِي وأنا صامتٌ .

(١) ببايس ، لغة في السباب : الصغاري .

ثم أخذتِ الجارية العودَ فحسّته وأنكرتُ حاله ، وقالت : مَنْ مَسَّ عودِي؟  
قالوا : ما مَسَّهُ أحدٌ ، قالت : بلى ، والله لقد مَسَّهُ حاذقٌ متقدّمٌ وأصلحهُ إصلاحٌ  
متمكّنٌ من صناعته ، فقلتُ لها : أنا أصلحتُه؟ قالت : فبالله خذُه واضرب به؛ فأخذته  
وضربتُ به مبدأً ظريفاً عجيباً صعباً ، فيه نقراتٌ متحركة . فما بقي أحدٌ منهم إلا  
وثب على قدميه وجلس بين يدي .

ثم قالوا : بالله ياسيدنا ؛ أُنغّي؟ قلتُ : نعم ، وأعرّفكم نفسي ؛ أنا إسحاق  
ابن إبراهيم الموصلي ، والله إني لأتبهُ على الخليفة إذا طلبني ، وأنتم تُسمعونني  
ما أكره منذ اليوم لأنّي نزلتُ بكم ! فوالله لا نطقُ بحرف ولا جلستُ معكم  
حتى تُخرجوا هذا المرءَ يد<sup>(١)</sup> المقيت<sup>(٢)</sup> الفث . فقال له صاحبه : مِنْ هذا حَدَرْتُ  
عليك . فأخذ يعتذر ؛ قلتُ : والله لا نطقُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يخرُج ؛  
فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا .

فبدأتُ وغنيتُ الأصوات التي غنّتها الجاريةُ من صنعتي ، فقال لي الرجل :  
هل لك في خصلة؟ قلتُ : ما هي ؛ قال : تقيمُ عندي شهراً والجارية والحمارُ لك  
مع ما عليها من حُلِيٍّ ؛ قلتُ : أفعل . فأقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يدري أحدٌ أين  
أنا ، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرفُ لي خبراً .

فلما كان بعد ثلاثين يوماً أسلمَ إلى الجارية والحمارَ والخادم فجنّتُ بذلك إلى  
منزلي ، وركبتُ إلى المأمون من وقتي ، فلما رأني قال : إسحاق ! ويحك ! أين  
تكون ؟ فأخبرتهُ بخبري . فقال : على بالرجل الساعة ؛ فدَلّستهمُ على بيته فأحضر .

(١) المرء ، رجل مرءيد : يؤذى نديعه . (٢) المقيت : المكروه .

فسأله المأمون عن القصة فأخبره . فقال له : أنت رجل ذو مروءة ، وسبيلك أن  
تعاونَ عليها . وأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال :  
أحضرنى الجارية . فأحضرتها ففتته . فقال لي : قد جعلتُ لها نوبةً في كلِّ يوم  
ثلاثاء تُفنيْنى وراءَ السُّتر مع الجوارى . وأمرَها بخمسين ألف درهم ، فربحتُ والله  
بتلك الرِّكبةِ وأرْبِحتُ .



٣٠ - زَرِيَاب وإِسْحَاق الموصليّ

كان زَرِيَاب<sup>(١)</sup> تلميذاً لإِسْحَاق الموصلي ببغداد ، فتلقف من أغانيه استراقاً ،  
وهُدِي من فَمِّهِ الصناعة وصدِّق العقل ، مع طيبِ الصوت ، إلى مافاق به إسحاق ،  
وإِسْحَاقُ لا يشعرُ بما فُتِحَ به عليه ، إلى أن اقترح الرشيدُ عليه أن يأتيه بمغنى  
غريبٍ مُجيدٍ للصنعة ، لم يشتهر مكانه إليه ؛ فذكر له تلميذه هذا ، وقال : إنه موأى  
لكم ، وسمعتُ له نَزَعَاتٍ حسنة ، ونغماتٍ راقيةٍ مُلتأطئة<sup>(٢)</sup> بالنفس ، وهو من  
اختراعى واستنبأطِ فكري ، وأحدِس<sup>(٣)</sup> أن يكون له شأن .

قال الرشيد : هذا طليبي ، فأخضرنيه ، لعل حاجتي عنده . فأحضره ، فلما  
كلمه الرشيدُ أعربَ عن نفسه بأحسنِ منطق ، وأوجزَ خطاب ؛ وسأله عن  
معرفة الفناء ، فقال : نعم ، أحسنُ ما يُحسِنُه الناس ، وأكثرُ ما أحسِنُه لا يحسنونه ،  
مما لا يحسنُ إلا عندك ، ولا يدخرُ إلا لك ؛ فإن أذنتَ غنيتك ما لم تسمعه  
أذنُ قبلك .

فأمر بإحضار عودِ أستاذه إسحاق ، فلما أذِنَ إليه وقف عن تناوُله ، وقال :

\* نفع الطيب : ٢ - ١٠٩

(١) كان زرياب معلمه بصناعة الفناء طالماً بالنجوم ، شاعراً أديباً حلوا الحديث ، لطيف المعاشرة ،  
ماهر آ في خدمة الملوك ، توفى سنة ٣٣٠ هـ . (٢) التاط بالقلب : لرق به . (٣) الحدس : الظن  
والتخمين .

لى عودٌ نَحْتُهُ بِيَدِي ، وَأَرْهَفْتُهُ بِإِحْكَامِي ، لَا أَرْتَضِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ بِالْبَابِ ، فَلْيَأْذَنْ لِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي اسْتِدْعَائِهِ ؛ فَأَمْرٌ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ .

فلما تأمله الرشيدُ - وكان شبيهاً بالعود الذي دفعه إليه - قال : ما منعك أن تستعملَ عودَ أستاذِك؟ فقال : إن كان مولاي يرغبُ في غِنَاءِ أستاذِي غَنِيَّتُهُ بعوده ، وإن كان يرغبُ في غِنَائِي فلا بدَّ لي من عودِي ! فقال له : ما أراها إلا واحداً ؛ فقال : صدقتَ يا مولاي ؛ ولا يؤدِّي النظرُ غيرَ ذلك ، ولكنَّ عودِي وإن كان في قَدَرِ جِسْمِ عوده ، ومن جنسِ خَشَبِهِ ، فهو يقع من وزنه في التُّلْثِ ؛ ووصفُهُ وَصْفًا اسْتَبْرَعَهُ الرَّشِيدُ ، وَأَمْرُهُ بِالْغِنَاءِ ، فَجَسَّ ثُمَّ انْدَفَعَ فَعَنَاءَهُ :

يَأْيَهَا لِلْمَلِكِ الْمَيْمُونِ طَائِرُهُ هَارُونَ رَاحَ إِلَيْكَ النَّاسُ وَابْتَكُرُوا<sup>(١)</sup>

فلما أتمَّ طار الرشيد طرباً ، وقال لإسحاق : والله لولا أني أعلم من صدِّقِك وتصديقك ؛ من أنك لم تسمعه قبيلُ لَأَنْزَلْتُ بِكَ الْعُقُوبَةَ ؛ لَتَرَكِكْ إِعْلَامِي بِشَأْنِهِ ؛ فَخَذَهُ إِلَيْكَ وَاعْتَنَى بِهِ ، حِينَ أَفْرَغَ لَهُ ، فَإِنْ لِي فِيهِ نَظْرًا .

فَسَقَطَ فِي يَدِ إِسْحَاقَ ، وَهَاجَ بِهِ مِنْ دَاءِ الْحَسَدِ مَا غَلَبَ عَلَى صَبْرِهِ ، فَخَلَا بِزِرْيَابَ ، وَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنْ الْحَسَدَ أَقْدَمُ الْأَدْوَاءَ<sup>(٢)</sup> . وَالدُّنْيَا فِتْنَانَةٌ ، وَالشَّرِكَةُ فِي الصَّنَاعَةِ عِدَاوَةٌ ، وَلَا حِيلَةَ فِي حَسْمِهَا ، وَقَدْ مَكَّرْتَ بِي فِيمَا انْطَوَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ إِجَادَتِكَ ؛ وَعَلَوْ طَبَقَتِكَ ، وَقَصَدَتْ مُنْفَعَتِكَ ، فَإِذَا أَنَا قَدْ أَتَيْتُ نَفْسِي مِنْ مَأْمَنِهَا بِإِدْنَانِكَ ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَسْقُطُ مَنْزِلَتِي ، وَتَرْتَقِي أَنْتَ قُوَّتِي ، وَهَذَا مَا لَا أَصَاحِبُكَ عَلَيْهِ

(١) ابتكروا : أتوه بكرة ، والبكرة : الغدوة . (٢) جمع داء .

ولو أنك وَلَدِي؛ ولولا رَغْبِي لَدَمَّ تَرْبِيَّتِكَ لما قَدَمْتُ شَيْئًا على أن أَذْهَبَ نَفْسِكَ،  
ويكونُ في ذلك ما يكون .

فَتَخَيَّرْ في نِيتَيْنِ لا بَدَّ لَكَ مِنْهُمَا : إما أن تذهبَ عني في الأرض العريضة ،  
لا أسمعُ لك خبراً ، بعد أن تعطيني على ذلك الأيمان الموثقة ؛ وأنهِضْكَ لذلك بما  
أردتَ من مالٍ وغيره ، وإما أن تقيمَ على كُرْهِي ورَغْبِي مُسْتَهْدِفًا إِلَيَّ ؛ فخذ  
الآن حِذْرَكَ مِنِّي ، فليستُ - والله - أبقيَ عليك ، ولا أدعُ اغْتِيالَكَ ، باذِلًا في  
ذلك بَدَنِي ومالي ، فأفُضِ قضاءَكَ!

فخرج زِرْيَاب لوقتِه ، وعلم قدرته على ما قال ، واختار الفِرَارَ ، فأعانه إسحاق  
على ذلك سريعاً، وراش<sup>(١)</sup> جناحَه، فرحل عنه ومضى يبغي مغرب الشمس ، واستراح  
قلبُ إسحاق منه .

وتذكَّرَه الرشيد بعد فَرَاغِهِ من شغل كان منغمساً فيه، فأمر إسحاق بإحضاره؛  
فقال : ومنَ لي به يا أمير المؤمنين ! ذاك غلام مجنون ، يَزْعُمُ أن الجِنَّ تكلمهُ ،  
وتطارحُه ما يُزْهِي<sup>(٢)</sup> به من غِنائِه ، فما يرى في الدنيا من يَعدِلُه<sup>(٣)</sup> ، وما هو إلا  
أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين، فقدّر التقصير به، والتهمين بصِناعته، فرحل  
مُغاضِبًا<sup>(٤)</sup> ذاهباً على وجهه، مستخفياً عني، وقد صنع الله تعالى ذلك لأمير المؤمنين،  
فإنه كان به لَمَمٌ<sup>(٥)</sup> يَغْشَاهُ ، وقد كان يفرط خَبْلُهُ ، فيُفْزِعُ من رآه .

فسكن الرشيدُ إلى قول إسحاق ، وقال : على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرورٌ

كثير !

---

(١) راشه : إذا أحسن إليه، وراش صديقه: إذا أطعمه وسقاه وكاه . (٢) زهى به: أعجب  
به . (٣) يعدله: يساويه . (٤) مغاضباً: غاضبت الرجل: أغضبته وكرهته . (٥) اللمم: الجنون .



ومضى زرياب إلى المغرب<sup>(١)</sup> ، وعلم عبد الرحمن بن الحكم بخبره؛ فكتب إلى عماله على البلاد أن يُحْسِنُوا إِلَيْهِ ، ويوصلوه إلى قرطبة ، وأمر من يلقاه ببغال وآلاتٍ حسنة .

فدخل هو وأهله ليلاً ، وأنزله في دار من أحسنِ الدور ، وحمل إليها جميع ما يحتاج إليه ، وخلع عليه . ثم أجرى عليه راتباً ، وأقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوِّم بأربعين ألف دينار ، فلما قضى له سُؤْلُهُ ، وأنجز موْعِدَهُ ، وعلم أن قد أرضاه ، وملك نفسه استدعاه ، ولما سمع غناءه أطرح كلَّ غِنَاءٍ سِوَاهُ ، وأحبه حباً شديداً ، وقدمه على جميع المنعنين .

---

(١) يريد الأندلس .

٣١ - في مسجد رسول الله تتغنى؟\*

قال إبراهيم الحمراني : حججت مع أمير المؤمنين الرشيد ، فدخلتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبينما أنا بين القبرِ والمِنبرِ إذا أنا برجلٍ حسن الهيئة خَاضِب ، ومعه رجلٌ في مِثْل حاله ، فحانت مني التفتاة ، فإذا هو يقوس حاجبيه ، ويفتح فاهُ ، ويلوي عنقه ، فتجوزتُ<sup>(١)</sup> في صلاتي ، ثم سلمت فقلت : أفي مسجد رسول الله تتسغنى ! فقال : ما أجْهَلَك ! أما في الجنة غناء ! قلت : بلى ! لعمرى ، فيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ وتلذُّ الأعين ! قال : أما نحن في روضةٍ من رياض الجنة ؟ قلت : نعم ! قال : واحرَبَاهُ ! أتردُّ على رسول الله قوله : « بين قبري ومِنبري روضةٌ من رياض الجنة » ! فنحن في تلك الروضة . قلت : قبح اللهُ شيخاً ما أسفه ! قال : بالقبرِ والمِنبرِ كما<sup>(٢)</sup> أنصتَ إليّ ! فتخوفتُ ألا أنصت . فاندفع يفتي بصوتٍ يخفيه :

وليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَواجِعِ إِيكَ ، ولكنْ خُلَّ عَيْنِيكَ تَدَمَعَا  
بَكَتْ عَيْنِي اليُسْرَى فلما زجرْتُها عن الجهلِ بعد الحلمِ أسبَلْتَا معا

فوالله إن قمتُ إلى الصلاة لِمَا دخل قلبي ! فلما رأى ما نزل بي ، قال : يا بن أم ؛ أرى نفسك قد استجابت وطأبت ، فهل لك في زيادة ؟ قلت : ويحك ! في مسجد

\* ذيل زهر الآداب : ٤٨

(١) تجوز في صلاته : خفف . (٢) لا : إلا .

رسول الله ! قال : أنا والله أعرفُ باللهُ ورسوله منك ! فدعنا من جهلك ،  
ثم تغنى :

فلو كان واشٍ باليمامةِ دَارُهُ ودَارِي بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا  
وماذا لهم - لا أحسنَ اللهَ حِفْظَهُمْ - من الشأنِ في تَصْرِيْمِ<sup>(١)</sup> كَيْلِي حَبِيبًا لِيَا  
فقال له صاحبهُ : يا بنَ أمِّ ، أحسنتَ واللهُ ، وعِتقَ ما أمْلِكُ لو كانَ أميرُ المؤمنين  
الرشيدَ حاضرًا نلخعُ عليك نيا به مشقوقةً طَرَبًا .

فعمت ، وهما لا يعلمان مَنْ أنا ؟ فدخلتُ على أمير المؤمنين فأعلمته الخبر ، فقال :  
أذركهُمَا لا يفوتاك !

فوجهتُ من جاء بهما . فلما دخلا عليه دخلا بوجوه قد ذهبَ ماؤُها ، وأنا  
قائمٌ على رأسه ؛ فقال : يا إبراهيم ؛ هذان ها ؟ قلت : نعم ! فنظر إلى المغنى منهما ،  
وقال : سِعَايَةُ<sup>(٢)</sup> في جوار رسول الله ! فسرَّي عن أمير المؤمنين بمضُ غَضَبِهِ ،  
وتبسَّم ، فقال : ما كنتُما فيه ؟ قالوا : في خير ! قال : فما الخير ؟ فسكتنا .

فقال للمغنى منهما : من أنت ؟ فابتدره جماعة فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إنه  
ابنُ جُرَيْجٍ<sup>(٣)</sup> فقيهُ مكة ! فقال : فقيه مكة يتغنى في مسجد رسول الله !

قال : يا أمير المؤمنين ؛ لم يصكن ذلك مني بالتقصُّد للغناء ، ولكني كنتُ  
أتممت هذا الخزومي - يعني صاحبه - صوتين ، فلم يزالا في قلبي حتى التقينا ،  
فأحببتُ أن يأخذها عنى فأخذها ، وحلف أنى أحسنتُ ، وأنه لو كان في الموضع  
أميرُ المؤمنين لخلع علىَّ - وسكت .

(١) صرمته ، وصارمته : فاطمته . (٢) سعاية : وشاية . (٣) ابن جريج : وهو عبد الملك  
ابن عبد العزيز بن جريج ، ويكنى أبا الوليد .



فقال الرشيد : تركت من الحديث شيئاً ؟ قال : ما تركت شيئاً يا أمير المؤمنين !  
قال : والله لتقولن . قال : يا أمير المؤمنين ؛ زعم أنك لو كنت في موضعه نخلعت  
على ثياباً مشقوقة طرباً !

فتبسم ، وقال : أمّا هذا فلا ، ولكن نخلعها عليك صحيحة ، فهي خير لك !  
ثم دعا بتياب فلبسها ونبذ إليه ثيابه ، وأمر له بعشرين ألف درهم ولصاحبه  
بعشرة آلاف درهم !

وقال : لا تعودن لهذا . فقال صاحبه : إلا أن يحجّ أمير المؤمنين ثانية .  
فضحك وقال : أليحّوه بصاحبه في الجائزة !

٣٢ - شِعْرُ رَقِيقٍ\*

قال إسحاق الموصلي: حضر مسامرة الرشيد عبثَ الغنى - وكان فصيحاً متأدياً،  
عَلِيَّ الشُّعْرِ، ذا صوتٍ حَسَنِ - فتذاكروا رِقَّةَ شِعْرِ المَدِينِيِّ، فأشُدَّ بعضُ  
جلسائه أبياتاً لابن الدُّمَيْنَةِ حيث يقول:

وأذْكَرُ أيامَ الحِمَى نَمَ أنذَنِي      على كبدِي من خَشْيَةِ أنْ تَصَدَّعا<sup>(١)</sup>  
وليسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرِواجِعِ      عليك، وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدَمَّعا  
بَكَتْ عينيَ المِني فلما زَجَرْتُها      عن الجَهْلِ بِمَدِّ الحِلْمِ أُسْبَلَّتْما مَعا

فأعجِبَ الرشيدَ بِرِقَّةِ الأبياتِ، فقال له عَبَثَرُ: يا أميرَ المؤمنين؛ إن هذا  
مدنيُّ رَقِيقٍ، قد غُدِّيَ بِماءِ العقيقِ، حتى رَقَّ وَصَفَا، فصارَ أَصْفَى مِنَ الهِواءِ؛  
ولَكِنْ إن شاءَ أميرُ المؤمنين أنشدته ما هو أرقُّ من هذا وأحلى، وأصلبُ وأقوى  
لرجلٍ من أهلِ البادية! قال: فإني أشاء. قال: وأترجمُ به يا أميرَ المؤمنين؟ قال:  
وذلك لك، ففنى الجُريرُ:

إنَّ الذينَ غَدَوْا بُلْبُكَ غَادَرُوا      وَشَلَّا<sup>(٢)</sup> بَعِينِكَ لا يَزَالُ مَعِيناً  
غَيَضُنَّ<sup>(٣)</sup> مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي:      ما ذا لَقِيتَ مِنَ المِوى وَأَقِينا  
قال: صدقتَ يا عَبَثَرُ، وخلصَ عليه وأجازَه.

\* العقد الفريد: ٤ - ١٠٩

(١) أصله تصدعا. (٢) الوشل: القليل من الدمع والكثير منه. (٣) غيظن من عبرتهن: سيلن دموعهن حتى ترفقها، ومن هنا للتبعيض أو زائدة.

## ٣٣ - صَوْتُ بَدْرَهَمِينَ\*

قَدِمَ إِسْمَاعِيلُ<sup>(١)</sup> بِنَ الْهَرَبِيذِ عَلَى الرَّشِيدِ مِنْ مَكَّةَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ ابْنُ جَامِعٍ  
وَأِبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ إِسْحَاقَ وَفُلَيْحَ وَغَيْرُهُمْ ، وَالرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ خَائِرٌ<sup>(٢)</sup> ، فَغَنَى ابْنُ جَامِعٍ  
ثُمَّ فُلَيْحٌ ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ إِسْحَاقُ ، فَمَا حَرَكَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا أَطْرَبَهُ ؛ فَانْدَفَعَ ابْنَ  
الْهَرَبِيذِ يُغَنِّي ، فَعَجِبُوا مِنْ إِقْدَامِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَغَنَى :

يَا رَاكِبَ الْعَيْسِ<sup>(٣)</sup> الَّتِي وَفَدَتْ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ -  
قُلْ لِلْإِمَامِ ابْنِ الْإِمَامِ أَخِي الْإِمَامِ أَبِي الْإِمَامِ  
زَيْنِ الْبَرِيَّةِ إِذْ بَدَأَ فِيهِمْ كَصَبَاحِ الظُّلَامِ -  
جَمَلُ الْإِلَهِ الْهَرَبِيذِيُّ فِدَاكَ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ -

فَكَادَ الرَّشِيدُ يَرْقُصُ ، وَاسْتَخَفَّهُ الطَّرْبُ حَتَّى ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ  
بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ لِهَذَا الصَّوْتِ حَدِيثًا ؛ فَإِنْ أَدْرَكَ  
مَوْلَايَ حَدِيثَهُ بِهِ ؛ فَقَالَ : حَدَّثَ .

قَالَتْ : كُنْتُ مَمْلُوكًا لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الزَّبِيرِ ؛ فَدَفَعْتُ إِلَى دَرَاهِمِينَ أَبْتَاعَ بِهِمَا لِحْمًا ،  
فَرُحْتُ فَلَقِيْتُ جَارِيَةً عَلَى رَأْسِهَا جِرَّةٌ مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَاءِ الْعَقِيقِ ، وَهِيَ تُغَنِّي هَذَا  
اللَّحْنَ فِي شَعْرِ غَيْرِ هَذَا الشَّعْرِ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ ، فَسَأَلْتُهَا أَنْ تَعَلِّمَنِيهِ ؛ فَقَالَتْ :

\* الْأَغَانِي : ٧ - ١٠٤

(١) إِسْمَاعِيلُ بْنُ هَرَبِذٍ : مَوْلَى آلِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ ، أَحَدِ آخِرِ أَيَّامِ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَغَنَى لِلْوَلِيدِ بْنِ  
يَزِيدَ ، وَعَمَرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ . (٢) خَيْرٌ نَفْسُهُ : غَنَتْ وَتَمَلَّتْ وَاخْتَلَطَتْ .  
(٣) الْعَيْسُ : الْإِبِلُ .



لا وحقَّ القبر إلا بدرهمين ؛ فدفعت إليها الدرهمين وعلمتنيه، فرجعتُ إلى مولاي  
بغير لحم ، فضربني ضرباً مبرِّحاً شَغِلْتُ معه بنفسى فأنسيتُ الصوت .

ثم دفع إلى درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بهما لحمًا، فلقينى الجارية فسألتهَا  
أَنْ تَعِيدَ عَلَيَّ الصوت ؛ فقالت : لا والله إلا بدرهمين، فدفعتهَا إليها، وأعادته على  
مراراً حتى أخذته .

فلما رجعتُ إلى مولاي أيضاً ولالْحَمَّ معى، قال : ما القِصَّةُ فى هذين الدرهمين؟  
فصدَّقته القصة ، وأعدتُ عليه الصوت ، فقَبَّلَ بين عينيَّ وأعتقنى ؛ فرحلتُ إليك  
بهذا الصوت ، وقد جعلت ذلك اللحنَ فى هذا الشعر ، فقال : دَعِ الأول وتناَسَه،  
وأقم على الغناء بهذا اللحن فى هذا الشعر ، فأما مولايك فسأدفعُ إليه بَدَل كل درهم  
ألفَ دينار ، ثم أمر له بذلك فحِمِلَ إليه .

٣٤ - أم جعفر تنوح على الرشيد\*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

سمعتُ نائحةً تنوحُ بهذا الشعر<sup>(١)</sup> :

قد لعمري بتُّ ليلي كأخي الداء الوجيع  
ونجيتُ الممَّ مني بات أدنى من ضلوعي  
كلما أبصرتُ ربعا دارسا<sup>(٢)</sup> فاضت دموعي  
مُقفرًا من سيدِّنا لنا غيرَ مُضيع

فلما سمعتهُ منها استحسنته واشتهيته ، ولحجتُ به ، فكنتُ أترنمُ به كثيراً ،  
فسمع ذلك مني أبي ، فقال : ما تصنعُ بهذا ؟ قلت : شعرتُ قاله الأحوص وصنعه  
معبداً لسلامة ، وناحت به سلامة على يزيد .

ثم ضرب الدهر<sup>(٣)</sup> ؛ فلما مات الرشيدُ إذا رسول أم جعفر قد وافاني فأمرني  
بالحضور . فسرتُ إليها ؛ فبعثتُ إليّ : إني قد جمعتُ بنات الخلفاء وبناتِ هاشم  
لتنوحَ على الرشيد في ليلتنا هذه ؛ فقل الساعةَ أحياناً رقيقةً ، وأصنعهن صنعةً حسنةً  
حتى أنوحَ بهن .

\* الأغانى : ٨ - ٣٤٨

(١) الشعر للأحوص والنوح لمعبد ، وكان صنعه لسلامة ، وناحت به سلامة على يزيد بن  
عبد الملك . (٢) الدارس : العاق الذي أحمى . (٣) ضرب الدهر بيننا : فرقنا .

فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضرنى ، وجملتُ ترسل إلىَّ تحنُّنى ،  
فذكرتُ هذا النوح ، فأريتُ أنى أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضرنى القول ، وقد  
صنعتُ فيه ما أمرت ، فبعثتُ إلىَّ بكَنِيْزَةَ ، وقالت : طارِحها حتى تُطَارِحِنِيه ،  
فأخذتُ كَنِيْزَةَ العودَ ورددتهُ عليها حتى أخذته ، ثم دخلتُ فطارحته أم جعفر ،  
فبعثتُ إلىَّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

---



٣٥ - أما إليك سبيل غير مسدود\*

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : لما أفضت الخلافة إلى المأمون أقام عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الغناء ؛ ثم كان أول من تغنى بحضرة أبو عيسى ، ثم واظب على السماع ، وسأل عني ، فخرّجني عنده بعض من حسدني ؛ فقال : ذلك رجل يتيه على الخلافة ؛ فقال المأمون : ما أبقى هذا من التيه شيئاً ، وأمسك عن ذكرى .

وجفاني كل من كان يصلي لما ظهر من سوء رأيه ؛ فأضرب ذلك بي حتى جاءني يوماً علوي ، فقال لي : أتأذن لي اليوم في ذكرك ، فإني اليوم عنده ؟ قلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر ؛ فإنه سيبعثه على أن يسألك : من أين هذا ؟ فيفتح لك ما تريد ، ويكون الجواب أسهل عليك من الابتداء ؛ فضى علوي ، فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذي أمرته به ، وهو :

بامشروع الماء قد سدّت مسالكه      أما إليك سبيل غير مسدود !

لحائم حار حتى لا حياة به      مشرد عن طريق الماء مطرود

فلما سمعه المأمون : قال : وبلك ! لمن هذا ؟ قال : ياسيدي ، لعبد من عبيدك ، جفوته وأطرخته ، قال : إسحاق ؟ قال : نعم ؛ قال : ليحضر الساعة .

قال إسحاق : فجاءني الرسولُ ، فسرتُ إليه ، فلما دخلتُ قال : اذنُ ، فدنوتُ  
فرفع يديه وقد مدَّهما ، فانسكأتُ عليه ؛ فاحتضنني بيديه ؛ وأظهر من إكرامِي وبرِّي  
مالو أظهره صديقٌ لي مواسٍ لسرِّي .

٣٦ - عند مُخَارِقِ \*

قال بعضُ الرُّوَاةِ : كنتُ عند مُخَارِقِ<sup>(١)</sup> أنا وهارون بن أحمد بن هشام ،  
فلقب مع هارون بالزُّرِّدِ ، فقَمَرَهُ<sup>(٢)</sup> مُخَارِقُ ، ومرَّ بهارون فصِيلَ<sup>(٣)</sup> ينادي عليه ،  
فاشتراه بأربعة دنانير ، ووجَّه به إلى مخارق ، وقال : أطعمنا من هذا الفصيل .  
فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جزُورِيَّةً ، وعمل من سنَّامه وكبدته طعاماً سُورِي  
في التَّنُورِ ، وعمل من لحمه لوناً يُشبه الكهريسة بشعير مُقَشَّرٍ في نهاية الطيب ، فأكلنا  
وجلسنا نشرب ؛ فإذا نحن بامرأة تصيحُ من الشَّطِّ : يا أبا المهنأ ، الله ، الله في !  
حلَّف زوجي بالطلاق أن يسمع غناءك ويشربَ عليه ، فقال : اذهبي وجيئي به ،  
فجاء فجلس ، فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال له : يا سيدي ؛ كنتُ  
سمعتُ صوتاً من صنمك فطربتُ عليه حتى استخفني الطَّربُ ، فخلفتُ أن أسمع  
منك ثقةً بإجابتك رغبةً زوجتي ؛ فقال : وما هذا الصوت ؟ فقال :

\* الأغانى : ٢١ - ١٥١

(١) هو أبو المهنأ بن يحيى ، مشهوه بالمدينة ، وكان أبوه جزاراً ، فسكان وهو صبي ينادى على  
ما يبيعه أبوه ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم اشتهر أمره وغنى الرشيد  
والأمين والمأمون والمعتصم والواثق ، توفي أيام المتوكل . (٢) غلبه .  
(٣) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

بكرت عليك فهبجت وجدا هوج<sup>(١)</sup> الريح وأذكرت نجدًا

أتحن من شوقي إذا ذكرت نجدًا وأنت تركتها عمدا !

فغناه إياه ، وسقاه رطلًا ، وأمره بالانصراف ، ونهاه أن يعاود ؛ فخرج .

قال الراوى : فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ : الله ، الله فى يا أبا المهنا ! قد

أعاد زوجى المشثوم اليمين ؛ أن تغنيه صوتًا آخر ؛ فقال لها : أحضره ، فأحضرته

أيضًا ، فقال له : وبلك ! مالى ولك ؟ ما قصتكَ ؟ فقال له : يا سيدى ؛ أنا رجل

طروب ، وكنت قد سمعتُ صوتًا لك آخر فاستفزنى الطرب إلى أن حلفت بالطلاق

ثلاثًا أنى أئتممه منك ، قال : وما هو ؟ قال : لحنك :

أبلغ سلامة أن البين قد أفدا<sup>(٢)</sup> وأن صحبتك عنها راحون غدا

هذا الفراق يقينًا إن صبرت له أولًا فإنك منها ميتة كمدا

لاشك أن الذى بي سوف يهلكنى إن كان أهلك حبُّ قبله أحدا

فغناه إياه مخارق ، وسقاه رطلًا وقال له : احذر ، وبلك أن تعاود .

قال الراوى : ولم تلبث أن عاودت الصياح تصرخ : يا سيدى ! قد عاود

اليمين ، الله الله فى وفى أولادى ! قال : هاتيه ، فأحضرته ، فقال لها : انصرفى

أنت ؛ فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد ، فدعيه يقيم يومه كله ، فتركته وانصرفت ،

فقال له مخارق : ما قصتكَ أيضًا ؟ قال : قد عرفتك يا سيدى أنتى رجل طروب ،

وكنت سمعت صوتًا من صنعتك فاستخفى الطرب له ، فحلفت أنى أسمعك منك ،

قال : وما هو ؟ قال :

ألف الظبى بمادى ونفى الهم رقادى

(١) هوج الريح : شديد الريح . (٢) أفدا : دنا ، وأزف .



وَعَدَا الْمَجْرُ عَلَى الْوَضَلِ بِأَسْيَافِ حِدَادِ  
قَل لِمَنْ زَيْنٌ وَوَدَى : لَسْتَ أَهْلًا لُوْدَادِ

فَنَاهُ إِبَاهُ وَسَقَاهُ رَطْلًا ، ثُمَّ أَمْرَهُ فَبَطِحَ ، وَأَمْرَهُ بِضَرْبِهِ خَمْسِينَ مِقْرَعَةً<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ  
يَسْتَفِيثُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اخْلِفْ أُنْكَ لَا تَذَكُرْنِي أَبَدًا ، وَإِلَّا كَانَ هَذَا دَأْبُكَ إِلَى  
اللَّيْلِ ، فَخَلَفَ عَلَى مَا أَمْرَهُ ، ثُمَّ أَقِيمَ فَأَخْرَجَ عَنِ الدَّارِ ، فَجَعَلْنَا نَضْحَكَ بَقِيَّةَ  
يَوْمِنَا مِنْ مُحْتَمِهِ .

---

(١) أصل المقرة ما تفرع به الدابة .

٣٧ — مخارق يغنى لأبي العتاهية في شعره\*

حدث مخارق ، قال : جاءني أبو العتاهية ، قال : قد عزمتُ على أن أتزوّد  
منك يوماً تهيبهُ لي فمتى تنشط؟ قلت : متى شدّت وإن طلبني الخليفة ، فقال :  
يكون ذلك في غد؟ قلت : أفعل .

فلما كان من غد باكرني رسوله فحجته ، فأدخلني بيتاً له فيه فرشٌ نظيف ، ثم  
دعا بمائدة عليها خبزٌ سميد<sup>(١)</sup> وخلّ وبقل وملح وجدى مشوي ، فأصبنا منه حتى  
اكتفينا ، ثم دعا بمخلوآء فأصبنا منها ، وغسلنا أيدينا ، وجاءونا بقاكة ورمان  
وألوان من الأنبيذة ، قال : اختر ما يصلح لك منها ، فاخترت وشربت ؛ قدحاً ثم  
قال : غنني في قولي :

أحمدُ قال لي ولم يدُر ما بي      أحبّ الغداة عتبهَ حقاً  
فغنيتهُ ، فشرِب قدحاً وهو يبكي أحرَّ بكاء ، ثم قال : غنني في قولي :  
ليس لمن ليست له حيلةٌ      موجودةٌ خيرٌ من الصبرِ  
فغنيتهُ وهو يبكي وينشج<sup>(٢)</sup> ، ثم شرب قدحاً آخر ، ثم قال : غنني فديتك  
في قولي :

خليلى ما لي لا تزالُ مضرّتى      تكون مع الأقدار حتماً من الحِم  
فغنيتهُ إياه ، وما زال يقترح على كلِّ صوت غنى به في شعره فأغنيه ويشرب  
ويبكي حتى العتمة<sup>(٣)</sup> ، فقال : أحبُّ أن نصبر حتى ترى ما أصنع . فجلست ، فأمر

\* الأغانى : ٤ - ١٠٧

(١) السميد : الدقيق الأبيض . (٢) نشج الباكى : غم بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

(٣) العتمة : وقت صلاة العشاء .

ابنه وغلّامه فكسّر كلّ ما بأيدينا من النبيذ وآلته والملاهي ، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النبيذ وآلته ، فأخرج جميعه ، فزال يكسّره ويصبّ النبيذ ، وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيء ، ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبس ثياباً بيضاً من صوف ، ثم عاتقني وبكى ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي سلام الفراق الذي لا لقاء بعده ، وجعل يبكي وقال : هذا آخر عهدِي بك . فظننتُ أنها بعضُ حَمَاقته .

فانصرفتُ وما لقيته زماناً ، ثم تشوّقتُ إليه فأتيته ، فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت فإذا هو قد أخذ قوصرتين<sup>(١)</sup> ، وثقّب إحداها ، وأدخل رأسه ويديه فيها ، وأقامها مقام القميص ، وثقّب أخرى ، وأخرج رجله منها ، وأقامها مقام السراويل .

فلما رأيتُه نسيتُ كلّ ما كان عندي من الغمّ عليه والوَخْشَةَ لعشرته ، وضحكت والله ضحكا ما ضحكت مثله قط . فقال : من أيّ شيء تضحك ؟ فقلت : أسخّن<sup>(٢)</sup> الله عينك ! هذا أيّ شيء هو ؟ من بلّغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصّحابة والمجانين ! انزع عنك هذا ياسخين العين ! فسكّانه استحيّاً مني .

ثم بلغني أنه جلس حجّاماً ، فجهدتُ أن أراه بتلك الحال ، فلم أراه ، ثم مرض فبلغني أنه اشتهى أن أُغنيّه ، فأتيته عائداً ؛ فخرج إلى رسوله يقول : إن دخلت إلى جددت لي حزناً ، وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله ، وأعتذرُ إليك من عدم اللقاء ، ثم كان آخر عهدِي به .

(١) القوصرة: وعاء من قصب يوضع فيه التمر . (٢) أسخّن الله عينه : أبكاه وأحزنه .



٣٨ — المُنُونُ عند الواثق \*

تناظر المُنُونُ يوماً عند الواثق ، فذكروا الصُّرَابَ وحِذْقَهُمْ ؛ قدَّمَ إِسْحَاقُ زَلْزَلًا<sup>(١)</sup> على ملاحظ ، ولملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم ، فقال له الواثق : هذا حَيْفٌ وتَعَدَّى مِنْكَ ؛ فقال إِسْحَاقُ : يا أمير المؤمنين ؛ اجمع بينهما وامتنحنهما ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ سَيُنْكَشِفُ لَكَ فِيهِمَا ، فأمر بهما فأحضرا ؛ فقال له إِسْحَاقُ : إنَّ للصُّرَابَ أصواتاً معروفة ، أفامتنحنهما بشيء منها ؟ قال : أجل ، أفعل ، فسَمَى ثلاثة أصوات كان أولها :

عَلَّقَ قَلْبِي ظَبِيَّةَ السَّيْبِ <sup>(٢)</sup>	جهلاً فقد أغرى بتعذبي
نَمَّتْ عَلَيْهَا حِينَ مَرَّتْ بِنَا	مَجَاسِدُ <sup>(٣)</sup> يَنْفَحْنَ بِالطَّيِّبِ
تَصُدُّ عَنَّا عَجُوزَ لَهَا	مُنْكَرَةً <sup>(٤)</sup> ذَاتُ أَعَاجِبِ
فَكَلَّمَا هَمَّتْ <sup>(٥)</sup> يَاتِيَانَهَا	قَالَتْ : تَوَقَّ عِدْوَةَ الذِّبِّ <sup>(٦)</sup>

فَضَرَبَا عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ زَلْزَلٌ وَقَصَّرَ عَنْهُ مَلَا حِظٌ ، فَمَجِبَ الْوَاقِثُ مِنْ كَشْفِهِ عَمَّا ادَّعَاهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ . فقال له ملاحظ : فما بأله يا أمير المؤمنين يُحْيِيكَ عَلَى النَّاسِ ! ولم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لم يكن أحد في زمانى أضرب منى

\* الأغانى : ٥ - ٢٨٠

(١) كان زلزل من سواد أهل الكوفة ، وقفه لإبراهيم الموصلي على الفناء العربى ، وأراه وجوه النعم وثقفه ، ثم أصبح بعد ذلك من حذاق الضراب . (٢) السيب : كورة من سواد الكوفة . (٣) المجاسد : القمصان التى صبغت بالزعفران . (٤) منكرة : مبنضة مكروهة (٥) همت : وهم بالنعى ؛ أرادته ونواه . (٦) الذيب : الذئب .

إلا أنكم أعفيتموني ؛ فتفتت مني ، على أن معي بقية لا يتعلق بها أحدٌ من هذه الطبقة .

ثم قال : يلاحظ ؛ شوّشٌ عودك وهاتيه ، ففعل ذلك ملاحظ : فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا يخلط الأوتار تخليط متمتت ، فهو لا يالو إفسادها ، ثم أخذ العود فبجسه ساعة حتى عرف مواقمه ، ثم قال : يلاحظ ؛ غنّ أي صوتي ، فغنى ملاحظ صوتا ، وضرب إسحاق بذلك العود الفاسد التسوية ، فلم يخرجّه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن قرّة واحدة ، ويده تصعد وتنحدر على الدساتين<sup>(١)</sup> ، فقال له الوراق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعتُ به ! اطرح هذا على الجوّاري .

قال : هيهات يا أمير المؤمنين ! هذا لا تعرفه الجوّاري ولا يصلحُ لهنّ ، إنما بلغني أن الفهليذ ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن ، فحسده رجلٌ من حدّاق أهل صنّعتّه ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عود فشوش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصلحُ في مجالسها العيّدان ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن قرّغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : « زه زه<sup>(٢)</sup> وزهان زه » ، ووصله بالصلة التي كان يصل بها منّ خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلما تواطأت الرواية بهذا أخذت نفسي ورُضتُها عليه ، وقلتُ : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ، فازلتُ أستنبطه بضع

(٢) كلمة فارسية معناها

(١) الدساتين : ما عليه أطراف أو تار العود من مقدمه .

أحسنت أحسنت .

عشرة سنة حتى لم يَبْقَ في الأرض موضعٌ على طبقةٍ من الطبقاتِ إلا وأنا أعرف  
نعمته كيف هي ، والمواقع التي يخرج النعم كلها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ،  
وكل شيء منها يُجاس شيئاً غيره كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين ، وهذا شيء  
لا تقي<sup>(١)</sup> به الجوارى . قال له الواثق : صدقت ، ولئن مُتَّ لتموتنَّ هذه الصناعة  
معك ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .



٣٩ - في دارِ الواثق \*

حدث ابن بُسْخَرٍ ، قال : كانت لي نوبة في خِدْمَةِ الواثق في كلِّ جُمعة إذا حضرتُ ركبْتُ إلى الدار ؛ فإن نَشِطُ أَقْتُ عنده ، وإن لم يَنْشِطْ انصرفتُ ، وكان رِثْمَنَا أَلَّا يَحْضُرَ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا في يومِ نوبَتِهِ .

فأتى لني منزلي في غير يومِ نوبَتِي إذا رُسِلَ الخليفةُ قد هجموا على ، وقالوا لي : احضر ! قلت : أَلِخَيْرِ؟ قالوا : خير ، قلت : إن هذا يومٌ لم يَحْضُرْنا فيه أمير المؤمنين قط ، ولعلكم غَلِطْتُمْ . فقالوا : الله المستعان ! لا تطوّلْ وبادِرْ ، فقد أمرنا أَلَّا نَدْعَكَ تستقرُّ على الأرض . فداخلى فزعٌ شديد ، وخفتُ أن يكونَ سابعَ قد سعى بي أو بليَّةٍ قد حدتتُ في رأيي الخليفة على .

فركبتُ حتى وافيتُ الدار ؛ فذهبتُ لأدخلَ مِنْ حَيْثُ كُنتُ أُدْخِلُ فَمُنِعْتُ ، وأخذ بيدي الخدمُ فأدخلوني واعدلوا بي إلى ممراتٍ لا أعرفها ، فزاد ذلك في جَزَعِي ونَمِي ، ثم لم يزل الخدمُ يُسلمونني من خدمٍ إلى خدمٍ ، حتى أفضيتُ إلى دار مَفروشة الصَّحْنِ ، ملبسة الحيطانِ بالوشى المنسوج بالذهب ، ثم أفضيتُ إلى رواقِ أرضه وحيطانه ملبسةٌ بمثل ذلك ، وإذا الواثقُ في صدره على سريرٍ مُرصع بالجواهر ، وعليه ثيابٌ منسوجةٌ بالذهب وإلى جانبه فريدة<sup>(١)</sup> ، جاريته ، عليها مثلُ ثيابه ، وفي حجرها عُود . فلما رأني قال : إيلينا إيلينا ! فقبلتُ الأرضَ ثم قلت :

\* الأغاني : ٤ - ١١٥

(١) فريدة : كانت جارية مغنية محبسة ، أهداها عمرو بن بانه إلى الواثق ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الفناء ، حادة الفطنة والفهم .

يا أمير المؤمنين ؛ خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! أنا طلبتُ والله ثالثاً يؤنسنا فلم أر  
أحقَّ بذلك منك ، فبِحَيَاتِي بَادِرُ فَكُلُّ شَيْئاً وَبَادِرُ إِلَيْنَا . فقلتُ : قد والله  
يا سيدي أكلتُ وشربتُ أيضاً ، قال : فاجلسْ ، فجلست . قال : هاتوا لمحمد  
رِطْلًا فِي قَدَحٍ ، فأحضر ذلك ، واندفعت فريدةً تُعْنَى :

أهأبكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ      على ولكنْ ملء عينِ حبيبها  
وما هجرتكِ النفسُ يالئيلُ أنها      قلتكِ<sup>(١)</sup> ولا أن قلَّ منك نصيبها

فجاءت والله بالسَّحَرِ ، وجعلت تُعْنَى الصوت بعد الصوت ، وأعْنَى أنا في خلال  
غنائها ؛ فررنا أحسنُ ما مرَّ لأحدٍ .

فإننا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربةً تدخرجت منها  
من أعلى السرير إلى الأرض وتفتت عودها ، ومرت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا  
كالمنزوع الروح ، فأطرق ساعة إلى الأرض متحيراً ، وأطرقت أتوقع ضرب العنق .  
فإنني لكذلك إذ قال لي : يا محمد ؛ فوثبت . فقال : ويحك ! أرايت أغرب  
مما تهياً لنا ؟ قلت : يا سيدي ؛ الساعة والله يخرجُ روحى . فلي من أصابنا بالعين  
لعنة الله ! فما كان السبب ! الذنب ؟ قال : لا والله ولكن فكرتُ أن جعفرًا  
يقعد هذا المقعد ، ويقعد معها كما هي قاعدةٌ معي ، فلم أطق الصبر ، وخامرني ما أخرجني  
إلى ما رأيت . فسرَّي عني وقلت : بل يقتلُ الله جعفرًا ويحيي أمير المؤمنين أبداً ،  
وقبَّلت الأرض وقلت : يا سيدي ؛ الله الله ! ارحمها ومرُّ بردها . فقال لبعض الخدم  
الوقوف : من يحيى بها ! فلم يكن بأسرع من أن خرجت في يدها عودها ، وعليها  
غير الثياب التي كانت عايتها . فلما رآها لا طفنها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعت  
أنا في البكاء ، فقالت : ما ذنبي يا مولاي وسيدي ؟ وبأى شيء استوجبت هذا ؟

(١) قلتك : أبغضتك وكرهتك .



فأعاد عليها ما قاله وهو يبكي وهي تبكي ! فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنق الساعة وأرحتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهم بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسح أعينهما ، ورجعت إلى مكانها .

وأوما إلى خدام وقوف بشيء لا أعرفه ، فضوا وأحضروا أكياسا فيها عين وورق<sup>(١)</sup> ورزما فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادم بدرج ففتحه وأخرج منه عقدا مارأيت قط مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إياه ، وأحضرت بدرة فيها عشرة آلاف درهم ، فجعلت بين يدي ، وخمسة تحوت فيها ثياب ، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن مما كنا فيه ، فلم نزل كذلك إلى الليل .

ثم تفرقنا وضرب الدهر ضربته<sup>(٢)</sup> ، وتقلد المتوكل ، فوالله إني لفي منزلي بعد يوم نوبتي إذ هم على رسل الخليفة ، فما أمهلوني حتى ركبت وصرت إلى الدار ، فأدخلت والله الحجره بعينها ، وإذا للمتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة ، فلما رأيته قال : ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غدوة أطلبها بأن تعينني فتأبى ذلك ! قلت لها : سبحان الله ! أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر ! بحيانه غني ، فعزفت ، والله ثم اندفعت نفسي :

مقيم بالجزاة<sup>(٣)</sup> من فنون<sup>(٤)</sup> وأهلك بالأجيفر فالتماد<sup>(٥)</sup>

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي

(١) العين : الذهب المضروب ، والورق : الدراهم المضروبة من الفضة . (٢) يقال : ضرب الدهر من ضربه ، أي مر من مروره وذهب بوجهه . (٣) الجزاة : منزل من منازل طريق مكة . (٤) فنونا : واد من أودية السراة يصب إلى البحر . (٥) الأجيفر والتماد : موضعان .



ثم رَمَتْ بِالْعُودِ الْأَرْضَ، وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنِ السَّرِيرِ، وَمَرَّتْ تَعْدُو وَتَصِيحُ:  
وَاسَيْدَاهُ؟

فَقَالَ لِي: وَيْحَكَ! مَا هَذَا؟ فَقُلْتُ: لَا أُدْرِي وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي. فَقَالَ: فَمَا تَرَى؟  
قُلْتُ: أَرَى أَنَّ أَنْصَرَفَ أَنَا وَتَحْضُرُ هَذِهِ وَمَعَهَا غَيْرُهَا، فَإِنَّ الْأَمْرَ يُوَوَّلُ إِلَى  
مَا يَرِيدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَانصَرَفَ فِي حِفْظِ اللَّهِ، فَانصَرَفْتُ، وَلَمْ أُدْرِ مَا كَانَتْ  
الْقِصَّةُ!

٤٠ - محبوبة جارية المتوكل \*

قال علي بن الجهم : كانت محبوبةً أُهديتُ إلى المتوكل ، أهداها إليه عبدُ الله ابن طاهر في جملةِ أربعمئة جارية ، وكانت بارعةَ الحسن والظرف والأدب ، مغبيةً محسنةً ، فحظيت عند المتوكل حتى إنه كان يُجلسها خلفَ ستارةٍ وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيُدخلُ رأسه إليها ويحدثها ويراها في كل ساعة ؛ فغاضبها يوماً ، وهجرها ، ومنع جواربه جميعاً من كدّلامها ، ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعه العزة منها ، وامتنعت من ابتدائه إداً لا عليه بمحلها منه !

قال ابنُ الجهم : فبكرتُ إليه يوماً فقال لي : يا علي ؛ إني رأيتُ البارحة محبوبةً في نومي كأني قد صالحتها ، فقلت : أقر الله عينيك يا أمير المؤمنين ، وأناملك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكونَ هذا الصالحُ في اليقظة . فبينما هو يحدثني وأجيبه إذا بوصيفةٍ قد جاءتَه فأسرتُ إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرتَ هذه إليّ ؟ قلت : لا . قال : حدثتني أنها اجتازت محبوبة الساعة ، وهي في حجرتها تُفني ! أفلا تعجب إلى هذا ! إني مغاضبها وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصالح ، ثم لا ترضى حتى تُفني في حجرتها اقم بنا يا علي حتى نسمع ما تفني ، ثم قام ، وتبعته حتى انتهت إلى حجرتها ، فإذا هي تفني وتقول :

أدور في القصر لا أرى أحداً      أشكو إليه ولا يكلمني  
حتى كأني ركبتُ معصيةً      ليست لها توبةٌ تخلصني

\* نهاية الأرب : ٥ : ١٠٩

فهل لنا شافعٌ إلى مالكٍ      قد زارني في الكرى<sup>(١)</sup> فصالحني  
حتى إذا ما الصُّباحُ لاحَ لنا      عاد إلى هجره فصارمَني<sup>(٢)</sup>  
فطرب المتوكلُ ، وأحستُ بمكانه ، نخرجتُ إليه ، وتنحيتُ ، فحدثته أنها  
رأته في منامها ، وقد صالحها فانتبهت ، وقالت هذه الأبيات ، وغنت فيها ؛ فحدثها  
هو أيضا برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى بجائزة وخلعة .  
ولما قُتِلَ تسلَّى عنه جميعُ جواربه غيرها ، فإنها لم تزل حزينَةً ، هاجرة لكل  
لذة حتى ماتت .

---

(١) الكرى : النوم .  
(٢) الصرم : القطع والهجر .



٤١ - قَيْنَةُ تُحْنُ إِلَى بَغْدَادِ\*

قال أبو علي بن الأسكر المصري ، كنتُ من جُلّاسِ تميمِ بنِ أبي ميمٍ وميمَنُ  
يُحْنِفُ عليه ، فَأَتَيْتِ منِ بَغْدَادَ بِجَارِيَةٍ رَائِعَةٍ فَاتَّقَتِ الْغِنَاءَ ، فَدَعَا جُلّاسَهُ وَمُدَّتِ السُّتَارَةَ  
وَأَمْرَهَا فَفَنَّتْ :

وَبَدَأَ مِنْ بَعْدِ مَا نَدَمَلَ الْهَوَى

بَرَاقٍ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ

يَبْدُو كَعَاشِيَةِ الرَّدَاءِ وَدُونِهِ

صَعْبُ الدُّرِّاءِ مَتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ

وَبَدَأَ لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحٍ فَلَمْ يُطِيقْ

نَظْرًا إِلَيْهِ وَصَدَّهُ أَشْجَانُهُ

فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ

وَاللَّامُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ

فَأَحْسَنْتُ مَا شَاءَتْ ، وَطَرِبَ تَمِيمٌ وَمَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ غَنَّتْ :

سُتُسَلِّيكَ عِمَافَاتِ دَوْلَةِ مُفْضِلِ

أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ

نَفَى اللَّهِ عِظْفِيهِ وَأَلَّفَ شَخْصَهُ

عَلَى الْبِرِّ مَذْشُدَّتْ عَلَيْهِ مَآزِرُهُ

فَطَرِبَ تَمِيمٌ وَمَنْ حَضَرَ طَرِبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ غَنَّتْ :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَرَأُ بِالْكَرْنِخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ

فَأَفْرَطَ تَمِيمٌ فِي الطَّرِبِ جَدًّا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَمَنَّى مَا شِئْتَ فَلَكَ مِنْكَ ، قَالَتْ :

أَتَمَنَّى عَافِيَةَ الْأَمِيرِ وَسَعَادَتَهُ ، قَالَ : لَا بَدَّ وَاللَّهِ ! قَالَتْ : حَلَى الْوَفَاءِ أَتَمَنَّى أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟

قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : أَتَمَنَّى أَنْ أُغْنَى هَذِهِ النَّوْبَةَ بِبَغْدَادِ . . . فَتَغْيَرُ وَجْهُ تَمِيمٍ ،

وتكدر المجلس ، وقمنا ؛ فلحقني بعضُ خدمه فردّني ، فلما وقفتُ بين يديه قال لي :  
وَيْحَكَ ! أَرَأَيْتَ مَا امْتَحِنَا بِهِ ؟ وَلَا بُدَّ مِنَ الْوَفَاءِ ، وَمَا أَثِقَ فِي هَذَا بِغَيْرِكَ ، فَتَاهَبْ  
لِتَحْمِلَهَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَإِذَا غَنَّتْ هُنَاكَ فَاصْرِفْهَا . فقلت : سَمَاءًا وَطَاعَةً .

فَأَصْحَبَهَا جَارِيَةً سُودَاءَ تَخْدُمُهَا وَتُعَادِلُهَا<sup>(١)</sup> ، وَأَمَرَ لِي بِنَاقَةٍ وَبِحِمْلٍ عَلَيْهِ هَوْدَجٌ ،  
فَأَدْخَلْتُ فِيهِ ، وَسَرْنَا مَعَ الْقَافِلَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَضِينَا حِجَّتَنَا ، ثُمَّ لَمَّا وَرَدْنَا الْقَادِسِيَّةَ ،  
أَتَنَّنِي السُّودَاءُ فَقَالَتْ لِي : تَقُولُ لَكَ سَيِّدَتِي : أَيْنَ نَحْنُ ؟ قُلْتَ : نَحْنُ نَزُولٌ  
بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَأَخْبَرْتَهَا ، فَسَمِعَتْ صَوْتَهَا قَدْ ارْتَفَعَ بِالْغَنَاءِ :

لَمَّا نَزَلْنَا الْقَادِسِيَّةَ حَيْثُ يُجْتَمِعُ الرِّفَاقُ  
وَسَمِعْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَابِ زَنْسِيمَ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ  
أَيَقُنْتُ لِي وَلِيْنَ أَحِبُّ بِجَمْعِ شَمْلٍ وَاتِّفَاقِ  
وَضَحَكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَاءِ . كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ  
فَصَاحَ مِنْ أَطْرَافِ الْقَافِلَةِ : أَعْيَدِي ، أَعْيَدِي ؛ فَاسْمِعْ لَهَا كَلِمَةً .

فَلَمَّا نَزَلْنَا الْيَاسِرِيَّةَ - عَلَى خَمْسَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بَغْدَادِ فِي بَسَاتِينَ مُتَّصِلَةٍ بَبَيْتِ النَّاسِ  
بِهَا ثُمَّ يَبْكُرُونَ لِبَغْدَادِ - بَقْنَا هُنَاكَ ، وَلَمَّا قَرُبَ الصَّبَاحُ إِذَا بِالسُّودَاءِ قَدْ أَتَنَّنِي  
مَذْعُورَةً ، فَقَالَتْ : إِنْ سَيِّدَتِي لَيْسَتْ بِحَاضِرَةٍ ، وَوَاللَّهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هِيَ ؟ فَطَلَبْتُهَا  
فَلَمْ أَجِدْهَا ، وَلَا وَجَدْتُهَا بِبَغْدَادِ خَبْرًا ، فَقَضَيْتُ حَوَائِجِي بِبَغْدَادِ ، وَانصَرَفْتُ  
إِلَى تَمِيمٍ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرَهَا ، فَلَمْ يَزَلْ وَاجِمًا<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا !

(١) وَتُعَادِلُهَا : تَرْكَبُ مَعَهَا . (٢) وَاجِمًا : حَزِينًا .

## البَابُ الثَّانِي

في القصص التي تُفصِّح عن رِقَّةِ قلوب العرب ،  
ورفاهة عواطفهم ، وسموِّ نفوسهم بالإخبارِ عمن وقع  
الحبُّ في قلبه ، وامتزج العَفَافُ والشرفُ بحبه ،  
ولكن امتنع عليه أمله ، فبقى معذباً في سبيل من أحبَّ ،  
وراح شهيداً الرقة والعفاف .



٤٢ - جَنَى الْجَمَالُ عَلَى نَصْرِ فِقْرًا بِهِ

عن المدينة تَبْكِيهِ وَيَبْكِيهَا \*

عشقت امرأة من المدينة فتى من بنى سليم ، يقال له نَصْر بن حَجَّاج - وكان أحسن أهل زمانه - فَضْنَيْتَ من حُبِّه ، وَدَنْفَتَ<sup>(١)</sup> من الْوَجْدِ بِهِ ، ثم لَهَجَتْ بِذِكْرِهِ حتى صار ذِكْرُهُ هِجْرًا<sup>(٢)</sup> .

وخرج أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضى الله عنه - ذات ليلة يَعْسُ ، ومرَّ بدارها ، فسمعها تقول رافعةً عَقِيرَتَهَا<sup>(٣)</sup> :

هل من سبيلٍ إلى سَحْرِ فَأَشْرِبَهَا أم هل سبيل إلى نَصْرِ بن حَجَّاج

فقال عمر : أمّا ما عشتُ فلا ، لا أرى معى رَجُلًا تهْتَفُ به العواتقُ

في خدورهن .

فلما أصبح دعا نصرَ بن حَجَّاج ، فأبصره ، فإذا هو أحسنُ الناس وجهًا ، وأصْبَحُهُمْ وَأَمْلَحُهُمْ حسنًا ، فأمر أن يُطَمَّ<sup>(٤)</sup> شعره فَفَخَّرَجَتْ جَبْهَتُهُ فآزَدَادَ حَسَنًا ، فقال له عمر : اذهب فاعْتَمِّمْ ، فاعْتَمَّ فَبَدَّتْ وَفَرَّتْ<sup>(٥)</sup> ، فأمر بِمَحْلَقِهَا فآزَدَادَ حَسَنًا ، فقال له : فتنّت نساء المدينة يا بن حجاج ، فقال : وأى ذَنْبٍ لى فى ذلك ! قال عمر :

\* مجمع الأمثال : ١ - ٣٧٩ ، ابن أبى الحديد : ٣ - ٩٣ ، ثمرات الأوراق : ٢٣٦  
(١) دنف : إذا لازمه المرض . (٢) هجراها : دأبها وشأنها . (٣) العقيرة : صوت الشاكي والباكي والنتنى . (٤) طم شعره : عقصه . (٥) الوفرة : ما سال على الأذنين من الشعر .

صدقته ، الذنبُ لى إن تركتكَ فى دار الهجرة ، ثم أُرْكَبه جملا وسيره  
إلى البصرة .

وأقام نصرٌ بالبصرة مدة ، ثم سمع يوماً منادياً يُنادى : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَبَ  
إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئاً فليكتب ؛ فَإِنَّ بَرِيدَ الْمُسْلِمِينَ خَارِجٌ »  
فكتب الناس ، ودسَّ نصرٌ بن حجاج كتاباً فيه : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ،  
من نصر بن حجاج . سلام عليك ، أما بعد يا أمير المؤمنين :

لَعَمْرى لِنِّ سَيَّرْتَنى أَوْ حَرَمْتَنى      لَمَّا نِلْتِ مِنْ عِرْضى عَلَيْكَ حَرَامُ  
أِنْ غَنَّتِ الذَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ      وَبَعْضُ أَمَانِىَّ النَّسَاءِ غَرَامُ  
ظَنَنْتَ بى الظَّنَّ الَّذى لَيْسَ بَعْدَهُ      بَقَاءُ ، فَسَالِ فى النَّدَى كَلَامُ  
وَأَصْبَحْتُ مُنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ      وَقَدْ كَانَ لى بِالْمَسْكَتَيْنِ (١) مُقَامُ  
سَيَمْنَعْنى مِمَّا تَظُنُّ تَكْرِيْمِى      وَأَبَاهُ صَدَقِ سَالِفُونَ كَرَامُ  
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا      وَحَالٌ لَهَا فى دِينِهَا وَصِيَامُ  
فَهَاتَانِ حَالَانَا ، فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِى (٢) ؟      فَقَدْ جُبَّ مَنِ كَاهِلٌ وَسَنَامُ (٣)

ولما بلغ عمر بن الخطاب قال : أما ولى ولاية فلا ، وأقطعته بالبصرة  
أرضاً وداراً .

ثم بدا لمجاشع بن مسعود السلمى أن يُنْزِلَه منزله لقرابته ، فصيره إليه ، وأخدمه  
امراته مُسْمِيَةَ - وكانت أجملَ امرأة بالبصرة - فَمَلَقْتُهُ وَعَلِقْتَهَا ، وَخَفَى عَلَى كُلِّ  
واحد منهما خبر الآخر لِمُلازِمَةِ مَجَاشِعِ لَصِيْفِهِ ، وَكَانَ مَجَاشِعُ أُمِّيًّا وَنَصْرًا وَنُسْمِيَةَ

(١) يريد مكة والمدينة على التقلب . (٢) راجعى : رادى . (٣) جب : قطع ، والكاهل :  
مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ؛ ذكروا أن التمنية هى الفارعة أم الحجاج ، وقيل هى جدة الحجاج  
أم أبيه (ابن خلكان : ص ١٢٤ ، ج ١) .

كاتبين ، فعيل صبرُ نصر ، فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : «إني قد أحبيتك حُباً لو كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك » . فوقت تحته غير محتشمة « وأنا » . فقال لها مجاشع : ما الذي كتبه ؟ فقالت : كتب : كم تحلب ناقتكم ؟ فقال : وما الذي كتبت تحته ، فقالت : كتبت وأنا ؛ فقال مجاشع : كم تحلب ناقتكم ، وأنا ؛ ما هذا لهذا بطَبَق<sup>(١)</sup> ! فقالت : أصدقك ، إنه كتب ، كم تُغِل أرضكم ؟ فقال مجاشع : كم تُغِل أرضكم ، وأنا ؛ ما بين كلامه وجوابك قرابة ! ثم كَفَأَ على الكتابة جَفَنَةً ودعا بعلام من الِكْتَاب<sup>(٢)</sup> ، فقرأ عليه ، فالتفت إلى نصر وقال : يا بن عم ؛ ما سيرك عمرُ من خير ؛ قم فإن وراءك أوسع ، فهض مُسْتَحْيِيًّا ، وعدل إلى منزل بعض السُّلَمِيِّين ؛ ووقع لجنبه ، فضني من حُب شَمِيلَةٍ ؛ ودنِف<sup>(٣)</sup> وانتشر خبره .

ثم إن مجاشعاً وقف على خبرِ عِلَّتِهِ ؛ فدخل عليه فالحفته رِقَّةً لما رأى ما به من الدَّنَف ؛ فرجع إل بيته ؛ وقال لَشَمِيلَةٍ : عزمت عليك لما أخذت خُبْرَةَ<sup>(٤)</sup> فَلَبَسَكِهَا بَسْمَن ، ثم بادرت بها إلى نصر ؛ فبادرت بها إليه ، فلم يكن به نهوض ؛ فجعلت تلغمه بيدها ، فعادت قَوَاهُ وِبَرَأَ كأن لم يكن به قَلْبَةٌ<sup>(٥)</sup> .

فلما فارقتَه عاوده النَّكْسُ<sup>(٦)</sup> ، فلم يزل يتردد في علته حتى مات فيها !

(١) الطبق من كل شيء : ماساواه . (٢) الكتاب والكتبت : موضع التعليم ، أو هو جمع كاتب .

(٣) الدنف : المرض الملازم . (٤) الخبزة : عجينة يوضع في الملة حتى ينضج . (٥) يقال : مابه

قلبة — بالتحريك : أي داه وتعب . (٦) النكس : عود المرض .



٤٣ - عُرْوَة وَعَفْرَاء \*

هلك حِزَام ، وترك ابنه عُرْوَة<sup>(١)</sup> صغيراً في حِجْر عمّه عقال ؛ وكانت عَفْرَاء  
تَرْبَا<sup>(٢)</sup> لعروة ، يلعبان جميعاً ، ويكونان معاً ، حتى تألف كل واحدٍ منهما صاحبه  
إلفاً شديداً ؛ وكان عقال يقول لعُرْوَة لما يرى من إلفهما : أبشرْ فإن عفراء أمتك<sup>(٣)</sup>  
إن شاء الله !

فكانا كذلك حتى لحقت عَفْرَاء بالنساء ، ولحق عُرْوَة بالرجال ؛ فأتى عروة  
عمّة له يقال لها : هند ، وقال لها في بعض ما يقول : يا عمّة ؛ إني لسكلمك ؛ وإني منك  
لمستحي ، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقتُ ذرعاً بما أنا فيه .

فذهبت عمته إلى أخيها ، فقالت له : يا أخي ؛ قد أتيتك في حاجةٍ أُحِبُّ أن  
تُحسِنَ بها ، فإن الله يأجرُك<sup>(٤)</sup> لصلّةِ رحمك بي ؛ فقال لها : قولي ، فلنَ نَسألي  
حاجةً إلا ردّدتكُ بها ، قالت : تزوّج عروة ابنَ أخيك بابتك عفراء ، فقال :  
ما عنه مذّهب ، ولا هو دون رجل يُرغب فيه ، ولا بنا عنه رغبة ؛ ولكنه ليس  
بذي مال ، وليست عليه عَجَلَة .

\* الأغانى : ٢٠ - ١٥٢

(١) هو عروة بن حزام بن مالك ، شاعر لبيب حاذق متمكن في العشق ، قيل : إنه أول  
عاشق مات بالهجر من العذريين ، وكثيرة مقاساته في العشق ضرب به المثل بين العرب . مات  
سنة ٣٠ هـ ، ودفن بوادي القرى قرب المدينة . (٢) الترب : من ولد مملك . (٣) يريد  
زوجتك وامراتك . (٤) يأجرُك : يجازيك .

فطابت نفسُ عروة ؛ وسكنَ بعضَ السَّكُونِ ، وكانت أمُّها سيئةَ الرأى فيه  
تريدُ لابنتها ذامالَ ووفراً<sup>(١)</sup> ، وكانت عُرْضَةً<sup>(٢)</sup> لذلك كآلاً وجمالاً .

فلما تكاملتُ سنُّه ، وبلغَ أشدَّه ؛ عرفَ أن رجلاً من قومه ذابِيسارَ ومالٍ  
كثيرٍ يخطبها ؛ فأتى عمه ، فقال : يا عم ؛ قد عرفتَ حَقِّي وقرابتي ؛ وإلى ولدك  
ورُبَّيتُ في حِجْرِكِ ؛ وبلغني أن رجلاً خطبَ عَفْرَاءَ ؛ فإن أسمعته بطلبته قتلتنى  
وسفكتَ دمي ؛ فأنشدك الله ورحمى وحَقِّي ! فرَّقْ له ؛ وقال : يا بني ؛ أنت مُعَدِّمٌ  
وحالنا قريبةٌ من حالك ؛ ولستُ مخرجها إلى سِوَاكَ ، وأمُّها أبت أن تزوجها  
إلا بمهرٍ غال .

فَضَرَبَ في الأرضِ بيتغى الرزق ، ثم جاء إلى أمها فألطفها<sup>(٣)</sup> ودَارَاهَا ، فأبت  
أن تجيبه إلا بما تحكمه من المهر ، وبعد أن يسوقَ شَطْرَه<sup>(٤)</sup> إليها ، فوعدها بذلك ،  
وعلم أنه لا تنفعه قرابةٌ ولا غيرها إلا المَالُ الذي يطلبونه ، فعمل على قَصْدِ ابنِ عمِ له  
موسرٍ ، وكان مقيماً بالرَّمِّي ، فجاء إلى عمه وامرأته ، فأخبرها بمزمه ، فصوباه ووعدها  
ألا يُحْدِثُنا حدثاً حتى يعود .

وصار في ليلةٍ رحيله إلى عَفْرَاءَ ، فجلس عندها هو وجوارى الحَيِّ يتحدثون  
حتى أصبحوا ، ثم ودَّعها وودَّعَ الحَيِّ ، وشدَّ على راحلته ، وصحَّبه في طريقه  
فتيَّانَ كانا يألِفَانِه ، وكان في طولِ سفره ساهما يكلمانه فلا يفهم ، ففكره في عَفْرَاءَ  
حتى رُدَّأَ عليه القولُ مرَّاراً .

(١) الوفرة : الغنى . (٢) عرضة لذلك : أى أهلا لذلك . (٣) ألطفها : برها .

(٤) الشطر : النصف .



وسار إلى أن قدم على ابن عمه ، فلقية ، وعرفه حاله وما قدم له ، فوصله وكساه وأعطاه مائة من الإبل ، فانصرف بها إلى أهله .

وقد كان رجلٌ من أهل الشام من أنساب بني أمية نزل في حى عفرأ ، فنحَرَ وَوَهَبَ وأطعم ، وكان ذا مال ، فرأى عفرأ ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فأعجبته وخطبها إلى أبيها ، فاعتذر إليه وقال : قد سميتها إلى ابن أخ لي يعدلها عندي ، وما إليها لغيره سبيل . فقال له : إني أرغبك في المهر ، قال : لا حاجة لي بذلك ؛ فعدل إلى أمها ، فوافق عندها قبولاً لبدله ، ورغبت في ماله ، فأجابته ووعدته ، وجاءت إلى عقال وقالت : أي خير في عروة حتى تمس ابنتي عليه وقد جاءها الغنى بطرق عليها بابها ؟ والله ما تدري أعروة حى أم ميت ؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا ؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً ، فلم تزل به حتى قال لها : فإن عاد لي خاطباً أجبته .

فوجهت إليه : أن عد إليه خاطباً . فلما كان من غد نحر جزراً عديّة ، وأطعم ووهب ، وجمع الحى معه على طعامه ، وفيهم أبو عفرأ ، فلما طعموا أعاد القول في الخطبة ، فأجابه وزوجه ، وساق إليه للمهر وحولت إليه عفرأ ، وقالت قبل أن يدخل بها :

يا عرو إن الحى قد تقضوا عهد الإله وحاولوا الغدراً

فلما كان الليل دخل بها زوجها ، وأقام فيهم ثلاثاً ، ثم ارتحل بها إلى الشام ، وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجدهه وسواه ، وسأل الحى كتمان أمرها .



وقدم عُرْوَةَ بعد أيام ، فَنَعَمَها أبوها إليه ، وذهب به إلى ذلك القبر ، فكثَّ  
يختلفُ إليه أياما وهو مُضَيٌّ هالك ، حتى جاءتَه جاريةٌ من جَوَارِي الحَيِّ فأخبرتهُ  
الخبر ؛ فتركهم وركب بعض إبله وأخذ معه زاداً ونفقةً ، ورحل إلى الشام فقدمها ،  
بسأل عن الرجل ، فأخبرَ به ودلَّ عليه ، فقصده وانقَسب إليه في عَدَنان ، فأكرمه  
وأحسن ضيافته ، فكثَّ أياما حتى أنسوا به .

ثم قال للجارية لهم : هل لك في يدِ تُولِينِيها ؟ قالت : نعم ، قال : تدفعين  
خاتمي هذا إلى مولاتك ، فقالت : سوءةٌ لك ! أما تستحي لهذا القول ! فأمسك عنها  
ثم أعاد عليها ، وقال لها : وَيْحَك ! هي والله بنتُ عمي ، وما أحدٌ مِنَّا إلا وهو أعزُّ  
على صاحبه من الناس ، فأطرحي هذا الخاتم في صَحْنِها ، فإن أنكرتُ عليك  
فقولي لها : اصطَبَحَ ضَيْفُكَ قبلك ولمله سقطَ منه !

فرقت له الجارية ، وفعلت ما أمرها به ، فلما شربَت عَفراءُ اللبن رأت الخاتم  
فعرفته فشمته ، ثم قالت لجارتِها : اصْدِقيني الخبر ، فصَدَّقَها ، فلما جاء زوجها  
قالت له : أتدرى منْ ضَيْفُكَ هذا ؟ قال : نعم ! فلان ابن فلان ( للنسب الذي  
انتسبه له عروة ) . فقالت : كلا والله ، بل هو عُرْوَةُ بن حزام ابن عمي ، وقد كتمتُ  
نفسه حياءً منك .

فبعث إليه ، فدعاه وعاتبه على كَيْمَانِهِ نفسه إياه ، وقال له : بالرحب والسعة ،  
نشدتك الله إن رِمْتَ<sup>(١)</sup> هذا المَكان أبدا ، وخرج وتركه مع عَفراء يتحدثان ،  
وأوصى خادما له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما سمعه منهما عليه .

(١) رام المَكان : برحه وتركه .

فلما خَلَوْا تشاكياً ما وَجَدَا بعدَ الفراقِ ، فطالت الشَّكْوَى وهو يبكي أحراً  
بكاءً ، ثم أتته بشراب ، وسألته أن يشرِّبه ، فقال : والله ما دخل في جوفى حرامٍ  
قط ، ولا ارتكبه منذ كنت ، ولو استحللتُ حراماً لكنتُ قد استحللتُه منك ،  
فأنتِ حظِّي من الدنيا ، وقد ذهبتِ مني وذهبتُ بعدك فما أعيش ، وقد أجل هذا  
الرجل الكريم وأحسن ، وأنا أستحجي منه ، والله لا أقيمُ بعدَ علمه مكانى ، وإني  
عالم أنى راحِلٌ إلى مَنِيَّتِي ، فبكت وبكى وانصرف .

فلما جاء زوجها أخبرته الجارية بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء ؛ امنعى ابن  
عمك من الخروج ، فقالت : لا يمتنعُ ، هو والله أكرم وأشدُّ حياءً من أن يقيمَ بعد  
ما جرى بينكما ؛ فدعاه وقال له : يا أخى ؛ اتقِ الله في نفسك ، فقد عرفتُ خبرك ؛  
وإنك إن رحلتَ تَلِفْتَ ، والله لا أمتنعُك من الاجتماعِ معها أبداً ، ولئن شئتَ  
لأفارقنَّها ، ولأنزلنَّ عنها لك ، فقال له : جزاك الله خيراً وأثنى عليه . وقال : إنما  
كان الطمعُ إليها آفتي ، والآن قد بئستُ ، وحمِلتُ نفسى على الصبر ، فإن اليأسَ  
يُسلى ، ولي أمورٌ لا بدَّ من رجوعى إليها ، فإن وجدتُ بى قوة على ذلك ، وإلا  
عدتُ إليكم وزُرْتُكم حتى يقضى الله من أمرى ما يشاء ؛ فزودوه وأكرموه  
وشيعوه فانصرف .

فلما رحل عنهم نُكِسَ بعد صلاحه وتماسكه ، وأصابه غشى وخفقان ، فكان  
كُلَّمَا أغمى عليه ألقى على وجهه خِاراً لعفراء زودته إياه فيفيق .

ولقيه في الطريق ابنُ مكحول عرَّافُ اليمامة ، فرآه وجلس عنده وسأله عما به  
وهل هو خبلٌ أو جنون ؛ فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم ، فأنشأ يقول :



فأبى من خبل ولا بى جنة<sup>١</sup> ولكن عمى يا أخى كذوب  
 أقول لعراف اليمامة داوى فإنك إن داوئنى لطيب  
 فيا كبداً أمست رفاتاً كأنما يلدغها بالموقدات طيب  
 عشية لا عفرأء منك بعيدة فتسلو ولا عفرأء منك قريب  
 فوالله لأناسك ما هبت الصبا وما عقبها فى الرياح جنوب  
 وإنى لتعرونى لذكرالك هزة لها بين جلدى والعظام ديب

وقال يخاطب صاحبيه بقصته (١) :

خلى من علياً هلال بن عامر بصنماء عوجا اليوم وانتظرانى  
 ولا تزهدا فى الأجر عندى وأجلا فإنكا بى اليوم مبتليان  
 ألما على عفرأء إنكا غداً بوشك النوى والبين معترفان  
 فياً وأشيتى عفرأء دعانى ونظرة تقرأ بها عينى ثم كلالى  
 أغر كما منى قيص لبسته جديد وبرداً يمنة زهيان  
 متى تكشفاً عنى القميص تبيناً بى الضر من عفرأء بافتيان  
 وتعترفاً لحماً قليلاً وأعظماً بكين وقلباً دائماً الخفقان  
 على كبدى من حب عفرأء قرحة وعينائى من وجد بها تكفان  
 فعفرأء أرجى الناس عندى مودة من الناس والأنام يلتقيان  
 فياليت كل اثنين بينهما هوى

(١) راجع هذه القصيدة بتمامها من ١٥٨ إلى ١٦٢ من ذيل الأمالى طبعة دار الكتب .

(٢) قال صاحب الأمالى : ذكر المرض ، لأنه أراد : وعفرأء عنى الشخص المرض ، أو ذكره بناء على التشبيه وأراد : وعفرأء عنى مثل المرض .



فيقضى حبيبٌ من حبيبٍ لُبَّانَةٌ      وَيَرَعَاها رَبِّي فِلا يُرِيانِ  
 هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي وَقَدَّامِي الهَوَى      وإِنِّي وَإِياها لِمُخْتَلِفانِ  
 تَحَمَلْتُ مِنْ عَفْرَاءٍ ما لَيْسَ لِي بِهِ      ولا لِلجِبَالِ الرِّسِياتِ يَدانِ  
 كَأَنَّ قِطاةً عَلَّقْتُ بِمِناحِمِها      على كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الخِلقانِ  
 وَقَد تَرَكْتَنِي لا أَعِي لِما حَدَّثَ      حَدِيثًا وَإِن نَاجَيْتُهُ وَنِجائِي  
 جَعَلْتُ لِعِرافِ الِيمانِ حُكْمَهُ      وَعِرافِ نِجْدِ إِمانِها شَفِيانِي  
 فَقالا : نَم نَشَقِي مِنَ الداءِ كُلَّهُ      وَقاما مَعَ العُوادِ يَبْتَدِرانِ  
 فَما تَرَكا مِنْ رُقِيَةٍ يَعلَمانِها      ولا شَرِبَةٍ إِلا وَقَد سَقِيانِي  
 وما شَفِيًا الداءِ الَّذِي بِي كُلَّهُ      ولا ذَخْرًا نُصَحًا ولا أَلوانِي (١)  
 وَقالا : شِفاكَ اللهُ ، وَالله ما لَنا      بما ضُمَّنْتَ مَنكَ الضُّلوعُ يَدانِ  
 فَويلِي على عَفْرَاءٍ وَيَلا كَأنه      على الصِّدرِ والأحشاءِ حَدُّ سِنانِ  
 أَحَب ابْنَةَ العَذري حَبًّا وَإِن نَأَتْ      ودانَيْتُ فيها غَيرَ ما مُتَدانِ  
 فِيارِبٌ أَنْتِ السِّتَعانُ على الَّذِي      تَحَمَلْتُ مِنْ عَفْرَاءٍ مِنْذُ زَمانِ

ثم توفى (٢) وهو راجع بالشام . ولما بلغ عفراء موته قالت لزوجها : قد كان من  
 خبر ابن عمي ما بلغك ، والله ما عرفت منه قط إلا الحسن ، وقدمات في وسبي ؛  
 ولا بد لي من أن أئذبه فأقيم مأتما عليه ، قال : افعل ؛ فإزالت تندبه ثلاثا حتى توفيت  
 في اليوم الرابع ، وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرها ؛ فقال : لو علمت بحال هذين  
 الحرين السكريين لجمت بينهما .

(١) ألوانى : قصرا فى حتى . (٢) انظر القصة التالية .

٤٤ - قتيل الحب \*

قال النعمان بن بشير :

استعلمني معاوية على صدقات بلي وعذرة<sup>(١)</sup> ، فإني لني بمعض مياهم إذا أنا  
بيت منجرد<sup>(٢)</sup> ناحية ، وإذا بفنايه رجل مستلق ، وعنده امرأة ، وهو يقول ،  
أَوْ يَتَفَنِّي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

جعلت لمراف اليمامة حُكْمَهُ      وعراف نجد إن مها شفياني

فقالا : نعم ، نشفي من الداء كله      وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية يملانها      ولا سلوة إلا وقد سقياني

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا      بما حلت منك الضلوع يدان

فقلت لها : ما قصته ؟ فقالت : هو مريض ، ما تكلم بكلمة ، ولا أن أنه

منذ وقت كذا وكذا إلى الساعة ، ثم فتح عينيه ، وأنشأ يقول :

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِياً أَبْداً      فاليوم إني أراي اليوم مقبوضا

يُسْمِعُنِيهِ ، فإني غير سامعه      إذ حلت على الأعناق معروضا

ثم خفت فأت ، فمضته وغسلته ، وصليت عليه ودفنته ، وقلت للمرأة :

من هذا ؟ فقالت : هذا قتيل الحب ! هذا عروة بن حزام !

\* ذيل الأمل . ١٥٧ .

(١) بلي وعذرة : قبيلتان . (٢) منجرد : مفرد منزل .

٤٥ - قيس ولبنى \*

— ١ —

كان منزلُ قَيْسٍ<sup>(١)</sup> في ظَاهِرِ المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة ؛  
فمرَّ قَيْسٌ لِبعض حاجته بِخِيَامِ بنى كَعْبِ بن خُزاعة ، فوقف على خِيَمَةٍ منها ؛  
والحى خُلُوف<sup>(٢)</sup> ، والخِيَمَةُ خِيَمَةُ لُبْنَى بنتِ الحُبَابِ السَكَمِيَّةِ ، فاستسقى ماءً ،  
فسقته وخرجت إليه به ، وكانت امرأةٌ مديدة القامةٍ شهلاء<sup>(٣)</sup> حلوة النظر  
والكلام .

فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له : أتنزِلُ فتتبرّدَ عندنا ؟  
قال : نعم ؛ فنزل بهم . وجاء أبوها فنحّره وأكرمه ، فانصرف قيسٌ وفي قلبه من  
لُبْنَى حَرٌّ لا يُطْفَأُ ، فجعل ينطقُ بالشعر فيها حتى شاع وروى .  
ثم أتاها يوماً آخر ، وقد اشتدَّ وجدهُ بها ، فسلمَ فظهرت له وردت سلامه ،  
وتحفت<sup>(٤)</sup> به ، فشكا إليها ما يلقى من حُبِّها ، وشكّت إليه مثل ذلك فأطالت ،  
وعرف كلُّ واحدٍ منهما ماله عند صاحبه .

\* الأغانى : ٩ - ١٨١

(١) هو قيس بن ذريح من كنانة ، كان هو وأبوه من حاضرة المدينة ، واشتهر قيس بحبه لبني  
بنت الحباب السكبية ، وهي التي ألهمته القول وأنطقته بالشعر ، توفي نحو سنة ٧٠ هـ (٢) خلوف :  
غيب . (٣) الشهلاء : التي يخالط سواد عينيها زرقه . (٤) تحفت : بالفت في إكرامه ، وأظهرت  
السرور والفرح .



فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله ، وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه ، وقال :  
يا بُنَيَّ ؛ عليك يا حُدَى بناتِ عمك ، فهنَّ أحقُّ بك - وكان ذَرِيحٌ كثيرَ المالِ  
موسيراً ، فأحبَّ ألاً يخرُجُ ابنُهُ إلى غَرِيبَةٍ .

فانصرف قيسٌ ، وقد ساء ما خاطبه أبوه به ، فأتى أمه فشكا ذلك إليها ،  
واستعان بها على أبيه ؛ فلم يجدْ عندها ما يحبُّ .

فأتى الحسينَ بنَ علي بن أبي طالب وابنَ أبي عَتِيقٍ ، فشكا إليهما ما به وما ردَّ  
عليه أبوه . فقال له الحسينُ : أنا أكفيك . فمشى معه إلى أبي لُثبي ؛ فلما  
بَصُرَ به أعظمه ووثبَ إليه وقال له : يا بنَ رسولِ الله ؛ ما جاء بك؟ ألا بعثتَ إلىَّ  
فأنتُك ! قال : إن الذي جئتُ فيه بوجِبِ قصدك ، وقد جئتُك خاطباً ابتغاك  
لبنى لقيس بن ذَرِيحٍ . فقال : يا بنَ رسولِ الله ؛ ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بنا  
عن الفتى رَغْبَةٌ ؛ ولكن أحبُّ الأمرُ إلينا أن يخطبها ذَرِيحُ أبوه ، وأن يكون ذلك  
على أمرِهِ ؛ فإننا نخافُ إن لم يَسعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبباً علينا .

فأتى الحسينُ رضى الله عنه ذَرِيحاً وقومه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له ،  
وقالوا له مثل قول الخزاعيين<sup>(١)</sup> . فقال لذرِيحٍ : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُثبي  
لابنك قيس . قال : السَّمع والطاعة لأمرِك .

فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا دار لُثبي ، فخطبها ذَرِيحٌ على ابنه  
إلى أبيها ، فزوجها به إياها وزفَّتْ إليه بعد ذلك ، فأقامت معه مدةً لا يُنكر أحدٌ  
من صاحبه شيئاً .

(١) الخزاعيون : قوم لُثبي .

وكان أبرّ الناسِ بأمّه ، فألّهتهُ لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمّه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي ، ولم تر للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً . فلما برأ من علته قالت أمّه لأبيّه : لقد خشيتُ أن يموتَ قيس وما يترك خلقاً وقد حُرِم الولد من هذه المرأة ، وأنتَ ذو مال فيصير مالك إلى السكّالة<sup>(١)</sup> ، فزوّجهُ بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً ؛ وألحّت عليه في ذلك .

فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيسُ ؛ إنك اعتللت هذه العلة فخيفتُ عليك ولا ولد لك ولا لى سيواك ، وهذه المرأة ليست بوئود ؛ فتزوج إحدَى بناتِ عمك ؛ لعلَّ الله أن يهبَ لك ولداً تقرُّ به عينك وأعيننا .

فقال قيس : لست متزوجاً غيرها أبداً ؛ فقال له أبوه : فإن في مالي سعة فتسمر بالإماء ، قال : ولا أسودها بشيء أبداً والله . قال أبوه : فإنّي أقسم عليك إلا طلقتها . فأبى وقال : الموتُ والله على أسهل من ذلك ، ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تزوج أنت فلعلَّ الله أن يرزقك ولداً غيري . قال : فما في فضلة لذلك . قال : فدعني أرتحل عنك بأهلي وأصنع ما كنت صانعا لو مت في عتلي هذه . قال : ولا هذه . قال : فادعُ لبني عندك وأرتحل عنك فلعلّي أسلوها فإنّي ما أحبُّ بعد أن تكون نفسي طيبةً أنها في خيالي .

قال : لا أرضى أو تطلقها ، وحلف لا يكفُّه سقفُ بيت أبدا ، حتى يطلق لبني ، فكان يخرج فيقف في حرِّ الشمس ويحني قيس فيقف إلى جانبه فيظله

(١) يراد بالسكّالة هنا : من عدا الأب والابن من الورثة .



بردائه ، وَيَصَلِّيَ هُوَ بِحَرِّ الشَّمْسِ حَتَّى يَفِيءَ النَّفْيَ<sup>(١)</sup>؛ فينصرف عنه ، ويدخل إلى  
لُبْنَى فيعانقها وتعانقه ، ويبكى وتبكي معه ، وتقول له : يَا قَيْسُ ؛ لَا تُطِيعَ أَبَاكَ قَتِيلَكَ  
وَتُهْلِكَنِي . فيقول : مَا كُنْتُ لِأَطِيعَ أَحَدًا فَيْكَ أَبَدًا ، وَمَكَثَ كَذَلِكَ سَنَةً ثُمَّ طَلَّقَهَا .

فَلَمَّا بَانَ لُبْنَى بِطَلَّاقِهِ ، وَفُرِغَ مِنَ الْكَلَامِ لَمْ يَلِيْثَ حَتَّى اسْتُطِيرَ عَقْلُهُ وَذُهِبَ  
بِهِ ، وَلَحِقَهُ مِثْلُ الْجُنُونِ ، وَتَذَكَّرَ لُبْنَى وَحَالَهَا مَعَهُ ، فَاسِيفَ وَجَعَلَ يَبْكِي وَيَنْشِجُ<sup>(٢)</sup>  
أَحْرًا نَشِيجًا . وَبَلَّغَهَا الْخَبْرَ فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَبِيهَا لِيَحْمِلَهَا ؛ فَأَقْبَلَ أَبُوهَا بِهَوْدَجٍ عَلَى  
نَاقَةٍ وَيَابِلٍ تَحْمِلُ أُمَّتَهَا .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَيْسٌ أَقْبَلَ عَلَى جَارِيَتَيْهَا فَقَالَ : وَيَمْحُكُ! مَا دَهَا نِي فِيكُمْ؟ فَقَالَتْ:  
لَا تَسْأَلْنِي وَسَلْ لُبْنَى ، فَذَهَبَ لِيَلِمَ بِحَبَابِهَا فَيَسْأَلُهَا ، فَمِنْهُ قَوْمُهَا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ  
امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَتْ لَهُ : مَا لَكَ؟ وَيَمْحُكُ! تَسْأَلُ كَأَنَّكَ جَاهِلٌ أَوْ مُتْجَاهِلٌ! هَذِهِ  
لُبْنَى تَرْتَحِلُ اللَّيْلَةَ أَوْ غَدًا ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ لَا يَعْقِلُ ، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ :

وَإِنِّي لَمَمْنٌ دَمَعَ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ      حِذَارَ الَّذِي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ  
وَقَالُوا : غَدًا أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلَةَ      فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبْنَ وَهُوَ بَائِنُ  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي      بَكَفَيْكَ إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنُ  
ثُمَّ التفت فرأى غراباً سقط قريباً منه ، فجعل ينمق مراراً ، فتطير منه  
وقال :

لَقَدْ نَادَى الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى      فَطَارَ الْقَلْبُ مِنْ حِذْرِ الْغُرَابِ  
وَقَالَ : غَدًا تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى      وَتَنَائِي بَعْدَ وَدِّ وَاقْتِرَابِ

(٢) النشيج : أن يغص الباكي بالبكاء من

(١) النفي : ما كان شمسا فينسخه الظل .  
غير انتخاب .



قلت : تَعِسْتَ وَيْحَكَ من غرابٍ وكان الدهرَ سَعِيكَ في تَبَابِ

ومنعه قومُه من الإلَام بها ، فقال :

أَلَا يَاغْرَابَ الْبَيْنِ ؛ وَيْحَكَ ا نَبْنِي يَعْلَمُكَ في لُبْنِي وَأَنْتَ خَيْرُ  
فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَهُ فَلَا طَرَتْ إِلَّا وَالْجِنَاحُ كَسِيرُ  
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ

ثم أَذْخَلَتْ في هودجها ، ورحلت وهي تبكي ! فاتبعها وهو يقول :

أَلَا يَاغْرَابَ الْبَيْنِ ؛ هَلْ أَنْتَ تُخْبِرِي بِخَيْرٍ كَمَا خَبَرْتَ بِالنَّأْيِ وَالشَّرِّ  
وقلت : كَذَاكَ الدَّهْرُ مَا زَالَ فَاجِعًا صدقت ، وهل شيء يَبَاقِي عَلَى الدَّهْرِ

ثم علم أن أباهَا سَيَمْنَعُهُ من السير معها ؛ فوقف ينظر إليهم ويبكي ، حتى غابوا  
عن عينه ، فكرر راجعًا ؛ ونظر إلى أثر خُفِّ بغيرها ؛ فأكبَّ عليه يقبله ، ورجع  
يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها ؛ فليمَّ على ذلك وَعَنَفَهُ قَوْمُهُ على تقبيل التراب ،  
فقال :

وما أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ أَقْبَلُ إِثْرَ مَنْ وَطِئُ التُّرَابَا  
لقد لَا قَيْتُ مِنْ كَلْفِي بُلْبُنِي بَلَاءٌ مَا أُسِيغُ بِهِ الشَّرَابَا  
إذا فادى المَنَادِي بِاسْمِ لُبْنِي عَيْتٌ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا

وقال ، وقد نظر إلى آثارها :

أَلَا يَا رَبَّعَ لُبْنِي مَا تَقُولُ ؟ أَيْنَ لِي الْيَوْمَ مَا فَعَلَ الْحُلُولُ  
فلو أَنَّ الدِّيَارَ تُجِيبُ صَبًّا لَرَدَّ جَوَابِي الرِّبْعُ الْمُحِيمِلُ  
ولو أَنِي قَدَرْتُ غَدَاةَ قَالَتْ : غَدَرْتُ ، وَمَاءَ مُقْلَتِهَا يَسِيلُ

نحرتُ النفسَ حينَ سمعتُ منها      مقالها وذاك لها قليلُ  
شفيتُ غليلَ نفسي منِ فعالي      ولم أغبرْ بلا عقلِ أجولُ  
كأني وإلهُ بفرّاقِ لُبّـني      تهيمُ بفقدِ واحدِها ثمكولُ  
ألا يا قلبُ ويحك! كن جليداً ؛      فقد رحلتُ ، وفات بها الذمّيلُ<sup>(١)</sup>  
فإنك لا تطيقُ رجوعَ لُبّـني      إذا رحلتُ ، وإن كثُرَ العويلُ  
وكم قد عشتُ ؟ كم بالقربِ منها !      ولكنّ الفراقَ هو السبيلُ  
فصبراً ؛ كلُّ مؤنّلفينِ يوماً      من الأيامِ عيشهما يزولُ  
فلما جنَّ عليه الليلُ وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يأخذهُ القرار ، وجعل  
يتملّكُ فيه تملّكُ السليم ، ثم وثبَ حتى أتى موضعَ خباياها ؛ فجعل يتمرّغ فيه  
ويبكي ويقول :

بِثِّ والهمُّ يا لُبّـيني ضجيجي      وجرتُ مذناًيتِ عنى دُموعي  
وتنفستُ إذ ذكرتُكِ حتى      زالتِ اليومَ عن فؤادي ضلوعي  
أتناساكِ كي يُرغِ<sup>(٢)</sup> فؤادي      ثم يشتدُّ عند ذاك ولوعي  
يا لُبّـيني ! فدتكِ نفسي وأهلي !      هل لدهرٍ لنا من رجوع

ومرضَ قيسٌ ، فسأل أبوه فتياتِ الحى أن يَعدّنه ويحدّثنه ، لعله أن يتسلى ؛  
ففعّلن ذلك ، ودخل الطبيبُ إليه ليداويه ، والفتياتِ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن  
يحادثنه ، وأطلن السؤالَ عن سببِ علته ، فقال :

(١) الذمّيل : السر اللين . (٢) يرغ : يحميد .

عِيدَ قَيْسٍ مِنْ حُبِّ لُبْنَى، وَوَلْبَنَى      دَاءِ قَيْسٍ، وَالْحُبُّ دَاءٌ شَدِيدٌ  
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَانُدُ يَوْمًا      قَالَتِ الْعَيْنُ: لَا أَرَى مِنْ أُرَيْدُ  
لَيْتَ لُبْنَى تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضَى      إِنَّهَا لَا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ  
وَيَبْحَ قَيْسٍ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا      دَاءَ حَبِيلٍ، فَالْقَلْبُ مِنْهُ عَمِيدُ

فقال له الطيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟

قال:

تَمَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا      وَمَنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطَافًا فِي الْمَهْدِ  
فَزَادَ كَأَزْدِنَا، فَأَصْبَحَ نَامِيًا      وَلَيْسَ إِذَا مَتْنَا بِمَنْصَرِمِ الْمَهْدِ  
وَلَكِنَّه بَاقِي عَلَى كُلِّ حَادِثٍ      وَزَائِرُنَا فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ

فقال له الطيب: إن مما يسليك عنها أن تذكر ما فيها من المساوي والمعائب، وما تعافه النفس من أقدار بني آدم، فإن النفس حينئذ تنبو وتسلو ويخف ما بها،

قال:

إِذَا عَيْبَتَهَا شَبَهَتْهَا الْبَدْرَ طَالِعًا      وَحُسْبُكَ مِنْ عَيْبِهَا شَبَهُ الْبَدْرِ  
لَقَدْ فَضَّلْتَ لُبْنَى عَلَى النَّاسِ مِثْلَ مَا      عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

ودخل أبوه وهو يخاطب الطيب بهذه المخاطبة، فأنبهه ولأمه، وقال له:

يا بني! الله الله في نفسك! فإنك ميت إن دمت على هذا، فقال:

وَفِي عُرْوَةٍ<sup>(١)</sup> الْعُدْرِيَّ إِنَّ مِثْلَ أَسْوَةٍ      وَعَمْرُو<sup>(٢)</sup> بِنِ عَجْلَانَ الَّذِي قَتَلَتْ هِنْدُ

(١) هو عروة بن حزام أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى (انظر صفحة ١١٣). (٢) شاعر جاهلي أحد من قتلهم الحب، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها، ولما تزوجت زوجاً غيره مات أسفاً (الأغاني ص ١٠٢، ج ١٩).



وبى مثل ما ماتا به ، غير أنتى إلى أجل لم يأتنى وقتُه بعدُ  
هل الحبُّ إلا عبْرَة بعد زفرةٍ وحرٌّ على الأحشاء ليس له برْدُ  
وفيضُ دُموعٍ تسهلُّ إذا بدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

ولمَّا طال على قيسٍ ما به من الأمر بعد طلاقِ لُبْنى ، أشار قومه على أبيه  
بأن يزوجه امرأةً جميلةً ، فلمه أن يسألُ بها عن لُبْنى ؛ فدعاه إلى ذلك فأباه وقال :  
لقد خِفْتُ ألا تقنعَ النفسَ بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مقنعاً  
وأزجرُ عنها النفسَ إذ حيلَ دونها وتأبى إليها النفسُ إلا تطلّماً  
فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه . قالوا : فمرُّهُ بالمسيرِ فى أحياءِ العرب والنزولِ عليهم  
فلعلَّ عينه أن تقعَ على امرأةٍ تُعجبهُ . فأقسم عليه أبوه أن يفعل .

فسار حتى نزل بحميٍّ من فزارة ، فرأى جاريةً حسنةً قد حسرت برقعَ خزيٍّ  
عن وجهها وهى كالبدْر ليلةٍ تمه ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : لُبْنى .  
فسقط على وجهه مغشياً عليه فنضحت على وجهه ماءً وارتاعت لما عراه ، ثم  
قالت : إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لجنون ! فافاق فنسبته فانتسب .  
فقالت : قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نشدتك بالله وبحقِّ لُبْنى إلا أصبت من  
طعامنا ، وقدّمتُ إليه طعاماً ، فأصاب منه بإصبعه ، وركب فاتى على أثره أخ لها كان  
غائباً فرأى مناخَ ناقته ؛ فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى رده إلى منزله ، وحاف عليه  
ليُقيمنَّ عنده شهراً . فقال له : لقد شققتَ علىّ ، ولكنى سأتبع هواك ، والفرارى

يزداد إيجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصَّهْر . فقال له : يا هذا ؛ إن  
فيك لرغبة ، ولكني في شغل لا ينتفع بي معه .

فلم يزل يُعَاوِدُهُ والحىُّ يلومونه ويقولون له : قد خَشِينَا أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا فِعْلَكَ سُبَّةً .  
فقال : دَعُونِي فِي مِثْلِ هَذَا الْفَتَى يَرْغَبُ الْكِرَامَ . فلم يزل به حتى أجابه ، وعقدَ  
الصَّهْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَلَى أُخْتِهِ السَّمَاءِ لُبْنَى ، وقال له : أَنَا أَسْوَاقُ عَنْكَ صَدَاقَهَا . فقال :  
أَنَا وَاللَّهِ يَا أَخِي أَكْثَرُ قَوْمِي مَالًا . فَمَا حَاجَتُكَ إِلَى تَكَلُّفِ هَذَا ؟ أَنَا سَائِرٌ إِلَى قَوْمِي  
وَسَائِقٌ إِلَيْهَا الْمَهْرَ . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ؛ فَسَرَّهُ وَسَاقَ الْمَهْرَ عَنْهُ .

ورجع إلى الفزاريين حتى أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ ، فلم يَرَوْهُ هَشًّا إِلَيْهَا وَلَا دَنَا  
مِنْهَا ؛ وَلَا خَاطَبَهَا بِحَرْفٍ وَلَا نَظَرَ إِلَيْهَا .

وأقام على ذلك أياماً كثيرة ؛ ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً ، فأذِنُوا  
لَهُ فِي ذَلِكَ ؛ فَضَى لُوجَهُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِهَا ، فَأَتَاهُ فَأَعْلَمَهُ  
الْأَنْصَارَ أَنَّ خَيْرَ تَزْوِيجِهِ بَلِغَ لُبْنَى فَغَمَّهَا وَقَالَتْ : إِنَّهُ لَعَدَّارٌ وَلَقَدْ كُنْتُ أَمْتَمَعُ مِنْ  
إِجَابَةِ قَوْمِي إِلَى التَّزْوِيجِ فَأَنَا الْآنَ أَجِيبُهُمْ .

وقد كان أبوها شكاً قيساً إلى معاوية ، وأعلمه تعرُّضَهُ لَهَا بَعْدَ الطَّلَاقِ ، فَكَتَبَ  
إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ يَهْدِرُ دَمَهُ إِنْ تَعَرَّضَ لَهَا ، وَأَمْرًا بِأَبَاها أَنْ يُزَوِّجَهَا رَجُلًا يَعْرِفُ  
بِحَالِ بْنِ حِلْزَةَ ، فَزَوَّجَهَا أَبُوهَا مِنْهُ ، فَجَعَلَ نِسَاءَ الْحَىِّ يُقَلْنَ لَيْلَةَ زِفَافِهَا :

لُبْنَى زَوْجُهَا أَصْبَحَ لَا حُرَّ بَوَادِيهِ

لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ بِمَا بَاتَتْ تَنَاجِيهِ

وَقَيْسٌ مَيِّتٌ حَىٌّ صَرِيحٌ فِي بَوَاكِيهِ

فَلَا يُبْعَدُهُ اللَّهُ وَبُعْدًا لِنَوَاعِيهِ



فَجَزِعَ قَيْسٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَنْشِجُ أَحْرًا نَشِيجًا وَيَبْكِي أَحْرًا بَكَاءً .  
 ثُمَّ رَكِبَ مِنْ فَوْزِهِ حَتَّى أَتَى مَحَلَّةَ قَوْمِهَا ، فَنَادَاهُ النِّسَاءُ : مَا تَصْنَعُ الْآنَ هَاهُنَا  
 قَدْ نُقِلْتُ لُبْنَى إِلَى زَوْجِهَا ! وَجَعَلَ الْفَتَيَانُ يُعَارِضُونَهُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ وَأَشْبَهَيْهَا وَهُوَ  
 لَا يُجِيبُهُمْ حَتَّى أَتَى مَوْضِعَ خِيَابِهَا ، فَزَلَّ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَجَعَلَ يَتَمَعَّكُ <sup>(١)</sup> فِي مَوْضِعِهَا ؛  
 وَيُمَرِّغُ خَدَّهُ عَلَى تَرَابِهَا ، وَيَبْكِي أَحْرًا بَكَاءً ، ، ثُمَّ قَالَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ لُبْنَى كَأَشْكَاءِ	إِلَى اللَّهِ فَقَدَ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمٌ
يَتِيمٌ جَفَاءُ الْأَقْرَبُونَ فَجِسْمُهُ	نَحِيلٌ وَعَهْدُ الْوَالِدَيْنِ قَدِيمٌ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّلْتُ	دَمْعِي ، فَأَيْ الْجَارِزَيْنِ أَلُومُ ؟
أَمَسْتَعْبِرًا يَبْكِي مِنَ الشُّوقِ وَالْهَوَى	أَمْ آخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَبِهِمُ
تَهَيِّضِنِي <sup>(٢)</sup> مِنْ حُبِّ لُبْنَى عِلَاقُ	وَأَصْنَافِ حُبِّ هَوْلُنْ عَظِيمُ
وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حُبًّا لُبْنَى فَوَادُهُ	يُمْتُ أَوْ يَعِشْ مَا عَاشَ وَهُوَ كَلِيمُ
فَأِنِّي وَإِنْ أَجَعْتُ عَنْكَ تَجَلُّدًا	عَلَى الْعَهْدِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمُقِيمُ
وَإِنَّ زَمَانًا شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا	وَبَيْنَكُمْ فِيهِ الْعِدَا لَمُشُومُ
أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنْ قَلْبِكَ فَارِغٌ	صَحِيحٌ وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمُ !

— ٤ —

وَشَخَّصَ أَبُو لُبْنَى إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَيْسًا ، وَتَعَرَّضَهُ لِابْنَتِهِ بَعْدَ طَلَاقِهِ  
 إِيَّاهَا ، فَكَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَرْوَانَ يُهْدِرُ دَمَهُ إِنْ أَلَمَّ بِهَا ، وَأَنْ يَشْتَدَّ فِي ذَلِكَ .

(١) يتمعك : يتمرغ . (٢) تهيض : انكسر .



فكتب مروان في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو ثبني كتاباً وكيداً ؛  
ووجهت ثبني رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جرى وتحذره .

وبلغ أباه الخبر ، فعاتبه ، وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يهدر السلطان  
دمك ؟ فقال :

فإن يحببوا أو يحلّ دون وصلها      مقالة واشٍ أو وعيدُ أميرِ  
فلن ينعوا عيني من دائم البكا      ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري  
إلى الله أشكو ما ألاق من الهوى      ومن حرّقٍ تعتادني وزفيرِ  
ومن حرّقٍ للحبّ في باطن الحسى      وليلٍ طويلٍ الحزن غير قصيرِ  
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرة      بكاء حزينٍ في الوئاق أسيرِ  
وكنّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى      بأنعم حالي غبطةٍ وسرورِ  
فما برح الواشون حتى بدت لهم      بطونُ الهوى مقلوبةً لظهورِ  
لقد كنت حسب النفس لودام وصلنا      ولكنما الدنيا متاعٌ غرورِ

وحجّ قيسُ بن ذريح ، واتفق أن حجّت ثبني في تلك السنة ، فرآها ومعها  
امرأةٌ من قومها ؛ فدّهش ، وبقى واقفاً مكانه ومضت لسبيلها .

ثم أرسلت إليه بالمرأة تبّله السلام وتساله عن خبره ، فألقته جالسا وحده  
ينشد ويبكي :

ويوم مني أعرضت عني فلم أقلّ      بحاجةٍ نفسٍ عند ثبني مقالها  
وفي اليأس للنفس المربضة راحةً      إذا النفس رامت خبطةً لا تنالها

فدخلتُ خِباءَهُ وجعلتُ تحدّثه عن لُبني ويحدّثها عن نفسه مَلِيًّا ، ولم تعلمه أن  
لُبني أرسلتها إليه ، فسألها أن تبلفها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول :  
إذا طلعتْ شمسُ النهارِ فسَلِّى      فأيةُ تسليبي عليكِ طلوعها  
بمشرِّ تحيَّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ      وعشرٍ إذا اصفرَّتْ وحان رجوعها  
ولو أبلفتها جارةٌ قولِي أسلِّى      بكتُ جزعاً وارفضَ منها دموعها  
وبان الذي تُخفي من الوجدي في الحسنى      إذا جاءها عنى الحديثُ برُوعها

وقضى الناسُ حجَّهم ، وانصرفوا ؛ فمريض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى  
منه على الموت ؛ فلم يأتيه رسولها عائداً ؛ لأن قومها رأوه وعلموا به فقال :

أُلبني لقد جلت عليك مصيبتى      غداة غدٍ إذ حلّ ما أتوقع  
تُمَنِّينِي نَيْلاً وتَلَوِّينِي به      فنفسى شوقاً كلَّ يوم تقطّع  
وقلبكِ قطّ ما يلينُ لما يرى      فواكبي قد طال هذا التضرّع  
ألومك في شأني وأنتِ مُليمةٌ      لعمري ، وأجفني للحبِّ وأقطعُ  
أخبرتِ أني فيك مَيِّتٌ حسرتي      فماض من عينيك للوجدِ مدمعُ  
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً      وإن كان دائي كلُّه منك أجمعُ  
صبيحةً جاء العائداتُ يمدنني      فظلتُ على العائداتُ تفجعُ  
فقائلةٌ جئنا إليه وقد قضى      وقائلةٌ لا ، بل تركناه يَنزِعُ<sup>(١)</sup>  
فما غشيتُ عينيكِ من ذلكِ عبْرَةٌ      وعيني على ما بي بذكرالكِ تدمعُ

فبَلَّتْهَا الأبياتُ ؛ فجزعت جزعاً شديداً ، وبكت بكاءً كثيراً ، ثم خرجت

(١) في النزح : أي على شفا الموت.



إليه ليلا على موعد ؛ فاعتذرت وقالت : إنما أتيت عليك وأخشى أن تُقتل ، فإني  
أتحمالك لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا ، وودعته وانصرفت .

وبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به ، وإنه سيموت في سفره هذا ،  
فقال لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراه إلا كاذباً فيما يدعى ، ومتمللاً لا عليلاً ،  
فبلغه ذلك فقال :

تسكادُ بلادُ الله يا أمَّ معمرٍ بما رُحبتَ يوماً على تضيُّقٍ

إلى أن قال :

سعى الدهرُ والواشونَ بيني وبينها      فقطعَ حبلَ الوصلِ وهو وثيق  
هل الصبرُ إلا أن أصدَّ فلا أرى      بأرضكٍ إلا أن يكون طريق  
ثم أتى قومه ، فاقطعَ قطعةً من الإبل ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ،  
ويتمتار لأهله بثمنها . فعرف أبوه أنه إنما يريدُ لبني ، فعاتبه وزجره عن ذلك ؛  
فلم يقبل منه ، وأخذ إبله وقدم المدينة .

فبينما هو يعرضها إذ ساهمه زوجُ لبني بناقيةٍ منها ، وهما لا يتعارفان فباعه  
إياها . فقال له : إذا كان غداً فأتني في دار كثير بن الصلتِ فاقبضِ الثمن . قال :  
نعم . ومضى زوجُ لبني إليها ، فقال لها : إني آبتعتُ ناقيةً من رجل من أهل البادية ،  
هو يأتينا غداً لقبضِ ثمنها ، فأعدّي له طعاماً ، ففعلت .

فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم وقال : قولي لسيدك : صاحب الناقية  
بالباب . فعرفت لبني نعمته فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل .  
فدخل فجلس . فقالت لبني للخادم : قولي له : يا فتى ؛ مالي أراك أشعث أغبر ؟



فقات له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حال من فارق الأحيبة واختار الموت على الحياة ، وبكى .

فقات لها لُبني : قولي له : حَدَّثْنَا حَدِيثَكَ ؛ فلما ابتدأ يُحَدِّثُ به كشفت الحجاب ، وقالت : حَسْبُكَ ! قد عرفنا حَدِيثَكَ ! وأسبَلتِ الحجاب ؛ فبُهِتَ ساعة لا يتكلم ، ثم انفجر باكياً ونهض نخرج ؛ فناداه زوجها : وَيْحَكَ ! ما قصتُك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك وإن شئت زدناك . فلم يكلمه ، ومضى .

وقالت لُبني لزوجها : وَيْحَكَ ! هذا قيس بن ذريح . فما حملك على ما فعلت به ؟ قال : ما عرفته . وجعل قيس يبكي في طريقه ، ويندب نفسه ، ويوبخها على فعله ، ثم قال :

أَتَبَكَّى عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا      وَأَنْتَ عَلَيْهِمَا بِالْمَلَأَ أَنْتَ أَقْدَرَ  
فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ      عَلَى فَلِالدُّنْيَا بَطُونٌ وَأَظْهَرُ  
لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ      وَلِلْكَفِّ مَرْتَادٌ وَلِلْمَيْنِ مَنْظَرُ  
وَاللَّحَائِمِ الْعَطْشَانَ رِيٌّ بِرِيقِهَا      وَوَلِلرَّيحِ الْخِفَالِ خَمْرٌ وَمُسْكِرُ  
كَأَنِّي لَهَا أَرْجُو حَوَّةً بَيْنَ أَحْبَلٍ      إِذَا ذُكِرَتْ<sup>(١)</sup> مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ تَحْطُرُ

وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه ، وأسيف ، ولحقه أمر عظيم ! فأنكروه ، وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت . فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : ويحكم !

(١) الذكرة : ضد النسيان .

أَتَرَوْنِي أَمْرَضْتُ نَفْسِي أَوْ وَجَدْتُ لَهَا سَلْوَةً بَعْدَ الْيَأْسِ فَاخْتَرْتُ أَلْهَمَ وَالْبَلَاءَ ،  
أَوْلِي فِي ذَلِكَ صُنْعًا هَذَا مَا اخْتَارَهُ لِي أَبُوای وَقَتَّلَانِي بِهِ .

فَجَعَلَ أَبُوهُ يَبْكِي ، وَيَدْعُو لَهُ بِالْفَرَجِ وَالسَّلْوَةِ ، فَقَالَ قَيْسُ :

لَقَدْ عَدَّ بَنِييَ يَا حَبَّ لُبْنِي قَسَمٌ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ  
فَإِنَّ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ تَدُومُ عَلَى التَّبَاعِدِ وَالشَّقَاتِ  
وَقَالَ الْأَقْرَبُونَ : تَعَزَّ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُمْ : إِذَنْ حَانَتْ وَفَاتِي (١)

---

(١) قد اختلف في آخر أمر قيس ولبي ، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما ؛ وذكر بعضهم أنه تزوجها فلم تنزل معه حتى ماتا (راجع الألفاني ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ج ٩) .

٤٦ — ما أبالي ما نيل من شعري ومن بشري\*

كان بشر<sup>(١)</sup> بن مروان شديداً على العصاة فكان إذا ظفر بالعاصي أقامه  
على كرسي وسمّر كفيّه في الحائط بمسار، ونزع الكرسي من تحته فيضطرب  
معلقاً حتى يموت .

وكان فتى من بني عجل مع المهلب رهو يحارب الأزارقة ، عاشقاً لابنة عم له ،  
فكتبت إليه تستزيره ؛ فكتب إليها :

لولا مخافة بشرٍ أو عقوبته      أو أن يشدّ على كفيّ مسار  
إذن لعطّلتُ نغري<sup>(٢)</sup> تم زُرْتُكم      إنَّ الحبَّ إذا ما اشتاق زوّار

فكتبت إليه :

ليس الحبُّ الذي يخشى العقابَ ولو      كانت عُقوبته في إلفه النارُ  
بل الحبُّ الذي لا شيءُ يمنعه      أو تستقرّ ومن يهوى به الدارُ

فلما قرأ كتابها عطّل نغره ، وانصرف إليها ، وهو يقول :

أستغفرُ الله إذ خفتُ الأميرَ ولم      أخشَ الذي أنا منه غيرُ منتصر  
فشانٍ بشرٍ بلحمتي فليعدّ به      أو يعفُ عفواً أمير خيرٍ مقتدر

\* الأماي : ٢ - ٣٠

(١) بشر بن مروان: أمير كان سمحاً جواداً، ولي لإمارة العراقين لأخيه عبد الملك، توفي سنة ٧٥ هـ .

(٢) النغري: موضع الخافة من فروج البلدان .



فما أبالي - إذا أمسيتِ راضيةً يا هندُ - ما نيلَ من شعري ومن بشري  
ثم قدم البصرة ، فما أقام إلا يومين حتى وشى به واش إلى بشر؛ فقال : على  
به ! فأتى به ، فقال : يا فاسق ، عطلت نورك ! هلموا إلى الكرسي ، فقال : أعز الله  
الأمير ، إن لي عذراً ، فقال : وما عذرك ؟ فأنشده الأبيات ، فرق له وكتب إلى  
المهلب فأنبته في أصحابه .

٤٧ — في القلبين ثم هوى دفين \*

كان مبيبُ عشق المجنون<sup>(١)</sup> ليلي ، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة ،  
وعليه حُتَّان من حُلل اللوك ، فرَّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها نسوة  
يتحدثن ، فيهن ليلي ، فأعجبهن جماله وكأله ، فدعونه إلى النزول والحديث ، فنزل  
وجعل يتحدثن ، وأمر عبداً له كان معه ، فقهرهن ناقته ، وظل يتحدثن بقية  
يومه .

فينا هو كذلك ، إذ طلع عليهن فتى عليه بُرْدَةٌ من بُردِ الأعراب يقال له :  
« مُنَازِل » يسوق معزى له ، فلما رأيته أقبلن عليه ، وتركن المجنون ، ففضب  
وخرج من عندهن وأنشأ يقول :

أأعقرهن جراً<sup>(٢)</sup> كريمة ناقتي      ووصلى مفروش<sup>(٣)</sup> لوصل مُنازِلِ  
إذا جاء قمعن الحلي ولم أكن      إذا جئت أرضى صوت تلك الخلالِ  
متى ما اتضلنا<sup>(٤)</sup> بالسهام نضلت<sup>(٥)</sup>      وإن نرّم رُشقا<sup>(٦)</sup> عندها فهو ناظِلِ

فلما أصبح لبس حليته ، وركب ناقةً له أخرى ، ومضى متعريضاً لهن ، فألقى  
ليلي قاعدةً بفناء بيتها ، وقد علق حبه بقلبها وهويته ، وعندها جواريات يتحدثن

\* الأغانى : ٢ : ١٢

(١) هو قيس بن اللوح من بني عامر ، وصاحبه هي ليل بنت مهدي ، وتكنى أم مالك ، وقد استفانت  
كتب الأدب بأخبار عشقه ، واختلف الرواة في سجة نسبها إليه ، توفي سنة ٨٠ هـ (٢) من  
جرا : من أجل (٣) مفروش : ممدلوله وسبيل إليه (٤) اتضلنا : ترامينا (٥) نضلت :  
سبقته (٦) الرشق : رمى أهل النضال ما معهم من السهام في جهة واحدة .

جمعها ، فوقف بهنَّ وسلم ، فدعونه للنزول وقلن له : هل لك في محادثةٍ من لا يشغلهُ  
عنك منازلٌ ولا غيرهُ ؟ فقال : إى أَمَرِي ! فترزل وفعل مثل ما فعله بالأمس ،  
فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثل ما له عندها ، فجعلت تُعرض عن حديثه  
ساعةً بعد ساعة ، وتحدّثُ غيره ، وقد كان علق بقلبها مثل حبها إياه ، وشغفته  
واستملحها .

فبينما هي تُحدّثه إذ أقبل فتى من الحمى ، فدعته وسارته سِراراً<sup>(١)</sup> طويلاً ،  
ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون فوجدته قد تغيّر ، وانبتقع<sup>(٢)</sup> لونه ،  
وشقَّ عليه فعلها ، فأنشأت تقول :

كِلَانًا مُظهِرًا لِلنَّاسِ بُغْضًا      وَكُلًّا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينًا<sup>(٣)</sup>  
تَبَلَّغْنَا الْعَيُونَ بِمَا أَرَدْنَا      وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفِينًا

فلما سمع البيتين شهق شهقةً شديدة وأغمى عليه ، فكث على ذلك ساعة .  
ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق ، وتمكّن حُبُّ كلِّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه  
حتى بلغ منه كلٌّ مبلغ .

(١) سراراً : مصدر سارته في أذنه مسارة وسراراً (٢) انتقع : تغير لونه (٣) فلان مكين منه  
غلان : بين المكانة .



٤٨ — أَخْبَرَنِي عَنْ لَيْلَةِ الْغَيْلِ \*

اجتاز قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِالْمَجْنُونِ وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ فِي نَادِي قَوْمِهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشْتَقًا إِلَى لِقَاءِ الْآخَرِ ، وَكَانَ الْمَجْنُونُ قَبْلَ تَوْحُّشِهِ لَا يَجْلِسُ إِلَّا مَنْفَرَدًا ، وَلَا يَحْدِثُ أَحَدًا ، وَلَا يَرُدُّ عَلَى مُتَكَلِّمٍ جَوَابًا ، وَلَا عَلَى مُسَلِّمٍ سَلَامًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ ، فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَعَانَقَهُ وَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَخِي ، أَنَا وَاللَّهِ مَذْهُوبٌ بِي ، مُشْتَرِكُ اللَّبِّ فَلَا تَلْسَنِي ؛ فَتَحَدَّثْنَا سَاعَةً وَتَشَاكِيَا وَبَكِيَا .

ثم قال له المجنون : يا أخى ؛ إن حى ليلى منا قريب ، فهل لك أن تمضى إليها فتبلغها عنى السلام ؟ فقال له : أفل .

فمضى قيسُ بنُ ذريحٍ حتى أتى ليلى فسلم وانسب ؛ فقالت له : حياك الله ، ألك حاجة ؟ قال : نعم ؛ ابن عمك أرسلنى إليك بالسلام ؛ فأطرقت ثم قالت : ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله ، قل له عنى : أرايت قولك :

أَبَتْ لَيْلَةَ بِالْغَيْلِ <sup>(١)</sup> يَا أُمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حَبِّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ  
أَلَا إِنَّمَا أَبْقَيْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ <sup>(٢)</sup> صَدَى أَنِينَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ يَذْهَبُ  
أخبرنى عن ليلة الغيل ، أى ليلة هى ؟ وهل خلوتُ معك فى الغيل أو غيره

\* الأغانى : ٢ - ٩٣

(٢) الصدى : يطلق على الرجل النجيب الجسد

(١) الغيل : اسم واد لبني جمدة

ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس : يا بنة عم ، إنَّ الناسَ تأوَّلوا كلامه على غير ما أراد ،  
فلا تكوني مثلهم ، إنما أخبرَ أنهرآك ليلة الغنيل فذهبتِ بقلبه ، لا أنه عناك<sup>(١)</sup> بسوء .  
فأطرقت طويلاً ودموعها تجرى وهي تُكفِّكُفها ، ثم استحبت حتى ظنَّ  
أنه تقطعت حيازيمها<sup>(٢)</sup> ؛ ثم قالت : اقرأ على ابنِ عمي السلام ، وقل له :  
بنفسى أنت ! والله إن وجدى بك لَفوق ما تجدُ ، ولكن لا حيلة لى فيك ؛  
فانصرف قيسٌ ليخبره فلم يجده !

---

(١) عناك : قصدك (٢) حيازيم : جمع حيزوم ، وهو الصدر أو وسطه .

٤٩ - أيا شِبْهَ لَيْلى لا تَرَاعى \*

مَرَّ المَجْنُونُ بِرَجْلينِ قَدِ صادَا ظِبيَّةً فَرَبَطَها بِجِبلٍ وَذَهَبَ بِها ، فلما نَظَرَ إليها  
وهِى تَرَكَضُ في جِبالِها دَمَعَتُ عَيناهُ ، وَقالَ لَها : حُلّاها وَخُذّا مَكانَها شاةً مَن  
غَنى ، نَمَّ أَنشَدَها :

يا صاحِبِي الَّذينَ اليَومَ قَدِ أَخَذّا      في الجِبلِ شِبْهاً لَيلى نَمَّ غَلاها  
إِنّى أرى اليَومَ في أَعْطافِ شاتِكِما      مُشابِهاً أَشَبَّهتُ لَيلى فَحَلّاها  
نَمَّ أَعْطَها الشاةَ فَحَلّاها ، فَوَلَّتْ هارِبَةً فَقالَ - وَقَدِ نَظَرَ إليها وَهِى تَعَدُّو :  
أيا شِبْهَ لَيلى لا تَرَاعى <sup>(١)</sup> ؛ فَإننى      لَكَ اليَومَ مَن وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ  
وَيَاشِبُهَ لَيلى لو تَلَبَّثتِ ساعَةً      لَعَلَّ فِؤادى مَن جَوّاهُ يُفِيقُ  
فَعيَناكِ عَينَناها وَجَيدُكِ جَيدُها      وَلَكنَّ عَظَمَ الساقِ مَنكَ دَقيقُ  
أقولُ وَقَدِ أَطَلَقَها مِن وَثاقِها      لَأَنتِ لَيلى ما حَيتُ طَلِيقُ

\* الأغانى : ٢ - ٨١ - لسان العرب - مادة روع .

(١) لا تراعى : لا تخاف .



٥٠ - اسْتَبْكَا نِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى \*

قال رجل من بني عامر :

مُطِرْنَا مَطْرًا شَدِيدًا فِي رَبِيعٍ ، وَدَامَ الْمَطَرُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ  
عَلَى صَحْوٍ ، وَخَرَجَ النَّاسُ يَمْشُونَ عَلَى الْوَادِي ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا جَالِسًا حَجْرَةً <sup>(١)</sup>  
وَحَدَهُ ؛ فَقَصَدْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ الْمَجْنُونُ جَالِسٌ وَحَدَهُ يَبْكِي ، فَوَعظْتُهُ وَكَلَّمْتُهُ طَوِيلًا ،  
وَهُوَ سَاكِتٌ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِلَيَّ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَنِي بِصَوْتٍ حَزِينٍ لَا أَنْسَاهُ أَبَدًا :

جَرَى السَّيْلُ فَاسْتَبْكَا نِي السَّيْلُ إِذْ جَرَى      وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقَلَّتِي غُرُوبٌ <sup>(٢)</sup>  
وَمَا ذَاكَ إِلَّا حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ      يَكُونُ بَوَادِي أَنْتِ فِيهِ قَرِيبٌ  
يَكُونُ أَجَاجًا <sup>(٣)</sup> دُونَكُمْ فَإِذَا اتَّهَى      إِلَيْكُمْ تَلَقَّى طَيْبِكُمْ فَيْطِيبُ  
أَظَلُّ غَرِيبَ الدَّارِ فِي أَرْضِي عَامِرٍ      أَلَّا كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبٌ  
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمَى      إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لِحْيَبُ  
فَلَا خَيْرَ .      الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْزُرْ      حَبِيبًا وَلَمْ يَطْرَبْ إِلَيْكَ حَبِيبُ

\* الأغانى : ٢ - ٦٣

(١) حجرة : ناحية (٢) الغروب : جمع غرب ، وهو الدع (٣) ماء أجاج : ملح مر .

٥١ - عهد جبل التَّوْبَادِ \*

كان المجنونُ وليلى وها صَبِيَّانِ يَرْعِيَانِ غَنًّا لِأَهْلِهِمَا عِنْدَ جَبَلٍ فِي بِلَادِهِمَا  
يُقَالُ لَهُ التَّوْبَادُ (١) ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ وَتَوَحَّشَ كَانَ يَجِيءُ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَيَقِيمُ بِهِ ،  
فَإِذَا تَذَكَّرَ أَيَّامَ كَانَ يُطِيفُ هُوَ وَوَلِيِّهُ بِهِ جَزَعٌ جَزَعًا شَدِيدًا ، وَاسْتَوْحَشَ ؛  
فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى يَأْتِيَ نَوَاحِيَ الشَّامِ ، فَإِذَا نَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ رَأَى بِلَادًا لَا يَعْرِفُهَا ؛  
فَيَقُولُ لِمَنْ يَلْقَاهُمْ مِنَ النَّاسِ : يَا بِي أَيْتُمْ ! أَيْنَ التَّوْبَادُ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ؟  
فَيُقَالُ لَهُ : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ! أَنْتَ بِالشَّامِ ! عَلَيْكَ بِنَجْمِ كَذَا فَأَمَّهُ !  
فَيَمِضُ عَلَى وَجْهِهِ نَحْوَ ذَلِكَ النَّجْمِ حَتَّى يَقَعَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ ، فَيَرَى بِلَادًا يُنْكِرُهَا  
وَقَوْمًا لَا يَعْرِفُهُمْ فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّوْبَادِ وَأَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ، فَيَقُولُونَ : وَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ  
أَرْضِ بَنِي عَامِرٍ ! عَلَيْكَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقَعَ عَلَى التَّوْبَادِ ،  
فَإِذَا رَأَاهُ قَالَ فِي ذَلِكَ :

وَأَجْهَشْتُ (٢) لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ	وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتَنِي
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ	وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فِدْعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جَبْرَةٌ	وَعَهْدِي بِذَلِكَ الصَّرْمِ مِنْذُ زَمَانٍ
فَقَالَ : مَضَوْا وَأَسْتَوْدَعُونِي بِبِلَادِهِمْ	وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْخَلْدَانِ !
وَإِنِّي لِأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدًا	فِرَاقِكَ وَالْحَيَّانِ مُجْتَمِعَاتٍ
سِجَالًا وَتَهْتَانًا (٣) وَوَبَلًا وَدِيمَةً	وَسَحًّا وَتَسْجَامًا (٤) إِلَى هَمْلَانَ

\* الأغانى : ٢ - ٥ .

(١) جبل بنجد (٢) أجهش إليه : فزع إليه وهو يريد البكاء (٣) هنت السماء : صبت  
(٤) سجت السحابة مطرها إذا صبت .

٥٢ — حديث المجنون عن ليلى \*

قال أحد الرواة: قلت لقيس بن الملوّح قبل أن يخالط<sup>(١)</sup>: ما أعجبُ شيء أصابك في وجدك بليلى؟ قال: طرّفنا ذات ليلةً أضيافاً، ولم يكن عندنا لهم أدم، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى، وقال لي: اطلب لنا منه أدماً. فأتيتُه فوفقتُ على خبائه فصحتُ به، فقال: ما تشاء؟ فقلتُ: طرّفنا ضيفاناً ولا أدم عندنا لهم، فأرسلني أبي أطلبُ منك أدماً، فقال: يا ليلى؛ أخرجي إليه ذلك النحى<sup>(٢)</sup>، فاملئي له إناءه من السمن. فأخرجته ومعى قعب<sup>(٣)</sup>، فجعلتُ تصبُ السمن فيه وتتحدّث، فألهاها الحديثُ وهي تصبُ السمن وقد امتلأ القعبُ ولا نعلم جميعاً، وهو يسيلُ حتى استنقعتُ أرجلنا من السمن. فأتيتهم ليلةً ثانية أطلبُ ناراً، وأنا متلفّع ببردٍ لي، فأخرجتُ لي ناراً في عُطبة<sup>(٤)</sup> لي فأعطتنيها، ووقفنا نتحدّث، فلما احترقت العُطبة خرقتُ من بردٍ خرقة، وجعلتُ النارَ فيها، فكلما احترقتُ خرقتُ أخرى، وأذكيتُ بها النارَ حتى لم يبق عليّ من البرد إلا ما واري عورتِي، وما أعقلُ ما أصنع!

\* الأغانى: ٢ - ٣١

(١) خولط في عقله: فسده عقله (٢) النحى: الزق بوضع فيه السمن (٣) القعب: القدر الضخم الغليظ (٤) العُطبة: خرقة تؤخذ بها النار.



٥٣ — حَلَالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا\*

سأل الملوّح - أبو المجنون - رجلاً قَدِمَ من الطائف أن يَمُرَّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبره أنه لقي ليلى وجلس إليها ، ووصف له صفاتٍ منها ومن كلامها يبرفها المجنون ؛ وقال له : حدثه بها ، فإذا رأيته قد اشترأب<sup>(١)</sup> لحديثك واشتهاه فعرّفه أنك ذكرته لها ووصفت مابه فشتمته وسبته ، وقالت : إنه يكذب عليها ويُشهرها<sup>(٢)</sup> بفعله ، وإنها ما اجتمعت به قطّ كما يصفُ .

فعمل الرجل ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلاقائه إياها ، فأقبل عليه وجعل يُسأله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبها إياه وشتمها له ، فقال - وهو غير مُكترث لما حكاه عنها :

تمر الصبأ صفحاً بساكن ذى الغصى	ويصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
إذا هبتِ الريحُ الشمالُ فإتما	جواى بما تهدى إلى جنوبها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإتما	هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبها
وحسبُ الليالى أن طرَحَنك مَطْرَحاً	بدارِ قِلي تُمسي وأنتَ غريبها
حلالٌ ليلي شتْمنا وانتقاصنا	هنيئاً ومغفورٌ ليلي ذنوبها

\* الأغانى : ٢ - ٨٥

(١) اشترأب إليه : مد عنقه لينظر ، أو ارتفع .

(٢) الشهرة : ظهور الشيء في شئمة ، شهرة كمنه ، وشهرة واشتهره فاشتهر .

٥٤ — إن داني ودواني أنت\*

قال بعض مشايخ بني عامر :

مرّ المجنونُ في تَوَحُّشِهِ ، فصادفَ حَيَّ لَيْلَى راحِلًا ، ولقيها فجأةً ، ففرّ بها  
وعرّفته ، فصعقَ وخرَّ مغشيًا على وجهه .

وأقبلَ فتيانٌ من حَيِّ لَيْلَى ؛ فأخذوه ومَسَحُوا الترابَ من وجهه ، وأسندوه  
إلى صدورهم ، وسألوا لَيْلَى أن تَقِفَ له وقفةً ؛ فرقتَ لِمَا رآته به ؛ وقالت : أمّا هذا  
فلا يجوزُ أن أفتضحَ به ، ولكن يا فلانة - لآمةٍ لها - اذهبي إلى قيسِ فقولِي له :  
لَيْلَى تقرأُ عليك السلام ، وتقولُ لك : أعزّزِ عليّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً  
إلى شفاءِ دائك لوقيتُكَ بنفسِي منه ، فضتِ الوليدةُ<sup>(١)</sup> إليه ، وأخبرتهُ بقولها ،  
فأفاقَ وجلسَ وقال : أبلغِها السلامَ وقولِي لها : هيهات ! إن داني ودواني أنتِ ؛  
وإنّ حياتِي ووفاتي لفي يديك ، ولقد وكلتُ بي شقاءَ لازماً ، وبلاءَ طويلًا ، ثم  
بكي وأنشأ يقول :

أقولُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها      قريبٌ ولكن في تناوُلِها بُقْدُ  
لقد عارضتنا الریحُ منها بنفحةٍ      على كبدِي من طيبِ أرواحها برْدُ

\* الأغانى : ٢ - ٦٤ .  
(١) الوليدة : الجارية .

فأزلتُ مَغْشِيَا عَلَيَّ وَقَدْ مَضَتْ  
أَنَاةٌ<sup>(١)</sup> وَمَا عِنْدِي جَوَابٌ وَلَا رَدٌّ  
أَقْلَبُ بِالْأَيْدِي وَأَهْلِي بِمَوْلَةٍ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَظْمُ عَارِيًّا  
وَأَدْنِيَايَ مَالِي فِي انْقِطَاعِي وَرَغْبَتِي  
عِدِّي - بِنَفْسِي أَنْتِ - وَعَدَا فَرَّ بِمَا  
وَقَدْ يُبْتَلَى قَوْمٌ وَلَا كَيْلِيَّتِي  
غَزَّتْنِي جُنُودُ الْحَبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ<sup>(٤)</sup> أَنَّى جُنْدٌ  
وَلَا عَظْمٌ لِي إِنْ دَامَ مَا بِي وَلَا جِلْدٌ  
إِلَيْكَ ثَوَابٌ مِنْكَ دَيْنٌ وَلَا نَقْدٌ  
جَلَا كُرْبَةً لِلْمَكْرُوبِ عَنِ قَلْبِي الْوَعْدُ  
وَلَا مِثْلَ جَدِّي<sup>(٣)</sup> فِي الشَّقَاءِ بِكُمْ جَدُّ  
إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قُفُولٌ<sup>(٤)</sup> أَنَّى جُنْدٌ

(١) أناة : انتظار (٢) العولة : رفع الصوت بالكاء (٣) الجند : الحفظ (٤) القفول : رجوع الجند بعد النزول .



٥٥ — مارأيت مثلَ حزنِها ووجدِها عليه\*

قال بعضُ أشياخِ بني مُرَّة: خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشام والحجاز وما يلي تيماءَ والسَّراةَ<sup>(١)</sup> وأرضَ نجد؛ في طلبِ بُغِيَّةٍ له، فإذا هو بِحَيِّمَةٍ قد رُفِعَتْ له وقد أصابه المطر؛ فعدَلَ إليها وتَنَحَّحَ، فإذا امرأةٌ قد كَلَمَتْهُ، فقالت: انزل، فنزل - وراحت إيلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم - فقالت: سلوا هذا الرجلَ من أينَ أقبل؟ فقلتُ: من ناحيةِ تهامة ونجد، فقالت: ادخل أيها الرجل.

فدخلتُ إلى ناحية من الحَيِّمة، فأرختُ يدي وبينها سترًا، ثم قالت لي: يا عبدَ الله؛ أيُّ بلادِ نجد وطئت؟ فقلت: كلَّها؛ قالت: فبِمنَ نزلتَ هناك؟ قلت: ببني عامر، فتنفَّستِ الصُّعداء، ثم قالت: فبأيِّ بني عامر نزلتَ؟ فقلتُ: ببني الحَرِشِ، فاستعبرت<sup>(٢)</sup> ثم قالت: فهل سمعتَ بذكر فتى منهم يقال له: قَيْسُ بن الملوِّح ويلقب بالجنون؟ قلت: بلى والله! وعلى أبيه نزلتُ، وأُتيتُهُ فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفَيَافِي<sup>(٣)</sup>، ويكون مع الوحش لا يعقل ولا يفهم إلا أن تُذكَرَ له امرأةٌ يقال لها: ليلي، فيبكي ويُدشِدُ أشعاراً قالها فيها.

فرفعتِ السَّترَ بيني وبينها، فإذا فِلَقَةٌ قر لم ترَعَيْني مثلَها؛ فسكتُ حتى ظننتُ - والله - أن قلبها قد انصدَع، فقلت: أيتها المرأة؛ اتقى الله فما قلتَ بأَسًا. فسكتت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب، ثم قالت:

\* الأغانى: ٢ - ٣٦

(١) السراة: الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد (٢) استعبرت: جرت عبرتها وحزنت (٣) الصغاري.

ألا ليت شعري ، والخطوبُ كثيرة مَتَى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌ<sup>(١)</sup> فَرَأَجُعُ  
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِرَحْلِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعُ  
ثُمَّ بَكَتْ حَتَّى سَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْتِ يَا أُمَّةَ اللَّهِ ؟ وَمَا  
قِصَّتْكَ ؟ قَالَتْ : أَنَا لَيْلَى صَاحِبَتُهُ الْمَشْتُومَةُ - وَاللَّهِ عَلَيْهِ ، غَيْرُ الْمُونِسَةِ لَهُ ، فَمَا رَأَيْتُ  
مِثْلَ حُزْنِهَا وَوَجْدِهَا عَلَيْهِ قَطًّا .

---

(١) استقل القوم : ذهبوا وارتحلوا .

٥٦ — عند الكعبة\*

رُوي أن أبا المجنون وأمه ورجالَ عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلي ، فوعظوه  
وناشدوه الله والرحم ، وقالوا له : إن هذا الرجل لهالك ، وقبَل ذلك هو في أقبَح  
من الهلاك بذهاب عقله ، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله ، فشدَّ ناك الله والرحم أن  
تفعل ذلك ، فوالله ما هي أشرفُ منه ولا لك مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكمتك في  
المهر ، وإن شئت أن يتخلع نفسه إليك من مالهِ فَعَل .

فأبى وحلف بالله وبطلاقِ أمِّها إنه لا يزوجه إياها أبداً ، وقال : أفصحُ  
نفسى وعشيرتى وآتى ما لم يأتِه أحدٌ من العرب ، وأسمُ<sup>(١)</sup> ابنتى بميسمٍ فضيحة !  
فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوجه رجالاً من قومها وأدخلها إليه .

فما أمسى إلا وقد بنى بها<sup>(٢)</sup> ، وبلغ المجنون الخبيرُ فأيس<sup>(٣)</sup> منها حينئذٍ وزال  
عقله ، فقال رجالُ الحى لأبيه : احججْ به إلى مكة ، وادعُ الله عزَّ وجلَّ له ،  
ومرَّه أن يتعلق بأستار الكعبة ، فيسألَ الله أن يُعافيه مما به ، ويُبغِّضها إليه ،  
فلعلَّ الله أن يُخلِّصه من هذا البلاء .

فحجَّ به أبوه ؛ فلما صاروا بمنى سمع صائحاً في الليل بصيح : يا ليلي ! فصرخ  
حرخةً ظنوا أن نفسه قد تَلَفَت ، وسقط مَنشياً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح  
ثم أفاق حائل<sup>(٤)</sup> اللون ذاهلاً ، فأنشأ يقول :

\* الأغانى : ٢ - ٢١

(١) أسم : أصف (٢) بنى : دخل بها (٣) أيس : يس (٤) حائل اللون : متغيره .



عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْعَزَاءُ فَقَالَ لِي :      مِنْ الْآنَ فَإِيَّاسٌ لَا أَعَزَّكَ مِنْ صَبْرِ  
إِذَا بَانَ مَنْ تَهَوَّى وَأَصْبَحَ نَائِبًا      فَلَا شَيْءَ أَجْدَى مِنْ حُلُوكِ فِي الْقَبْرِ  
وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ<sup>(١)</sup> مِنْ مَنَى .      فَهَيِّجَ أَحْزَانَ الْفَوَادِ وَمَا يَدْرِي  
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا ، فَكَأَنَّمَا      أَطَارَ بَلِيلِي طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي  
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى ضَلَّلَ اللَّهُ سَمِيَهُ      وَلَيْلَى بِأَرْضٍ عَنْهُ نَازِحَةٌ قَفَرِي  
ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبُوهُ : تَعَلَّقْ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يِعَافِيكَ مِنْ حَبِّ  
لَيْلَى ؛ فَتَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ زِدْنِي لِلَّيْلِ حُبًّا ، وَبِهَا كَأَفَاءً ، وَلَا تُنْسِنِي  
ذِكْرَهَا أَبَدًا . فَهَامَ حِينْتِذَ وَاخْتَلَطَ .

فَسَكَانَ يَهِيمٌ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْوَحْشِ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَا يَنْبِتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ بَقْلِ ،  
وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا مَعَ الظَّبْيَاءِ إِذَا وَرَدَتْ مَنَاهِلَهَا ، وَطَالَ شَعْرُ جَسَدِهِ ، وَرَأْسُهُ ، وَالْفَتَّةُ  
الظَّبْيَاءِ وَالْوَحْشُ ، فَسَكَانَتْ لِاتْنَفِيرُ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَهِيمٌ حَتَّى يَبْلُغَ حُدُودَ الشَّامِ ، فَإِذَا  
ثَابَ إِلَيْهِ عَقَلَهُ سَأَلَ مَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ عَنِ نَجْدٍ ؛ فَيَقَالُ لَهُ : وَأَيْنَ أَنْتَ  
مِنْ نَجْدٍ ! قَدْ تَارَفْتَ الشَّامَ ! أَنْتَ فِي مَوْضِعِ كَذَا ، فَيَقُولُ : فَأَرُونِي وَجْهَةَ  
الطَّرِيقِ ، فَيُرْسِمُونَهُ وَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ أَوْ يَكْسُوهُ فَبِأَبِي ، فَيَدْلُونَهُ عَلَى طَّرِيقِ  
نَجْدٍ فَيَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ !

(١) الخيف : ناحية في منى .

٥٧ - ذهول\*

قال نوفل بن مُسَاحِقٍ : قَدِمْتُ البَادِيَةَ فَسَأَلْتُ عَنِ المَجْنُونِ ، قَبِيلِ لِي : تَوَحَّشَ  
وما لنا به عهد ، ولا نَدْرِي إِلَى أين صار .  
فخرجتُ يوماً أَنصِيدُ الأَرْوَى<sup>(١)</sup> ، ومعى جماعةٌ من أصحابي ، حتى إذا كنتُ  
بناحية الحِمَى إذا نحنُ بأرَاكِيَةٍ<sup>(٢)</sup> عظيمة ، قد بدأ منها قطعُ من الطُّبَاءِ ، فيها  
شخصٌ إنسانٍ يُرَى من خَلَلِ تلك الأَرَاكَةِ ؛ فمَجِبَ أصحابي من ذلك ، فعرفته  
وأُتيتُهُ ، وعلفتُ أنه المَجْنُونُ الذي أُخْبِرْتُ عنه .

فنزلتُ عن دابَّتِي ، وتحققتُ<sup>(٣)</sup> من ثيابي ، وخرجتُ أمشي رُوَيْدًا ، حتى  
أُتيتُ الأَرَاكَةَ ؛ فارتقيتُ حتى صيرتُ على أعلاها ، وأشرفتُ عليه وعلى الطُّبَاءِ ؛  
فإذا به وقد تدلَّى الشَّعْرُ على وجهه ، فلم أَكْذُ أَعْرِفُهُ إلا بتأملٍ شديد ، وهو برتعي  
في ثَمَرِ تلك الأَرَاكَةِ ؛ فرفع رأسه فتمثلتُ ببيتٍ من شعره :

أَتَبَسَّكَ عَلَى لَيْلَى وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ . مَزَارَكَ مِنْ لَيْلَى وَشِعْبًا كَمَا مَعَا  
فَنَقَرَتِ الطُّبَاءُ ؛ وَأَنْدَفَعُ فِي بَاقِي القَصِيدَةِ يُنْشِدُهَا ، فَمَا أُنْسَى حُسْنَ نَعْمَتِهِ  
وَحُسْنَ صَوْتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ<sup>(٤)</sup> :

فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الأَمْرَطَانِمَا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أُسْمِعَا

\* الأغانى : ٢ - ٦٦

(١) الأروى : الوعول ، وهي تيبوس الجبل ، واحده أروية . (٢) الأراك : واحدة الأراك  
وهو شجر كثير الورق والأغصان . (٣) أي نزلت شيئاً منها . (٤) بعض هذه الآيات ينسب  
إلى غير المَجْنُونِ ( انظر الأغانى ج ٢٢ ، ص ٦٧ ، والأمل ج ١ ص ١٩٠ ) .

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا      عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلْمِ أُسْبِلَتَا مَعًا<sup>(١)</sup>  
وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْتَنِي      عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ      عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدَمُّعَا  
مَعِيَ كُلُّ غَيْرٍ قَدْ عَصَى عَازِلَاتِهِ      بَوَصَلِ الْغَوَايِ مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعْرَعَا  
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَاءِ مِنْ أَسْرَعَتِ      إِلَيْهِ الْعَيُونَُ النَّاطِرَاتُ التَّلَاعَا  
ثُمَّ سَقَطَ مَفْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَتَمَثَّلْتُ بِقَوْلِهِ :

يَادَارَ لِي لِي بِسِقْطِ<sup>(٢)</sup> الْحَى قَد دَرَسَتْ      إِلَّا التُّمَامَ وَإِلَّا مَوْقِدَ النَّارِ<sup>(٣)</sup>  
فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ حَيَّاكَ اللهُ ؟ قُلْتُ : أَنَا نَوْفَلُ بْنُ مُسَاحِقٍ ،  
فَحَيَّانِي قُلْتَ لَهُ : مَا أَحَدَّثْتَ بَعْدِي فِي يَأْسِكَ مِنْهَا ؟ فَأَنْشَدَنِي يَقُولُ :

أَلَا حُجِبَتْ لِي وَآلَى أَمِيرُهَا      عَلَى يَمِينًا جَاهِدًا لَا أَزُورُهَا  
وَأَوْعَدَتْنِي فِيهَا رِجَالُ أَبُوهُمْ      أَبِي وَأَبُوهَا خُشَّتْ لِي صُدْرُهَا  
عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهَا      وَأَنْ فَوَادِي رَهْنَهَا وَأَسِيرُهَا  
ثُمَّ سَنَحَتْ لَهُ ظِلْبَاءَ قِقَامٍ يَعْدُو فِي أَثَرِهَا حَتَّى لَحِقَهَا ، فَضَى مَعَهَا .

(١) أُسْبِلَتِ السَّمَاءُ : أَمْطَرَتْ : أَيُّ بَكَتْ عَيْنَاهُ . (٢) السَّقْطُ : حَيْثُ انْقَطَعَ مَعْظَمُ الرَّمْلِ وَرَقًا .  
(٣) التُّمَامُ : نَبْتٌ فِي الْبَادِيَةِ ، كَانَ الْعَرَبُ يَسُدُّونَ بِهِ خِصَامَ الْبُيُوتِ .



٥٨ — خاتمة المجنون\*

خرج شيخٌ من بنى مرّة ليلتي المجنون في أرض بني عامر ثم حدث فقال :  
دُللتُ على محلّته فأتيتها ، فإذا أبوه شيخٌ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال ، وإذا نعمٌ  
كثيرٌ<sup>(١)</sup> وخيرٌ ظاهر ، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً .

وقال الشيخُ : والله لقد كان آثر في نفسي من هولاء وأحبهم إلى ! وإنه  
هوَى امرأةً من قومه ، والله ما كانت تطمعُ في مثله ، فلما أن فشا أمرُه وأمرها  
كرِه أبوها أن يزوجهَا منه بعد ظهورِ الخبر ، فزوجهَا من غيره ، فذهب عقلُ ابني  
ولحِقَه خبلٌ ، وهامَ في الفياثي وجدأ عليها ، فحبسناه وقيدناه ، فجعل يعضُ لسانَه  
وسفتتيه ، حتى خفنا عليه أن يقطعهما ، فخلينا سبيله ، فهو يهيم في هذه الفياثي مع  
الوحوش ؛ يذهبُ إليه كلُّ يوم بطعامه فيوضع له حيث يراه ، فإذا تنجّوا عنه  
جاء فأكل منه .

فسألتهم أن يدلّوني عليه ، فدلّوني على فتى من الحمى كان صديقاً له ، وقالوا :  
إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ؛ فأتيتهُ فسألته أن يدلّني عليه ،  
فقال : إن كنت تريد شعره فكلُّ شعرٍ قاله إلى أميس عندي ، وأنا ذاهبٌ  
إليه غدأ ، فإن كان قل شيئاً أتيتك به . فقلت : بل أريد أن تدلّني عليه لا تبيّه ؛

\* الأغانى : ٢ - ٨٨ ، السعوى : ٢ - ١٧٧

(١) النعم : يذكر ويؤث .

قال لي : إن نَفَرَمَنكَ نَفَرٌ مَنى فيذهبُ شِعْرَهُ ، فأبَيْتُ إِلَّا أَنْ يَدُلَّنِي عَلَيْهِ ، فقال :  
اطلبه في هذه الصحارى ، فإذا رأيتَهُ فاذنُ منه مستأنسا ، ولا تُرِهْ أَنَّكَ تَهَابُهُ ،  
فإنه يتهدّدك ويتوعّدك أن يرَمِيكَ بشيْءٍ ، فلا يرُوعنكَ ، واجاس صارفأبصرك  
عنه ، والحظه أحيانا ، فإذا رأيتَهُ قد سكن من نِفَارِهِ فأنشده شعرا غزلا ، وإن  
كنتَ تروى من شعر قيس بن ذريح شيئا فأنشدهُ إياه فإنه مُعجَبٌ به .

نُفِرْتُ فطلبتُهُ يَوْمِي إِلَى العَصْرِ ؛ فوجدته جالسا على رَمْلٍ قد خَطَفَ فِيهِ بِإصْبَعِهِ  
خُطوطًا ، فدنوتُ منه غيرَ مُتَقَبِّضٍ ، فنَفَرَ مِنِّي نَفورَ الوَحْشِ مِنَ الإِنْسِ ، وإلى  
جانبه أحجارٌ فتناول حَجْرًا ، فأعرضتُ عنه ، فكث ساعة كأنه نافرٌ يريد  
القيام ، فلما طال جُلوسى سكن وأقبل يخطُ بِإصْبَعِهِ . فأقبلتُ عليه وقلت : أحسن  
والله قيس بن ذريح حيث يقول :

أَلَا يَا غَرَابَ البَيْنِ وَيَحْكَ نَبِيٌّ <sup>(١)</sup> بعلك في لُبْنَى وَأَنْتَ خَبِيرٌ  
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَلِمْتَهُ فَلَاطِرْتِ إِلَّا وَالْجَنَاحُ كَسِيرٌ  
وَدُرْتُ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ كَمَا قَد تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورٌ

فأقبل على وهو يبكي ، ثم قال : وأنا أحسنُ منه قولًا حيثُ أقول :

كَأَنَّ القَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُنْدَى بليلى العَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ  
قَطَاةٌ عَزَّهَا <sup>(٢)</sup> شَرَكٌ فَبَاتَتْ تُنَازِعُهُ وَقَدْ عَلِقَ الجَنَاحُ  
فَأَمْسَكَتُ عَنْهُ هُنَيْهَةً ، ثم أقبلتُ عليه فقلتُ : وأحسنَ والله قيس

(١) نبي : نبيئى وأخبرنى .

(٢) عزها : غلبها .

ابن ذَرِيحٍ حيث يقول :

وَإِنِّي لَمُفْنٍ دَمَعٌ عَيْنِيَّ بِالْبُكَاءِ حِذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ  
وَقَالُوا : غَدَاً أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلِيلَةٍ فِرَاقُ حَبِيبٍ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِنٌ  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفِّكَ إِلَّا أَنْ مَا حَانَ حَائِنٌ  
فَبِكِي - وَاللَّهِ - حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسَهُ قَاضَتْ<sup>(١)</sup> ، وَقَدْ رَأَيْتُ دُمُوعَهُ  
قَدْ بَلَّتِ الرَّمْلَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنَ لَعَمْرُؤُا اللَّهُ ؛ وَأَنَا وَاللَّهِ أَشْرَمُهُ  
حَيْثُ أَقُولُ :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ يُحِلُّ الْعَصْمَ<sup>(٢)</sup> سَهْلَ الْأَبَاطِحِ  
تَنَاءَبَتْ عَنِّي حِينَ لَا لِي حَيْلَةٌ وَخَلَقْتَ مَا خَلَقْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
ثُمَّ سَنَحْتَ لَهُ ظَبِيَّةً فَوَثَبَ بَعْدَ خَلْفِهَا حَتَّى غَابَ عَنِّي ، وَانصَرَفْتُ .  
وَعُدْتُ مِنْ غَدٍ فَطَلَبْتَهُ فَلَمْ أَجِدْهُ ، وَجَاءَتْ امْرَأَةٌ - كَانَتْ تَضَعُ لَهُ طَعَامَهُ -  
إِلَى الطَّعَامِ فَوَجَدْتُهُ بِجَاهِهِ .

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ غَدَوْتُ ، وَجَاءَ أَهْلُهُ مَعِيَ فَطَلَبْنَاهُ يَوْمَئِذٍ فَلَمْ نَجِدْهُ ، وَغَدَوْنَا  
فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ نَسْتَقْرِي أَثْرَهُ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى وَجَدْنَاهُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْحِجَارَةِ خَسِنٌ وَهُوَ  
مَيِّتٌ بَيْنَ تِلْكَ الْحِجَارَةِ ، فَبَيْنَمَا يَقْلَبُونَهُ إِذْ وَجَدُوا خِرْقَةً فِيهَا :

أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الَّذِي مَا بِنَا يَرْضَى شَقِيَّتَ وَلَا هُنَيْتَ مِنْ عَيْشِكَ الْفَضَا  
شَقِيَّتَ كَمَا أَشَقَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي أَهْمُ مَعَ الْهَلَاكِ لَا أَطْعَمُ الْفَمَضَا

(١) قاضت نفسه : خرجت ومات .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل الذي في ذرائعيه بياض ، يريد أن قولها يغلب العصم ويستترها  
من الجبال وهي مساكنها إلى الأباطح السهلة .

(٣) نستقري أثره : نتبع أثره .



كَانَ فَوَادَى فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى بِشَدِّهَا قَبْضًا  
كَانَ فِجَاجٍ<sup>(١)</sup> الْإَرْضِ حَلْقَةً خَاتَمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

واحتمله أهله ففسلوه وكفنوه ودفنوه ؛ فلم تبق فتاة من بنى جمعة ولا بنى  
الحريش إلا خرجت حائرة صارخة عليه تندبه ، واجتمع فتیان الحى بكون  
عليه أحرًا بكاء ؛ وينشجون عليه أشدَّ نسيج ، وحضرم حتى ليلى معز بن ، وأبوها  
معهم ، فكان أشدَّ القوم جزعًا وبكاء عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أن الأمر  
يبلغ كل هذا ، لكنى كنت امرأ عربيًا أخاف من العار ، وقُبِحَ الأحدثة ،  
ما يخافه مثلى ، فزوجتها وخرجت عن يدي ، ولو علمت أن أمره يجرى على هذا  
ما أخرجتها عن يده ، ولا احتملت ما كان على في ذلك .

فأرئى يوم كان أكثر باكيةً وباكيةً على ميت من ذلك اليوم .

---

(١) جمع فجع : وهو الطريق .

٥٩ — اليوم يجمعنا في بطنها الكفن\*

قال الطفيل<sup>(١)</sup> بن عامر العمرى : خرجت ذات يوم أريد الغارة - وكنت رجلاً أحب الوحدة - فبينما أنا أسير ، إذ ضللت الطريق الذى أردته ، فسيرت أياماً لا أدرى أين أتوجه ، حتى نفذ زادى ، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ، ويئست من الحياة .

فبينما أنا أسير إذ أبصرت قطع غنم في ناحية من الطريق ؛ فليت إليها ، وإذا شابٌ حسن الوجه ، فصيح اللسان .

قال لى : يا بن العم ، أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة لى فى بعض المدن ، وما أظننى إلا قد ضللت الطريق . قال : أجل . إن بينك وبين الطريق مسيرة أيام ، فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك .

فزلت فرمى لفرسى حشيشاً ، وجاء إلى بئريد كثير ولبن ، ثم قام إلى كبش فذبحه ، وأجج فاراً<sup>(٢)</sup> ؛ وجعل يكبب<sup>(٣)</sup> لى ، ويطعمنى حتى اكتفيت .

فلما جئنى الليل قام وفرش لى ، وقال : قم فارم بنفسك ؛ فإن النوم أذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك .

فممت ووضعت رأسى ، فبينما أنا نائم إذا أقبلت جارية لم تر عيناى مثلها قط

\* المحاسن والأضداد : ٧٠ ، مسامرات الأبرار : ٢ - ٦٠ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٦

(١) راوى القصة فى نهاية الأرب جميل العذرى . (٢) أشعل . (٣) أى يجعل لى اللحم كباباً .

حُسْنًا وَجَمَالًا ، فَمَعَدَّتْ إِلَى الْفَتَى وَجَمَلَتْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِشَكْوَى إِلَى صَاحِبِهِ مَا يَلْتَقِي  
مِنَ الْوَجْدِ بِهِ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَى النَّوْمِ لِحَسَنِ حَدِيثِهِمَا . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ السَّحَرِ ، قَامَتْ  
إِلَى مَنْزِلِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا دَنَوْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَمُّنَ الرَّجُلُ ! قَالَ : أَنَا فُلَانُ ابْنِ  
فُلَانٍ ؛ وَانْتَسَبَ لِي فَعَرَفْتَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيَمْحُوكَ ! إِنَّ أَبَاكَ لَسَيِّدُ قَوْمِهِ ، فَمَا حَمَلَكَ  
عَلَى وَضْعِكَ نَفْسَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ! فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ أَخْبِرُكَ :

كُنْتُ عَاشِقًا لِابْنَةِ عَمِّي هَذِهِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ؛ وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا لِي وَامِقَةً<sup>(١)</sup> ،  
فَشَاعَ خَبْرُنَا فِي النَّاسِ ، فَأَتَيْتُ عَمِّي ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَزُوِّجَنِيهَا ، فَقَالَ : يَا بَنِي ؛ وَاللَّهِ  
مَا سَأَلْتَ شَطَطًا<sup>(٢)</sup> ، وَمَا هِيَ بِأَثَرٍ عِنْدِي مِنْكَ ؛ وَلَكِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا بِشَيْءٍ ،  
وَعَمَّكَ يَكْرَهُ الْمَقَالَةَ الْقَبِيحَةَ ؛ وَلَكِنْ انظُرْ غَيْرَهَا فِي قَوْمِكَ ، حَتَّى يَقُومَ عَمَّكَ  
بِالْوَاجِبِ لَكَ .

قُلْتُ : لِاحْتِاجَةٍ لِي فِيهَا ذَكَرْتُ ، وَتَحَمَّلْتُ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي ،  
فَرَدَّهْمُ وَزَوَّجَهَا رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ لَهُ رِيَاسَةٌ وَقَدْرٌ ؛ فَحَمَلَهَا إِلَى هُنَا - وَأَشَارَ  
بِيَدِهِ إِلَى خَيْمٍ كَثِيرَةٍ بِالْقَرْبِ مِنَّا - فَضَاقَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِرُحْبِهَا ، وَخَرَجْتُ فِي  
إِثْرِهَا ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ فَرَحًا شَدِيدًا ، فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَخْبِرِي أَحَدًا أَنَّ مِنْكَ  
بَسْبِيلٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُ زَوْجَهَا ، وَقُلْتُ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ ، أَصَبْتُ دَمًا وَأَنَا خَائِفٌ ،  
وَقَدْ قَصَدْتُكَ لِيَأْ أَعْرِفَ مِنْ رَغْبَتِكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَلِي بَصَرٌ بِالغَنَمِ ؛ إِنْ  
رَأَيْتَ أَنَّ تَعْطِينِي مِنْ غَنَمِكَ شَيْئًا فَأَكُونَ فِي جِوَارِكَ وَكَنْفِكَ فَافْعَلْ . قَالَ : نَعَمْ  
وَكَرَامَةٌ . فَأَعْطَانِي مِائَةَ شَاةٍ وَقَالَ لِي : لَا تَبْعُدْ بِيهَا مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِّي

(١) وَامِقَةٌ : مَحَبَّةٌ . (٢) شَطَطًا : شَيْئًا بَعِيدًا . (٣) تَحَمَّلْتُ عَلَيْهِ : أَيْ أَتَيْتُهُ بِقَوْمٍ يَشْفَعُونَ لِي عِنْدَهُ .



تخرج إليّ كل ليلة في الوقت الذي رأيتَ وتنصرف ؛ فلما رأى حسنَ حال الغنم ؛ أعطاني هذه ، فرضيتُ من الدنيا بما ترى .

قال الطّفيل : فأقت عنده أياماً فبينما أنا نائمٌ إذ نبهني ، وقال : يا أخا بني عامر . قلتُ له : ماشأنك ؟ قال : إن ابنةَ عمي قد أبطأتُ ولم تسكن هذه عادتها ، ووالله ما أظنُّ ذلك إلا لأمرٍ حادث ، فحدثني ، فجعلتُ أحدثُه ، فأنشأ يقول :

ما بال مية لا تأتي كعادتها      هل هاجها طرب<sup>(١)</sup> أو صدّها شغل ؟  
لكن قلبي لا يعنيه غيرهم      حتى المات ولا لي غيرهم أمل  
لو تعلمين الذي بي من فراقكم      لما اعتلت ولا طابت لك العلل  
نفسى فداؤك ! قد هيّجت لي سقماً      تكاد من حرّه الأعضاء تنفصل  
لو كان عاديه منه على جبل      لزال وانهدّ من أركانه الجبل

فوالله ما اكتحل بغمض ، حتى انفجر عمودُ الصبح ، وقام ومرّ نحو الحى فأبطأ عنى ساعة ، ثم أقبل ومعه شئ ، وجعل يبكي عليه . فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذه ابنةُ عمي افترسها السبع ، فأكل بعضها ؛ ووضعها بالقرب منى ، فأوجع والله قلبي !

ثم تناول سيفه ومرّ نحو الحى فأبطأ هنيهة ، ثم أقبل إلى ، وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : صاحبي ، قلت : وكيف علمته ؟ قال : إني قصدتُ للموضع الذي أصابها فيه ، وعلمتُ أنه سيعود إلى ما فضل منها ؛ فجاء قاصداً إلى ذلك الموضع ، فعلتُ أنه هو ، فحملت عليه فقتلته ؛ ثم قام فحفر في

(١) الطرب : خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور .

الأرض فأمعن ؛ وأخرج ثوباً جديداً ؛ وقال : يا أخا بني عامر ؛ إذا أنا ميتٌ  
فأدرجني<sup>(١)</sup> معها في هذا الثوب ؛ ثم ضَعْنَا في هذه الحفرة ، وأهْلِ التراب<sup>(٢)</sup> ،  
واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام :

كُنَّا على ظهْرِهَا والعَيْشُ في مَهَلٍ      والدهرُ يَجْمَعُنَا ، والدارُ والوطنُ  
نغاننا الدهرُ في تفريقِ أَلْفَتِنَا      واليوم يَجْمَعُنَا في بطنها السكَنُ  
ثم التفت إلى الأسد وقال :

ألا أيُّهَا الليثُ المَدْلُ بنفسه      هَلَكْتَ ، لقد جَرَّت يدَاكَ لَنَا حُرْنَا  
وغادَرْتَنِي فَرْدًا وقد كُنْتُ أَلْفًا      وصيَّرْتَ آفَاقَ البلادِ لَنَا سِجْنًا  
أُحِبُّ دَهْرًا خَانِي بِفِرَاقِهَا      معاذَ إلهي أن أكونَ له خِدْنًا<sup>(٣)</sup>

ثم قال : يا أخا بني عامر ؛ إذا فرغت من شأننا فصيح في أدبار هذه الغنم  
فرُدّها إلى صاحبها .

ثم مات ، فقامت فأدرجتهما في ذلك الثوب ؛ ووضعتهما في تلك الحفرة ؛  
وكتبت البيتين على قبرها ؛ ورددت الغنم إلى صاحبها . وسألني القوم ، فأخبرتهم  
الخبر ؛ فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرنَ عليه ؛ تعظيما له ، فخرجوا ؛ وأخرجوا  
مائة ناقة ؛ وتسامع الناس فاجتمعوا إلينا ؛ فنحرت ثم انصرفنا .

(١) ادرجني : اطوئي معها . (٢) هال التراب وأهاله : صبّه . (٣) خدنا : صديقا .

٦٠ — العِفَّةُ فِي الْحُبِّ \*

سَعَتِ أُمَّةٌ لُبْدَيْنَةَ بِهَا إِلَى أَبِيهَا وَأَخِيهَا ، وَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ جَمِيلًا <sup>(١)</sup> عِنْدَهَا  
الليَلةَ ، فَأَتَيْتَاهَا مُسْتَعْمِلِينَ عَلَى سَيْفِينَ ، فَرَأَاهُ جَالِسًا حَجْرَةً <sup>(٢)</sup> مِنْهَا يَحْدُثُهَا وَيَشْكُو  
إِلَيْهَا بَشْتَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا بُدَيْنَةَ ؛ أَرَأَيْتِ وَدِدِي إِيَّاكَ ، وَشَفَقِي بِكَ ، أَلَا تَجْزِينِيهِ ؟  
قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِمَا يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا جَمِيلُ ؛ أَهَذَا تَبْغِي !  
وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي بَعِيدًا مِنْهُ ، وَلِئِنْ عَاوَدْتَ تَعْرِضًا بَرِيَّةً لَا رَأَيْتَ  
وَجْهِي أَبَدًا .

فَضَحِكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ لَكَ هَذَا إِلَّا لِأَعْلَمَ مَا عِنْدَكَ فِيهِ ، وَلَوْ عَلِمْتُ  
أَنَّكَ تُجَيِّدُنِي إِلَيْهِ لَعَلِمْتُ أَنَّكَ تُجَيِّبِينَ غَيْرِي ، وَلَوْ رَأَيْتُ مِنْكَ مَسَاعِدَةً عَلَيْهِ لَضَرَبْتُكَ  
بِسِيفِي هَذَا مَا اسْتَمْسَكَ فِي يَدِي ، وَلَوْ أَطَاعَتْنِي نَفْسِي لَهَجَرْتُكَ هِجْرَةَ الْأَبَدِ ، أَوْ  
مَا سَمِعْتُ قَوْلِي :

وإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بُدَيْنَةَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ <sup>(٣)</sup>

\* الأغانى : ٨ - ١٠٥

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، كان شاعراً فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية .  
اشتهر بحبه بئينة ابنة عمه ، وكان يجتمع بها سرّاً عن أهلها ، فألحوا بالكوى عليه ، ففر إلى اليمن  
ثم انتجع أهل بئينة الشام ، فرحل جميل إليهم فترصدوه وشكوه إلى عشيرته ، فنفه أهله وهددوه ،  
فانقطع عنها ، وأخيراً لجأ إلى مصر وعاملها عبد العزيز بن مروان ، فأحسن وفادته ، ومرض هناك  
ومات بها سنة ٨٢ هـ . (٢) حجرة : ناحية منفرداً . (٣) البلايل : وسواس الصدر .



بِلا وبألا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالنظرة العجلى وبالحوال تنقضى أو آخره لا نلتقى وأوائله  
فقال أبوها لأخيها : قم بنا ؛ فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من  
لقاتها ؛ فانصرفا وتركاهما .

٦١ — حديث جميل وبتينة\*

قال معبد : خرجتُ إلى مكة في طلب لقاء الغريص<sup>(١)</sup> ، وقد بلغني حسنُ  
غناؤه في لحنه :

وما أنسَمُ الأشياءَ<sup>(٢)</sup> لا أنسَ شادِنًا بمسكة مكحولا أسبلا مدايمه  
وقد كان بلغني أنه أولُ لحنٍ صنعه ، وأن الجنَّ نهته أن يغنيه لأنه فتن  
طائفةً منهم ، فاتتقوا عن مكة من أجل حسنه .

فلما قدمتُ مكة سألتُ عنه ، فدُللتُ على منزله ؛ فأتيته فقرعتُ البابَ فما  
كلمني أحد ، فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل في الدار أحدٌ ؟ قالوا لي : نعم ،  
فيها الغريص ، فقلت : إني قد أكرتُ دقَ الباب ، فما أجابني أحدًا ! قالوا : إن  
الغريصَ هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يجبني أحد ، فقلت : إن نفعني غنائي  
يوماً نفعني اليوم ، فغنيتُ لحنِي في شعرٍ جميل :

علقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم ينمي جبهها ويزيدُ  
فوالله ما سميتُ حركةَ الباب ، فقلت : بطل سحري<sup>(٣)</sup> وضاع سفرى ،  
وجئتُ أطلبُ ما هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرتُ نفسي وقلت : لم يتوهمني<sup>(٤)</sup> لضعف

\* الأغاني : ٢ - ٣٨٧ ، تزيين الأسواق : ٣٧

(١) مفعن مشهور ، أخذ الفناء عن أبي سريح وبرع فيه ، واسمه عبد الملك ، والغريص لقبه ،  
قال ابن الكلبي : شبه بالإغريص ، وهو الحمار فسمى به ، ثم نقل على الألسنة ، فحذفت الألف منه .

(٢) أصله : من الأشياء . (٣) بطل سحري : ضاعت حيلتي . (٤) لم يتوهمني : لم يعرفني .

غِنَائِي عِنْدَهُ ، فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِصَاحٍ يَصِيحُ : يَا مَعْبُدَ الْمَغْنَى ؛ أَفْهَمُ وَتَلَقَّ عَنِّي شِعْرَ  
جَمِيلِ الذِّي تُغْنِي فِيهِ يَا شَقِيَّ الْبَحْتِ ، وَغَنِّي :

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا      وَقَدْ قَرَّبَتْ نِضْوِي <sup>(١)</sup> : أَمَصَرَ تَرِيدُ  
وَلَا قَوْلَهَا : لَوْلَا الْعَيُونُ الَّتِي تَرَى      أَتَيْتُكَ فَاعْذِرْنِي قَدَتِكَ جُدُودُ !  
خَلِيًّا لِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنٌ      وَدَمْعِي بِمَا قَلْتُ الْغَدَاةَ شَهِيدُ  
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ      وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ  
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بَشَاشَةٌ      وَكُلِّ قَتِيلٍ يَبْنِيهِنَّ شَهِيدُ

فَسَمِعْتُ شَيْئًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ ، وَقَصَّرَ <sup>(٢)</sup> إِلَى نَفْسِي ؛ وَعَلِمْتُ فَضِيلَتَهُ عَلَيَّ  
بِمَا أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَقَلْتُ : إِنَّهُ لِحُرِّيَّ بِالِاسْتِقْرَارِ مِنَ النَّاسِ تَنْزِيهًا لِنَفْسِهِ ، وَتَعْظِيمًا  
لِقَدْرِهِ ، وَإِنَّ مِثْلَهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِبْتِدَالَ ، وَلَا أَنْ تَتَدَاوَلَهُ الرِّجَالُ ؛ فَأَرَدْتُ  
الْإِنصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعًا .

فَلَمَّا كُنْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا بِصَاحٍ يَصِيحُ بِي : مَعْبُدُ ؛ أَنْتَظِرُ أَكَلْمَكَ ، فَرَجَعْتُ  
قَالَ لِي : إِنْ الْغَرِيضَ يَدْعُوكَ ؛ فَاسْرِعْتُ فِرْحًا ، فَدَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ لِي :  
أَتَحِبُّ الدَّخُولَ ؟ فَقُلْتُ : وَهَلْ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فَفَرَعَ الْبَابَ فَفُتِحَ ، فَقَالَ لِي :  
ادْخُلْ وَلَا تَطَّلِ الْجُلُوسَ .

فَدَخَلْتُ فَإِذَا شَمْسٌ طَالِعَةٌ فِي بَيْتٍ ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ  
فَجَلَسْتُ ، فَإِذَا أَنْبَلُ النَّاسِ ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا وَخَلْقًا وَخُلُقًا ؛ فَقَالَ : يَا مَعْبُدُ ؛ كَيْفَ

(١) النضو : المهزول من الإبل . (٢) قصر إلى نفسي : صغرها في عيني .



طَرَأْتُ<sup>(١)</sup> إِلَى مَكَّةَ؟ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاءَكَ! وَكَيْفَ عَرَفْتَنِي؟ فَقَالَ: بِصَوْتِكَ؛  
قُلْتُ: وَكَيْفَ وَأَنْتَ لَمْ تَسْمَعْهُ قَطُّ؟ قَالَ: لَمَّا غَنَيْتَ عَرَفْتُكَ بِهِ وَقُلْتُ: إِنْ كَانَ  
مَعْبُدٌ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا. قُلْتُ: جُمَاعَتُ فِدَاءَكَ! فَكَيْفَ أَجَبْتَنِي بِقَوْلِكَ:

وَمَا أُنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوَى: أَمْ صَرَ تَرِيدُ؟  
فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ أُسْمِعَكَ صَوْتِي:

وَمَا أُنْسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنْسَ شَارِدِنَا بِمَكَّةَ مَكْحُولًا أُسِيلاً مَدَامِعُهُ  
وَلَمْ يَكُنْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، لِأَنَّهُ صَوْتُ نَهْيٍ أَنْ أُغْنِيَهُ، فَغَنَيْتُكَ هَذَا  
الصَّوْتِ جَوَابًا لِمَا سَأَلْتَ وَغَنَيْتَ؛ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ مَا أُرِدْتُ. فَقَالَ لِي:  
يَا أَبَا عَبَّادٍ؛ لَوْلَا مَلَالَةُ الْحَدِيثِ، وَثَقَلُ إِطَالَةِ الْجُلُوسِ لَا سَتَكَثُرْتُ مِنْكَ فَاعْذِرْ.  
فَفَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ، وَإِنَّهُ لِأَجَلِ النَّاسِ عِنْدِي، وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَتَحَدَّثْتُ  
بِحَدِيثِهِ، وَعَجِبْتُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَقِيَّافَتِهِ<sup>(٢)</sup>، فَمَا رَأَيْتُ إِنْسَانًا إِلَّا وَهُوَ أَجَلٌ مِنْهُ  
فِي عَيْنِي.

وَذَكَرْتُ جَمِيلًا وَبُشَيِّنَةً قُلْتُ: لِيَتَنِي عَرَفْتُ إِنْسَانًا يَحَدِّثُنِي بِقِصَّةِ جَمِيلٍ وَخَبِيرِ  
الشَّعْرِ فَأَكُونُ قَدْ أَخَذْتُ بِفَضِيلَةِ الْأَمْرِ كُلِّهِ فِي الْغِنَاءِ وَالشَّعْرِ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ  
فَإِذَا الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ، وَقِيلَ لِي: إِنْ أُرِدْتَ أَنْ تُخَبِّرَ بِخَبْرِهِ فَأَتِ بَنِي حَنْظَلَةَ،  
فَإِنَّ فِيهِمْ شَيْخًا مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ: فُلَانٌ، يُخَبِّرُكَ الْخَبَرَ.

فَأَتَيْتُ الشَّيْخَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: نَعَمْ؛ بَيْنَا أَنَا فِي الْبَيْتِ فِي الرَّبِيعِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ  
مُنْطَوٍّ عَلَى رِجْلِهِ كَأَنَّهُ جَانٌّ<sup>(٣)</sup>، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قُلْتُ:

(١) طَرَأْتُ: أَقْبَلْتُ جَاءَهُ. (٢) فُلَانٌ الْأَثَرُ قِيَّافَةٌ: تَتْبَعُهُ وَعَرَفَهُ. (٣) حِيَةٌ لِأَنْوَذِي، كَثِيرَةٌ

أحد بني حَنْظَلَةَ ، قال : فانتسب ؛ فانقسبتُ حتى بلغتُ إلى فَحْدِي الذي أنا منه ؛ ثم سألتني عن بني عُدْرَةَ أين نزلوا ؟ فقلت له : هل ترى ذلك السَفْحَ ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حَنْظَلَةَ ؛ هل لك في خير تصطنعهُ إلي ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تَسُوقُ من هذه الإبل ما كنتُ بأشكرَ مني لك عليه ، فقلت : نعم ، ومن أنت أوَّلَا ؟ قال : لانسألني منَ أنا ولا أخبرك لو سألتني ؛ غير أني رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكونُ بين بني العمِّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنك تجد القوم في مجلسهم ، فتَنشُدُهُمْ<sup>(١)</sup> بَكْرَةَ أدماء تجرُّ خَفِيهَا غَفْلًا من السِّمَّةِ<sup>(٢)</sup> ، فإن ذكروا لك شيئًا فذاك ، وإلا استأذنتهم في البيوت وقلت : إن المرأة والصبي قد يريان ما لا يرى الرجال فتَنشُدُهُمْ ولا تدعُ أحدا تصيبه عينك ولا بيتًا من بيوتهم إلا نشدتها فيه .

فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُورٍ<sup>(٣)</sup> يَقتَسِمُونَهَا ، فسلمتُ وانقسبتُ لهم ونشدتهم صالتي ، فلم يذكروا لي شيئًا ، فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إن الصبي والمرأة يريان ما لا يرى الرجال ، فأذِنُوا ، فأتيتُ أقصاها بيتًا ، ثم استقرتُ بها بيتًا أنشدُّهم فلا يذكرون شيئًا ، حتى إذا انتصفَ النهار ، وآذاني حرُّ الشمس وعَطِشْتُ وفرغتُ من البيوت ، وذهبتُ لأنصرفَ حانتُ مني التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لِنَفْسِي : سوءةٌ أوثقُ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تعدلُ مالي ، ثم آتية فأقول : عَجَزْتُ عن ثلاثة أبياتِ !

(١) تنشدهم : تناديهم وتسالهم عنها ، والبكرة : الفتية من الإبل ، والآدم من الإبل : الأبيض .

(٢) السمّة : العلامة ، وغفلا من السمّة : أي ليست فيها علامة . (٣) الجزور من الإبل يقع على

الذكر والأنثى .



فانصرفتُ عائداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْحِي مُؤَخَّرُهُ ومقدمُهُ ،  
فسلمتُ فرُدُّ عليَّ السلام ، وذكرتُ ضالَّتِي ، فقالت جارية منهم : يا عبدَ الله ؛  
قد أصبتُ ضالَّتَكَ ، وما أظنُّكَ إلا قد اشتدَّ عليك الحرُّ ، واشتهيتَ الشرابَ ؛  
قلت : أجلُ ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلتُ ؛ فأنتني بصَحْفَةٍ فيها تَمْرٌ من تَمْرِ هَجَرَ (١)  
وقدَح فيه لبن ، والصحْفَةُ مصرية مُفَضَّضَةٌ ، والقَدَحُ مُفَضَّضٌ لم أر إناءَ قطُّ  
أحسنَ منه ، فقالت : دونك . فتجمعتُ وشربتُ من اللبن حتى رَوَيْتُ ، ثم قلتُ :  
يا أمةَ الله ؛ والله ما أتيتُ اليومَ أكرمَ منك ولا أحقَّ بالفضل ؛ فهل ذكرتِ من  
ضالَّتِي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشَّرَفِ (٢) ؟ قلت : نعم ؛ قالت :  
فإنَّ الشمسَ غرَبتْ أمس وهي تُطِيفُ حولها ، ثم حال الليلُ بيني وبينها ؛ فقامتُ  
وجزيتُها الخَيْرَ ، وقلت : والله لقد تغدبتُ ورَوَيْتُ .

فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فاطَّطْتُ بها ، فوالله ما رأيتُ من أثر ؛ فأتيتُ  
صاحبي فإذا هو مَتَشِخٌّ في الإبلِ بكسائه ورافعٌ عَقِيرَتَهُ (٣) . قلت : السلام  
عليك . قال : وعليك السلام ، ما وراءك ؟ قلت : ما ورأيتُ من شيء ؛ قال : لا  
عليك ! فأخبرني بما فعلتُ ، فاقْتَصَصْتُ عليه القصةَ حتى انتهيتُ إلى ذِكْرِ المرأةِ  
وأخبرته بالذي صنعتُ ؛ فقال : قد أصبتُ طَلِبَتَكَ ؛ فعجبتُ من قوله وأنا لم أجدُ  
شيئاً .

(١) هجر : بلد باليمن مشهورة بالتمر . (٢) الشرف : المسكان العالي . (٣) عقيرة الرجل :  
صوته إذا غنى أو بكى .



ثم سألني عن صفة الإناءين : الصَّحْفَةُ والقَدَحُ ؛ فوصفتها له ، فتنفس الصُّعْدَاءُ  
وقال : قد أصبتَ طلبتك ، ويحك ! ثم ذكرتُ له الشجرةَ وأنها رأتها تُطيفُ بها ،  
فقال : حسْبُكَ ! فكنتُ حتى أوتُ إيلي إلى مَباركها ودعوته إلى العشاء فلم يذُنْ  
منه ، وجلس مني بمزَجَر<sup>(١)</sup> الكلب .

فلما ظنَّ أني قد نمتُ رَمَقْتُهُ ، فقام إلى عَيْبَةِ<sup>(٢)</sup> له ، فاستخرج منها بُرْدَيْنِ  
فأتَزَرَ بأحدهما وتردَّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنتُ الواديَ  
فجعلتُ أخفي نفسي ، حتى إذا خِفتُ أن يراني انبطحتُ ؛ فلم أزلْ كذلك حتى  
سَبَقْتُهُ إلى شجراتٍ قريبة من تلك الشجرة ، بحيث أسمعُ كلامَهُما ، فاستقرتُ  
بهنَّ ، وإذا صاحبتُهُ عند الشجرة ، فأقبل حتى كانَ منها غير بعيد ، فقالت : اجلس ؛  
فوالله لكانه لَصِقَ بالأرض ، فسلمَ عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤال ، وأبعده  
عن كلِّ ريبه ، وسألته مثل مسألته ؛ ثم أمرتُ جارية معها ، فقربتُ إليه طعاما ،  
فلما أكل وفرغ ، قالت : أنشدني ما قلت ، فأنشدها :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وليداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنْعَى حُبَّهَا وَيَزِيدُ  
ثم لم يزالا يتحدَّثان ، ما يقولان فُحْشاً ولا هُجْراً ، حتى التفتت التفاتة ،  
فنظرتُ إلى الصبح ، فودَّع كلُّ واحدٍ منهما صاحبةَ أحسن وداع ما سمعت به  
قطاً ، ثم انصرفا .

فعمت فضيتُ إلى إيلي ، فاضطَجَعْتُ ، وكل واحدٍ منهما يمشي خطوة ثم يلتفت  
إلى صاحبه ، فجاء بعد ما أَصْبَحْنَا فرفع بُرْدِيه ثم قال : يا أخا بني تميم ؛ حتى متى

(١) أي جلس بيدياً . (٢) العيبة : وعاء من جلد يكون فيه المتاع .

تَنَامُ ! قَمَّتْ وَتَوَضَّاتُ وَصَلِيَتْ ، وَحَلَبَتْ إِبِلِي ، وَأَعَانِي عَلَيْهَا ، وَهُوَ أَظْهَرُ النَّاسِ  
سُرُورًا ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى الْغَدَاءِ فَتَغَدَّى ؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَافْتَتَحَهَا فِإِذَا فِيهَا سِلَاحٌ  
وَبُرْدَانٌ مِمَّا كَسَتْهُ الْمَلُوكُ ، فَأَعْطَانِي أَحَدَهُمَا وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ شَيْءٌ مَا  
ذَخَرْتُهُ عَنْكَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ وَانْتَسَبَ لِي ، فِإِذَا هُوَ جَمِيلٌ بِنِ مَعْمَرِ الْمَرْأَةِ بُثَيْنَةَ ،  
وَقَالَ لِي : إِنِّي قُلْتُ أَيْبَاتًا فِي مُنْصَرِّ فِي مَنْ عِنْدَهَا ، فَهَلْ لَكَ إِنْ رَأَيْتَهَا أَنْ تُنْشِدَهَا ؟  
قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدَنِي :

وَمَا أَنَسَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا      وَقَدْ قَرَّبَتْ نِضْوِي : أَمَصَرَ تُرِيدُ  
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعِيُونَ الَّتِي تَرَى      أَتَيْتَكَ فَاعْذِرْنِي فَدَتَكَ جُدُودُ  
خَلِيلِي مَا أَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ بَاطِنُ      وَدَمْعِي بِمَا قُلْتُ الْغَدَاةَ شَهِيدُ  
يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَعَزُورَةَ      وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ  
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ      وَكُلِّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ  
ثُمَّ وَدَعْنِي وَانصرف .

فَكَثَّتُ حَتَّى أَخَذَتِ الْإِبِلُ مَرَاتِعَهَا ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى دُهْنٍ كَانَ مَعِيَ فَدَهَنْتُ  
بِهِ رَأْسِي ، ثُمَّ ارْتَدَيْتُ بِالْبُرْدِ وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ؛ إِنِّي جِئْتُ أَمَسَ  
طَالِبًا وَالْيَوْمَ زَائِرًا ، أَفَتَأْذَنُونَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَسَمِعْتُ جُورِيَّةَ تَقُولُ لَهَا : يَا بُثَيْنَةَ ؛  
عَلَيْهِ وَاللَّهِ بُرْدٌ جَمِيلٌ ، فَجَعَلْتُ أَتْنِي عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكَرَ فَضْلَهُ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ ذَكَرَكَ  
فَلِحُسْنِ الذِّكْرِ ، فَهَلْ أَنْتِ بَارِزَةٌ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَلَبَسْتُ ثِيَابَهَا ثُمَّ  
بَرَزْتُ وَدَعْتُ لِي بِطَرْفٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، وَاللَّهِ مَا ثَوْبُكَ هَذَا بِمَشْتَبِهَيْنِ  
وَدَعْتُ بِعَيْبَتِهَا ، فَأَخْرَجْتُ لِي مِلْحَفَةً <sup>(١)</sup> مَرْوِيَّةَ مُشْبَعَةَ مِنَ الْعَصْفَرِ ، ثُمَّ قَالَتْ :

(١) المِلْحَفَةُ : الْبَاسُ الَّذِي فَوْقَ الْبَاسِ مِنْ دُثَارِ الْبَرْدِ وَنَحْوِهِ ، وَمَرْوِيَّةٌ : نَسَبٌ إِلَى مَرُو .

أقسمت عليك لتقومنَّ إلى كِسْرِ البيت ولتخلعنَّ مِدْرَعَتَكَ<sup>(١)</sup> ، ثم لَتَأْتِرَنَّ بهذه  
الملحفة، فهي أشبه بِرُذُك ، ففعلتُ ذلك ؛ وأخذت مِدْرَعَتِي بيدي ؛ فجعلتها إلى جانبي ،  
وأنشدتها الأبيات ؛ فدمعتُ ، وتحدثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلي  
بملحفةٍ بُيْنِيَّةٍ وَبُرْدٍ جَمِيلٍ وَنَظْرَةٍ مِنْ بَيْئِنَةٍ .

قال معبد : فجزيتُ الشيخَ خيراً ، وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناسِ  
حالاً بِنَظْرَةٍ مِنَ الْغَرِيضِ وَاسْتِمَاعِ لِفَنَائِهِ وَعِلْمِ بِحَدِيثِ جَمِيلٍ وَبَيْئِنَةٍ فِيمَا غَنِيْتُ  
أَنَا بِهِ ، وفيما غنيتُ به الْغَرِيضَ عَلَى حَقِّ ذَلِكَ وَصَدَقَهُ ؛ فإِذَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بُرُوجِينَ  
قَطًّا أَحْسَنَ مِنْ جَمِيلٍ وَبَيْئِنَةٍ ، وَمَنْ الْغَرِيضِ وَمَنِي .

---

(١) المدرعة : نوع من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .



٦٢ — عتاب بين بُثينة وجميل\*

لقى جميل بُثينه بعد تهاجر<sup>(١)</sup> كان بينهما طالت مُدته ، فتعابها طويلاً ؛  
فقال له : وَنَحْكَ يَا جَمِيل ! أَنْزَعُمُ أَنْكَ سَهَوَانِي وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :  
رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُثِينَةً بِالْقَدَى وَفِي الْفُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ<sup>(٢)</sup>  
فأطرق طويلاً يبكي ، ثم قال : بل أنا القائل :  
أَلَا كَيْتَنِي أَعْمَى أَصَمُّ تَقُودَنِي بُثِينَةً لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا  
فقال له : وَنَحْكَ ! مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذِهِ الْمُنَى ! أَوْلَيْسَ فِي سَعَةِ الْعَافِيَةِ  
مَا كَفَانَا جَمِيعاً !

\* الأغانى : ٨ - ١٠٤

(١) التهاجر : التقاطع . (٢) القوادح : سواد يظهر في الأستان .

٦٣ — يتذاكران الشعر والهوى \*

التقى جميلٌ وكثير فتذاكرا النسيب ؛ فقال كثير : يا جميل ؛ أترى بُئينةً  
لم تسمع بقولك :

بِقِيكِ جَمِيلٌ كُلَّ سُوءٍ ، أَمَا لَهُ      لَدَيْكِ حَدِيثٌ أَوْ إِلَيْكِ رَسُولٌ  
وَقَدْ قُلْتُ فِي حُبِّي لَكُمْ وَصَبَابَتِي      مَحَاسِنَ شَعْرِ ذِكْرُهُنَّ يَطُولُ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رِضَاكِ فَعَلِمِي      هُبُوبَ الصَّبَا يَا بَتْنُ كَيْفَ أَقُولُ  
فَمَا غَابَ عَنِّي خِيَالُكَ لِحِظَةٍ      وَلَا زَالَ عَنْهَا ، وَالْخِيَالُ يَزُولُ

فقال جميل : أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك :

يَقُولُ الْعِدَا : يَا عَزُّ قَدْ حَالَ دُونَكُمْ      شُجَاعٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مَصْمَمٌ<sup>(١)</sup>  
قُلْتُ لَهَا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ دُونَكُمْ      جَهْمٌ مَا رَاعَتْ فَوَادِي جَهْمٍ  
وَكَيْفَ يَرُوعُ الْقَلْبَ يَا عَزُّ رَائِعٌ      وَوَجْهَكَ فِي الظُّلَمَاءِ لِلسَّفَرِ مَعْلَمٌ  
وَمَا ظَلَمْتُكَ النَّفْسَ يَا عَزُّ فِي الْهَوَى      فَلَا تَنْقَمِي حُبِّي فَمَا فِيهِ مَنْقَمٌ  
فَبَسْكَيَا قِطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ انصرفا .

\* الأغانى : ٨ - ٩٠٩

(١) يقال للضارب بالسيف إذا أصاب العظم فأخذ الضربة : قد صمم ، فهو مصمم .

٦٤ - لا أزالُ أبنيكهِ إلى المماتِ \*

حدّثتُ بُدَيِّنَةً - وكانت صدوقةَ اللسان ، جميلةَ الوجهِ ، حسنةَ البيان ،  
عفيفة - قالت : والله ما أَرادني جميل - رحمة الله عليه - بربيةٍ قَطُّ ، ولا حدّثتُ  
أنا نفسى بذلك منه ، وإن الحىَّ انتجعموا موضعاً ، وإني لنى هوَدَجٍ لى أسيرٍ إذا  
أنا بهاتفٍ يُنشدُ أبياتاً .

فلم أتمالكُ أن رميتُ بنفسى ، وأهلُ الحىّ ينظرون ، فبقيتُ أطلبُ المُنشدِ  
فلم أقف عليه ، فناديتُ : أيها الهاتفُ بشعرٍ جميل ، ما وراءكُ منه ! وإني أحسبه  
قد قضى نَجَبَهُ ومضى لسبيله - فلم يجبنى مُجيب ، فناديتُ ثلاثاً ، وفي كل ذلك لا يردُّ  
هلى أحدٌ شيئاً ، فقالت صَواحِبَاتى : أصابك يا بُدَيِّنَةُ طائفٌ من الشيطان !  
فقلت : كلاً ، لقد سمعتُ قائلاً يقول ! قلن : نحن معكٍ ولم نَسْمَعْ ، فرجعتُ  
فركبتُ مَطِيئَتِي وأنا حَيْرَى ، والهةُ العقل ، كاسفةُ البال .

ثم سرنا ، فلما كان فى الليل سمعتُ ذلك الهاتفَ يهتفُ بذلك الشعر بعينه ،  
فرميتُ بنفسى ، وسعيتُ إلى الصوت ؛ فلما قرُبْتُ منه انقطع ؛ فقلت : أيها  
الهاتف ! ارحمَ حَيْرَتى ، وسكِّنْ عَيْرَتى بخبر هذه الأبيات ؛ فإن لها شأنًا فلم يردُّ  
على شيئاً !

فرجعتُ إلى رَحلى فركبتُ وسيرتُ وأنا ذاهبةُ العقل ، وفى كل ذلك  
لا تخبرنى صَواحِبَاتى أَنهن سَمِعْنَ شيئاً .



فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحى مضاجعهم ونامت كل عين ، فإذا الهاتف يهتف بى ويقول : يا بئينة ؛ أقبلى إلى أنديك عما تريدن ، فأقبلت نحو الصوت ؛ فإذا شيخ كأنه من رجال الحى ؛ فسألته عن اسمه وبيته ، فقال : دعى هذا ، وخذى فيما هو أمم عليك ، فقلت له : وإن هذا لما يهمنى . قال : اقنعى بما قلت لك . فقلت له : أنت للمنشء الأبيات ؟ قال : نعم . قلت : فما خير جميل ؟ قال : نعم ! فارقته وقد قضى نخبه ، وصار إلى حفرته - رحمة الله عليه .

فصرخت صرخة أذيت منها الحى ، وسقطت لوجهى ؛ فأغى على ، فكأن صوتى لم يسمعه أحد ، وبقيت سائر ليلتى ، ثم أفتت عند طلوع الفجر ، وأهلى يطلبوننى فلا يقفون على موضعى ، ورفعت صوتى بالويل والبكاء ورجعت إلى مكائى ، فقال لى أهلى : ما خبرك ؟ وما شأنك ؟ فقصصت عليهم القصة ، فقالوا : يرحم الله جميلاً ، واجتمع نساء الحى وأنشدن الأبيات فأسعدننى بالبكاء<sup>(١)</sup> ، فلم نزل كذلك لا يفارقننى ثلاثاً ، وتمزن الرجال أيضاً ، وبكوا ورثوه ، وقالوا كلهم : يرحم الله ! فإنه كان عفيفاً صدوقاً .

فلم أكتحل بعده بإمد<sup>(٢)</sup> ، ولا فرقت رأسى بخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداع خفت على بصرى منه ، ولا لبست خماراً مصبوغاً ولا إزاراً ، ولا أزال كذلك أبكيه إلى اللمات !

(١) بكين معى .

(٢) الإمد : حجر يكتحل به .

٦٥ — فَحَيٌّ وَيَحْكُ مَنْ حَيَّاكَ يَا جَمَلُ\*

أراد زوجُ عزةَ أن يحجَّ بها ؛ فسمع كثيرٌ الخبر ؛ فقال : والله لأحجنّ ،  
لعلّى أفوزُ من عزةَ بنظرة .

فبينما الناس في الطواف ، إذ نظر كثيرٌ عزةَ ، وقد مضت إلى جملة ، فحيتها ،  
ومسحت بين عينيه ، وقالت : حَيِّتَ يَا جَمَلُ . فبادر ليلحِقها ، ففاته فوقف على  
الجل وقال :

حَيَّتِكَ عَزَّةُ بَعْدَ الْحِجِّ وَأَنْصَرَفْتُ      فحَيٌّ وَيَحْكُ مَنْ حَيَّاكَ يَا جَمَلُ  
لَوْ كُنْتُ حَيِّتُهَا مَا زِلْتُ ذَا مِقَّةٍ<sup>(١)</sup>      عِنْدِي وَلَا مَسَّكَ الْإِدْلَاجُ<sup>(٢)</sup> وَالْعَمَلُ  
لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكُرَهَا      مَكَانَ يَا جَمَلُ حَيِّتَ يَا رَجُلُ  
فسمعه الفرزدق ، فتبسم ؛ وقال له : مَنْ تَكُونُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! قال : أَنَا كَثِيرُ  
عَزَّةَ . فَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! قال : أَنَا الْفَرَزْدَقُ بْنُ غَالِبِ التَّمِيمِيِّ ! قال :  
أَنْتَ الْقَائِلُ :

رَحَلْتُ جِمَالَهُمْ بِكُلِّ أُسَيْلَةٍ<sup>(٣)</sup>      تَرَكْتُ فَوَادِكَ هَائِمًا مَخْبُولًا  
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُهُمْ إِذَا لَمْ يَرْحَلُوا      حَتَّى أُوَدِّعَ قَلْبِي الْمُتَبُولًا<sup>(٤)</sup> !  
سَارُوا بِقَلْبِي فِي الْهُدُوجِ<sup>(٥)</sup> وَغَادَرُوا      جَسْمِي بِسَالِجِ زَفْرَةٍ وَعَوْبِلًا

\* المستطرف : ٢ : ١٧٩

(١) المقة : المحبة . (٢) أدلاج : سار من أول الليل . (٣) أسيلة : لبن الخد طويله .

(٤) المتبول : الذاهب . (٥) الهدوج : جمع حدج ، وهو مركب للنساء كالخففة .

فقال الفرزدق : نعم . فقال كثير : والله لولا أني في البيت الحرام لأصيحنَّ  
صيحةً أفرعُ هشام بن عبد الملك ، وهو على سريرٍ مُلكه ؛ فقال الفرزدق :  
والله لأعرفنَّ بذلك هشاماً .  
ثم توادعا وافترقا .

ولما وصل الفرزدقُ إلى دمشق دخل إلى هشام بن عبد الملك ، فعرفه  
بما اتفق له مع كثير ، فقال له : اكتبْ إليه بالحضور عندنا لنطلقَ عزةً من زوجها  
ونزوجه إياها ، فكتبْ إليه بذلك .

فخرج كثير يريد دمشق ، فلما خرج من حيه وسار قليلاً رأى غراباً على  
بانة<sup>(١)</sup> ، وهو يفتلي نفسه ، وريشه يتساقط ؛ فاصفرَ لونه ، وارتاع من ذلك وجدَّ  
في السير ، ثم إنه مال ليسقى راحلته من حى بنى نهد<sup>(٢)</sup> - وهم زجاة الطير - فبصر  
به شيخٌ من الحى ، فقال : يا بنَ أخي ؛ رأيتَ في طريقك شيئاً فرأعتك ؟ فقال :  
نعم يا عم ، رأيتُ غراباً يفتلي وينتف ريشه ، فقال له الشيخ : أما الغرابُ فإنه  
اغتراب ، والبانة فرقة !

فازداد كثيرُ حزناً على حزنه ، لما سمع من كلام الشيخ ، وجدَّ في السير ، إلى  
أن وصلَ إلى دمشق ، ودخل من أحد أبوابها ، فرأى الناس يصلُّون على جنازة ،  
فنزل وصلى معهم ؛ فلما قضيت الصلاة صاح صاح : لا إله إلا الله ! ما أغفلك  
يا كثير عن هذا اليوم ! فقال له كثير : ما هذا اليوم ؟ فقال : إن هذه عزة  
قد ماتت وهذه جنازتها !

(١) البان : شجر .

(٢) نهد : قبيلة باليمن ، وهناك رواية أخرى لهذه القصة ، وفيها أنه قدم على حى من « لهب »

( انظر : ١ - ١٣٦ من هذا الكتاب ، والأغانى : ص ٣٤ ج ٩ ) .



نفر مغشياً عليه ، فلما أفاق أنشأ يقول :

فما أعرف النهدي ! لادرّ درّه ! وأزجره للطير لا عزّ ناصره

رأيتُ غراباً قد علا فوق بانهٍ ينتفُ أعلى ريشه ويطأيره

فقال : غرابُ اغترابٍ من النوى وبانهٍ بين من حبيب تعاشره

ثم شهِقَ شهقةً فارقت رُوحهُ الدنيا ، ومات من ساعته ودُفن مع عزّة في

يوم واحد .

٦٦ — إلى الخلوات يأنس فيكِ قلبي\*

قال يونس الكاتب :

كنا يوماً متنزّهين بالعميق أنا وجماعة من قريش ، فبينما نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة<sup>(١)</sup> يمشى ومعه غلام من بني لَيْث ، وهو متوكئ على يده ، فلما رأى جماعتنا وسمعني أغنى جاءنا فسلم ، وجلس إلينا ، وتحدث معنا ، وكانت الجماعة تعرفُ سوء خلقه وغضبه إذا سُئِلَ أن يُغنى ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديثٍ كثيرٍ وجميلٍ وغيرهما من الشعراء ، يستجرون بذلك أن يطرب فيغني ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا .

قلت لهم : لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدثتكم إياه ؛ قالوا : هات ، قلت : حدثني هذا الرجل أنه مرّ بناحية الرَبْدَةِ<sup>(٢)</sup> فإذا صبيان يتغاطسون في غدِير ، وإذا شابٌ جميل منهوك الجسم ، عليه أُمْرُ العِلَّةِ والتَّحْوُلِ في جسمه بين ، وهو جالسٌ ينظر إليهم ، فسلمتُ عليه فردَّ عليّ السلام وقال : من أين وَضَحَ<sup>(٣)</sup> الراكب ؟ قلت : من الحمى ، قال : ومتى عهدك به ؟ قلت : راحماً ، قال : وأين كان مبيتك ؟ قلت : ببني فلان ،

\* سمط اللآلي : ١ - ١٥٢ ، ٢ - ٢٣٢ ، الأملاني : ٣٨

(١) هو محمد بن عائشة ، يكنى أبا جعفر ، ولم يكن يعرف له أب ، فكان ينسب إلى أمه ، وكان حسن الفناء ، عالماً بفنه ، طريف المجلس ، طيب الحديث على سوء في خلقه ، وتيه في طبعه ، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ . (٢) الرَبْدَةُ : قرية على ثلاثة أميال من المدينة . (٣) أي من أين .  
بدا وطلع .

قال : أَوْهٗ ! وألقى بنفسه على ظهره ، وتنفس الصعداء قتل : إنه قد خرق  
حجاب قلبه ، ثم أنشأ يقول :

سقى بلداً أمست سُلَيْمَى تَحُلُّهُ      من المَزْنِ ما يَرَوِي به وَيُسِيمُ (١)  
وإن لم أكن من قاطنِيه فإنه      يَحُلُّ به شخصٌ على كَرِيمِ  
ألا حَبِذاً مَنْ لَيْسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ      لَدَى - وإن شطَّ المَزَارُ - نَعِيمِ  
ومَنْ لَامَنِي فِيه حَمِيمٌ وصاحبٌ      فَرُدَّ بَغِيظِ صاحبٍ وحَمِيمِ  
ثم سكن كالغشي عليه ، فصاحت بالصَّيْبِيَّة ، فأتوا بماء ، فصَيَّبْتُهُ على وجهه ؛  
فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشوعِي      وأنفاسِي تَزِينُ بالخُشوعِ  
ولى عَيْنٌ أَضْرَّ بِهَا التَّفَاتِي      إلى الأَجْزَاعِ (٢) مُطْلَقَةَ الدُمُوعِ  
إلى الخَلَوَاتِ يَأْنَسُ فِيكَ قَلْبِي      كما أَنَسَ الغريبُ إلى الجَمِيمِ  
قلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدك ، أو أُكْرِّ عَوْدِي على بدئي إلى الحِمَى إن  
كانت لك فيه حاجة أو رسالة ؟ فقال : جُزيتَ خيراً وصَحِبْتِكَ السَّلَامَةَ ائْمَضِ  
لِطَيْبَتِكَ (٣) ، فلو أُنِي علمتُ أنك تُنْفِي عني شيئاً لكنتَ موضعاً للرَّغْبَةِ وحَقِيقاً  
بإسعافِ المسألة ، ولكنك أدركتني في صُبابَةِ من حياتي يسيرة ، فانصرفتُ وأنا  
لا أراه يُمسي ليلته إلا ميتاً .

قال القوم : ما أعجبَ هذا الحديث ! واندفع ابنُ عائشة فتغنى في الشَّعْرَيْنِ  
جميعاً ، وطرب وشرب بقيةَ يومه ، ولم يزل يفنينا إلى أن انصرفنا .

(١) يسيم : يكون سالماً للإسامة بما يكون من خصب وكلاء . (٢) الأجزاء جمع جزع : وهو  
جانب الوادي ومنعطفه . (٣) لطيتك : لوجهتك .



٦٧ — من لم يُقَيِّدْ جوارِحَه أَلْعَبَ قلبه !\*

حجَّ عبد الملك بن مروان ، وحجَّ معه خالد<sup>(١)</sup> بن يزيد بن معاوية - وكان من رجال قريش للعدودين وعلماهم ، عظيمَ القدر ، جليلَ المنزلة ، مهيبَ المجلس ، موقراً معظماً عند عبد الملك ، فيينا هو يطوفُ بالبيت إذ بَصُرَ برملة بنت الزبير ابن العوام . فمَشَقَّها عَشَقاً شديداً ، وأخذت بجميع قلبه ، وتغيَّرَ عليه الحال ، ولم يملك من أمره شيئاً ، فلما أراد عبد الملك القُولَ هَمَّ خالد بالتخطفِ عنه ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ رَمَلَةٌ بنت الزبير رأيتها تطوفُ بالبيتِ ، فأذهلتْ عقلي ! فوالله ما أبديتُ لك ما بي إلا حين عيِلَ صبري ، ولقد عَرَضْتُ النومَ على عيني فلم تقبله ، والسُّلُوَ على قلبي فامتنع منه .

فأطال عبد الملك التعمُّبَ من ذلك ، وقال : ما كنتُ أقول : إن الهوى يَسْتَأْسِرُ مِثْلَكَ ، فقال خالد : وإني لأشدُّ تعجباً من تعجبك مني ، فلقد كنتُ أقول : إن الهوى لا يَتِمَكَّنُ إلا من صِنْفَيْنِ من الناس : الأعراب والشعراء ، أما الشعراء فإنهم أَلْزَمُوا قلوبَهم الفكرَ في النساء والغزل ، قال طبعُهم إلى النساء ، فضَعَفَتْ قلوبُهم عن دفع الهوى ، فاستسلموا له مُنْقَادِينَ . وأما الأعراب فإنَّ أحدهم يخلو بامرأة فلا يكون الغالبُ عنده إلا حُبُّه لها .

وجملةُ أمرى : أني ما رأيتُ نظرةً حَسَنَةً عندي ركوبَ الإثمِ مثل نظرتي هذه .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٦ ، الأغاني : ١٦ - ٨٥

(١) هو خالد بن يزيد كان من رجال قريش سخاءً وعارضةً وفصاحةً ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره ، وأُخِلَّ ذكْرُه ، توفي سنة ٨٥ هـ .

فتبسم عبد الملك وقال : أو كلُّ هذا بَلَغَ بك ؟ فقال : والله ما عرفت هذه البليَّة قبل وَقْتِي هذا .

فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رَمْلَةً على خالد ، فذكروا لها ذلك ، فقالت : لا والله أو يُطَلَّق نساءه ، فطلق امرأتين كانتا عنده ، وتزوجها وظن بها إلى الشام ، وفيها يقول :

أليس يزيد السَّيرُ في كلِّ ليلة      وفي كلِّ يومٍ من أَحْبَبْتِنَا قُرْبًا  
أَحِنَّ إلى بنتِ الزبير وقد عَدَّتْ      بِنَا الْعَيْسُ خَرْقًا<sup>(١)</sup> مِنْ تِهَامَةَ أَوْ تَقْبًا<sup>(٢)</sup>  
إذا نزلت أرضاً تُحِبُّ أَهْلَهَا      إلينا وإن كانت مَنَازِلُهَا حَرَبًا  
وإن نزلت ماءً وإن كان قلبها      مَلِيحًا<sup>(٣)</sup> وَجَدْنَا مَاءَهُ بَارِدًا عَذْبًا  
تَجُولُ خَلَاخِيلُ النِّسَاءِ وَلَا أَرَى      لِرَمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قَلْبًا<sup>(٤)</sup>  
أَقْلُوا عَلَى اللومِ فِيهَا فَإِنِّي      تَحْيِرُهَا مِنْهُمْ زَبِيرِيَّةٌ قَلْبًا<sup>(٥)</sup>  
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طَرًّا لِحَبِّهَا      وَمِنْ حَبِّهَا أَحْبَبْتُ أَوْلَاهَا كَلْبًا

فلما وقف عبد الملك على هذه الأبيات نظم بيتاً ودسه ليؤكد به خالداً ؛ لأنه كان يروم الخلافة كأبيه يزيد وجدّه معاوية ، فقال عبد الملك : يا خالد ؛ أنت القائل :

فإن تُسَلِّمِي أُسَلِّمَ وَإِن تَنْصَرِّي      تَحْطَ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صَلْبًا !

فقال خالد : لعن الله قائله ! فَنَجِّجِلْ عبد الملك ولام نفسه .

(١) الحرق : الفلاة الواسعة . (٢) النقب : الطريق في الجبل . (٣) المليح : الملح ، ضد العذب . (٤) القلب : سوار المرأة ، يريد أن ساقها مليئة ، ويدها عملة ، فلا سبيل إلى الجول . (٥) فلها صفات النساء الحسان ، كما سبق ، ولها قلب كقلوب آل الزبير طهارة ، وحفاظ عهد .



٦٨ — غداً يكثر الباكون مِنَّا وَمِنْكُمْ\*

قال أبو رِيحانة حاجب عبد الملك<sup>(١)</sup> بن مروان : كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوساً عاماً للناس ؛ فبينما هو جالس في مُسْتَشْرِفٍ<sup>(٢)</sup> له ، وقد أُدْخِلَتْ عليه القِصَصُ إذ وقعت في يده قصةٌ ، فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ جاريتَه فلانة أن تعنيني ثلاثة أصوات ، ثم يُنْفِذَ في ما شاء من حكمه فل ! »

فاستشاط من ذلك غضبا ، وقال : ياربَّاح ؛ عليّ بصاحبِ هذه القصة ! فخرج الناس جميعاً ، وأدخِل عليه غلامٌ من أجمل الفتيان وأحسنهم ، فقال له عبد الملك : يا غلام ؛ أهذه قصّتك ا قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : وما الذي غرّك مني ، والله لأمثلنَّ بك ! ولأزدعنَّ بك نظراءك من أهل الجسّارة ! ثم قال : على بالجارية ، فجيء بها كأنها فلقّة قمر ! ويدها عودها فطرح لها الكرسي ، فجلست ، فقال عبد الملك : مرّها يا غلام ؛ فقال لها : غنّيني يا جارية بشعر قيس ابن ذريح :

لقد كنتِ حَسْبَ النفس ، لو دام وُدُّنا ؛      ولكنما الدنيا متاعُ غرورِ !  
وكنّا جميعاً قبل أن يظهرَ الهوى      بأنهم حالي غبطةٍ وسُرورِ  
فما برحَ الواشوان حتى بدتْ لنا      بطونُ الهوى مقلوبةً لِظهورِ

\* مصارع العشاق : ٢٥٣ ، نهاية الأرب . ٢ . ١٦٠

(١) عبد الملك بن مروان : من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم وتوفى سنة ٥٨٦ هـ .

(٢) استشرف الشيء : رفع بصره إليه ، والمكان مستشرف ، والمراد مجله العالى .



فَفَنَّتْ ، فَنَجَّرَ الْغَلَامُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ تَخْرِيقًا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ  
عَبْدُ الْمَلِكِ : مَرُّهَا تُفَنِّكَ الصَّوْتِ الثَّانِي ، قَالَ : غَنَّيْنِي بِشِعْرِ جَمِيلٍ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ أُبَيِّنَ لَيْلَةً      بُوَادِي الْقُرَى ؟ إِيَّيْ إِذَنْ لَسَعِيدًا  
إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُدَيْنَةَ قَاتِلِي      مِنَ الْحُبِّ ! قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدُ  
وَأِنْ قُلْتُ : رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أُعِشْ بِهِ      مَعَ النَّاسِ ! قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ !  
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا      وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ بِبِيدُ  
يَمُوتُ الْهَوَى مَتَى إِذَا مَا لَقَيْتَهَا ،      وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتَهَا فَيَعُودُ

فَفَنَّتْهُ الْجَارِيَةُ ؛ فَسَقَطَ الْغَلَامُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ ؛ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ :

مَرُّهَا فَلْتَفَنِّكَ الصَّوْتِ الثَّلَاثِ ؛ قَالَ : يَا جَارِيَةُ ؛ غَنَّيْنِي بِشِعْرِ قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ :

وَفِي الْجَبْرِ الْغَادِيْنَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةَ<sup>(١)</sup>      غَزَالٌ غَضِيضٌ الْمُقْلَتَيْنِ رَيْبُ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى      وَلَكِنَّ مَنْ تَنَأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ !

فَفَنَّتْهُ الْجَارِيَةُ ، فَطَرَّحَ الْغَلَامُ نَفْسَهُ مِنَ الْمُسْتَشْرِفِ ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَى الْأَرْضِ  
حَتَّى تَقَطَّعَ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَيَمْحُ ! لَقَدْ عَجَّلَ عَلَى نَفْسِهِ ! وَلَقَدْ كَانَ تَقْدِيرِي فِيهِ  
غَيْرَ الَّذِي فَعَلَ ! وَأَمْرٌ فَأُخْرِجَتِ الْجَارِيَةُ مِنْ قَصْرِهِ ؛ ثُمَّ سَأَلَ عَنِ الْغَلَامِ ؛ فَقَالُوا :  
غَرِيبٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا أَنَّهُ مِنْذُ ثَلَاثِ يَنَادِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ :

غَدًا يَكْثُرُ الْبَا كُونَ مِنَّا وَمِنْكُمْ      وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بَعْدًا !

(١) وجرة: موضع بين مكة والبصرة .

٦٩ — وذو الشوق القديم وإن تمرى

مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى العاشقين\*

بيننا عمر<sup>(١)</sup> بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت في حالِ نُسكِهِ - وكان قد حلف  
ألا يقول بيت شعر إلا أعتق رَقَبَةً - فإذا هو بشابٍ قد دنا من شابة ظاهرة الجمال  
فألقي إليها كلاماً ، فقال له عمر : يا عدوَّ الله ؛ في بلد الله الحرام وعند بيته تصنعُ  
هذا ! فقال : يا عمَّاه ؛ إنها ابنةُ عمي ، وأحبُّ الناسِ إليَّ ؛ وإني عندها كذلك ،  
وما كان بيني وبينها من سوءٍ قطُّ أكثر مما رأيتَ ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا  
فلان ابن فلان ، قال : أفلا تنزَّوجُها ؟ قال : أبى عليَّ أبوها . قال : ولم ؟ قال :  
يقول : ليس لك مال ؛ فقال : انصرف وألقني .

فلقيه بعد ذلك ، فدعا ببغلته فركبها ؛ ثم أتى عمَّ الفتى في منزله فخرج إليه ،  
وفرح بمجيئه ، ورحب وقرب ، ثم قال : ما حاجتك يا أبا الخطاب ؟ قال : لم أرك  
منذ أيام فاشتقتُ إليك ! قال : فانزل . فأنزله وألطفه<sup>(٢)</sup> ، فقال له عمر في بعض  
حديثه : إني رأيتُ ابنَ أخيك فأعجبني ما رأيتُ من جماله وشبابه ، قال له :  
أجل ! ما يغيبُ عنك أفضلُ مما رأيتُ ؛ قال : فهل لك من ولد ؟ قال : لا ، إلا

\* الأغانى : ١ - ١٤٥ ، المحاسن والأضداد : ٣٥٩ ، العقد الفريد : ١ - ٩

(١) كان عمر بن أبي ربيعة أشعر قريش ، ولكنه اختص في شعره بوصف النساء ، ولم يصف  
سواهن ، وله في التشبيب طريقة عرفت باسمه سلكها الشعراء ، وشبب بكثيرات من النساء ، توفي  
سنة ٩٣ هـ . (٢) ألطفه : بره .



فلانة . قال : فما يمنعك أن تزوجه إياها ؟ قال : إنه لا مال له ، قال : فإن لم يكن له مال فلك مال ، قال : فإني أضنُّ به عنه . قال : لكني لا أضنُّ به عنه ، فزوجته واحتسبكم ، قال : مائة دينار ، قال : نعم ! فدفعها عنه ، وتزوجها الفتى .

وانصرف عمرُ إلى منزله ، فقامت إليه جاريةٌ من جواريه ، فأخذت رداءه ، وألقت بنفسه على الفراش وجعل يتقلب ، فأنته بطعام فلم يتعرَّضُ له ؛ فقالت له : إن لك لأمرأ ، أو أراك تريد أن تقول شعراً ، فقال : هاتى الدواء فكتب :

تقول وليدتي لما رأيتني طربت<sup>(١)</sup> وكنت قد أقصرت<sup>(٢)</sup> حيناً  
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفيناً  
وكنت زعمت أنك ذو عزاء إذا ما شئت فارقت القريناً  
بربك هل أتاك لها رسولٌ فشاقتك أم لقيت لها خديناً<sup>(٣)</sup> ؟  
قلت : شكاً إلى أخٍ محبٍ كبعضِ زماننا إذ تعلمينا  
قصصاً على ما يلقى بهندي فذكر بعض ما كنا نسينا  
وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوقٌ حين يلقى العاشقينا  
وكم من خلة<sup>(٤)</sup> أعرضت عنها لغير قلى وكنتُ بها ضنيناً  
أردتُ بإيادها فصدتُ عنها ولو جنَّ الفؤادُ بها جنوناً

ثم دعا نسمةً من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد !

(١) طربت : حزنت . (٢) أقصرت : نزعت عنه وأنا قادر عليه ، وكففت . (٣) الخدين : الصديق ، ومنه الخدن ، وهو محدث الجارية ، وكانت العرب لا يمتنعون من خدن يحدث الجارية ، بخاء الإسلام يهدمه . (٤) الخلة : الحلية .



٧٠ - قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوقَ غريمِهِ

وعزّةٌ ممطولةٌ معنَى غريمِها\*

كان أول علاقةٍ كَثِيرٍ<sup>(١)</sup> بعزّةٍ أنه خرج من منزله خَلْفَ غَنَمٍ يسوقها إلى الجار<sup>(٢)</sup>؛ فلما كان بالحبّت<sup>(٣)</sup> وقَفَ على نسوةٍ من بني ضَمْرَةَ؛ فسألنَّ عن الماء؛ فقلنَّ لعزّةٍ - وهي جاريةٌ حينَ كَمَبَ<sup>(٤)</sup> ندياها : أرشدنيه إلى الماء ، فأرشدتهُ وأعجبتهُ .

فبينما هو يسقى غَنَمَهُ إذ جاءتهُ عزّةٌ بدرامٍ ، فقالت : يقلنَّ لك النسوةُ : بعنّا بهذه الدرامِ كبشاً من ضأنك . فأمرَ الغلامَ فدفعَ إليها كبشاً ، وقال لها : رُدِّي الدرامَ وقولى لمنَّ : إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حتى .

فلما راح مرَّ بهنَّ ؛ فقلنَّ له : هذا حقُّك فخذهُ . فقال : عزّةٌ غريمي ، ولستُ اقتضى حتى إلا منها . فزَحَنَ معه ، وقلنَّ : ويحك ! عزّةٌ جاريةٌ صغيرةٌ ، وليس فيها وفاءٌ لحقِّك فأحِلَّهُ على إحدانا ، فإننا أملاً به وأسرعَ له أداءً . فقال : ما أنا بمُحِيلٍ حتى عنها . ومضى لوجهه ، ثم رجعَ إليهن حين فرغ من بيعِ جَلْبِهِ<sup>(٥)</sup> فأنشدهن فيها :

\* الأغانى : ٩ - ٢٥

(١) هو كثير بن عبد الرحمن، كان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب، ومعشوقته عزّة بنت حميد من ضمرة، وكانت من أجل النساء وأدهن وأعقلهن، ويقال إنه لم ير لها وجهاً، إلا أنه استهام بها لما ذكر له عنها، توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) الجار : موضع بساحل البحر قريب من المدينة . (٣) الحبّت : الوادى العميق الضيق . (٤) نهى ندياها . (٥) الجلب : ما جلب من الحيوان .

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ<sup>(١)</sup> على حين أن شبتُ وبأن نهودها  
وقد درعوها<sup>(٢)</sup> وهي ذات مؤصد<sup>(٣)</sup> محبوب<sup>(٤)</sup> ولما يلبس الدرع ريدها<sup>(٥)</sup>  
من الخفرات البيض ودَّ جليسها إذا ما انفقت أحدوثةً لو تبعدها

وقال :

قضى كلُّ ذي دين فوقي غريمه وعزةٌ ممطولٌ معني غريمها  
قلن له : أبيت إلا عزةً أو أبرزنها إليه وهي كارهة . ثم أحبته عزةً بمد  
ذلك أشدَّ من حبه إياها .

---

(١) العاتق : الجارية أو أول ما تدرِك . (٢) الدرع : القميص . (٣) المؤصد : صدار تلبسه  
الفتاة الصغيرة فإذا أدركت درعت . (٤) المحبوب : الذي له جيب . (٥) الريد : الثوب والنند .

٧١ - تُغْنِيهِ فِيمُوتُ\*

كانت بالمدينة قَيِّنةٌ من أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَكْمَلِهِمْ عَقْلاً، وَأَفْضَلِهِمْ أَدْبَارًا،  
قَرَأَتِ الْقُرْآنَ وَرَوَتِ الْأَشْعَارَ، وَتَعَلَّمَتِ الْعَرَبِيَّةَ، فَوَقَعَتْ عِنْدَ يَزِيدَ<sup>(١)</sup> بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،  
فَأَخَذَتْ بِمِجَامِعِ قَلْبِهِ؛ فَقَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ: وَيْحَكَ! أَمَا لَكَ قَرَابَةٌ أَوْ أَحَدٌ يَحْسُنُ  
أَنْ أَصْطَنِعَهُ، أَوْ أُسَدِّدَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا؟ قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَمَا قَرَابَةٌ فَلَا،  
وَلَكِنِ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ كَانُوا أَصْدِقَاءَ لِمَوْلَايَ، كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ خَيْرِ  
مَا صَرْتُ إِلَيْهِ.

فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ فِي إِشْتِخَاصِهِمْ، وَأَنْ يُعْطِيَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ  
آلَافِ دَرَاهِمٍ، وَأَنْ يُعَجِّلَ بِسَرَّاحِهِمْ إِلَيْهِ.

فَفَعَلَ عَامِلُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَابِ يَزِيدَ اسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ،  
وَأَكْرَمَهُمْ، وَسَأَلَهُمْ حَوَائِجَهُمْ؛ فَأَمَّا الْاِثْنَانِ فَذَكَرَا حَوَائِجَهُمَا فَقَضَاهَا لَهَا؛ وَأَمَّا الثَّلَاثُ  
فَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ مَالِي حَاجَةٌ. قَالَ: وَلِمَ؟ أَلَسْتُ أَقْدِرُ  
عَلَى حَوَائِجِكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنِ حَاجَتِي لَا أَحْسِبُكَ تَقْضِيهَا، قَالَ:  
وَيْحَكَ! فَسَلْنِي فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُنِي حَاجَةَ أَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا قَضَيْتُهَا، قَالَ: وَوَلِي الْأَمَانُ  
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَكَرَامَةٌ. قَالَ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْمُرَ جَارِيَتَكَ فَلَانَةَ

\* العقد الفريد: ٤ - ١٢٥

(١) يزيد بن عبد الملك: من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق، وتوفى بها سنة ١٠٥ هـ.



التي أكرمتنا لها أن تغنيني ثلاثة أصوات أشربُ عليها ثلاثة أرطال فأفعل .

فتغيّر وجهُ يزيد ؛ وقام من مجلسه - فدخل على الجارية ، فأعلمها ، فقالت :  
وما عليك يا أمير المؤمنين ! افعل ذلك ، فلما كان من الغد أمر بالفتى فأحضر ،  
وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فألقيت ، فقعده يزيد على أحدها ، وقعدت الجارية  
على الآخر ، وقعد الفتى على الثالث ، ثم دعا بطعام فتعدوا جميعا ، ثم دعا بصنوف  
الرياحين والطيب فوضعت ، ثم أمر بثلاثة أرطال فمليت ، ثم قال للفتى : قل  
ما بدأ لك ، وسل حاجتك ، قال : تأمرها أن تغني :

لا أستطيع سلوا عن مودتها أو يصنع الحب في فوق الذي صنعا  
أدعو إلى هجرها قلبي فيسعدني حتى إذا قلت : هذا صادق نزعا

فأمرها فغنت ؛ فشرّب يزيد ، وشرب الفتى ، ثم شربت الجارية ، ثم أمر  
بالأرطال فمليت ، ثم قال للفتى : سل حاجتك . قال : تأمرها أن تغني :

تخيّرتُ من نعمان<sup>(١)</sup> عود أراكة لهند ، ولكن من يبلفه هنداً  
ألا عرجا بي ؛ بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصداً

فغنت بهما ، وشرب يزيد ، ثم الفتى ، ثم الجارية . ثم أمر بالأرطال فمليت ،  
ثم قال للفتى : سل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، مرها تغني :

من الوصال ومنكم الهجر حتى يفرق بيننا الدهر  
والله ما أسلوكم أبداً ما لاح نجم أو بدا فجر

(١) نعمان : اسم واد .

فلم تأتِ على آخر الأبيات حتى خرَّ الفتي مَغْشِيًّا عليه . فقال يزيد  
للجارية : انظري ما حاله ؟ قفامت إليه ، فخرَّ كته فإذا هو ميِّت ، فقال لها :  
ابكيه . قالت : لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي . قال لها : ابكيه ،  
فوالله لو عاش ما انصرف إلا بكِ ؛ فَبَكَتْهُ ، وأمر بالفتى فأُحْسِنَ جِهازه  
ودفنه<sup>(١)</sup> !

---

(١) روى أن مثل هذا حصل مع جارية للرشيذ (انظر صفحة ١٦٣ ج ٢ من نهاية الأرب) .

٧٢ - فَاضَتْ نَفْسُهَا عَلَيْهِ \*

قال محمد بن قيس :

وجَّهني عاملُ المدينة إلى يزيد بن عبد الملك - وهو إذ ذاك خليفة - فلما خرجتُ عن المدينة إذا أنا بامرأةٍ جالسة على الطريق ، وشابٌّ نائمٌ ، وهو يتلو ، ورأسه يسقط في حجرها ، وكلما سقط أعادته مكانه . فسلمتُ ، فردت السلام - والشابُّ مشغولٌ بنفسه - فسألتهُ عنه ، فقالت : يا عبد الله ؛ هل لك في الأجر والثوبة ؟ قلت : لا أبغى سواها .

قالت : هذا ولدي ، وكانت له ابنةٌ عم تربيًا معا ، وشغفتُ به ، وشغف بها ، وعلم بذلك أبوها ، وعلم بها أهلُ المدينة ؛ فحجَّ بها عنه ، وكان يأتي الموضعَ والحجباء<sup>(١)</sup> فيبكي ، ثم خطبها من أيها ، فأبى أن يزوجه ؛ لأننا نرى ذلك عيبًا ، أن تزوج امرأةً لرجل كان يحبها . ثم خطبها رجلٌ غيره ؛ فزوجها أبوها منه منذ خمسة أيام ، وهو على ما ترى ؛ لا يأكل ولا يشرب ولا يعقل ، فلو نزلت إليه ، وتحدثت معه ووعظته وسليته ، فلهه يسكنُ إلى حديثك ، ويتقوتُ بشيء من الطعام !

قال محمد : فنزلتُ ودنوتُ منه ، وتلطفتُ به ؛ فرجع إلى طرفه وقال بصوت

حزين :

\* المختار من نوادر الأخبار ، نهاية الأرب : ٢ - ١٨٧  
(١) الحجباء من الأبنية ، يكون من وبر أو صوف أو شعر .



أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ !      أَبْجُلُّ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صَدُودُ ؟  
 مَرَضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا      فَالِكِ لَا نَزَى فِيمَنْ يَمُودُ !  
 قَدْتُكَ بَيْنَهُمْ فَبَكَيْتُ شَوْقًا ،      وَقَدْتُ الْإِلْفَ يَا سَلَمَى شَدِيدُ  
 وَمَا اسْتَبْطَأْتُ غَيْرَكَ فَاعْلَمِيهِ      وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحْمِي عَدِيدُ  
 فَلَوْ كُنْتُ الْمَرِيضَةَ كُنْتُ أَسْعَى      إِلَيْكَ وَلَمْ يُنْهِنِي الْوَعِيدُ !

ثم سكن ، فنظرت المرأة إلى وجهه وصرخت وقالت : والله فاضت نفسه !  
 قالتها والله ثلاث مرات . فغشيتني من ذلك همٌّ وغمٌّ . ولما رأيت العجوز ما حلَّ بي  
 عليه من الحزن قلت : يا ولدي ؛ هوّن عليك ، والله لقد استراح مما كان فيه ،  
 عاش بأجلٍ ، ومات بقدرٍ ، وقدم على ربِّ كريم ، واستراح من تباريحِه وغصصه ،  
 فهل لك في استكمال الأجر ؟ قلت : قولى ما أحببت ، قالت : هذا الحى منك  
 قريبٌ ، فإن رأيت أن تمضى إليهم تنعيتهم لهم ، وتسألهم الحضورَ ليعينونى على  
 مؤاراتِه فافعل .

قال محمد : فركبت وأتيت الحى ، فنعيتُهم لهم ، وأخبرتُهم بصورةِ أمره ، فبينما  
 أنا أدور فى الحى إذا أنا بامرأةٍ خرجت من خبائها تجرُّ خمآرها ، ناشرةً شعرها ،  
 فقالت لى : أيُّها الناعى ؛ مَنْ تَنَعَى ؟ قلت : فلان ، فقالت : بالله عليك ، مات !  
 قلت : نعم ، قالت : هل سمعت منه شيئاً قبل موته ؟ قلت : نعم ، وأنشدتها الشعر ،  
 فاستعبرت باكية ، وأنشأت تقول :

عَدَانِي أَنْ أَرُورَكَ يَا حَبِيبِي      مَعَاشِرَ كُلِّهِمْ وَاشْرِي حَسُودُ  
 أَشَاعُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ الرِّزَايَا      وَعَابُونَا ، وَمَا فِيهِمْ رَشِيدُ

فأما إذ تَوَيْتَ اليَوْمَ لِحَدَا فِدورُ الناسِ كلِّهم لِحُدُودِ  
فلا طابَتْ لى الدنيا حياةٌ ولا سَحَتْ عَلَى الأرضِ الرُّعودُ

ثم خرجت مع القوم ، وهى تُولُوِلُ حتى انتهينا إلى الغلام ، ففسلناه وصلينا عليه ودفناه ، فلما تفرقنا عن قبره جمعت تصرخ وتلطم .

ثم ركبت ومضيت ، وهى على تلك الحال . فأتيت يزيد بن عبد الملك وناولته الكتاب ، فسألنى عن أمور الناس وما رأيت فى طريقى ، فأخبرته الخبر ، فقال لى : يا محمد ؛ امض الساعة قبل أن تشتغل فى غير هذا حتى تمر بأهل الفتى وبنى عمه وتمضى بهم إلى عامل المدينة ، فتأمره أن يُشَدِّتَهُمْ فى شَرَفِ العطاء ، وإن كان أصابَ الجارية ما أصابه فافعل بأهلها كما فعلت بأهله ؛ وارجع حتى تخبرنى بالخبر ، وتأخذ جواب الكتاب .

قال محمد : فخرجت حتى انتهيت إلى قبر الغلام ، فوجدت بجانبه قبراً آخر ، فسألته عنه ، فقالوا : هذا قبر الجارية ، لم تزل تصرخ وتلطم حتى فاضت نفسها ، ودُفِنَتْ بجانبه ، فدفعته أهلها ومضيت بهم إلى عامل المدينة ، فأثبتهم فى شرف العطاء ، وعدت فأخبرته ، فأجازنى على ذلك جائزة حسنة .

٧٣ — يموتان في وقت واحد\*

قال أبو مالك الراوية :

سمعتُ الفرزدقَ<sup>(١)</sup> يقول : أبى<sup>(٢)</sup> غلامان لرجل منّا يقال له الخِصِرُ ، فحدثني  
قال : خرجتُ في طلبهما ، وأنا على ناقَةٍ عيساءَ كَوْماءَ<sup>(٣)</sup> أريد اليمامة ، فلما  
صرتُ في ماء لبني حَنِيفَةَ ارتفعت سحابةٌ فرعدتُ وبرقتُ وأرختُ عزاليها<sup>(٤)</sup> ؛  
فعدلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القرى ؛ فأجابوا .

فدخلتُ دارا لهم ، وأنختُ الناقةَ ؛ وجلستُ تحت ظِلِّهِ<sup>(٥)</sup> لهم من جريد النخل ،  
وفي الدار جُوَيْرِيَةٌ لهم سوداء ؛ فدخلتُ جارية كأنها سبيكة فضة ، وكان عينيها  
كوكبانِ دُرِّيَّانِ ؛ فسألتُ الجاريةَ : لمن هذه العيساءُ ؟ « تعني ناقتي » . قالت :  
لضيفكم هذا .

فعدلتُ إلى قِلاتِ : السلام عليكم ، فرددتُ عليها السلام ؛ قالت لي : ممن  
الرجل ؟ قلت : من بني حَنْظَلَةَ . قالت : من أيهم ؟ قلت : من بني نَهْشَلِ .  
فتبسّمتُ وقالت : أنت إذن ممن عناه الفرزدقُ بقوله :

إن الذي سمك<sup>(٦)</sup> السماءَ بنى لها بيتاً دعائمه أعزُّ وأطولُ

\* الأغانى : ٨ - ٤٤

(١) الفرزدق : همام بن غالب ، من صعصة ، شاعر عظيم الأثر في اللغة ، وهو صاحب الأخبار  
مع جرير والأخطل ، توفي سنة ١١٠ هـ . (٢) أبى العبد : هرب . (٣) العيساء من الإبل :  
التي يضرب لونها إلى الأدمة ، والكوماء : عظيمة السنام طويولته . (٤) العزالي : جمع عزلاء ، والعزلاء  
في الأصل : مصب الماء من القرية والراوية . (٥) الظلة : الشيء يستتر به من الحر والبرد .  
(٦) سمك السماء : رفعها .



يَتَأْ بِنَاءُ لَنَا الْمَلِكُ وَمَا بَنَى مَلِكُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ  
يَتَأْ زُرَّارَةٌ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ<sup>(١)</sup>  
قُلْتُ : نَعَمْ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ! وَأَعْجِبْنِي مَا سَمِعْتُ مِنْهَا . فَضَحَكَتْ وَقَالَتْ :  
فَإِنَّ ابْنَ الْخَطَفِيِّ<sup>(٢)</sup> قَدْ هَدَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ هَذَا الَّذِي فَخَرْتُمْ بِهِ حَيْثُ يَقُولُ :  
أَخْزَى الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ  
يَتَأْ بِحَمِّ قَيْنِكُمْ<sup>(٣)</sup> بِفِنَائِهِ دَنِيًّا مَقَاعِدُهُ خَيْثَ اللَّدْخَلِ  
فَوَجَّهَتْ .

فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي وَجْهِ ؛ قَالَتْ : لَا عَلَيْكَ ! فَإِنَّ النَّاسَ يُقَالُ فِيهِمْ وَيَقُولُونَ .  
ثُمَّ قَالَتْ : أَيْنَ تَوَمُّ<sup>(٤)</sup> ؟ قُلْتُ : الْيَمَامَةُ . فَتَنَفَّسَتِ الصُّعْدَاءُ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : هَاهِيَ تِلْكَ  
أَمَامَكَ ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

تَذَكَّرْنِي بِلَادًا خَيْرُ أَهْلِهَا أَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ  
الْأَفْسَقِي إِلَهُهُ أَجَشَّ صَوْبًا<sup>(٥)</sup> يَسُحُّ بَدْرَهُ بَلَدَ الْيَمَامَةِ  
وَحَيًّا بِالسَّلَامِ أَبَا مُجَيْدٍ فَاهْلُ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ

قَالَ : فَأَنْسَتْ بِهَا وَقُلْتُ لَهَا : أَذَاتُ خِذْنِ أُمِّ ذَاتُ بَعْلٍ ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا تَوَرَّقَهُ الْهَمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ  
تَقَطَّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِ  
سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَا عَمْرُو يَحْنُ إِلَى الرَّوَاحِ

(١) زُرَّارَةٌ وَمُجَاشِعٌ وَنَهْشَلٌ : مِنْ سَادَةِ تَمِيمٍ ، قَوْمِ الْفَرَزْدَقِ .

(٢) جَرِيرٌ . (٣) بِحَمِّ : بِسُخْنٍ ، وَالْقَيْنِ : الْحِدَادِ ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مُجَاشِعًا قَبِيلَةُ الْفَرَزْدَقِ كَانَتْ

قَبِيلًا لِعَبْدِ كَانَ لِعَصْمَةَ بْنِ نَاجِيَةَ ، فَنَسَبَ جَرِيرٌ غَالِبًا أَبَا الْفَرَزْدَقِ إِلَى الْقَيْنِ . (٤) تَقْصِدُ .

(٥) الصَّوْبُ : بَجِيءُ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ ، وَالْأَجَشُّ : الصَّوْتُ الْمُرْتَفِعُ .

قلت لها : مَنْ عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول :

سألت ، ولو علمت كغففت عنه      ومَنْ لك بالجوابِ سوى الخبيرِ ؟  
فإن تكُ ذا قبُولٍ إنَّ عمراً      هو القمرُ المضيءُ المستنيرُ<sup>(١)</sup>  
وما لي بالتَّبَعْلِ<sup>(٢)</sup> مُستراحٌ      ولو رَدَّ التَّبَعْلُ لي أسيرِ  
ثم سكتت سكتةً كأنها تسمعُ إلى كلامي ، ثم تهافتت<sup>(٣)</sup> وأنشأت تقول :  
يُخَيِّلُ لي هياً عمرو بن كعبٍ      كأنك قد جِملتَ على سريرِ  
يسير بك الهويبي القومُ لَمَّا      رماك الحبُّ بالعلقِ<sup>(٤)</sup> العسيرِ  
فإن تكُ هكذا يا عمرو إني      مُبَكَّرَةٌ عليك إلى القبورِ  
ثم شَهقتُ شهقةً فخرت مَيَّةً .

قلتُ لهم : مَنْ هذه ؟ فقالوا : هذه عَقِيلَةُ بنتُ الضحَّاك . قلتُ لهم : فمن عمرو  
هذا ؟ قالوا : ابنُ عمها ، فارتحلت من عندهم .  
فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا ؛ فإذا هو قد دُفِنَ في ذلك الوقت  
الذي قالت فيه ما قالت !

(١) في البيت لإقواء، وهو اختلاف حركة الروي . (٢) تبعت المرأة: أطاعت بطلبها أو تزيفت له .  
(٣) تساقطت من ضعفها وخورها . (٤) العلق : الهوى ، يكون للرجل في المرأة .

٧٤ - رحلت مئة ولم يبق إلا الديار\*

قال أبو صالح الفزاري : تَذَكَّرْنَا يوماً ذَا الرُّمَّةِ<sup>(١)</sup> ؛ فقال لنا عِصْمَةُ بن مالك الفزاري - وكان قد بلغ عشرين ومائة سنة : إيتاي فاسألوا عنه ؛ كان حُلُوَ العَيْنِينَ ، خفيفَ العارضِينَ ، بَرَّاقَ الثَّنَايَا ، واضحَ الجَبِينِ ، حسنَ الحَدِيثِ ، إذا أنشد بَرَّبرَ وجَشَّ صوتُهُ<sup>(٢)</sup> .

جمعني وإياه مُرْتَبِعٌ<sup>(٣)</sup> مرةً ، فأتاني فقال لي : هَيَا عِصْمَةُ ، إن مِئَةَ مِنْقَرِيَّةٍ وَمِنْقَرُ أَخْبَثُ حَيٍّ ، وَأَقْوَفُهُ<sup>(٤)</sup> لَأَثَرٌ ، وَأَثْبَتُهُ فِي نَظَرٍ ، وَقَدْ عَرَفُوا آثَارَ إِبِلِي ، فَهَلْ مِنْ نَاقَةٍ نَزْدَارُ عَلَيْهَا مِئَةٌ ؟ قلت : إِي وَاللَّهِ ؛ الْجُوذُرُ ، بِنْتُ يَمَانِيَةِ الْجَدِيِّ لِي . فقال : طَلِّي بِهَا .

فَأْتَيْتُهُ بِهَا فَرَكِبَ وَرَدِّفْتُهُ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى مَنْزِلٍ مِئَةٍ ؛ فَإِذَا الْحَيُّ خُلُوفٌ<sup>(٥)</sup> ، فَأَمَهَلْنَا وَتَقَوَّضَ النِّسَاءُ مِنْ بِيُوتِهِنَّ إِلَى بَيْتِ مِئَةٍ ، وَإِذَا فِيهِنَّ ظَرِيفَةٌ جَمَعْتُهُنَّ فَنَزَلْنَا بِهَا ؛ فقالت : أَنشَدْنَا يَا ذَا الرُّمَّةِ ؛ فقال : أَنشَدْنِي يَا عِصْمَةُ - وَكَانَ عِصْمَةُ رَاوِيَتَهُ - فَأَنشَدْتُهُنَّ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

\* المحاسن : ٢٢٤ ، العقد : ٤ - ٣٦٦ ، الأغاني : ١٦ - ١٢٤ ، المصارح : ١٣٧ ، ذيل الأملی : ١٢٤ ، تزيين الأسواق : ١٩

(١) ذو الرمة : هو غيلان بن عقبة الكنانی ، كان شاعراً رقيقاً خبيراً بأحوال العشق ، والرمة : جبل يجعل في عنق البعير ، وكان كثيراً ما يجعله في عنقه ، ولذلك سمي به ، وصاحبه مئة بنت مقاتل النخري . وكان كثير المدح لبلال بن أبي بردة ، وكان أحسن شعراء عصره تشبيهاً ، كما مر في الفيس في الجاهلية . توفي سنة ١١٧ هـ . (٢) البريرة : التغليط في الكلام مع غضب وتفور . والأجش : الغليظ الصوت . (٣) المرتبوع : الموضع الذي ينزل فيه أيام الربيع . (٤) من فاف الأثر : إذا عرفه . (٥) خلوف : غائبون .



نظرتُ إلى أظعانٍ<sup>(١)</sup> مَيَّ كَانَهَا ذُرَا النخلِ أو أُمَّلُ تَمِيلُ ذَوَابُهُ  
فَأَسْبَلَتِ العَيْنَانِ والصدرُ كَاتِمٌ بِمُغْرُورِقٍ نَمَّتْ عَلَيْهِ سَوَاكِبُهُ  
بِكَاءِ الفَتَى خَافَ الفِرَاقَ ولم تَجَلُّ جَوَانِلُهَا أَسْرَارُهُ وَمَعَاتِبُهُ

فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : فَالآنَ فَلَتَجَلُّ ! فَقَالَتْ لَهَا مَيَّةُ : قَاتِلِكَ اللهُ؟ مَا تَجِيبِينَ بِهِ مِنْذُ  
اليومِ؟ ثم أنشدتُ حتى بلغتُ إلى قوله :

إِذَا سَرَحْتَ مِنْ حُبِّ مَيَّ سَوَارِحُ عَنِ القَلْبِ آبَتُهُ بَلِيلٌ عَوَازِبُهُ  
فَقَالَتْ لَهَا الظَّرِيفَةُ : قَاتِلْتِهِ ، قَاتِلِكَ اللهُ ! فَقَالَتْ مَيَّةُ : إِنَّهُ لَصَحِيحٌ ،  
وَهَيْثَا لَهُ .

فَتَنَفَّسَ ذُو الرِّثْمَةِ تَنَفُّسًا كَادَ يَطِيرُ حَرًّا شَعْرَ وَجْهِهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَتْ حَتَّى بَلَغَتْ  
إِلَى قَوْلِهِ :

وَقَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ مَيَّةُ مَا الَّذِي أَحَدَّثْتُهَا إِلَّا الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ  
إِذَنْ فَرَمَانِي اللهُ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى وَلَا زَالَ فِي أَرْضِي عَدُوٌّ أَحَارِبُهُ  
فَقَالَتْ مَيَّةُ : خَفَّ عَوَاقِبَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَا غَيْلَانَ ، قَالَ : ثُمَّ أَنْشَدَتْ حَتَّى بَلَغَتْ  
إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا نَازَعْتِكَ القَوْلَ مَيَّةُ أَوْ بَدَا لَكَ الوَجْهَ مِنْهَا أَوْ نَصَا الدَّرْعَ سَالِبُهُ  
فِيَا لَكَ مِنْ خِيَدٍ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَخِيمٍ وَمَنْ خَلَقَ تَعَلَّلَ جَادِبُهُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : هَذَا الوَجْهُ قَدْ بَدَا ، وَهَذَا القَوْلُ قَدْ تَنَوَّزَعَ فِيهِ ؛ فَمَنْ لَنَا أَنْ  
يَنْصُو الدَّرْعَ سَالِبُهُ؟ فَقَالَتْ مَيَّةُ : مَا أَنْكَرَ مَا تَجِيبِينَ بِهِ مِنْذُ اليَوْمِ !

(١) أظعان : جمع ظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أم لا . (٢) الجادب : العائب ، ويريد أن  
الناظر إليها لا يجد في خلقها مغمزاً ؛ فيتعلل بالباطل ، وبالشئء بيبه وليس بيب .

فقامت الظريفة وقُمن معها ؛ فقالت : دَعُوهم ؛ فَإِنْ لهم لَشَأْنَا ؛ فعمتُ فجلستُ  
فأحيةً ؛ وجلسا بحيث نَرَاهما ولا نسمع من كلامهما إلا الحرفَ بعد الحرفِ ، والله  
ما رأيتُهما بَرِحَا من مكانهما ، وسمعتُها تقول له : كذبتُ ، فوالله ما أدري ما الذي  
كذبتُ فيه إلى الساعة .

ثم خرج ومعه فارورةٌ فيها دُهْنٌ وقلائدُ ، فقال : يا عِصْمَةُ ؛ هذه دُهْنَةٌ طيبة  
أتمقنتُها بها مَيِّ ، وهذه قلائدُ قلدتُها مَيِّ الجوذَرُ (١) ، ولا والله لا قلدتُهنَّ بعيراً أبداً ،  
فقدهنَّ في ذُوَابَةِ سيفه ، وانصرفنا .

فلما كان بعدُ أتاني ، فقال : هَيَّا عِصْمَةُ ؛ قد رحلتُ مَيِّ ، فلم يبق إلا الديار  
والنظر في الآثار ؛ فأنهضُ بنا ننظر إلى آثارها ، فركب وتبعته ؛ فلما أشرف على  
المُرتَبَعِ قال :

ألا يَا اسلمِي يَا دَارِ مَيِّ عَلَى البَيْلَى      ولا زال مُنْهَلًا (٢) بِبِحْرٍ عَائِكَ (٣) القَطْرُ  
وإن لم تكُونِي غَيْرَ شامٍ (٤) بِقَفْرَةٍ      تجرُّ بها الأذيالَ صَيْفِيَّةً (٥) كُدْرٍ (٦)  
ثم انفضحت عيناه بالبكاء ؛ فقلت : مَهْ يا ذا الرمة ! فقال : إني لجلدٌ على  
ماترى ، وإني لصَبُورُ !

فأرأيتُ أشدَّ صبايةً ، ولا أحسنَ عزاءٍ منه .

ثم افترقنا ؛ فكان آخرَ العهدِ به .

(١) اسم الناقة التي سارا عليها . (٢) منهلا: نازلا . (٣) الجراء: الرملة المتتوية لانذبت شيئاً .

(٤) الشام : جمع شامة ، وهي بقعة تخالف لون الأرض . (٥) الصيفية : رياح الصيف .

(٦) الكدر : جمع كدراء ، وهي التي في لونها غبرة .

٧٥ — صباية ابن الطثرية\*

أصاب الناس سنةً وجدبٌ ، فأقبل جماعةٌ من جرّم<sup>(١)</sup> يريدون بنى قشير ، وكانت بينهما عداوةٌ وحربٌ عظيمة ، ولكنهم لم يجدوا بدءاً من ذلك ، لما قد ساقهم من الجدب والجماعة ورقة الأموال ، وما أشرفوا عليه من الهلكة ، فنصبت<sup>(٢)</sup> قشير لهم الحرب . فقالت جرّم : إنما جئنا مستجيرين غير محاربين . قالوا : ميم؟ قالوا : من السنة والجدب والهلكة التي لا باقية لها . فأجارتهم قشير وسالمتهم وأزعتهم طرفاً من بلادها .

وكان في جرّم فتى يقال له ميادة الجرمي ، وكان غزلاً حسن الوجه تام القامة ، أخذاً بقلوب النساء . والغزل في جرّم جائزٌ حسن ، وهو في قشير نائرة<sup>(٣)</sup> فلما نازلت جرّم قشيراً وجاورتها أصبح ميادة الجرمي يندو إلى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبأ والحديث عند غيبة الرجال ، واشتغالهم بالسقى والرعية وما أشبه ذلك ؛ فدفعته عنهن وأسمعته ما يكره .

وراحت رجالهنّ عليهنّ وهن مغضبات ؛ فقالت مجازر منهنّ : والله ما ندري

\* الأغانى : ٨ - ١٥٧

اسمه يزيد بن الصمة ، والطثرية أمه ، كان حسن الوجه والشعر ، حلو الحديث ، غزلاً أخذوا بقلوب النساء ، وقد أحب امرأة من جرّم ، وقاسى في سبيلها من الوجد ما قاسى مثله من المتيمين في الحب ، ونظم فيها الشعر الرقيق ، وتوفى سنة ١٢٦ هـ . (١) بطن في طي . (٢) نصب له الحرب : وضعها . (٣) النائرة : العداوة والشحناء ، أى أن الغزل في قشير سبب العداوة .



أَرَعَيْتُمْ جَرَمًا مَرَعَى أَمْ أَرَعَيْتُمُوهُم نِسَاءً كَمَا فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : وَمَاذَا ؟  
قُلْنَا : رَجُلٌ مِنْذُ الْيَوْمِ ظَلَّ مُجْحِرًا<sup>(١)</sup> لَنَا مَا يَطَّلِعُ مِنْ رَأْسٍ وَاحِدَةٍ ، يَدُورُ بَيْنَ  
بَيوتِنَا .

قال بعضهم : بَيَّتُوا جَرَمًا فَاصْطَلَبُوا<sup>(٢)</sup> . وقال بعضهم : قبيح . قومٌ قد  
سَقَيْتُمُوهُم مِيَاهَكُمْ ، وَأَرَعَيْتُمُوهُم مَرَاعِيَكُمْ ، وَخَلَطْتُمُوهُم بِأَنْفُسِكُمْ ، وَأَجَرْتُمُوهُم  
مِنَ الْفَحْطِ وَالسَّنَةِ ، تَفَتَّاتُونَ<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ هَذَا الْاِفْتِيَاتِ ! لَا تَفْعَلُوا وَلَكِنْ لَتُصْبِحُوا<sup>(٤)</sup>  
وَتَقَدَّمُوا إِلَى هَؤُلَاءِ التَّوْمِ فِي هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنَّهُ سَفِيهُ مِنْ سَفَاهِهِمْ ، فَلْيَأْخُذُوا عَلَى  
يَدَيْهِ ، فَإِنْ يَفْعَلُوا فَاتِمُّوا لَهُمْ إِحْسَانَكُمْ ، وَإِنْ يَمْتَنِعُوا وَيُقِرُّوا مَا كَانَ مِنْهُ يَحِلُّ  
لَكُمْ الْبَسْطُ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ ، وَتَخْرُجُوا مِنْ ذِمَّتِهِمْ . فَاجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَاً نَفَرَّ مِنْهُمْ إِلَى جَرَمٍ فَقَالُوا : مَا هَذِهِ الْبِدْعَةُ الَّتِي قَدْ  
جَاوَزْتُمُونَا بِهَا ! إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبِدْعَةُ سَجِيَّةً لَكُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ عِنْدَنَا إِرْعَاءٌ وَلَا  
إِسْتِئْثَاءٌ ، فَابْعَدُوا عَنَّا أَنْفُسَكُمْ ، وَأَذْنُوا<sup>(٦)</sup> بِمَحْرَبٍ . وَإِنْ كَانَ افْتِنَانًا فَفَيِّرُوا<sup>(٧)</sup> عَلَى  
مَنْ فَعَلَهُ .

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ جَرَمٍ فَقَالُوا : مَا الَّذِي نَالَكُمْ ؟ قَالُوا : رَجُلٌ مِنْكُمْ أَمْسَى ظَلًّا  
يَجْرُ أذْيَالَهُ بَيْنَ أَبِياتِنَا ، مَا نَدْرِي عَلَامَ كَانَ أَمْرُهُ ! فَفَهَّقْتُمْ جَرَمٌ مِنْ جَفَاءِ  
الْقَشِيرِيِّينَ وَعَجَّرْتُمَهَا وَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَتُحْسِنُونَ مِنْ نِسَائِكُمْ بِيَلَاءٍ ، أَلَا فَابْعَثُوا إِلَى  
بَيوتِنَا رَجُلًا وَرَجَلًا .

(١) من أجزره ، إذا أُلزِمَ أَنْ يَدْخُلَ جِجْرَهُ . (٢) اسْتَأْصَلَبُوا . (٣) افْتِنَاتٍ عَلَيْهِ : اخْتَلَقَ  
عَلَيْهِ الْبَاطِلُ . (٤) الْإِلَامُ لِأَمْرِ . (٥) بَسَطَ يَدَهُ عَلَيْهِ : سَلَطَ عَلَيْهِ . (٦) كَوْنُوا عَلَى عِلْمٍ  
بِمَحْرَبٍ . (٧) فَيِّرُوا : أَيُّ أَزْجَرُوهُ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ مَا فَعَلَهُ .

قالوا : والله ما نحسُّ من نسايننا ببلاءه ، وما نعرفُ منهن إلا العفة والكرم ، ولكن فيكم الذى قلم .

قالوا : فإننا نبعث رجلاً إلى بيوتكم ، يا بنى قُشير ، إذا غدت الرجال وأخلفَ النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، وتتخالفُ أنه لا يتقدّمُ رجلٌ منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ، ولا يُعلمُها بشيء مما دار بين القوم ؛ فيظلُّ كلاهما فى بيوت أصحابه حتى يردَا علينا عشيًّا الماء وتُخلى لهما البيوت ، ولا تبرزُ عليهما امرأة ، ولا تُصادقُ منهما واحداً إلا بموثقٍ يأخذهُ عليها وعلامةٌ تكون معه منها !

قالوا : اللهم نعم . فظلُّوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعودُ إلى البيوتِ منهم أحدٌ دون الليل .

وغداً ميّاد الجرمي إلى القشيريّات ، وغداً يزيد بن الطثريّة القشيريّ إلى الجرّميّات ، وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم حديثاً ، فظلَّ عندهن بأكرم مَظَلٍّ لا يصيرُ إلى واحدةٍ منهن إلا افتتنَّت به ، وتابعته إلى المودة والإخاء ، وقبض منها رهنًا ، وسألته ألا يدخل من بيوت جرّم إلا بيتها ؛ فيقول لها : وأيّ شيء تخافين وقد أخذتِ منى الموثيق والعهود ، وليس لأحد فى قلبى نصيبٌ غيرك ، حتى صُلّيت العصر .

فانصرف يزيدُ بفتح<sup>(١)</sup> كثير وبراقع ، وانصرف مكحولاً مدهوناً شعبان ريان مرَّجَلِ اللّمة<sup>(٢)</sup> . وظل ميّاد يدورُ بين بيوت القشيريّاتِ مرجوماً مقصي

(١) الفتح واحدة فتحة ، وهى حلقة من فضة لا فص لها فإذا كان فيها فص فعى الخاتم .

(٢) اللمة : الشعر المجاور مشحمة الأذن .



لا يتقربُ إلى بيتٍ إلا استقبلته الولايدُ بالعمدِ<sup>(١)</sup> والجندلُ ؛ فهالكَ لمن ، وظن  
أنه ارتيادُ<sup>(٢)</sup> منهن له ، حتى أخذهُ ضربٌ كثيرٌ بالجندل ، ورأى اليأسَ منهن ،  
وجهدَه العطشُ ؛ فانصرف حتى جاء إلى سُمرةِ<sup>(٣)</sup> قريباً إلى نصف النهار ؛ فتوسّد  
يدَه ونامَ تحتها نومةً حتى أفرجت عنه الظهيرة ، وفاءت الأطلال ، وسكن  
بعضُ ما به من ألمِ الضرب ، وبرّدَ عطشه قليلاً .

ثم قرب إلى الماء حتى وردَ على القوم قبلَ يزيد ، فوجد أمةً تدوُدُ غنماً  
في بعض الظعنِ<sup>(٤)</sup> ، فأخذ برقعها ، فقال : هذا برقع واحدة من نسائكُم ، فطرحه  
بين يدي القوم ، وجاءت الأمةُ تعدو فتعلقت ببرقعها فردّها عليها ، وخجل مياذُ  
خجلاً شديداً .

وجاء يزيدُ مُمسيّاً وقد كاد القوم أن يتفرّقوا ، فنثرَ كُمه بين أيديهم ملآن  
براقع وفتخاً ، وقد حلفَ القومُ ألا يعرف رجل شيئاً إلا رفعه .

فلما نثر ما معه اسودّت وجوه جرّم ، وأمسكوا<sup>(٥)</sup> بأيديهم إمساكةً . فقالت  
قُشيرُ : أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق وتخرّج الأموال  
والأهل ؛ فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليُمسِكْ يده ، فبسط كلُّ رجل يده إلى  
ما عرف فأخذه ، وتفرّقوا عن حرب ؛ وقالوا : هذه مكيدة يا قُشير .

وبلى يزيد بعشق جارية من جرّم في ذلك اليوم يقال لها وحشية ، وكانت  
من أحسن النساء . ونافرتهم جرّم فلم يجدوا إليها سبيلاً ، فصار من العشق إلى أن

(١) العمدة: قضبان الحديد . (٢) ارتياد: طلب . (٣) السمرة : شجرة عظيمة . (٤) الظعن :  
سير البادية لانجعة . (٥) يريد أنهم قبضوا أيديهم ، ولم يدوها إلى شيء مما نثر أمامهم .



أشرف على الموت ، واشتدَّ به الجهدُ ، فجاأ ابنُ عم له يقال له : خليفة بن بوزل ،  
بعد اختلاف الأطباء إليه وبأسهم منه ، فقال له : يا بن عمِّ ؛ قد تعلمُ أنه ليس إلى  
هذه المرأة سبيل ، وأن التعزَّى أجمل ، فما أربك في أن تقتل نفسك وتأتهم  
عند ربك !

قال : وما همِّي يا بن عمِّ بنفسى ومالى فيها أمر ولا نهى ؛ ولا همِّي إلا نفس  
الجرمِية ؛ فإن كنت تريد حياتى فأرنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملنى  
إليها ؛ فحمله إليها وهو لا يطعمُ فيها ، إلا إنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى  
وَحْشِيَّةٍ أبلٌ قليلا ، وإذا أيسَ منها اشتدَّ به الوجع .

فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمين ، حتى إذا دخل في قبيلة  
انتسب إلى أخرى وهو يخبر أنه طالب حاجة . وأبلٌ حتى صلح بعض الصلاح ؛  
وطمع فيه ابن عمه ، وصارا بعد زمان إلى حى وَحْشِيَّةٍ ، فلقيا الرُعَيان<sup>(١)</sup> ، وكمنا  
في جبلٍ من الجبال . فجعل خليفة يَنْزِلُ فيتعرَّض لرعيانِ الشاء فيسألهم عن  
راعى وحشية ، حتى لقي غلامها وغنمها ؛ فواعدهم موعداً ، وسألهم ما حالُ وحشية؟  
فقال غلامها : هى والله بشرٌ ؟ لا حفظ الله بنى قشير ولا يوماً رأيتهم فيه إفازالت  
عليه منذ رأيتهم - وكان بها طرفٌ ممَّا بابن الطَّزْبِيَّة .

فقال : وَيَحْك ! فإن هاهنا إنساناً يدأويها ، فلا تقل لأحد غيرها . قال : نعم  
إن شاء الله تعالى .

(١) جمع راع .

فأعلمها الراعى ما قال له الرجل حين صار إليها ، فقالت له : ويحك ! لجنى به .  
ثم إنه خرج فلقيته ، فأعلمه ، وظلَّ عنده يرعى غنمه ، وتأخر عن الشاء حتى  
تقدمته الشاء وجنح الليل ، وانحدر بين يدي غنمه ، حتى أراحها . ومشى فيها يزيد  
حين قرُبت من البيت على أربع ، وتجلَّ شملة سوداء بلون شاة من الغنم !  
فصار إلى وحشية ، فسرت به سروراً شديداً ، وجمعت عليه من تثق به من  
صواحباتها وأترابها ؛ وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال ،  
فإن لم يره فلينصرف .

فأقام يزيد ثلاث ليال ، ورجع إلى أصح ما كان عليه ، ثم انصرف فصار  
إلى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سره .  
فقال :

لو أنك شاهدت الصبا يا بن بوزلٍ      بفرع الغضا إذ راجعتني غياطه<sup>(١)</sup>  
لشاهدت لهو أبعده شحط من النوى      على سخط الأعداء حلواً شمائله  
بنفسي من لو مرَّ بردُ بنائه      على كيدي كانت شفاءً أنامله  
ومن هأبني في كل أمرٍ وهبته      فلا هو يعطيني ولا أنا سأله

(١) النباطل : جمع غبطة ، وهى الظلمة التراكمه ، استعارها هنا لجهالات الصبا .

٧٦ — مَعْبَدُ الصَّغِيرِ وَأَحَدُ الْعُشَاقِ \*

قال مَعْبَدُ<sup>(١)</sup> الصَّغِيرِ الْمُعْنَى : كُنْتُ مَنْقَطِعًا إِلَى الْبِرَامِكَةِ أَخَذُ مِنْهُمْ وَأُلَازِمُهُمْ ؛  
فَبِينَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِي إِذَا بِأَبِي يُدَقُّ ، فَنُجِرُ غَلَامِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ ، فَقَالَ :  
عَلَى الْبَابِ فَتَى ظَاهِرُ الْمُرُوءَةِ ، يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ ، فَأَذْنْتُ لَهُ .

فَدَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهًا ، وَلَا أَنْظَفَ ثَوْبًا ، وَلَا أَجْمَلَ زِيًّا  
مِنْهُ ، دَنَفَ<sup>(٢)</sup> ، عَلَيْهِ آثَارُ السَّمِّ ظَاهِرَةٌ ، فَقَالَ لِي : إِنِّي أُرْجُو لِقَاءَكَ مِنْذُ مَدَّةٍ ،  
فَلَا أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَإِنِّي لِي حَاجَةٌ ، قُلْتَ : مَا هِيَ ؟ فَأَخْرَجَ ثَلَاثِينَ دِينَارًا فَوَضَعَهَا  
بَيْنَ يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبَلَهَا ، وَتَصْنَعُ فِي بَيْتَيْنِ قَلْتُمَا لِحْنًا تَغْنِينِي بِهِ .  
قُلْتَ : هَاتِمَا ؛ فَأَنْشَدَهُمَا وَقَالَ :

بِاللَّهِ يَا طَرْفِي الْجَانِي عَلَى بَدَنِي لَتُطْفَنَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الْحَزَنِ  
لَا لَأَبُوحَنَّ حَتَّى يَحْجُبُوا سَكْنِي فَلَا أَرَاهُ وَلَوْ أُدْرِجْتُ فِي كَفْيِي  
قال مَعْبَدُ : فَصَنَعْتُ فِيهِمَا لِحْنًا ، ثُمَّ غَنَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَغَمِي عَلَيْهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُهُ قَدْ  
مَاتَ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ : أَعِيدْ فِدَيْتَكَ ! فَنَاشَدْتُهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَقُلْتَ : أَخْشَى  
أَنْ تَمُوتَ ؛ قَالَ : هِيَهَاتَ ! أَنَا أَشَقِي مِنْ ذَلِكَ ! وَمَا زَالَ يَخْضَعُ لِي وَيَتَضَرَّعُ حَتَّى  
أَعَدْتُهُ ، فَصَبِقَ صَمْعَةً أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ فَاضَتْ .

\* الْأَغَانِي : ١٢ - ١٦١ ، تَرْبِيعِ الْأَسْوَاقِ : ١٢٥

(١) كَانَ مَعْبَدُ الصَّغِيرِ غَلَامًا مَوْلِدًا مِنْ مَوْلَدِي الْمَدِينَةِ ، شَدَّ بِهَا ، وَأَخَذَ الْغَنَاءَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
أَهْلِهَا ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ أُخْرَى مِنْ عَلِيَّةِ الْمُغْنِينَ بِالرَّاقِ ، مِثْلَ إِسْحَاقَ وَابْنِ جَامِمٍ ، وَكَانَ أَكْثَرَ انْقِطَاعِهِ  
إِلَى الْبِرَامِكَةِ . (٢) دَنَفَ : مَرِيضٌ .



فلما أفاق رددتُ الدنانيرَ عليه ، ووضعتها بين يديه ، وقلت : يا هذا ؛ خذ دنانيرك ، وانصرف عني ، فقد قضيتُ حاجتك ، وبلغت ما أردته ، ولست أحبُّ أن أشركَ في دمك ، فقال : يا هذا ؛ لا حاجةَ لي في الدنانير ، فقلت : لا والله ، ولا بعشرةٍ أضعافها إلا على ثلاث شرائط ، قال : وما هن ! قلت : أولاها أن تقيم عندي وتتحرمَ بطعامي ، والثانية أن تشربَ أقداحاً من النبيذ يشدُّ قلبك ، ويسكنُ ما بك ، والثالثة أن تحدثنى بقصتك ، فقال : أفضل ما تريد .

فأخذتُ الدنانير ، ودعوتُ بطعام فأصاب منه ، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنيتُه بشعر غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي ، ثم قال : الشرطُ أعزُّكَ اللهُ . فغنيتُه ، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ، وينشج أشدَّ نشيج وينتحب ، فلما رأيتُ ما به قد خففَ عما كان يلحقه ، ورأيتُ النبيذَ قد شدَّ من قلبه كررتُ عليه صوتَه مراراً ، ثم قلتُ : حدثنى حديثك ، فقال :

أنا رجل من أهل المدينة خرجتُ متنزّها في ظاهرها ، وقد سالَ العقيق ، في فتيةٍ من أقراني وأخذاني ؛ فبصرنا بفتيات قد خرجنَ لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حجرةً<sup>(١)</sup> منا ، وبصرتُ فيهن بفتاةً كأنها قضيبٌ<sup>(٢)</sup> قد طله الندى ، تنظر بعينين ما ارتدَّ طرفُهما إلا بنفس من يلاحظهما ، فأطلنا وأطلن حتى تفرق الناس ، وانصرفنَ وانصرفنا ، وقد أبقيتُ بقلبي جرحاً بطيئاً اندمأله ، فعدتُ إلى منزلي وأنا وقيدٌ<sup>(٣)</sup> .

وخرجت من الغد إلى العقيق وليس به أحد ، فلم أر لها ولا لصواحيبها أثراً ؛ ثم جعلت أتبعها في طرق المدينة وأسواقها ، فكانت الأرض أضمرتُها ، فلم أحسن لها

(١) حجرة : بعيداً . (٢) القضيب : العفن . (٣) الوقيد : الشديد المرض المشرف .

بميين ولا أثر ، وسقمتُ حتى أيسَ منى أهلى ، ودخلتُ ظئري<sup>(١)</sup> ، فاستعلمتني حالى ،  
وضمنتُ لى السعى فيما أحبه منها ؛ فأخبرتها بقصتى ؛ فقالت : لا بأس عليك ، هذه  
أيام الربيع ، وهى سنَةٌ خصبٍ ، وليس يبعد عنك المطر ؛ وهذا العقيق ، فتخرج  
حينئذ وأخرج معك ، فإن النسوة سيَجِنَنَ ، فإذا فعلن ورأيتها اتبعتها حتى أعرفَ  
موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك فى تزويجها ؛ فكانت نفسى اطمانت  
إلى ذلك ، وورثت به ، وسكنت إليه ، ثم قويت وطمعت ، وتراجعت نفسى .  
وجاء مطرٌ فأسال الوادى ، وخرج الناس ؛ وخرجتُ مع إخوانى إليه ،  
فجلسنا مجلسنا الأول بعينيه ؛ فما كُنَّا والنسوة إلا كفرسى رِهان ، وأوماتُ إلى  
ظئري فجلست حَجْرَةً منا ومنهن ، وأقبلتُ على إخوانى ، فقلت : لقد أحسن القائل  
حيث قال :

رَمَّتِنِي بِسَهْمِ أَقْصَدِ الْقَلْبِ وَاتْنَتَ      وَقَدْ غَادَرْتُ جُرْحًا بِهِ وَنُدُوبًا<sup>(٢)</sup>

فأقبلت على صواحباتها ، فقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجا به

حيث يقول :

بِنَا مِثْلُ مَا تَشْكُو فَصَبْرًا لَعَلْنَا      نَرَى فَرَجًا يَشْفِي السَّقَامَ قَرِيبًا  
فأمسكتُ عن الجواب خوفًا من أن يظهر ما يفضحنى وإياها ، وعرفت  
ما أرادت ، ثم تفرق الناس وانصرفنا .

وتبعها ظئري حتى عرفت منزلها ، وصارت إلى ، فأخذت بيدي ، ومضينا  
إليها فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها ، فتلاقينا ، وشاع حديثي وحديثها وظهرَ

---

(١) الظئر : العاطفة على ولد غيرها ، المرضع له . (٢) الندوب : جمع ندبة ، أثر الجرح الباقى  
على الجلد .



ما بيني وبينها ، فحجّبتها أهلها ، وتشدّد عليها أبوها ؛ فما زلت أجتهدُ في لقائها  
فلا أقدرُ عليه ، وشكوتُ إلى أبي لشدةِ ما نالني ؛ وسألتهُ في خطبتها لي فمضى  
أبي ومشيخةُ أهلي إلى أبيها ، فخطبُوها ؛ فقال : لو كان بدأ بهذا الأسعفتُهُ بما التمسَ ،  
ولكنه قد شمرّها<sup>(١)</sup> ، فلم أكن لأحقّق قولَ الناس فيها بتزويجه إياها ؛ فانصرفت  
على يأسٍ منها ومن نفسي .

قال معبد : ثم صارت بيننا عشرة ، وجلس جعفر بن يحيى للشرب ،  
فأنتبتهُ ؛ فكان أول صوت غنّيتهُ صوتي في شعر الفتى ؛ فطرب عليه طرباً شديداً ،  
وقال : ويحك ! إن لهذا الصوت حديثاً فما هو ؟ فحدثتهُ به ، فأمر بإحضار الفتى  
فأحضر من وقتِهِ ، واستعادته الحديث فأعاده عليه ، فقال : هي في ذمّتي حتى أزوجك  
إياها ، فطابتُ نفسه ، وأقام معنا ليلتِنَا حتى أصبح ؛ وغداً جفعر إلى الرشيد ، فحدثتهُ  
الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً فأحضرنا ، وأمر بأن أغنّيه الصوت ،  
فغنّيتهُ وشرب عليه ، وسمع حديثَ الفتى ، فأمر من وقتِهِ بالكتاب إلى عاملِ  
الحجاز بإشخاص الرجل وابنته ، وجميعِ أهله إلى حَضْرتهُ ، فلم يمضِ إلا مسافة  
الطريق حتى أحضر ، فأمر الرشيدُ بإبصاله إليه فأوصل ، وخطب إليه الجارية للفتى  
وأقسم عليه ألا يخالف أمره ، فأجابته ، وزوّجه إياها ، وحمل إليه الرشيد ألف دينار  
لجهازها ، وألف دينار لنفقَةِ طريقه ؛ وأمر للفتى بألف دينار ، وأمر جعفر لي وللفتى  
بألف دينار ؛ وكان بعدَ ذلك في جملةِ نُدَماء<sup>(٢)</sup> جعفر بن يحيى .

(١) المشهورة : ظهور الشيء في شئمة . (٢) جمع نديم .



٧٧ — نَعِبَ الْغَرَابُ بِفِرَاقِهِمَا\*

قال زياد بن عثمان العَطَفَانِي : كُنَّا بِيَابِ بَعْضِ وِلَاةِ الْمَدِينَةِ فَفَرَضْنَا<sup>(١)</sup> مِنْ طُولِ الثَّوَاءِ<sup>(٢)</sup> ، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ؛ أَمَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَأْتِينِي أَعْلَاهُ إِذْ غَرَضْنَا مِنْ هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرَهُ عَنْ أُمِّ جَعْدَرٍ وَعَنِّي !

فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ! فَقَالَ : أَنَا الرَّمَّاحُ<sup>(٣)</sup> بِنِ ابْنِ أَبِي بَرْدٍ . قُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي بِيَدِهِ أَمْرِكَا ؛ قَالَ : كَانَتْ أُمُّ جَعْدَرٍ مِنْ عَشِيرَتِي فَأَعْجَبْتَنِي ؛ وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا خُلَّةٌ<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ إِنِّي عَتَبْتُ عَلَيْهَا فِي شَيْءٍ بَلَّغْنِي عَنْهَا ؛ فَأَتَيْتُهَا فَقُلْتُ : يَا أُمَّ جَعْدَرٍ ؛ إِنَّ الْوَصْلَ عَلَيْكَ مَرْدُودٌ ؛ فَقَالَتْ : مَا قَضَى اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ . فَلَبِثْتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَنَةً .

وَذَهَبَتْ بِهِمْ نُجَعْمَةٌ فَتَبَاعَدُوا . وَاشْتَقْتُ إِلَيْهَا شَوْقًا شَدِيدًا ؛ فَقُلْتُ لِامْرَأَةٍ أُخْرِي : وَاللَّهِ لَئِنْ دَنَتْ دَارُنَا مِنْ أُمِّ جَعْدَرٍ لَأَتَيْتَهَا ؛ وَلَأُطَلِّبَنَّ إِلَيْهَا أَنْ تَرَدَّ الْوَصْلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، وَلَئِنْ رَدَّتْهُ لَا تَقْضَتْهُ أَبَدًا .

وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَانِ حَتَّى رَجَعُوا ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ بَيْتَيْنِ نَازِلَيْنِ إِلَى سَنْدٍ<sup>(٥)</sup> أَبْرَقَ طَوِيلٌ ، وَإِذَا امْرَأَتَانِ جَالِسَتَانِ فِي كِسَاءٍ وَاحِدٍ بَيْنَ

\* الْأَغَانِي : ٢ - ٢٧٣

(١) غَرْضْنَا : ضَجَرْنَا . (٢) الثَّوَاءُ : طُولُ الْإِقَامَةِ . (٣) كَانَ الرَّمَّاحُ بِنِ ابْنِ أَبِي بَرْدٍ أَشْعَرُ غَطَفَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، عَاصِرُ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَمَدْحُهُ ، وَأَدْرَكَ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، فَدَحِ الْمَنْصُورُ وَاشْتَهَرَ بِنَسَبِهِ إِلَى أُمِّهِ مِيَادَةَ . تَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ١٤٠ هـ . (٤) الْخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ . (٥) السَّنْدُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ قَبْلَ الْجَبَلِ أَوْ الْوَادِي . وَالْأَبْرَقُ مِنَ الْجِبَالِ : مَا كَانَ لَهْلُوَانٍ مِنْ سُودٍ وَبِيَاضٍ .

البيتين ؛ فجئتُ فسلمتُ ؛ فردّت إحداهما ولم ترد الأخرى ، وقالت : ما جاء بك يارمّاح إلينا ؟ ما كنّا حسبنا إلا أنه قد انقطع ما بيننا وبينك . قلت : إني جعلتُ على نذراً لئن دنتُ بأم جحدَر دارُ لا يذنبها ، ولأطلبنّ منها أن تردّ الوصلَ بيني وبينها ، ولئن هي فعلتْ لا نقضته أبداً - وإذا التي تكلمني امرأةٌ أخيها ، وإذا الساكئةُ أمُّ جحدَر .

قالت امرأةٌ أخيها : فادخل مُقدّم البيت ، فدخلتُ ، وجاءت من مؤخره فدنت قليلاً ، ثم إذا هي قد برزت ، فساعة برزتُ جاء غراب فنعب على رأس الأبرق<sup>(١)</sup> ، فنظرتُ إليه ، وشمقتُ وتغيّر وجهها ، قلتُ : ماشأنك ؟ قالت : لا شيء ؛ قلتُ : بالله إلا أخبرتني ؛ قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنا لا يجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد ، فتقبّضتُ نفسي ، ثم قلت : جاريةٌ والله ما هي في بيت عيافة<sup>(٢)</sup> ولا قيافة<sup>(٣)</sup> .

ثم تروحتُ<sup>(٤)</sup> إلى أهلي ، فسكثتُ عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها ، فقالت لي امرأةٌ أخيها : ويحك يارمّاح ! أين تذهب ؟ قلتُ : إليكم ، فقالت : وما تريد ؟ قد والله زوجتُ أمُّ جحدَر البارحة ، قلتُ : بمن ؟ ويحك ! قالت : برجل من أهل الشام من أهل بيتها ، جاءهم من الشام فخطبها فزوجها ، وقد حلتُ إليه !

---

(١) الأبرق : مكان مرتفع فيه حجارة ورمل وطين . (٢) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، والمعروف بالعيافة من العرب بنو أسد وبنو لهب . (٣) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، والمعروف بالقيافة بنو مدلج . (٤) تروحت : سرت في وقت الرواح .



فضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرادات ، فجلستُ إليه فأنشدته ، وحدثته  
وعدتُ إليه أياماً ، ثم إنه احتَمَلها ، فذهب بها ؛ قلت :

أجارتنا إنَّ الخطوبَ تنوبُ علينا ، وبعضَ الآمنينَ تُصيبُ  
أجارتنا لستُ الفداةَ بيارحٍ ولكنَّ مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبٌ<sup>(١)</sup>  
فإنَّ تسأليني هل صَبَرْتُ فإنِّي صبورٌ على رَبِّ الزمانِ صَلِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
جري بانديتاتٍ<sup>(٣)</sup> الحبلِ من أمِّ جَعْدٍ رِظْبَاءَ وطيرٌ بالفراقِ نَعُوبُ  
نظرتُ فلمَ أَعْتَفَ<sup>(٤)</sup> وعافتُ فبيئتُ لها الطيرُ قبلي ، واللييبُ لِييبُ  
فقلتُ : حرامٌ أنْ نرى بعدَ هذه جميعينِ إلاَّ أنْ يَلْمَ غريبُ  
أجارتنا صَبْرًا ؛ فيأربُّ هالكٍ تقطَعُ من وجدٍ عليه قلوبُ

ثم انحدرتُ في طلبها ، وطعمتُ في كلمها : « إلا أن نجتمع في بلدٍ غير  
هذا البلد » .

فجئتُ فذرتُ الشامَ زماناً ، فتلقاني زوجها ، فقال : مالك لا تفسل ثيابك  
هذه ! أرسلُ بها إلى الدار تُفسل ؛ فأرسلتُ بها .

ثم إنني وقفتُ أنتظر خروجَ الجارية بالثيابِ ، فقالت أم جَعْدٍ لجاريتها :  
إذا جاء فأعلميني ؛ فلما جئتُ إذا أمُّ جَعْدٍ وراءَ البابِ ، فقالت : ويحك يارمّاح!  
قد كنتُ أحسبُ أن لك عقلاً ! أما ترى أمراً قد حِيلَ دونه ، وطابتْ أنفسنا

(١) عسيب : اسم جبل بعالية نجد ، يقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب ، أي لا أفعله أبداً .

(٢) الصليب : الشديد . (٣) انديتات : انقطاع . (٤) عاف الطير : زجرها ، وهو أن يعتبر

بأسماؤها ومساقطها فيتسعد أو يتشاءم .



عنه؟ انصرف إلى عشيرتك فإني أستحي لك من هذا المقام . فانصرفت  
وأنا أقول :

عسى إن حججنا أن نرى أم جحدرٍ      ويجمعنا من نخلتين<sup>(١)</sup> طريقُ  
وتصطكُ أعضادُ المطىِّ وبيننا      حديثُ مسرِّدونِ كلِّ رفيقٍ<sup>(٢)</sup>

---

(١) النخلتان : واديان . (٢) في البيتين لقوا .

٧٨ — نَخَلْتَا حُلُوان

قال مُطِيع<sup>(١)</sup> بن إياس : كنت بالرَّيِّ<sup>(٢)</sup> مع سالم بن قُتَيْبَةَ ، وكانت لي جارِية  
يقال لها جوذانة .

و كنت أتمشُقُ امرأةً من بنات الدهاقين<sup>(٣)</sup> ، كنتُ نازلاً إلى جنبها في دارها ،  
فلما خرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن - كتب المنصور إلى سالم يأمره باستخلاف  
رجلٍ على عمله والقدوم عليه في خاصَّته على البريد ، فأمرني سالم بالخروج معه ،  
فاضطرت إلى بيعِ الجارية ، فبعثها ، ثم نَدِمْتُ بعد ذلك على خروجي ، وتمنيت  
أن أكون أقمْتُ .

ثم نزلت حُلُوان<sup>(٤)</sup> ، فجلستُ على العقبَةِ أتظرُ ثَقَلِي ، وعِنَانُ دابتي في يدي ،  
وأنا مُسْتَنِدٌ إلى نَخْلَةِ العقبَةِ ، وإلى جانبها نخلةٌ أخرى ، فتذكرتُ المرأة واشتقتها  
وقلت :

أَسْعِدَانِي يَا نَخْلَتِي حُلُوانَ      وابكيا لي من رَيْبِ هذا الزمان  
واعلمَا أن رَيْبَهُ لم يزل يفرقُ بين الألفِ والجيران  
ولعمري لو ذُقْنَا ألمَ الفُرِّ      قة أبكا كما الذي أبكاني

\* معجم البلدان : ٣ - ٣٢٣ ، الأغاني : ١٢ - ١٠٣

- (١) مطيع بن إياس : عربي الأصل يرجع نسبه إلى كنانة ، عاصر الدولتين : الأموية والعباسية ،  
كان ماجنا خليعا ظريفا مليح النادرة . ولكنه متهم بالزندقة والفجور ، توفي سنة ١٦٦ هـ .  
(٢) الري : مدينة عظيمة ببلاد الجبال ؛ تخرج فيها كثير من عظام المسلمين . (٣) الدهقان :  
التاجر ، وزعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم (مغرب) وجمعه دهاقين . (٤) حلوان : مدينة  
كانت مشهورة بالعراق ، وهي غير حلوان مصر .

أُسْعِدَانِي وَأُبْقِنَا نَحْسًا      سَوْفَ يَلْقَاكَ فَتَفْتَرِفَانِ  
كَمْ رَمْتَنِي صُرُوفُ هُدْيِ اللَّيَالِي      بِفِرَاقِ الْأَحْبَابِ وَالْخِلَافَانِ  
غَيْرَ أَنِّي لَمْ تَلَقَ نَفْسِي كَمَا لَا      قَيْتُ مِنْ فُرْقَةِ ابْنَةِ الدَّهْقَانِ  
جَارَةٌ لِي بِالرَّيِّ تَذْهَبُ هَمِّي      وَيُسَلِّي دَنُوءَهَا أَحْزَانِي  
فَجَعَمْتَنِي الْأَيَّامُ أَغْبَطُ مَا كُنْتُ      بَصَدْعٍ لِلْبَيْنِ غَيْرُ مُدَانِي  
وَبِرَغْمِي أَنْ أَصْبَحْتَ لَا تَرَاهَا      السَّمِينُ مِنِّي وَأَصْبَحْتَ لَا تَرَانِي  
إِنْ تَكُنْ وَدَعْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ بِي      لَهَبًا فِي الضَّمِيرِ لَيْسَ بِوَانِ  
كَحَرِيقِ الضَّرَامِ فِي قَصَبِ الْغَا      بَ رَمْتَهُ رِيحَانِ مُخْتَلِفَانِ<sup>(١)</sup>

وسمعتني سالم فقال : ويلك ! فيمن هذه الأبيات ؟ أفي جاريتك ؟ فاستحييت  
أن أصدقه فقلت : نعم .

فكتب من وقته إلى خليفته أن يتتاعها لي ، فلم ألبث أن ورد كتابه : إني  
وجدتها قد تداولها الرجال فعزفت نفسي عنها .

---

(١) روى أن المهدي قال : قد أكثر الشعراء في نخلي حلوان ، ولهممت أن أمر بقطعها ،  
فبلغ قوله المنصور ، فكتب إليه : بلغني أنك هممت بقطع نخلي حلوان ، ولا فائدة لك في قطعها ،  
ولا ضرر عليك في بقائها ، فأنا أعيدك بالله أن تكون النخس الذي يلقاها فتفرق بينهما .



٧٩ — وَاِرَاحَتَا لِلْعَاشِقِينَ ! \*

قال الجاحظ<sup>(١)</sup> : ذُكِرَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكَّلِ لِتَأْدِيبِ بَعْضِ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا رَأَى اسْتَبْشَعَ مَنَظَرِي ، فَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَصَرَفَنِي .

وخرجتُ من عنده ، فلقيتُ محمد بن إبراهيم وهو يريدُ الانصرافَ إلى مدينة السلام ، فعرض عليَّ الخروجَ معه ، والانحدارَ في حرَّاقته<sup>(٢)</sup> ، فركبنا فيها ، فلما أتينا فمَ نَهر القَاطُولِ<sup>(٣)</sup> ، وخرجنا من سَامِراءَ<sup>(٤)</sup> نَصَبَ سِتَارَتِهِ ، وَأَمَرَ بِالْفَنَاءِ ، فاندفعتْ عَوَادَةٌ فَفَنَّتْ :

كَلُّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وَعِتَابُ      يَنْقُضِي دَهْرَنَا وَنَحْنُ غَضَابُ  
لَيْتَ شِعْرِي أَنَا خُصِصْتُ بِهَذَا      دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابُ !

وسكتت ، فأمر الطنبُورِيَّةُ فَفَنَّتْ :

وَرَا حَتَا لِلْعَاشِقِينَ      مَا إِنْ أَرَى لَهُمْ مُعِينًا !  
كَمْ يَهْجَرُونَ وَيُهْرَمُونَ      نَوْيُقَطِّعُونَ فَيَصْبِرُونَ !

\* السعدي : ٢ - ٣٧٨ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٥

(١) هو أبو عثمان عمرو بن بحر ، وعرف بالجاحظ لبحوط عينيه ، كان إمام الأدباء في العصر العباسي ، وله أساليب ومذاهب وآراء في الأدب واللغة ، خاصة به ، ومؤلفاته كثيرة ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ . (٢) الحراقة : نوع من السفن . (٣) القاطول : نهر يتفرع من دجلة ، حفره الرشيد . (٤) بلد على نهر دجلة بناه المعتصم سنة ٢٢١ هـ ، حينما ضاقت بغداد بأهلها .

فقلت هذه العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ، وضربت  
بيدها إلى الستارة فهتكتها ، وبرزت كأنها فلقة قر ، فزجت بنفسها إلى الماء ،  
وعلى رأس محمد غلامٌ يضاهيها في الجمال ، ويديه مذبذبة ، فأتى الموضع ، ونظر إليها ،  
وهي تمر بين الماء ، فأنشأ يقول :

أنتِ التي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

وزج بنفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة ، فإذا بهما معتنقان ، ثم غاصا  
فلم يريا !

فقال محمداً ذلك واستعظمه وقال : يا عمرو ، لتحدثني حديثاً يسليني عن فقد  
هذين ؛ وإلا ألحقتك بهما .

فخبرني حديث يزيد بن عبد الملك ، وقد قعد للظالم ، وعرضت عليه  
القصص ، فررت به قصة فيها : « إن رأى أمير المؤمنين - أعزه الله - أن يخرج  
جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل » ؛ فاغتاظ يزيد ، وأمر من يخرج  
إليه ، وبأتيه برأسه ، ثم أمر أن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يدخل إليه  
الرجل ؛ فلما وقف بين يديه قال له : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة  
بحملك ، والاتكال على عفوك . فأمره بالجلوس ، حتى لم يبق أحد من بني أمية  
إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها ، فقال لها الفتي غني :  
أفاطم مهلاً بعض هذا التدليل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلي  
ففتته ، فقال له يزيد : قل ، قال : غني :

تألق البرق نجبدياً قلت له يا أيها البرق ؛ إني عنك مشغول

ففتته ، فقال : قل ، قال : تأمر لي برطل خمر ، فما استم شرابه حتى وثب  
وصعد على أعلى قبة يزيد ، فرمى بنفسه على دماغه فمات !

فقال يزيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أترأه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج  
إليه جاريتي وأردّها إلى مالي ، يا غلمان : خذوا بيدها ، واحملوها إلى أهله إن كان  
له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا بتمنّها عنه .

فانطلقوا بها ، فلما توسّطت الدار ، نظرت إلى حُفْرَةٍ في دار يزيد قد أُعدّت  
للمطر ، فجذبت نفسها من أيديهم ، وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عَشْقًا فَلَيَمُتْ هَكَذَا ! لا خـير في عشق بلا موت

تم زجّت بنفسها على دماغها فماتت .

فسرّي عن محمد ، وأحسنَ صلتى .



٨٠ — الله يعلم أنني كمد

قال أبو العباس المبرد<sup>(١)</sup> : دخلتُ في حدائتي أنا وصديق لي من أهل الأدب إلى دَبْرٍ لِنَنْظَرِ إلى مجانين وُصِفُوا لنا فيه ، فرأيتُ منهم عجائب ، حتى انتهينا إلى شاب جالس حَجْرَةً<sup>(٢)</sup> منهم ، نظيفِ الوجه والثياب على حصير نظيف ، بيده مرآة ومُشط وهو ينظر في المرآة ، ويُسْرَحُ لحَيْتِه ، فقلت : ما يُعِدُّكَ ها هنا وأنت مُباين<sup>(٣)</sup> لهؤلاء ؟ فرفع طرفاً وأمال آخر وأنشأ يقول :

الله يعلم أنني كمد لا أستطيعُ أبتُ ما أجيدُ  
نفسان لي : نفس تصمَّنها بلد وأخرى حازها بلدُ  
وأرى القيمةَ ليس ينفعها صبر ولا يقوى لها جلدُ  
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي فسكانها تجدُّ الذي أجيدُ

فقلت له : أراك عاشقاً . قال : أجل ، قلت : لِمَنْ ؟ قال : إنك لسئول ! قلت : محسنٌ إن أخبرت . قال : إنَّ أبا عقدي على ابنة عمِّ لي فتوفى قبل أن تُزَفَّ إليّ ، وخَاف لي مالا عظيماً ، فقبضَ عَمِّي على جميع المال ، وحَبَسني في هذا الدَّير ، وزعم أني مجنون ، وقبمُ الدار في خلال ذلك يقول لنا : احذروه فإنه الآن يتغير . ثم قال لي : بالله أنشدتني شيئاً ، فإني أظنك من أهل الأدب ، فقلت : لرفيق :

\* أمالي الزجاجي : ١٠٥ ، نهاية الأرب : ٢ - ١٩٠

(١) هو أبو العباس محمد بن يزيد ، كان في عصره شيخ أهل النحر والعربية ، وإليه انتهى علمهما ، وكان قوى الذاكرة حسن العبارة ، فصيح اللسان ، توفي سنة ٢٧٥ هـ . (٢) حجرة : ناحية .

(٣) مباين : مغاير .

أنشده فأنشأ يقول:

قبلتُ فاما على خوفٍ مُحالَسَةً      كقباس النار لم يشعُر من العَجَلِ  
ماذا على رصد<sup>(١)</sup> في الدار لو غفلوا      عنى قبيلتها عشراً على مهل  
غَضِي جفونك عنى وانظري أَمَّماً<sup>(٢)</sup>      فإنما افضح العشاق بالمقل  
فقال لى : أبو من أنت ؟ جعلت فداك ! قلت : أبو العباس ، قال : يا أبا  
العباس : أنا وهذا القتي في طرفين ؛ هذا مجاورٌ من يهواه ، مستقبل لما يناله منه ،  
وأنا ناه مقصي ، فبالله أنشدنى أنتَ شيئاً ، فلم يحضرنى غير قول ابن أبي ربيعة :  
قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذوارفٌ      تجرى على الخدين والجلباب :  
ليت المغيرى الذى لم أجزه      فيما أطال تصبُّرى وطلابى  
كانت ترد لنا المني أيا منّا      إذ لا الألام على هوى وتصابى  
حُبَّتْ ما قالت فبت كأمنّا      يرعى الحشا بصوائب النشاب  
أسكبن ما ماء الفرات وطيبه      منى على ظمأٍ وحبِّ شراب  
بالذِّ منك وإن نابتِ وقلمّا      يرعى النساء أمانة الغياب  
ثم قلت له : أنشدنا شيئاً آخر ، فأنشأ يقول :

أين لى أيها الطللُ      عن الأحباب ما فعلوا

ترى ساروا؟ ترى نزلوا      بأرض الشام أورشلوا؟

فقال له رفيق - مجنوناً ولعباً : ماتوا ، فقال : ويحك ! ماتوا؟ فقال : نعم !  
ماتوا ، فاضطرب واحمرت عيناه ، فجعل يضرب برأسه الأرض ، ويقول : ويحك !  
ماتوا؟ حتى هالنا أمره ، وانصرفنا عنه ، ثم عدنا بعد أيام فسالنا صاحب الدير ،  
فقال : مازالت تلك حاله إلى أن مات .

(١) الرصد : الراسدون ، أى المراقبون . (٢) الأمام : السير .

٨١ - في دار المجانين\*

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : ذُكِرَتْ للمتوكل منازعةٌ جرت بيني وبين الفتح بن خاقان في تأويل آية ، وتنازع الناس في قراءتها ، فبعث إلى محمد ابن القاسم - وكانت إليه البصرة ، فحملني إليه مكرماً .

فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ، ذُكِرَ لي أن يدِير هرقل جماعةً من المجانين يمالجون ، فلما جاذبته دَعَتْنِي نَفْسِي إلى دخوله ؛ فدخلته ومعى شابٌ ممن يُرْجَعُ إليه في دينٍ وأدبٍ ، فإذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا إلي ؛ فقلت : ما يُقَعِدُكَ بينهم ، وأنت بائنٌ عنهم ؟ فكسر جفنه ورفع عَظِيمَتَهُ<sup>(١)</sup> وأنشأ يقول :

إِنْ وَصَّفُونِي فَنَاحِلُ الْجَسَدِ      أَوْ فَتَشُونِي فَأَبْيَضُ الْكَبِدِ  
أَضَعَفَ وَجْدِي وَزَادَ فِي سَقَمِي      أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الْهُوَى إِلَى أَحَدِ  
وَضَعْتُ كَفِي عَلَى فَوَادِي مِنْ      حَرِّ الْأَسَى ، وَأَنْظُوبِ فَوْقَ يَدِي  
أَهٍ مِنْ الْحَبِّ آهٍ مِنْ كَبْدِي      إِنْ لَمْ أَمِتْ فِي غَدٍ فَبِعَدِ غَدِ  
كَأَنَّ قَلْبِي إِذَا تَذَكَّرْتَهُمْ      فَرِيسَةٌ بَيْنَ سَاعِدَيْ أُسْدِ  
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ ، اللَّهُ دَرَكُ ! زِدْنِي ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

مَا أَهْتَلُ الْبَيْنَ لِلنَّفُوسِ ! وَمَا      أَوْجَعُ قَدَّ الْحَبِيبِ لِلْكَبِدِ !  
عَرَضَتْ نَفْسِي مِنَ الْبَلَاءِ لَمَّا      أَسْرَفْتُ فِي مُهْجَتِي وَفِي جَلْدِي  
يَا حَسْرَتِي أَنْ أَمُوتَ مَعْتَقِلًا      بَيْنَ اعْتِلَاجِ الْهُمُومِ وَالْكَدِّ

\* السعودي : ٢ - ٣٨١

(١) العقيرة : الصوت .



قلت : أحسنت ، لا فضُّ فوك اِزْدَنِي ، فأنشأ يقول :

الله يعلم أنى كمد      لا أستطيع أثبُّ ما أجد  
نفسان لي : نفسٌ تضمَّنهما      بلدٌ وأخرى حازها بلدٌ  
وأرى للقيمة ليس ينفعها      صبرٌ ؛ وليس يُعينها جلدٌ  
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي      فكأنَّها تجدُّ الذي أجدُّ

قلت : والله لقد أحسنت . فاستزِدْتُهُ ، فقال : أراك كلما أنشدتكَ استزدتني ،  
وما ذاك إلا لفرط أدب ، وفراق شجن ، فأنشدني أنت أيضاً ، فقلت للذي معي :  
أنشده ؛ فأنشد يقول :

عدلٌ وبينٌ وتوديعٌ ومُرْتَحِلٌ      أى العيون على ذا ليس تنهمل ؟  
تالله ما جلدى من بعدهم جلدٌ      ولا اختزان دموعى عنهمُ بجل  
وددتُ أن البجَّارَ السبعَ لى مدد      وأن جسمى دموعٌ كلها همل  
وأنَّ لى بدلاً من كل جائحةٍ      فى كل جارحة يوم النوى مُقل  
لا درَّ درَّ النوى لو صادفتُ جبلاً      لانهدَّ منها وشيكاً ذلك الجبلُ  
الهجرُ والبين والواشون والإبل      طلائعُ يتراءى أنها الأجلُ

فقال المجنون : أحسنت ! وقد حضراني فى معنى ما أنشدت إلى شعر ،  
فأنشده ؟ قلت : هات ؛ فأنشأ يقول :

ترحلوا ثم نيطتْ دونهم سُجفُ      لو كنتُ أملكهم يوماً لما رحلوا  
يا حادى العيس ، مهلاكى نودعها      رفقاً ؛ قليلاً ؛ ففى توديعها الأجلُ

ماراعنى اليوم شئ، غيرُ فقدم حتى استقلت وطال الدهر ، ما فعلوا  
قال الفتى الذى معى : ماتوا ، فقال المجنون : آه ، آه إن ماتوا فسوف أموت ؛  
وسَقَطَ ميتاً ، فما برحتُ حتى غُسلَ وكفن ؛ وصليت عليه ودفنته .  
ووردتُ مُرَّ مَنْ رَأَى ، فأدخلت على المتوكل ؛ فسئلت عن بعض ماوردتُ له  
فأجبت ، وبين يدي المتوكل البحترى الشاعر ؛ فابتدأ ينشده قصيدة يمدحه بها ،  
وفى المجلس أبو العنابس الصيمرى <sup>(١)</sup> فأنشده البحترى :

عن أى نَفَرٍ تبتسمُ	وبأى طرفٍ تحتكمُ
حسنٌ يضىُّ بحسنه	والحسن أشبه بالكرم
يابابئى المجدِ الذى	قد كان قَوْضَ فأنهدم
اسلمَ لدين محمدٍ	فإذا سلمتَ فقد سلم
نلنا أهْدَى بعد العمى	بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى التَهَقَّرَى للانصراف ، فوثب أبو العنابس ؛ فقال : يا أمير  
المؤمنين ؛ تأمر برده ؛ فقد - والله - عارضته فى قصيدته هذه !

فأمر برده ، فأخذ أبو العنابس ينشد :

من أى سَلَحٍ تلتقم	وبأى كَفِّ تلتطم
أدخلت رأس البحترى	أبى عبادة فى الرَّحِمِ

(١) محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمرى ، نديم المتوكل ، كان أديباً ظريفاً عارفاً بالنجوم شاعراً  
هجاء ، وهو من أهل الكوفة ، ولحق قضاء الصيرة فنسب إليها . توفى سنة ١٧٥ هـ .

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم ، فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه ،  
وغص برجله اليسرى ، وقال : يُدفع إلى أبي العنّيس عشرة آلاف درهم ؛  
فقال الفتح : يا سيدي ، البحتري الذي هُجِيَ وأُسمع المسكروه ينصرف خائباً !  
قال : ويُدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم ؛ قال : يا سيدي ، وهذا البصري  
الذي أشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه ؟ قال : ويدفع إليه عشرة  
آلاف درهم ! فانصرفنا كلنا في شفاعة الهزل ، ولم ينفع البحتري جدّه واجتهاده  
وحزمه .

ثم قال المتوكل لأبي العنّيس : أخبرني عن حمارك ووفاته ، وما كان من شعره  
في الرؤيا التي رأيتها ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كان أعقل من القضاة ، ولم  
يكن له جرّية ولا زلّة ، فاعتلّ على غفلة ، فمات منها ، فرأيتُه فيما يرى النائم  
فقلت له : يا حماري ؛ ألم أبردك الماء ، وأنقّ لك الشعر ، وأحسن إليك  
جهدي ؟ فلم متّ على غفلة ! وما خبرك ؟ قال : نعم ! لما كان في اليوم الذي  
وقفت على فلان الصيدلاني تُكلمه في كذا وكذا ، مرّت بي أنان  
حسنة ، فرأيتها فأخذتُ بمجامع قلبي فمشقتها واشتدّ وجدي بها ، فت كذا  
متأسفاً . فقلت له : يا حماري ؛ فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ،  
وأنشدني :

هام قلبي باتانِ      عند باب الصيدلاني  
تيمّنتي يوم رُحنا      بثناياها الحسان



وبخدي ذى دلال مثل خد الشنفرانى  
قبيها ميت ولو عشت إذن طال هوانى

قلت : يا حمارى ؛ فما الشنفرانى ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ؟ فطرب  
المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الجمار، وفرح فى ذلك اليوم  
فرحاً وسروراً لم يُر مثله ، وزاد فى تكريمة أبى العنابس وجائزته .

---

٨٢ — عتاب \*

قال أبو الحسن الببغاء :

بيننا أنا وصديق لي من قرّيش نمشى بالبلاط<sup>(١)</sup> ليلاً ، إذا بظلال نسوة في القمر ؛ فسمعتُ إحداهن تقول : أهو هو ! فقالت لها أخرى معها : إى والله إنه لهو هو ! فدنت مني ثم قالت : يا كهل ، قل لهذا الذى معك :

ليست لياليك في خاخ<sup>(٢)</sup> بمائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم<sup>(٣)</sup>

فقلت : أجب فقد سمعت . فقال : قد والله فطع بي وأزيج على فأجب

عنى ، فقلت :

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت

ثم مضينا حتى إذا كنا بفرق طريقين مضى الفتى إلى منزله ، ومضيتُ إلى منزلى ، فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي ، فالتفتُ ، فقالت لي : المرأة التي كلمتها تدعوك ، فضيتُ معها حتى دخلتُ داراً واسعة ، ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ ، وقد ثنتُ لي وسادة فجلستُ عليها . ثم جاءت جاريتُ بوسادة مثنية فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلستُ عليها ، فقالت لي : أنت الحبيب ، قلتُ : نعم ، قالت :

\* الأغانى : ٢ - ٥٨

(١) البلاط : مكان بالمدينة . (٢) موضع يقال له : روضة خاخ بين الحرمين .

(٣) ذو سلم : موضع .

ما كان أفضَّ جوابك وأغلظه ! فقلت لها : ما حضرني غيرُه ، فسكتت ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق اللهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ من إنسان كان معك ! فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تحبين ، فقالت : هيهات أن يقعَ بذلك وفاء ! فقلت : أنا الضامنُ وعلى أن آتيك به في الليلة القابلة .

فانصرفتُ فإذا الفتى يبأبى ، فقلت : ما جاء بك ! قال : ظننتُ أنها سترسلُ إليك ، وسألتُ عنك فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنك عندها ، فجلستُ أنتظرك ، فقلت له : وقد كان الذي ظننتُ ، وقد وعدتُها أن آتيك فأمضى بك إليها في الليلة المقبلة .

فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء ، فلما جاء الليلُ رحلنا إليها ، فإذا الجاريةُ منتظرة لنا ، ففضتُ أمامنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها ، فإذا راحةً طيبةً ومجلساً قد أُعدَّ ونُضد ، فجلسنا على وسائدٍ قد مُنيت لنا ، وجلستُ ملياً ثم أقبلت عليه ، فعاتبته ثم قالت :

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني      وأشمتَ بي مَنْ كان فيك يلوُمُ  
وأبرزتني للناس ثم تركتني      لهم غرضاً أرمتي وأنتَ سليمُ  
فلو كان قول يكلم الجلدَ قد بدا      بجِلدي من قول الوشاة كُلوُمُ

ثم سكتت وسكت الفتى هنيهة ثم قال :

غدرت ولم أغدرِ وخنت ولم أخن      وفي بعضِ هذا للمحبِّ عزاه  
جزيتك ضعف الودِّ ثم صرمتني      فحبك من قلبي إليك أداه<sup>(١)</sup>

(١) أداه تأدية : أوصله وقضاه ، والاسم الأجاه .



فالتفتت إلى فقالت : ألا تسمع ما يقول اقد خبرتُك ، ففمزتُه أن كُف  
فكف ، ثم أقبلت عليه وقالت :

تجاهلت وَصَلِي حِينَ جَدْت <sup>(١)</sup> عَمَائِي فَهَلَا صرمتَ الجبل إذ أنا أَبْصِرُ  
ولى من قَوَى الجبلِ الذى قد قطعته نصيبٌ وإذ رأيتُ جميعَ موقرُ  
ولكنما آذنتَ بالصَّرمِ بفتنةً ولستُ على مثلِ الذى جئتُ أفدرُ  
فقال :

لقد جعلتُ نفسى - وأنت اجترمتَه وكنت أعزَّ الناس - عنك تطيبُ  
فبكت ، ثم قالت : أو قد طابت نفسك الا ، والله ما فيك بعدها خيرٌ ،  
ثم التفتت إلى وقالت : قد علمت أنك لا تنفى بضمانك ، ولا ينفى به عنك .

---

(١) جدبه الأمر : اشتد ، والعماية : النواية والضلال .

٨٣ - يا غريبَ الدارِ عن وطنِهِ\*

قال جماعةٌ من أهل البصرة : خرجنا نريدُ الحج ، فلما كنا ببعض الطريق إذا غلام واقفٌ على الحجّة<sup>(١)</sup>، وهو ينادى : أيها الناس ؛ هل فيكم أحدٌ من أهل البصرة ؟ فقلنا إليه وقلنا له : ما تريد ؟ قال : إن مولاي لما به يريدُ أن يُوصيكم ، فقلنا معه ، فإذا شخص ملقَى على بُعد من الطريق تحت شجرةٍ لا يحيرُ جواباً ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا ، ورفع طرفه وهو لا يكاد يرقمه ضعفاً ، وأنشأ يقول :

يا غريبَ الدارِ عن وطنِهِ مُفرداً يبكي على شجته  
كلما جدَّ البكاء به دبَّتِ الأسقامُ في بدنه

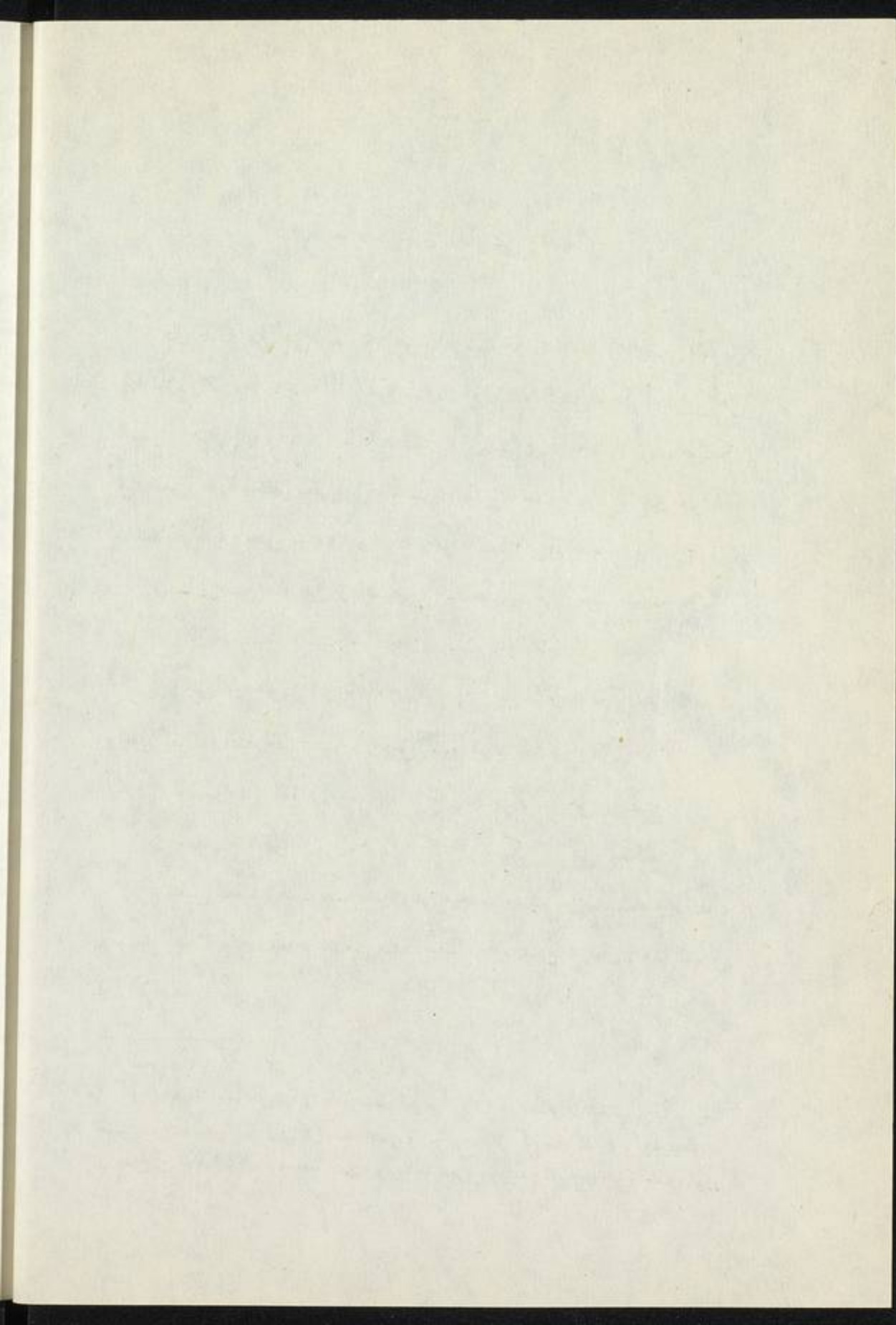
ثم أغمى عليه طويلاً ؛ وإنا جلوس حوله إذ أقبل طائرٌ، فوقع على أعلى الشجرة ، وجعل يُفرد ، ففتح الفتي عينيه ؛ وجعل يسمع تفريد الطائر ثم قال :

ولقد زاد الفؤاد شجتي طائر يبكي على فننه  
شقه ما شفني فبكي كلنا يبكي على سكنه

ثم تنفس تنفساً فاضت نفسه منه ، فلم نبرح من عنده حتى غسّلناه وكفناه ، وتولّينا الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس ابن الأحنف<sup>(٢)</sup> !

\* السعدي : ١ - ٢٨٥ ، نثار الأزهار : ٨٢

(١) الحجّة : جادة الطريق ، والجادة : معظم الطريق . (٢) كان العباس بن الأحنف عربياً شريف النسب ، لم يتكسب بالشعر ، وإنما ينظم ما يجيش في خاطره ، وأكثره في الغزل ، ولم يتجاوزهُ إلى مدح أو هجاء ، وكان له مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولعانيه عذوبة واطف ، توفي سنة ١٩٢ هـ .





## الباب الثالث

---

في القصص التي تحتج لما اتصفوا به من شدة الغيرة  
على الحرم ، وبالغ المخافة من التهمة ، إغلاء بالشرف  
وضمناً لوفرة العرض ، وما جره بعض ذلك من إزهاق  
الأرواح وسفك الدماء ، درءاً للظنّة ، واتقاء للسمعة .

---

٨٤ — لا أحد أذلّ من جدّيس\*

كانت منازل طَسَم في موضع اليمامة<sup>(١)</sup> ، وكان يملكهم عمليق ، وكانت معهم جدّيس ، ولكن عمليقا في أول مملكته قد تَمَادَى في الظُّم والغشْم<sup>(٢)</sup> والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأة من جدّيس يقال لها هُزَيْلَة ، ولها زوج يُقال له مَاشِق ، فطلقها وأراد أخذ ولد لها منها ، فخاصمته إلى عمليق ، فقالت : يا أيها الملك ؛ إني حملته تسعاً ، ووضعتُه دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ؛ حتى إذا تَمَّت أوصاله ، ودنا فصّاله ، أراد أن يأخذه مني كرهاً ، ويتركني من بعده ورهاً<sup>(٣)</sup> .

فقال لزوجها : ما حجبتك ؟ قال : حجبتني أيها الملك أني قد أعطيتها المهر كاملاً ، ولم أصب منها طائلاً ، إلا وليداً خاملاً ، فافعل ما كنت فاعلاً . فأمر بالغلام أن يُنزع منها جميعاً ويجعل في غلمانه . فقالت هُزَيْلَة :

أَتِينَا أَخَا طَسَم لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا      فَأَنْقَذَ حَكماً فِي هُزَيْلَة ظالماً  
لِعَمْرِي لَقَدْ حَكَمْتَ لَامْتورِعاً      وَلَا كُنْتَ فِيمَا يُبْرِمُ الْحُكْمَ عالماً  
نَدِمْتُ وَلَمْ أَنْدَمْ وَأَنْتِ لَمَتْرَتِي      وَأَصْبَحَ بَعْلِي فِي الْحُكُومَةِ نادماً

فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جدّيس وتهدى إلى زوجها

\* مهذب الأغانى : ١ - ١ ، ابن الأثير : ١ - ٢٣ ، الخزانة : ٢ - ٢٣٥

(١) اليمامة : بلد كبير فيه قرى وحصون وعيون ونخل (المراسد) .

(٢) الغشْم : الظلم .

(٣) وره ، كفرح : حق .

حتى يراها هو قبل زوجها ، فلُقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشُّموس ، فلما أرادوا حَمَلَهَا إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعها القيان يتفنين :

ابدى بعليق وقومي فاركي      وبادري الصبح لأمرٍ مُعجب  
فسوف تلقين الذي لم تطلبي      وما ليكرٍ عنده من مهرَب

فدخلت عليه ، ثم خلى سبيلها ، فخرجت إلى قومها شاقّة دِرْعها وهي في أقبح منظر ، وهي تقول :

لا أحدٌ أدلُّ من جدّيس      أهكذا يُفعل بالعروسِ !  
يرضى بهذا يالتقوى حرّ      أهدى وقد أعطى وسيقَ المهر  
لأخذة الموت كذا لنفسه      خيرٌ من أن يُفعلَ ذا بعرضه

وقالت - تحرّض قومها فيما أتى إليها :

أيجملُ ما يؤتى إلى فتيانكمُ      وأنتمُ رجالٌ فيكم عددُ النمل  
وتصبحُ تمشى في الدماء عُفيرةُ      عشية زُفّت في النساءِ إلى بعلِ  
ولو أننا كنّا رجالاً وكنتمُ      نساءً لكننا لا نُقرّزُ بذا الفعلِ  
فوتوا كراماً أو أميتوا عدوكم      ودبّوا لنارِ الحربِ بالحطبِ الجزلِ<sup>(١)</sup>  
وإلا فخلّوا بطنها ، وثمّلوا      إلى بليدٍ قفّرٍ وموتوا من الهزل  
فلبين خيرٌ من تمارٍ على أذى      وللموت خيرٌ من مقامٍ على الذلِّ  
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه      فكونوا نساءً لاتعاب من الكخلِ

(١) الحطب الجزل : الياص ، أو القليظ منه .



ودونكم طيبُ العروسِ فإنما خُلِقم لأثواب العروس وللنسلِ  
فبعداً وسُحُقاً للذي ليس دافعاً ويختال يمشى بيننا مشيةً الفحلِ

فلما سمع أخوها الأسود — وكان سيِّداً مطاعاً — قال لقومه : يا معشر  
جَدِيس ، إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلا بما كان من مُلكِ صاحبهم  
علينا وعليهم ، ولولا عجزُنا وإدهاننا<sup>(١)</sup> ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا  
لكان لنا منه النصفُ<sup>(٢)</sup> ، فأطيعوني فيما أمركم به ؛ فإنه عزُّ الدهر ، وذهابُ ذلِّ  
العمر ؛ واقبلوا رأيي .

وقد أحمى جَدِيساً ما سمعوا من قولها ، فقالوا : نُطيعك ، ولكنَّ القوم  
أكثرُ وأحمى وأقوى . قال : فإنني أصنعُ للملك طعاماً ثم أدعومهم له جميعاً ،  
فإذا جاءوا يرْفُلُون في الحُلل تُرنا إلى سيوفنا ، فأهدناهم بها . قالوا :  
نَفْعَل .

وصنع طعاماً كثيراً ، وخرج به إلى ظَهْر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى  
عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ؛ وخرج إليه مع أهله يرْفُلُون في الحلى  
والحُلل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدوا أيديهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم  
من تحت أقدامهم ، فشدَّ الأسودُ على عمليق فقتله ، وكل رجل منهم على جليسه  
حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السَّفلة ، فلم يدعوا منهم أحداً ،  
وقال الأسود في ذلك :

ذوقِ ببغيتك يا طسمٌ مجلَّةً فقد أتيتِ لعمري أعجب العجبِ

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضر ، والغش . (٢) النصفة : العدل في الأمور .

إنا أتينا فلم ننفك نقتلهم والبغى هيج منا سؤرة الغضب  
ولن يعود علينا بغيرهم أبداً ولم يكونوا كذى أنف ولا ذنب  
وإن رعيتم لنا قرّبي مؤكدة كئنا الأقراب في الأرحام والنسب

٨٥ — آبي الذل \*

قال عمرو بن (١) هند صاحب الحيرة يوماً لجلسائه : هل تعلمون أنّ أحداً من العرب من أهل مملكتي يأتي أنّ أن تخدم أمه أمى ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو (٢) بن كلثوم التغلبي ، فإنّ أمه ليلي بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب ، وزوجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت عمرو على ما في نفسه ، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويأمره أن تزور أمه ليلي أمه هند بنت الحارث .  
فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان بني تغلب ، ومعه أمه ليلي ، فنزل على شاطئ الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدمه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته ، وصنع لهم طعاماً ، ثم دعا الناس إليه ، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق ، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ، وليلي أم عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقال عمرو ولأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق إلا الطرف (٣) فنحى خدمك عنك واستخدم لي ليلي ومريها

\* ابن الأثير : ١ - ٢٣١ ، بلوغ الأرب : ٢ - ١٤٢

(١) عمرو بن هند : ملك الحيرة في الجاهلية ، عرف بنسبته إلى أمه هند . ويلقب بالحرن ، وهو صاحب صحيفة المتلس ، وقاتل طرفة بن العبد ، وكان شديد البأس ، كثير الفتك ، هابته العرب وأطاعته القبائل . وتوفى سنة ٥٧٨ م .

(٢) عمرو بن كلثوم : صاحب المعلقة المشهورة ، وينتهي نسبه إلى تغلب ، وكان فارساً شاعراً ، وهو أحد فئك العرب ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن . (٣) الطرف : جمع طرفة : ماتعطيه غيرك ويراد به ما يتنقل به بعد الطعام .

فلتأولك الشيء بعد الشيء ؛ ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف  
قالت هند لليلى : ناوليني الطَّبَق ! قالت : لَتَقْمُ صاحبة الحاجة إلى حاجتها !  
فألحّت عليها ، فقالت ليلى : واذُلّاه يا آل تغلب ! فسمعها ولدُها عمرو بن كلثوم ؛  
فثار الدم في وجهه ؛ والقوم يشربون ، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه ،  
وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق بالسُّرَادق - وليس هناك سيفٌ  
غيره - فأخذه ، ثم ضرب به رأسَ عمرو بن هند فقتله ، وخرج فنادى : يا آل تغلب !  
فانهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا فلحقوا بالحيرة <sup>(١)</sup> .

(١) في هذه الواقعة قال عمرو بن كلثوم معلقته المشهورة :

ألا هي بصحنك فأصبحنا ولا تبقى غور الأندرينا

وقال فيها :

بأى مشيئة عمرو بن هند ترى أنا نكون الأردلينا

بأى مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهدنا وتوعدنا رويداً متى كنا لأمك مقتونينا



## ٨٦ — أَجَبَنُ النَّاسِ وَأَحِيلُ النَّاسِ وَأَشْجَعُ النَّاسِ

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عمرو : يا عمرو ؛ أخبرنى عن أشجع من لقيت . فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أجبن الناس وأحيل الناس ، وأشجع الناس : خرجت مرة أريدُ الغارة ، فبينما أنا أسيرُ إذ بفرس مشدودٍ ، ورُمحٍ مَرَكُوزٍ ، وإذا رجلٌ جالس ، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خَلْقًا ، وهو مُحْتَبٍ بسيف .

قلت له : خذ حِذْرَكَ فَإِنِى قَاتِلُكَ . فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا عمرو ابن معد يكرب ، فشهِقَ شهقةً ، فمات . فهذا أجبنُ مَنْ رَأَيْتُ يا أمير المؤمنين .  
وخرجتُ يوماً حتى انتهيتُ إلى حَيٍّ ، فإذا أنا بفرسٍ مشدودٍ ، ورُمحٍ مَرَكُوزٍ ، وإذا صاحبهُ فى وَهْدَةٍ يقضى حاجةً .

قلت : خذ حِذْرَكَ فَإِنِى قَاتِلُكَ . قال : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : أنا عمرو بن معد يكرب . قال : أبا ثور<sup>(٢)</sup> ، ما أنصفتنى ! أَنْتَ على ظهْرِ فرسك ، وأنا فى بئرٍ ، فأعطني عهداً أنك لا تقتلنى حتى أركبَ فرسى ، وأخذَ حِذْرِي ؛ فأعطيته عهداً ألا أقتله حتى يركب فرسه ، ويأخذ حِذْرَهُ .

\* نهاية الأرب : ٢ - ١٧٦ ، النور : ٢٢٧

(١) عمرو بن معد يكرب : فارس مشهور صاحب وقائع مذكورة ، ق الجاهلية والإسلام .  
توفى سنة ٢١ هـ . (٢) أبو ثور : كنية عمرو .

فخرج من الموضع الذى كان فيه ، حتى احتبى بسيفه وجلس . فقلت له :  
ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسى ، ولا بمقاتلك ، فإن نكثت عهدك فأنت  
أعلم ، فتركته ومضيت .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت !

ثم إنى خرجت يوماً آخر ؛ حتى انتهيت إلى موضع كنت أقطع فيه ، فلم أر  
أحدًا ، فأجريت فرسى يمينًا وشمالًا ، فظهر لى فارس .

فلما دنا منى إذا هو غلام قد أقبل نحو اليمامة . فلما قرُب منى سلم ؛ فرددت  
عليه وقلت : من الفتى ؟ قال : أنا الحارث بن سعد ، فارس الشهباء<sup>(١)</sup> ؛ فقلت له :  
خذ جذرك ، فإنى قاتلك ، فقال : الويل لك ! من أنت ؟ قلت : أنا عمرو بن  
معدىكرب . قال : الحقير الذليل ؟ والله ما ينعنى من قتلك إلا استصغارك ، فتصاغرت  
نفسى إلى وعظم عندى ما استقبلنى به .

فقلت له : خذ جذرك ، فوالله لا ينصرف إلا أحدنا . قال : اغرب<sup>(٢)</sup> ،  
تَكِلْتِكَ أُمَّكَ ! فإنى من أهل بيت ما نكَلْنَا<sup>(٣)</sup> عن فارس قط ! فقلت : هو  
الذى تسمع . قال : اختر لنفسك : إما أن تُطرد<sup>(٤)</sup> لى ، وإما أن أُطرد بك ؛  
فاغتنمتها منه ، فقلت : أطرد لى . فأطرد ، وحملت عليه ، حتى إذا قلت : إنى وضعت  
الرمح بين كتفيه ، إذا هو قد صار حزاماً لفرسه ، ثم اتبعنى ، فقرع بالقناة رأسى ،  
وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك واحدة ، فوالله لولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتك ؛

(١) الشهباء : علم على فارس . (٢) اغرب : تنح .

(٣) مانكلنا : ماحننا . (٤) أطردت الرجل : جعلته طريداً لا يأمن .

فتصاغرتُ إلى نفسي ، وكان الموتُ - والله يا أمير المؤمنين - أحبَّ إليَّ مما رأيتُ ،  
فقلت : والله لا ينصرفُ إلا أحدُنا ، فقال : اختر لنفسك ؛ فقلت : أطرِد لي .

فأطرِد لي ؛ فظننتُ أني قد تمكّنتُ منه ، واتبعته حتى إذا قلت : إني قد  
وضعتُ الرمحَ بين كتفيه ؛ فإذا هو قد صارَ لبيباً<sup>(١)</sup> لفرسه ، ثم اتبعني فقرعَ رأسي  
بالقناة ، وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك ثانية . فتصاغرتُ إلى نفسي ؛ فقلت : والله  
لا ينصرفُ إلا أحدُنا .

فقال : اخترَ لنفسك . فقلت : أطرِد لي . فأطرَدَ حتى إذا قلت : إني وضعتُ  
الرمحَ بين كتفيه وثب عن فرسه ، فإذا هو على الأرض ؛ فأخطأته ومضيتُ .  
فاستوى على فرسه ، واتبعني فقرعَ بالقناة رأسي ، وقال : يا عمرو ؛ خذها إليك  
ثالثة . ولولا أني أكره قتلَ مثلك لقتلتك .

فقلت له : اقتلني ، فإن الموتَ أحبَّ إليَّ مما أرى بنفسي ، وأن تسمعَ فتیان  
العرب بهذا . فقال : يا عمرو ؛ إنما العفو ثلاث ، وإني إن استمكنتُ منك الرابعة  
قتلتك وأنشأ يقول :

وَكَدْتُ أَغْلَظًا مِنَ الْإِيْمَانِ    إِنْ عُدْتَ يَا عَمْرُو إِلَى الطُّعْمَانِ  
لَتُوجِرَنَّ<sup>(٢)</sup> لَهَبَ<sup>(٣)</sup> السَّنَانِ<sup>(٣)</sup>    أَوْلَا ، فَلَسْتُ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ

فلما قال هذا كرهتُ الموتَ ، وهبته هيبَةً شديدةً ، وقلت : إن لي إليك  
حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : أكون لك صاحباً ، ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين !

---

(١) اللبب: ما يشد في صدر الدابة ليمنع استئجار الرجل . (٢) أوجره الرمح: طعنه به في فيه .  
(٣) السنان : طرف الرمح .



قال : لست من أصحابي . فكان ذلك والله أشدَّ عليَّ وأعظمَ مما صنع .

فلم أزل أطلبُ إليه حتى قال : ويحك ! وهل تدري أين أريد ؟ قلت : لا .  
قال : أريدُ الموتَ عياناً . فقلت : رضيتُ بالموتِ معك . فقال : امضِ بنا ؛ فسيرنا  
جميعاً يومنا وليلتنا حتى جئنا الليل ، وذهب شطرُهُ .

فوردنا على حَيٍّ من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو ، في هذا الحى الموت .  
ثم أوماً إلى قُبَّة في الحى ، فقال : وفي تلك القُبَّة الموتُ الأحمر ؛ فإما أن تمسك  
عليَّ فرسي ؛ فأنزل ، فأتى بحاجتي ، وإما أن أمسكَ عليك فرسك ؛ فتنزل فتأني  
بحاجتي . فقلت : لا ، بل انزل أنت ؛ فأنت أعرفُ بموضع حاجتك ؛ فرمى إليَّ  
بعنان الفرس ونزل ، فرضيتُ لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له سائساً .

ثم مضى حتى دخل القُبَّة ؛ فاستخرج منها جارية ، لم تر عيناي قط مثلها حسناً  
وجالاً ؛ فحملها على ناقة ، ثم قال : يا عمرو . قلت : لبيك ! قال : عليك بزمامِ  
الناقة .

وسرنا بين يديه ، وهو خلفنا حتى أصبحنا ، فقال لي : يا عمرو . قلت : لبيك !  
ما تشاء ؟ قال : التفت ، فانظر هل ترى أحداً ؟ فالتفتُ ، وقلت : أرى جالاً ،  
قال : أغدَّ السير<sup>(١)</sup> ، ثم قال لي : يا عمرو . قلت : لبيك ! قال : انظر ، فإن كان  
القوم قليلاً ، فالجلد والقوة والموت . وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء . فالتفتُ ،  
فقلت : هم أربعة أو خمسة . قال : أغدَّ السير ، وسمع وقع الخيل ، فقال لي : يا عمرو ،

(١) أغدَّ السير : أسرع فيه .

قلت : لبيك ! قال : كُنْ على يمين الطريق وقِفْ ، وحوّل وجهه دوابنا إلى الطريق ؛ ففعلت ، ووقفت على يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها .

ودنا القومُ منا ؛ فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ ، وهو أبو الجارية وأخواها وهما غلامان شابان ؛ فسلموا فرددنا السلام ، ووقفوا عن يسار الطريق .

فقال الشيخ : خلّ عن الجارية يا بنَ أخي ؛ فقال : ما كنت لأخاطبها ، ولا لهذا أخذتها ! فقال لأصغرِ ابنيه : اخرج إليه ؛ فخرج وهو يجرُّ رحله ، وحمل عليه الحارث ، وهو يقول :

مِنْ دُونَ مَاتَرِ جُوهِ حَضْبِ الذَابِلِ <sup>(١)</sup> مِنْ فَارِسٍ مُسْتَلِمٍ <sup>(٢)</sup> مَقَاتِلِ

يُنْمِي إِلَى شَيْبَانَ خَيْرٍ وَائِلٍ مَا كَانَ سَبْرِي نَحْوَهَا بِيَاطِلٍ !

ثم شدّ عليه ؛ فطعنه طعنةً ، دقّ منها صلبه ؛ فسقط ميتاً .

فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج إليه يا بني ، فلا خيرَ في الحياة على الذل ،

فخرج إليه وأقبل الحارث يقول :

لَقَدْ رَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ طَعْنَتِي ! وَالطَّعْنُ لِلْقِرْنِ الشَّدِيدِ هَمَّتِي

والموتُ خَيْرٌ مِنْ فِرَاقِ خَلَّتِي فَقَتَلْتَنِي الْيَوْمَ وَلَا مَمْدَلَّتِي

ثم شدّ عليه ، فطعنه طعنةً ، سقط منها ميتاً .

فقال له الشيخ : خلّ عن الطعينة <sup>(٣)</sup> يا بنَ أخي ؛ فإنّي لستُ كمن رأيتَ . قال :

ما كنت لأخاطبها ولا لهذا قصدت . فقال له الشيخ : اختَرِ يا بنَ أخي ، فإن شئت

---

(١) الذابيل : الفنا الرقيق ، ويقصد بخضبه غمسه في الدم . (٢) استلام الفارس : لبس اللامة ؛ وهي الدرع . (٣) الطعينة : المرأة ما دامت في الهودج .

طاردتك ، وإن شئت نازلتك ؛ فاغتنمها الفتى ونزل . ونزل الشيخ ، وهو يقول :

ما أرتجى بعد فناء عمري ؟ سأجمل السنين مثل الشهر  
شيخ يحامى دون بيض الخدر<sup>(١)</sup> إن استباح البيض قضم الظهر  
سوف ترى كيف يكون صبرى

فأقبل الحارث ، وهو يقول :

بعد ارتحالى وطويل سفرى وقد ظفرتُ وشقيتُ صدرى  
وللوت خير من لباس القدر والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا ، فقال له الشيخ : يا بن أخى ؛ إن شئت نازلتك ، وإن بقيت فيك  
قوة ضربتى ؛ وإن شئت فاضربنى ؛ فإن بقيت فى قوة ضربتك .  
فاغتنمها الفتى ، فقال : وأنا أبدوك . قال : هات . فرفع الحارث السيف ،  
فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به إلى رأسه ، ضرب بطنه ضربة قدّم معاه ، ووقعت  
ضربة الحارث فى رأسه ؛ فسقطا ميتين .

فأخذتُ يا أمير المؤمنين أربعة أفراس ، وأربعة أسياف . ثم أقبلت إلى الناقة  
فعمدتُ أعنة الأفراس بعضها إلى بعض وجعلت أقودها . فقالت الجارية : يا عمرو ؛  
إلى أين ؟ ولست لى بصاحب ، ولست كمن رأيت ، ولو كنت صاحبي لسلكت  
سبيلهم ! فقلت : اسكتى ؛ قالت : فإن كنت صادقاً فأعطني سيفاً ورحماً ؛ فإن  
غلبتني فأنا لك ، وإن غلبتك قتلتك .

(١) بيض الخدر : يريد به النساء .



قلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفت أصلك، وجرأة قومك وشجاعتهم،  
فرمت بنفسها عن البعير، وهي تقول:

أَبْعَدَ مَا شَيْخِي وَبَعْدَ إِخْوَتِي أَطْلُبُ عَيْشًا بَعْدَهُمْ فِي لَذَّةٍ ؟

هَلْ لَا تَكُونُ قَبْلَ ذَا مَنِينِي ؟

وأهوت إلى الرُمح، فسكادت تنزعه من يدي. فلما رأيت ذلك خفتُ إن  
هي ظفرت بي أن تقتلني، فقتلتها.

فهذا أشدُّ ما رأيتُه يا أمير المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب: صدقت يا عمرو!

٨٧ — خَلَّ سَبِيلَ الْحُرَّةِ الْمُنِيعةِ\*

خرج دُرَيْدٌ<sup>(١)</sup> بن الصَّمَّةِ في فوارس بني جِشَمٍ يريد الفارةَ على بني كِنانة ،  
فلما كان بوادٍ لبني كِنانة رُفِعَ له رجلٌ من ناحية الوادي معه ظَعِينَةٌ<sup>(٢)</sup> . فلما  
نظر إليه قال لفارسٍ من أصحابه : صِحَّ به أن خلَّ عن الظعينة وانجُ بنفسك -  
وهو لا يعرفه - فانتهى إليه الرجل وألحَّ عليه ؛ فلما أبى ألقى زمام الراحلة ، وقال  
للظعينة :

سيري على رسلكِ سيرَ الآمنِ      سيرَ رَدَاحٍ<sup>(٣)</sup> ذاتِ جَاشٍ ساكنِ  
إنْ انْدِنائِي دونَ قِرْنِي<sup>(٤)</sup> شائني<sup>(٥)</sup>      أبلي بلائِي واخْبُرِي وعائِي

ثم حمل على الفارس فصرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة . فبعث دُرَيْدٌ  
فارساً آخر لينظرَ ما صنع صاحبه ؛ فرآه صريعاً ، فصاح به ، فتصامَّ عنه فظنَّ  
أنه لم يسمع فقشيه ، فألقى زمام الراحلة إلى الظعينة ، ثم حمل على الفارس فصرعه ،  
وهو يقول :

خَلَّ سَبِيلَ الْحُرَّةِ الْمُنِيعةِ      إنْكَ لاقِي دونها رابيعه

\* الأغاني: ٤ - ١٢٩ ، الأمل: ٢ - ٢٧١ ، السمط: ٢ - ٩١٠ ، العقد الفريد: ٣ - ٣٢٤

(١) دريد بن الصمة : سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم : كان مظفراً ميمون النقية ، غزاه نحو  
مائة غزوة ما أخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم . توفي سنة ٨٨ هـ . (٢) الظعينة .  
للرأة مادامت في الهودج . (٣) امرأة رداح : مجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق . (٤) القرن :  
الكف . (٥) شائني : يعينني .

فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ (١) مُطِيعَهُ أَوْلَا فَخُذْهَا طَعْنَةً سَرِيعَةً  
فَالطَّعْنُ مِثْلِي فِي الْوَعْيِ سَرِيعَةً

ثم حمل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُرَيْدٍ بَعَثَ فَارِسًا آخَرَ ؛ لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَا ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا ، فَرَأَاهُمَا  
صَرِيعَيْنِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِقُوَّةِ ظَعِينَتِهِ ، وَيَجْرُ رُحْمَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَارِسُ : خَلَّ عَنْ  
الظَّعِينَةَ . فَقَالَ لَهَا رِيبَعَةٌ : اقْصِدِي قَصْدَ الْبَيْوتِ ، ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَيْهِ فَقَالَ :  
مَاذَا تَرِيدِينَ مِنْ شَدِيمِ (٢) عَابِسِ أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ  
أَرَدَاهُمَا عَامِلُ رُحْمِ يَابِسِ

ثم طعنه فصرعه ، فانكسر رُحْمُهُ .

فَارْتَابَ دُرَيْدٌ ، وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا الظَّعِينَةَ وَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، فَلَحِقَ بِهِمْ  
فَوَجَدَ رِيبَعَةً (٣) بِنَ مَكْدَمَ لَا رُحْمَ مَعَهُ وَقَدْ دَنَا مِنَ الْحَيِّ ، وَوَجَدَ أَصْحَابَهُ قَدْ  
قُتِلُوا ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : أَيُّهَا الْفَارِسُ ؛ إِنْ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ ، وَإِنْ الْخَيْلَ نَائِرَةٌ  
بِأَصْحَابِهَا ، وَلَا أَرَى مَعَكَ رُحْمًا ، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ فَدُونَكَ هَذَا الرَّحْمِ ، فَإِنِّي  
رَاجِعٌ إِلَى أَصْحَابِي ، فَتُبْطِئُهُمْ عِنْدَكَ .

فَأَتَى دُرَيْدٌ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ : إِنْ فَارِسَ الظَّعِينَةَ قَدْ حَمَاهَا وَقَتَلَ فَوَارِسَكُمْ وَانْتَزَعَ  
رُحْمِي وَلَا طَعْمَ لَكُمْ فِيهِ ؛ فَانصرف القوم ، وقال دُرَيْدٌ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِيَ الظَّعِينَةَ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلِ

(١) يريد رُحْمًا ، والرَّمْحُ نَسَبٌ إِلَى الْخَطِّ ، تَفَرَّقَ بِالْبَجْرَيْنِ . (٢) الشَّدِيمُ : الْأَسَدُ الْعَابِسُ .

(٣) رِيبَعَةٌ بِنَ مَكْدَمَ : هُوَ أَحَدُ فَرَسَانِ مَضَرَ الْعَدُوِّينَ ، وَشَجَاعَتُهُنَّ الْمَشْهُورِينَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٥٨ م .



أرذَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزَةً<sup>(١)</sup> ثم استمرَّ كأنه لم يفعل  
 مهللاً تَبْدُو أَمِيرَةً وَجْهَهُ مثل الحُسامِ جَلَّتْهُ أَيْدِي الصَّيْقَلِ<sup>(٢)</sup>  
 يُزْجِي ظَمِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُوحَهُ متوجِّهاً يَمْنَاهُ نَحْوَ النِّزْلِ  
 وترى الفوارسَ من مَخَافَةِ رُوحِهِ مثلَ البُعَاثِ<sup>(٣)</sup> خَشِينِ وَقَعِ الأَجْدَلِ<sup>(٤)</sup>  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأُمُّه؟ يا صاحٍ من يكُ مثله لا يُجْهَلُ  
 فقال ربيعةُ :

إِنْ كَانِ يَنْفَعُكَ اليَقِينُ فَسَأَلِي عَنْ الظَّمِينَةِ يَوْمَ وادِي الأَخْرَمِ  
 إِذْ هِيَ لِأَوَّلِ مَنْ أَنَاها نُهْزَةً لَوْلَا طِعَانُ رَيْبَعَةَ بِنِ مُسَكِّدَمِ  
 إِذْ قَالَ لِي أَدْنَى الفَوَارِسِ مَيْتَةٌ : خَلَّ الظَّمِينَةَ طَائِعاً لَا تَنْدَمِ  
 فَصَرَفْتُ راحِلَةَ الظَّمِينَةِ نَحْوَهُ عَمْداً لِيَعْلَمَ بَعْضَ ما لَمْ يَعْلَمِ  
 وَهَتَكَتُ بِالرَّمْحِ الطَّوِيلِ إِهَابَهُ<sup>(٥)</sup> فَهَوَى صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ  
 وَمَنْحَتُ أَخْرَجَ بِمَدِّهِ جِيَّاشَةً نَجْلاءَ فَاغْرَةَ كَشِدْقِ الأَضْجَمِ<sup>(٦)</sup>  
 وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بِأَخْرَثِ ثَالِثِ وَأَبَى الفِرَارِ لِيِ الغَدَاةِ تَكْرِيهِ

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مسكدم أن أغاروا  
 على بني جشم رهط دريد ، فقتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ،  
 فأخفى نسبه ، فبينما هو عندهم إذا جاء نسوة يتهادين إليه ، فصرخت امرأة منهن  
 فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرَّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة

(١) النهزة : الشيء الذي هولك معرض كالنخيمة ، يقال : فلان نهزة المختلس ، أي صيد لكل  
 أحد . (٢) الصيقل : جلاء السيوف وشحاذها . (٣) البعاث : طائر أغبر . (٤) الأجدل :  
 الصقر . (٥) إهابه : جلده . (٦) الضجم : عوج في الفم ، وميل الشدق . ويشبه الجرح  
 الواسع بالفم الأضجم .

رُمِحَهُ يَوْمَ الظَّمِينَةِ ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِ ثَوْبَهَا وَقَالَتْ : يَا آلَ فِرَاسٍ ، أَنَا جَارَةٌ لَه  
مِنْكُمْ ، هَذَا صَاحِبُنَا يَوْمَ الْوَادِي ، فَسَأَلُوهُ : مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ : أَنَا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ،  
فَمَا فَعَلَ رَبِيعَةَ بِنْتُ مُكَدَّمٍ ؟ قَالُوا : قَتَلْتَهُ بَنُو سُلَيْمٍ ، قَالَ : فَمَنْ الظَّمِينَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ ؟  
قَالَتِ الْمَرْأَةُ : رَبِيعَةُ بِنْتُ جَذَلٍ وَأَنَا هِيَ ، فَخَبَسَهُ الْقَوْمُ ، وَأَمَرُوا أَنْفُسَهُمْ <sup>(١)</sup> وَقَالُوا :  
لَا يَنْبَغِي أَنْ تُكْفَرَ نِعْمَةٌ دَرِيدَةٌ عِنْدَنَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَاللَّهِ لَا يَخْرُجُ مِنْ أَيْدِينَا إِلَّا  
بِرِضَا الْمُخَارِقِ الَّذِي أُسِرَ . فَانْبَعَثَتِ الْمَرْأَةُ فِي اللَّيْلِ فَقَالَتْ :

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةً      وَكُلُّ فِتْيٍ يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا  
فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ      وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مَذْمُومًا  
سَنَجْزِيهِ نِعْمَةً لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ      بِإِعْطَانِهِ الرُّمْحَ السَّيِّدَ الْمُقْوَمًا  
فَقَدْ أَدْرَكَتْ كِفَاءً فِينَا جَزَاءَهُ      وَأُهْلٌ بَأَنٍ يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمًا  
فَلَا تُكْفَرُوهُ حَقًّا نِعْمَاهُ فَيْكُمْ      وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْفَمَا  
فَإِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضِيقْ بِثَوَابِهِ      ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا  
فَفَكُّوْا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مُخَارِقٍ      وَلَا تَجْمَلُوا الْبُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سَلْمًا

فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ ، فَتَعَاوَنُوا بَيْنَهُمْ فَأَطْلَقُوهُ ، وَكَسَتْهُ رَبِيعَةُ وَجْهَازَتَهُ ، وَلَحِقَ بِقَوْمِهِ ،  
وَلَمْ يَزَلْ كَافًا عَنْ غَزْوِ بَنِي فِرَاسٍ حَتَّى هَلَكَ .

(١) آمروا أنفسهم : تشاوروا .



٨٨ — عند الموت \*

مُجِيلَ هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ<sup>(١)</sup> الْعُدْرِيَّ إِلَى معاوية، وكان قد قَتَلَ<sup>(٢)</sup> زِيَادَةَ بْنَ  
زَيْدِ الْعُدْرِيِّ؛ وتقدم عبد الرحمن أخو زيادة؛ فادَّعَى عليه؛ فقال له معاوية: مات قول؟  
قال: أتحبُّ أن يكونَ الجوابُ شعراً أم نثراً؟ قال: بل شعراً؛ فإنه أمتع! فقال  
هُدْبَةُ:

فلم أرايتُ أُنْمَاهِي ضَرْبَةً<sup>(٣)</sup> من السيفِ أو إغضاهُ عَيْنِي عَلَى وَتْرِي<sup>(٤)</sup>  
عَدَدْتُ لِأَمْرِي لَا يُعِيرُ وَالِدِي خَزَائِمَتَهُ<sup>(٥)</sup> وَلَا يُسَبُّ بِهِ قَبْرِي  
رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ سَهْمُنَا مَنِيَّةَ نَفْسِي فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرٍ  
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدِي وَلَا عِنْدَكَ مِنْ قَصْرِ  
فَإِنَّ نَكْ فِي أَمْوَالِنَا لَا نَضِيقُ بِهَا ذِرَاعاً وَإِنْ صَبْرٌ<sup>(٥)</sup> فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ

فقال له معاوية: أراك قد أقررت يا هُدْبَةُ؟ قال: هو ذلك، فقال له عبد الرحمن:  
أقدني<sup>(٦)</sup>؛ ففكره ذلك معاوية، وضمنَّ بهدْبَةَ عن القتل.

\* رغبة الأمل: ٢ - ٢٣٩، الكامل: ٢ - ٣٠٣

(١) هُدْبَةُ: شاعر إسلامي فصيح متقدم من بادية الحجاز، وكان راوية للحطيئة، وكان جميل  
راوية هُدْبَةُ. وأما زيادة فينتهي نسبه إلى الحارث بن سعد، وكلاهما شاعر إسلامي كان في عهد  
بني أمية، توفي سنة ٥٤ هـ. (٢) كان من أمر قتل هُدْبَةَ لزيادة أنها أقبلت من الشام في ركب من  
قومها وكانا يتعاقبان سوق الإبل، فرجز كلاهما بأخت الآخر بما يقبح ذكره، فغضب هُدْبَةُ حتى  
أصاب منه غرة فقتله. (٣) الوتر: الثأر. (٤) الخزاية: الاستحياء، ويقال: رجل خزيان،  
وهو الذي عمل أمراً قبيحاً فاشتد لذلك حياؤه وخزائمه. (٥) الصبر هنا: الحبس حتى يموت.  
(٦) أقاد القاتل بالقتيل: قتله به.



وكان ابن زيادة صغيراً فوجّه به إلى المدينة؛ وقال: يحبس إلى أن يبلغ.

فلما بلغ كان والى المدينة سعيد بن العاص .

فَمَا وَقِفَ عَلَيْهِ مِنْ قَسْوَتِهِ قَوْلُهُ :

ولما دخلتُ السجنَ يا أمَّ مالكٍ      ذكركِ والأطرافُ في حلقِ سُمُرٍ<sup>(١)</sup>

وعند سعيدٍ غير أن لم أبخ به      ذكركِ، إن الأمرُ يذُكَّرُ بالأمرِ

فَسُئِلَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ ، فَقَالَ : لَمَّا رَأَيْتُ نَفْرَ<sup>(٢)</sup> سَعِيدٍ ، ذَكَرْتُ بِهِ نَفْرَهَا .

ثم إنه عرض<sup>(٣)</sup> على ابن زيادة عشرة ديات؛ فأبى إلا القود ، فلما خرج

يهدّبه ليُقَادَ بِالْحِرَّةِ<sup>(٤)</sup> ، جعل يُنشدُ الأشعارَ ، فقالت له حبي<sup>(٥)</sup> للمدينة : ما رأيتُ

أقسى قلباً منك ! أتُنشدُ الأشعارَ وأنتِ يمضى بك إلى القتل ، وهذه خلفك كأنها

ظبي عطشانٌ تُولولُ - تعني امرأته ؛ فوقف ووقف الناسُ معه ، فأقبل على

حبي فقال :

مَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمَّ واحِدٍ      وَلَا وَجَدَ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كَلَابٍ<sup>(٦)</sup>

رأته طویلَ الساعدينِ سُمُرِ ذَلَا<sup>(٧)</sup>      كما انتعمت<sup>(٨)</sup> من قوّةِ وشباب

فأغلقت حبي الباب في وجهه وسبته .

(١) الأطراف : يريد يديه ورجليه ، والحلق السمر : القيود والأغلال . (٢) كان سعيد من

أحسن الناس نفراً . (٣) كان ممن عرض الديات عليه الحسين بن علي ، وعبد الله بن جعفر ،

وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسائر القوم من قريش والأنصار . (٤) موضع

بالمدينة . (٥) حبي : اسم امرأة كانت معروفة بالمدينة ، والمدينة يائبات الياء ، قل ياقوت : أنه

يقال : مدني ، لمن تحول عن المدينة وكان منها ، ومديني لمن أقام فيها . (٦) ابن أم كلاب : زوج حبي ،

وكان شاباً تزوجته وكانت مجوزاً . (٧) الفتى القوي . (٨) المتعت من الدواب والناس :

الموصوف بما يفضل على غيره (السان - مادة نعت) .

وعرض له عبد الرحمن بن حسان ؛ فقال : أنشدني ، فقال له : أعلّي هذه  
الحال ! قال : نعم ، فأنشده :

ولستُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّني      ولا جازعٍ من صَرَفِهِ <sup>(١)</sup> لِلتَقَلُّبِ  
ولا أَتَبَعِي الشَّرَّ والشَّرُّ تاركِي      ولكن متى أُحْمَلُ على الشَّرِّ أركبِ  
وحرَّ بِنِي <sup>(٢)</sup> مولاى حتى غَشِيَتْهُ      متى ما يُحَرِّبُكَ ابنُ عَمِّكَ تَحَرِّبِ

فلما قَدَّمَ نَظَرَ إلى امرأته ، فدخَلتْهُ غَيْرَةٌ ، وقد كان جُدِعَ في حربهم ،  
فقال :

فإن يَكُ أنفِي بَانَ <sup>(٣)</sup> منه جماله      فما حَسَبِي في الصالحين بأجدعاً  
فلا تَنسَ كحى إن فَرَّقَ الدهر بيننا      أغم <sup>(٤)</sup> القفا والوجه ليس بأزعاً <sup>(٥)</sup>

فقال : ففموا عنه ساعة ، ثم مضت ورجعت . وقد اصطلمت <sup>(٦)</sup> أنفها  
فقال : أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ فقال : الآن طاب الموت !

ثم أقبل على أبويه فقال :

أبليانِ اليوم صبراً منكما      إن حُزناً منكما اليوم لَشَرُّ  
ما أظنُّ الموتَ إلا هيناً      إن بعد الموتِ دارَ المستقرِّ

ثم قال :

---

(١) صرف الدهر : حدثانه ونوائبه . (٢) حربي : حملني على الغضب . (٣) بان : هنا  
انفصل وذهب عنه . (٤) الغم : سيلان الشعر حتى تضيق به الجبهة والقفا . (٥) الزرع : انحناء  
الشعر من جانبي الجبهة . (٦) الصلم : قطع الأذن والأنف من أصله . واصطلمه : استأصله .

أَذَا الْعَرَشِ إِنْ عَائِدْتُ بِكَ مُؤْمِنٌ مُقَرَّبٌ بِزَلَّاتِي إِلَيْكَ قَعِيرٌ  
وإني وإن قالوا: أميرٌ مُسَلِّطٌ وَحُجَّابِ أَبْوَابِ لَهْنٍ صَرِيرٌ  
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تَدِنُ<sup>(١)</sup> فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرُ فَأَنْتَ غَفُورٌ  
ثم قال لابن زيادة: أثبتت قدميك، وأجد الصرابة، فإني أيتمتك صغيراً،  
وأزمت أمك شابة!

---

(١) تدن: تجازى.



٨٩ — تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ\*

حجَّ أبو الأسود<sup>(١)</sup> الدؤلى ومعه امرأته - وكانت جميلة - فبينما هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأنت أبا الأسود فأخبرته ، فأناه الأسود فتابه ، فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً ، فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها ؛ فأخبرت أبا الأسود ، فأناه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له :

وَإِنِّي كَيْتُنِيْبِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ وَعَنْ شَمِّ أَقْوَامٍ خَلَاتِقُ أَرْبَعُ  
حِيَلٍ وَإِسْلَامٌ وَبُقْيَا<sup>(٢)</sup> وَأَنْتَى كَرِيْمٌ ، وَمِثْلَى قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ  
فَشْتَانٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنْتَى عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيْمٌ وَتَظَلُّعٌ<sup>(٣)</sup>

فقال له عمر : لست أعودُ يا عمّ لكلامها بعد هذا اليوم ، ثم عاد فكلمها ؛ فأنت أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له :

أَنْتَ الْفَتَى وَابْنُ الْفَتَى وَأَخُو الْفَتَى وَسَيِّدُنَا لَوْلَا خَلَاتِقُ أَرْبَعُ  
نَكْوَلٌ عَنِ الْجَلِي ، وَقَرَبٌ مِنَ الْخَنَاءِ وَبُحْلٌ عَنِ الْجَدْوَى ؛ وَأَنْتَ تَبْعٌ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ خَرَجْتُ وَخَرَجَ مَعَهَا أَبُو الْأَسْوَدِ مُسْتَمِيلاً عَلَى سَيْفٍ ، فَلَمَّا رَأَاهَا عَمْرٌ  
أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَتَمَثَّلَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقَى صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسَدِ الْحَامِي

\* الأغانى : ١ - ١٤٨

(١) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلى الكنانى صاحب على وواضع النحو ، وصاحب النوادر للممتعة فى الآداب العربية . توفى سنة ٦٩ هـ . (٢) يقال : أبقيت عليه بقيا : أشفتت عليه ورحمته .

(٣) ظلع : عرج وغمز فى مشيته . (٤) يقال : هوتبع نساء ، إذا جد فى طلبهن .

٩٠ - الأحوص وابن حزم الأنصاري\*

شَبَّبَ الأحوص<sup>(١)</sup> بامرأة يقال لها: أم جعفر، فقال فيها:  
أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرِ بآياتكم ما درتُ حيثُ أدورُ  
وما كنتُ زوراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُزرَ لا بدَّ أن سيزورُ  
وكان لأم جعفر أخ يقال له أيمنُ، فاستعدي عليه ابن حزم الأنصاري وهو  
والي المدينة للوليد بن عبد الملك، فبعث ابن حزم إلى الأحوص فاتاه - وكان ابن  
حزم يُبغضه - فقال: ما تقول فيما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: يزعم أنك تُشَبَّبُ  
بأخته، وقد فضحتَه وشهرت به! فأناكر الأحوص ذلك.

فقال لهما: قد اشتبه على أمر كما؛ ولكنني أدفع إلى كل واحدٍ منك سوطاً،  
ثم اجتليدا - وكان الأحوص قصيراً نحيفاً، وكان أيمن طويلاً ضخماً - فاجتليدا،  
فقلب أيمنُ الأحوص فضربه حتى صرعه وأمخنه.

فلما رأى الأحوص تحامل ابن حزم عليه امتدح الوليد بن عبد الملك، ثم شخص  
إليه في الشام، ودخل عليه وأنشده:

أهوى أمية إن شطت وإن قربت يوماً وأهدى لها نصحي وأشعاري

\* المقدم الفريد: ٣ - ٢٩١، الأغاني: ٤ - ٢٣٨

(١) كان الأحوص شاعراً سمح الطبع، سهل الكلام، صحيح معاني الشعر، ولشعره رونق  
وديباجة صافية، مع حلاوة وعذوبة ألفاظ، إلا أنه كان قليل المروءة والدين، هجاء للناس.  
توفي سنة ١٠٥ هـ.



ولو وردتُ عليها الفَيْضُ<sup>(١)</sup> ما حفلت ولا شفتُ عَطَشِي من مائه الجاري  
لا ترثينَ لحزْمِي رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلقيَ الحزْمِيُّ في النارِ  
الناخِسينَ<sup>(٢)</sup> بمروانٍ بذى خُشْبِ<sup>(٣)</sup> وللمقحمينَ على عثمان في الدارِ

فقال له الوليد : صدقت ، والله لقد كنا غفلنا عن حزمٍ وآل حزم . ثم دعا كاتبه فقال : اكتب عهد عثمان بن حيان أُرسي على المدينة واعزل ابن حزم ، واكتبُ بقبضِ أمواله وأموال آل حزم ، وإسقاطهم أجمعين من الديوان ، ولا يأخذوا لأمويٍ عطاءً أبداً . ففعل ذلك ، فلم يزالوا في الحرمان للعطاء مع ذهاب الأموال والضياع حتى انقضت دولة بني أمية ، وجاءت دولة بني العباس .

فلما قام أبو جعفر المنصور بأمر الدولة ، قدم عليه أهلُ المدينة ، فجلس لهم ، وأمر حاجبه أن يتقدم إلى كلِّ رجل منهم أن ينتسب له إذا قام بين يديه ، فلم يزالوا على ذلك يفعلون حتى دخل عليه رجلٌ قصير قبيح الوجه ؛ فلما مثل بين يديه قال له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابن حزمِ الأنصاري الذي يقول فينا الأخوص :

لا ترثينَ لحزْمِي رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلقيَ الحزْمِيُّ في النارِ  
الناخِسينَ بمروانٍ بذى خُشْبِ وللمقحمينَ على عثمان في الدارِ

ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ حرّمنا العطاء منذ سنين ، وقبضت أموالنا وضياعنا . فقال المنصور : أعد على البيتين ، فأعادهما عليه ، فقال : أما والله لئن كان ذلك

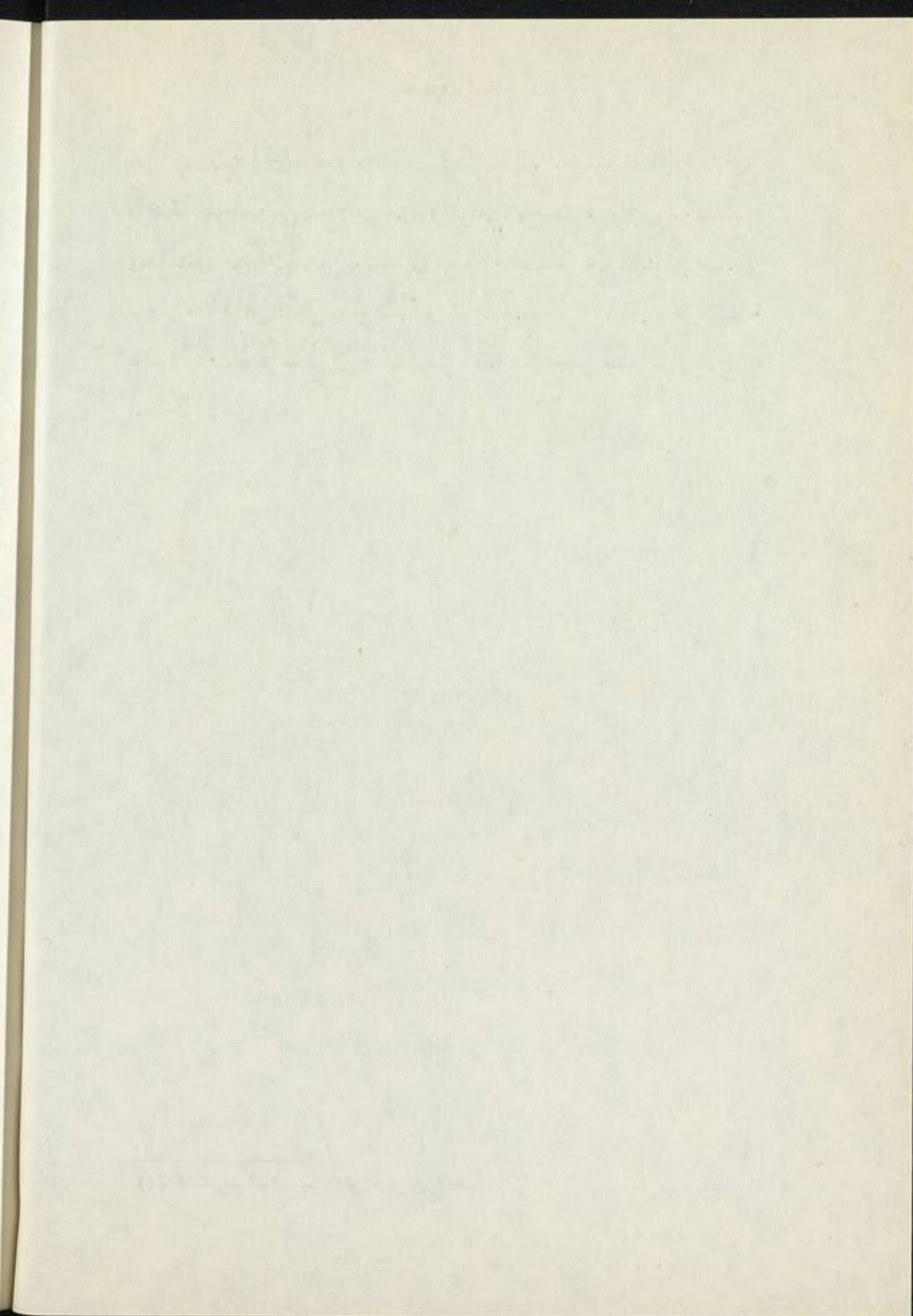
(١) الفيض : نهر بالبصرة . (٢) الناخسين بمروان : يريد الطاردين لمروان والزعجين له ، يقال : نخسوا بفلان ، إذا نخسوا دابته من خلفه ، وطردوه حتى سيروه في الآفاق . (٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة ، وكان مروان بن الحكم في المدينة في خلافة يزيد ، ولما كانت وقعة الحرة أخرجته الثائرون هو وعثمان بن محمد بن أبي سفيان وبقية بني أمية ممن كان يقيم بالمدينة ، وكان في الثائرين محمد بن عمرو بن حزم .



ضركم في ذلك الحين لينفَعَكُم اليوم . ثم كتب إلى عامل المدينة أن يردَّ جميعَ ما اقتطعه بنو أمية من ضياع بني حَزَم وأموالهم ، ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم ، وما استغلَّ من غلاتهم من يومئذ إلى اليوم ، فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بني مروان ، ويفرض لكل واحدٍ منهم في شرفِ العطاء<sup>(١)</sup> . ثم قال : على الساعة بعشرة آلاف درهمٍ تُدْفَعُ إلى هذا الرجل لتفقتة ؛ فخرج من عنده بما لم يخرج به أحدٌ مِن دخلوا عليه .

---

(١) كان شرف العطاء يومئذ مائتي دينار في السنة .



## البَابُ الرَّابِعُ

---

في القصص التي أراد بها الكتاب تصويرَ حالة ،  
أو شخص ، أو مجلس ، واخترعوا لها من الكلام  
ما يبلغ إرادتهم ، ويدخل في ذلك الباب ما وضعوه  
على السنة الطير والبهائم ، وأنواع الحيوان من محاورات  
وأحاديث تحمل في أثنائها العبرة والعظة والنصح .



٩١ — أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثَّورُ الْأَبْيَضَ \*

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما مثلي ومثل عثمان  
كمثل أنوار ثلاثة كن في أجمعة : أبيض ، وأسود ، وأحمر ؛ ومعهم فيها أسد ،  
فكان لا يقدر منهم على شيء لاجتماعهم عليه .

فقال للثور الأسود والثور الأحمر : لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض ،  
فإن لونه مشهور ، ولوني على لونسكما ، فلو تركتاني آكله صفت لنا الأجمعة ،  
فقالا له : دونك فكله ، فأكله .

فلما مضت أيام ، قال للأحمر : لوني على لونسك فدعني آكل الأسود لتصفو لنا  
الأجمعة ! فقال له : دونك فكله ، فأكله .

ثم قال للأحمر : إني آكلك لا محالة ، فقال : دعني أنادي ثلاثاً ، فقال : افعل ؛  
فنادى : ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض ؛ ثم قال علي رضي الله عنه :  
ألا إني أهنت يوم قتل عثمان ! يرفع بها صوته !

\* بجمع الأمثال : ١ - ٢٣

(١) الأجمعة : الشجر الكثير الملتف .

٩٢ — حديث السقيفة\*

قال أبو حيان<sup>(١)</sup> على بن محمد التوحيدى البغدادي : سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد أحمد<sup>(٢)</sup> بن بشر المروروذى ببغداد ، فتصرف في الحديث كل متصرف ، وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية ، فخرى حديث السقيفة ؛ فركب كل مركباً ، وقال قولاً ، وعرض بشيء ، وتزع إلى فن .

فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لأبي بكر الصديق ، رضی الله عنه ، إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجواب علي عنها ، ومبايعته إياه عقب تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومخبات الصنادق ، ومنذ حفظتها مارويتها إلا لأبي محمد المهلبى في وزارته ، فكتبها عن يده وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وإنها لتدل على علم وحلم ، وفصاحة ونباهة ، وبعد غور ، وشدة غوص .

فقال له العبادانى : أيها القاضي ؛ فلو أتممت المنّة علينا بروايتها ؛ أسمعناها ؛ فنحن أوعى لك من المهلبى ، وأوجب ذماماً عليك ، فاندفع ، وقال :

حدثنا عيسى بن دأب ، قال : سمعت مولاي أبا عبدة يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر رضی الله عنه بين المهاجرين والأنصار ، بعد فتنة كاد الشيطان

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٥٩٣ ، صبح الأعشى : ٢ - ٢٧٣ ، نهاية الأرب : ٧ - ٢١٣

(١) فيلسوف متصوف ، ولد في نيسابور ، وأقام مدة ببغداد ، وانتقل إلى الري فصحب ابن العميد والصاحب بن عباد ، توفي نحو سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) فاض من أكابر الفقهاء أصحاب الشافعى ، أقام زمناً بالبصرة ، ثم رحل إلى بغداد . توفي

بها ، فدفع الله شرّها ، ويسّر خيرها ، بلغ أبا بكر عن عليّ تلكوؤ وشماس<sup>(١)</sup> ،  
وتهمّم<sup>(٢)</sup> ونفّاس<sup>(٣)</sup> ، فكّرِه أن يتعمّدى الحال فتبدؤ العورة ، وتشتعل الجرة ،  
وتتفرّق ذاتُ البين ؛ فدعاني بحضرتِه في خلوةٍ - وكان عنده عمر بن الخطاب ،  
رضى الله عنه وحده - فقال : يا أبا عبيدة ؛ ما أئمن ناصيتك ، وأبئن الخير  
بين عينيك ! طالما أعزّ الله بك الإسلام ، وأصلح شأنه على يدك ، ولقد كنت  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسكان المحوط ، والمحلّ المغبوط ؛ ولقد  
قال فيك في يوم مشهود : « لكلّ أمة أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة » ،  
ولم تزل للدين ملتجأ ، وللمؤمنين مرّجى ، ولأهلك ركنًا ، ولإخوانك  
ردءًا .

قد أردتُك لأمرٍ خطرُه نخوف ، وإصلاحه من أعظم المعروف ، ولئن لم  
يندمل جرحُه بيسارك ورفيقك ، ولم تجب<sup>(٤)</sup> حيمته برقيتك ، وقَعَ اليأس ،  
وأغضل البأس ، واحتيجَ بذلك إلى ما هو أمرٌ منه وأغلق ، وأعسرُ منه وأغلق ،  
والله أسألُ تمامه بك ونظامه على يدك ، فتأت<sup>(٥)</sup> له أبا عبيدة وتلطّف فيه ،  
وانصح لله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصاة غير آلٍ جهداً ،  
ولا قالٍ حمداً ، والله كالإثك وناصرُك ، وهاديك ومبصرُك إن شاء الله .

امضِ إلى عليّ ، واخفيص له جناحك ، واغضضْ عنده صوتك ، واعلم أنه  
سلالةُ أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالأمس - صلى الله عليه وسلم - مكانه

---

(١) الشماس : المعاندة والمعاداة . (٢) التهمم : من تهيم الشيء : طلبه وتحمسه . (٣) نافس في  
الشيء : رغب فيه على وجه المباراة والمفاخرة . (٤) تجب : تقطع . (٥) أتت له : تهبأ له وأنه  
من وجهه .



وقل له : البحر مَفْرَقَةٌ ، والبرُّ مَفْرَقَةٌ ، والجوُّ أكَفٌ (١) ، والليلُ أَغْدَفٌ (٢) ، والسماءُ  
جَلْوَاءٌ (٣) ، والأرضُ صَلْعَاءٌ (٤) ، والصعودُ مُتَعَدِّرٌ ، والهبوطُ مُتَعَسِّرٌ ، والحقُّ عَطُوفٌ  
رَعُوفٌ ، والباطلُ عَنُوفٌ عَسُوفٌ ، والمُعْجَبُ قَدَاحَةٌ الشَّرِّ ، والضَّغْنُ رَائِدُ البَوَارِ ،  
والتعريضُ شِجَارُ الفتنَةِ ، والقِيحَةُ ثَقُوبٌ (٥) العداوة ؛ وهذا الشيطانُ مُتَكَبِّرٌ ، على  
شِمَالِهِ ، مُتَحَيِّلٌ (٦) يَمِينِهِ ، نَافِخُ حِضْنِيَّةٍ (٧) ، ينتظرُ الشَّمَاتَ والفُرْقَةَ ، وَيَدِبُ  
بين الأُمَّةِ بالسَّخْنَاءِ والعداوةِ ، عِنَاداً لَهِ عَزَّ وَجَلَّ أُولَا ، ولآدَمَ ثَانِيَا ، وَلنَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ  
عليه وسلم - ودينه ثَالِثَا ، يُوسُوسُ بالفَخُورِ ، وَيُدَلِّي بالفُرُورِ ، وَيَمْنِي أهلَ الشُّرُورِ ،  
يُوحِي إلى أوليائه زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً بالباطلِ ، دَابَّاً له منذ كان على عهدِ أَيْنَا  
آدَمَ ، وعَادَةً له منذ أَهَانَهُ اللهُ تَعَالَى في سَالفِ الدهرِ ، لا مَنجِي منه إلا  
بِعِضِّ النَّاجِذِ (٨) على الحقِّ ، وَغَضِّ الطَّرْفِ عن الباطلِ ، وَوَطْءِ هَامَةِ عَدُوِّ اللهِ  
بِالأشدِّ فالأشدِّ ، والآكِدِ فالآكِدِ ، وإِسْلَامِ النفسِ لله عزَّ وَجَلَّ في ابتِغَاءِ  
رضاه .

ولا بد الآن من قولٍ ينفع إذ قد أضرَّ السكوت ، وخيف غيبه ؛ ولقد أرسدك  
مَنْ أَفَاءَ (٩) ضالَّتْكَ ، وَصَافَاكَ من أَحْيَا مودَّتَهُ بِعِتَابِكَ ، وأراد لك الخيرَ مَنْ آثرَ  
البقاءَ معك .

ما هذا الذي تسوَّل لك نفسك ؟ وَيُدَوِّي (١٠) به قَلْبُكَ ، ويلتوى عليه رأْيُكَ ،

(١) أكف : أسود تملوه حمرة . (٢) أغدف : مظلم . (٣) جلواء : مصحبة . (٤) صلعاء :  
خالية لاشجر فيها . (٥) ثقوب : ما أشعل به . (٦) التحيل : الاحتيال . (٧) نافخ حصنيه :  
أى مستعد لأن يعمل عمله من الشر . (٨) عض عليه بالنواجذ ، أى تمسك به . (٩) أفاء : أرجع .  
(١٠) دوى الطائر : إذا دار في طيرانه .

ويتخاوص<sup>(١)</sup> دونه طرفك ، ويسرى فيه ظعنك ، ويتراذ معك نفسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ؟ أعجمة بعد إفصاح ! أتلبس<sup>(٢)</sup> بعد إيضاح ؟ أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق القرآن ؟ أهدي غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم ! أمثلي تمثلي له الضراء وتدب له الخمر<sup>(٣)</sup> ! أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ، ويكسف في عينه القمر ؟ ما هذه القعقة بالشنان<sup>(٤)</sup> ! وما هذه الوعوعة باللسان !

إنك والله جد عارفٍ باستجابتنا لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وبمخروجاتنا عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا ؛ هجرة إلى الله عز وجل ، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كين الصبا ، وخدر الغرارة ، وعنفوان الشبيبة ، غافل عما يشيب ويُرِيب ، لا تعي ما يراد ويُسَاد ، ولا تحصل ما يساق ويقاد ، سوى ما أنت جاري عليه إلى غايتك التي إليها عدل بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا تجحود الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نعانى أحوالاً تزيل الرأسي ، ونقاسى أهوالاً تُشيب النواصي ، خانضين غمارها ، راكبين تيارها ، تنجرع صابها ، ونشرح<sup>(٥)</sup> عيابها ، ونحكيم أساسها ونبرم أمراسها<sup>(٦)</sup> ، والعيون تُحدج<sup>(٧)</sup> بالحسد ، والأنوف تعطس بالكبر ، والصدور تستعير بالغيظ ، والأعناق

(١) يتخاوص : يفض عن بصره . (٢) التلبس : التخليط . (٣) الضراء ، أصل الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، والمراد الاستخفاء . والخمر : ما وارك من شجر ، وهو مثل ضرب لمن يندفع صاحبه . (٤) الشنان : جمع شن ، وهو القربة الملقى الصغيرة ، والقعقة : الصوت . يريد أنه لا يخوف بمثل هذا . (٥) أشرح العيبة وشرجها : ضم بعض عراها إلى بعض ، والعياب : جمع عيبة ، وهي وعاء من آدم تجعل فيه الثياب . (٦) أمراسها : جمع مرس ككتفت : وهو الجبل . (٧) تحدق .



تتطاول بالفخر ، والشَّفَارُ تُشَحَّدُ بالمكر ، والأرض تَمِيدُ بالخوف ، لا نَنْتَظِرُ عند المساء صَبَاحًا ، ولا عند الصباح مَسَاءً ، ولا نَدْفَعُ في نَحْرِ أَمْرٍ إلا بعد أن نَحْسُوَ الموتَ دونه ، ولا نَبْلُغُ مُرَادًا إلا بعد الإياس من الحياة عنده ، فإدِينَ في جميع ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والخال والعَم ، والمال والنَّسَب ، والسَّبَد واللبد<sup>(١)</sup> ، والهَلَّة<sup>(٢)</sup> والبِلَّة ، بِطِيبِ أَنْفُسٍ ، وَقِرَّةِ أَعْيُنٍ ، وَرُحْبِ أُعْطَانٍ ، وَثَبَاتِ عَزَائِمٍ ، وَصِحَّةِ عُقُولٍ ، وَطَلَاقَةِ أَوْجِهٍ ، وَذَلَّاقَةِ أَلْسُنٍ .

هذا مع خَفِيَّاتِ أَسْرَارٍ ، وَمَكْنُونَاتِ أَخْبَارٍ ، كُنْتَ عَنْهَا غَافِلًا ، وَلَوْلَا سِنِّكَ لَمْ تَكُنْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا نَاكِدًا<sup>(٣)</sup> ، وَكَيْفَ وَفَوَاذِكُ مَشْهُومٌ<sup>(٤)</sup> ، وَعَوْدُكَ مَعْجُومٌ ! وَالآنَ قَدْ بَلَغَ اللَّهُ بِكَ ، وَأَنْهَضَ الْخَيْرَ لَكَ ، وَجَعَلَ مَرَادَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَعَنْ عِلْمٍ أَقُولُ مَا تَسْمَعُ ، فَارْتَقِبْ زَمَانَكَ ، وَقَلِّصْ أَرْدَانَكَ<sup>(٥)</sup> ، وَدَعِ التَّعَسُّسَ وَالتَّجَسُّسَ لِمَنْ لَا يَظْلَعُ<sup>(٦)</sup> لَكَ إِذَا خَطَا ، وَلَا يَنْزَحِرُ عَنْكَ إِذَا عَطَا<sup>(٧)</sup> ؛ فَالْأَمْرُ غَضٌّ ؛ وَالنَّفُوسُ فِيهَا مَضٌّ ، وَإِنَّكَ أَدِيمٌ هَذِهِ الْأَمَّةَ ، فَلَا تَحْمَلْ<sup>(٨)</sup> لَجَاجًا ، وَسِيْفَهَا الْعَضْبُ ، فَلَا تَذْبُ اعْوِجَاجًا ، وَمَاؤَهَا الْعَذْبُ ، فَلَا تَحْمِلْ أُجَاجًا .

وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ هُوَ لِمَنْ يَرْغَبُ عَنْهُ لِمَنْ يَجَاحِشُ<sup>(٩)</sup> عَلَيْهِ ، وَلِمَنْ يَتَضَاعَلُ عَنْهُ لِمَنْ

(١) السبد : الشعر . واللبد : الصوف . والمراد : ففديه بكل ما تملك . (٢) يقال : جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة : أي لم يأتنا بشيء ، فاهلة من الفرح والاستهلال ، والبلة من البلل والخير . (٣) نكل عن الشيء : نكس وجبن . (٤) مشهوم : ذكي متوقد . (٥) الأردان : جمع ردن : وهو أصل الكم أو الكم كله . (٦) ظلع في مثيه : عرج وغمز . (٧) عطا : مد إليك عنقه وأقبل نحوك . (٨) حلم الجلد : فسد وتثقب . (٩) يطلبه ويدافم عنه .



يَتَنَفَّحُ<sup>(١)</sup> إِلَيْهِ ؛ هُوَ لَنْ يُقَالَ هُوَ لَكَ ، لَأَنْ يَقُولَ هُوَ لِي .

ولقد شاورني رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّهْرِ ، فَذَكَرَ فِتْيَانًا مِنْ قُرَيْشٍ ، قُلْتُ : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ عَلِيٍّ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي أَكْرَهُ لِفَاطِمَةَ مِئَةَ<sup>(٢)</sup> شَبَابِهِ ، وَحَدَاثَةَ سِنِّهِ . قُلْتُ لَهُ : مَتَى كَسَفْتَهُ يَدُكَ ، وَرَعْتَهُ عَيْنُكَ ، حَقَّتْ بِهِمَا الْبَرَكَةُ ، وَأُسَيِّفَتُ عَلَيْهِمَا النِّعْمَةَ ؛ مِنْ كَلَامٍ كَثِيرٍ خَاطَبْتُهُ بِهِ ؛ رَغْبَةً فِيكَ ، وَمَا كُنْتُ عَرَفْتُ مِنْكَ فِي ذَلِكَ لَا حَوْجًا<sup>(٣)</sup> وَلَا لَوْجًا ، قُلْتُ مَا قُلْتُ وَأَنَا أَرَى مَكَانَ غَيْرِكَ ، وَأَجْدُ رَائِحَةَ سِوَاكَ ، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ خَيْرًا لَكَ مِنْكَ الْآنَ لِي .

وَلِئِنْ كَانَ عَرَضَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ قَالَ فِيكَ فَمَا سَكَتَ عَنْ سِوَاكَ ؛ وَإِنْ تَلَجَّجَ<sup>(٤)</sup> فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَهَلُمَّ ، فَالْحُكْمُ مَرْضَى<sup>(٥)</sup> ، وَالصَّوَابُ مَسْمُوعٌ ، وَالْحَقُّ مُطَاعٌ .

وَلَقَدْ نُقِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ عَنِ الْعِصَابَةِ رَاضٍ ، وَعَلَيْهَا حَدِبٌ ، يَسْرُهُ مَا سَرَّهَا ، وَيَسُوؤُهُ مَا سَاءَهَا ، وَيَسْكِيذُهُ مَا كَادَهَا ، وَيَرْضِيهِ مَا أَرْضَاهَا ، وَيُسْخِطُهُ مَا أَسْخَطَهَا .

أَمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَدْعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَقْرَابِهِ وَسُجْرَائِهِ<sup>(٥)</sup> ، إِلَّا أَبَانَهُ بِفَضِيلَةٍ ، وَخَصَّهُ بِمِزْيَةٍ ، وَأَفْرَدَهُ بِجَالَةٍ ، لَوْ أَصْفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ لِأَجْلِهَا لَكَانَ عِنْدَهُ إِيَاتُهَا

(١) يتطلع ويرتفع إليه . (٢) مائة الشباب : أوله . (٣) أي ما كنت عرفت منك شيئاً .

(٤) تلجج : تردد . (٥) سجنائه : أصفائه .

وَكَفَّالْتَهَا<sup>(١)</sup> . أَتَظُنُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ الْأُمَّةَ سُدِّيَّ بَدَدًا ؛ عَبَاهِلَ<sup>(٢)</sup>  
مِبَاهِلَ ، طَلَّاحِي<sup>(٣)</sup> مَفْتُونَةٌ بِالْبَاطِلِ ، مَعْنُونَةٌ<sup>(٤)</sup> عَنِ الْحَقِّ ؛ لَا رَائِدَ وَلَا ذَائِدَ ،  
وَلَا ضَابِطَ وَلَا حَانِطَ ، وَلَا سَاقِيَّ وَلَا وَاقِيَّ ، وَلَا هَادِيَّ وَلَا حَادِيَّ ؛ كَلَّا ! وَاللَّهِ  
مَا اشْتَقَّ إِلَى رَبِّهِ ، وَلَا سَأَلَ الْمَصِيرَ إِلَى رِضْوَانِهِ وَقُرْبِهِ ؛ إِلَّا بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ اللَّدِّيَّ ،  
وَأَوْضَحَ الْهُدْيَ ، وَأَبَانَ الصُّوْيَ<sup>(٥)</sup> ؛ وَأَمَّنَ الْمَسَالِكَ وَالْمَطَارِحَ ؛ وَسَهَّلَ الْمُبَارَكَ  
وَالْمُهَاجِرَ<sup>(٦)</sup> ؛ وَإِلَّا بَعْدَ أَنْ شَدَّخَ يَافُوخَ<sup>(٧)</sup> الشَّرْكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَشَرَمَ وَجْهَ النِّفَاقِ  
لِوَجْهِ اللَّهِ ، وَجَدَعَ أَنْفَ الْفِتْنَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، وَتَقَلَّ فِي عَيْنِ الشَّيْطَانِ بَعُونَ اللَّهِ ،  
وَصَدَعَ بِمَلَأٍ فِيهِ وَيَدِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَبَعْدُ فَهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ عِنْدَكَ ؛ وَمَعَكَ فِي مُبَقَّعَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَدَارِ  
جَامِعَةٍ ، إِنْ اسْتَقَالُونِي لَكَ وَأَشَارُوا عِنْدِي بِكَ ، فَأَنَا وَاضِعٌ يَدِي فِي يَدِكَ ،  
وَصَائِرٌ إِلَى رَأْيِهِمْ فِيكَ .

وَإِنْ تَسَكَّنَ الْأُخْرَى فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ الْمَسَامُونَ ؛ وَكُنِ الْعُونَ عَلَى  
مِصَالِحِهِمْ ، وَالْفَاتِحَ لِمَغَالِقِهِمْ ، وَالْمُرْشِدَ لِمَضَالِحِهِمْ ، وَالرَّادِعَ لِعَوَايِبِهِمْ ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ  
نَعَالِي بِالْتَعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَالتَّنَاصُرِ عَلَى الْحَقِّ ، وَدَعَانَا نَقْضِي  
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِصُدُورِ بَرِيئَةٍ مِنَ الْغِلِّ ؛ وَنَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِقُلُوبِ سَلِيمَةٍ مِنَ  
الضُّعْنِ .

(١) أَصْفَقُوا عَلَى كَذَا : أَطْبَقُوا ، وَآلَ عَلَى الْقَوْمِ لِإِيَالَةٍ : وَلى . (٢) عَبَاهِلَ مِبَاهِلَ : مِهْمَلَةٌ .  
(٣) الطَّلَّاحِي : السَّكَّالَةُ الْمُهَيَّبَةُ . (٤) مَعْنُونَةٌ ، مِنْ عَنَّتِ الْفَرَسِ : حَبِسَتْهُ بِالْعَنَانِ . (٥) الصُّوْيُ :  
الْأَعْلَامُ . (٦) الْمُهَاجِرُ : الطَّرِيقُ . (٧) الْيَافُوخُ : مَلْتَقَى عَظْمٍ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ .



وبعد فالناس تُمامة<sup>(١)</sup> فارزق بهم ؛ واخُن عليهم ، ولِن لهم ، ولا تُشقى  
نفسك بنا خاصة منهم ؛ واترك نايم<sup>(٢)</sup> الحقدِ حصيداً ؛ وطائر الشر واقعاً ؛ وباب  
الفتنة مغلقاً ، فلا قال ولا قيل ؛ ولا لومَ ولا تعنيف ، والله على ما نقول شهيد ،  
وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تاهبتُ للنهوض قال عمر - رضى الله عنه : كُنْ لَدَى  
الباب هنيئة ، فلي معك دورٌ من القول ، فوقفْتُ وما أدرى ما كان بعدى ، إلا  
أنهُ لحقنى بوجهٍ يُبدي هَللاً ، وقال لى : قل لعلّى : الرقادُ محمّلةٌ ، والهوى  
مفحمّة<sup>(٣)</sup> ، وما متنا إلا له مقام معلوم ، وحقّ مشاعٍ أو مقسوم ، ونبأ ظاهر  
أو مكتوم ؛ وإن أكيَسَ الكيَس من مَنح الشاردِ تألفاً ، وقاربَ البعيد تطفماً ،  
ووزن كلِّ شيءٍ بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره ؛  
دينياً كان أو دنياً ؛ ضلالاً كان أو هدىً .

ولا خير في علمٍ مُستعمل في جهل ، ولا خير في معرفةٍ مشوبةٍ بِنسكٍ .  
ولسنا كجِلْدَةِ رُفْعِ<sup>(٤)</sup> البعير بين العجان والدَّنبِ . وكلّ صالحٍ فينارِهِ ؛ وكلُّ  
سَيِّلٍ فإلى قرارِهِ . وما كان سكوتُ هذه العصابةِ إلى هذه الغايةِ ليعى ، ولا  
كلامها اليوم لفرق أو رَفِقٍ . وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كلِّ ذى كبرٍ ،  
وقصم ظهر كلِّ جبار ؛ وقطع لسان كلِّ كذوب ، فاذا بعد الحقِّ إلا الضلال !

(١) التمامة : واحدة التمام ، وهو نبت ضعيف وهو على التشبيه . (٢) نيم : طلع وظهر ،  
والحصيد : المحصود . (٣) قحم في الأمر : رمى بنفسه فيه فجأةً بلا روية . (٤) الرفع : أصل  
الفضذ من باطن ، والعجان : الاست ، يريد أن منزلتهم بين الأحياء ليست حقيرةً مهينةً .



ما هذه الخنزروانة<sup>(١)</sup> التي في فراش<sup>(٢)</sup> رأسك ؛ ما هذا الشجاء المعترض في مدارج  
أنفاسك ! ما هذه القذاة التي أَعَشَّتْ ناظِرَكَ ! وما هذه الوحرة<sup>(٣)</sup> التي أَكَلَتْ  
شراسيفك<sup>(٤)</sup> ! وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء  
والنكر !

ولسنا في كِسْرَوِيَّةِ كِسْرَى ، ولا في قيصريَّة قَيْصَرَ ! تأمل لإخوان فارس  
وأبناء الأصفر ، قد جعلهم الله جزراً<sup>(٥)</sup> لسيوفنا، ودريئة<sup>(٦)</sup> لرماحنا، ومرمى لطمائنا،  
وتبعاً لسلطاننا ؛ بل نحن في نورِ نُبُوَّةٍ ، وضياءِ رسالةٍ ، وثمرةِ حِكْمَةٍ ، وأثرةِ رحمةٍ ،  
وعنوانِ نعمةٍ ، وظلِّ عِصْمَةٍ ، بين أمةٍ مهديَّةٍ بالحق والصدق ، مأمونة على الرتقِ  
والفتقِ ، لها من الله قلبُ أبيّ ، وساعد قوى ، ويدٌ ناصرة ، وعين ناظرة .

أَتَظُنُّ ظَنًّا يَا عَلِيُّ أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَثَبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مُفْتَاتًا عَلَى الْأُمَّةِ ، خَادِعًا  
لَهَا أَوْ مُتَسَلِّطًا عَلَيْهَا ! أَتُرَاهُ حَلَّ عَقُودِهَا ، وَأَحَالَ عَقُولَهَا ! أَتُرَاهُ جَعَلَ نَهَارَهَا لَيْلًا ،  
ووزنها كَيْلًا ، وَبَقِظَتَهَا رُقَادًا ، وَصَلَحَهَا فُسَادًا ! لا والله ! سَلَا عنها فَوَلِهَتْ  
له ، وتطامن لها فَلَصِقَتْ به ، ومال عنها فمالت إليه ؛ واشمأزَّ دونها فاشتملت عليه ،  
حَبَوَّةٌ حَبَاهُ اللهُ بها ، وَعَاقِبَةٌ بَلَّغَهُ اللهُ إِلَيْهَا ، وَنِعْمَةٌ سَرَّبَ اللهُ جَمَالَهَا ، وَوَيْدٌ أَوْجَبَ  
اللهُ عليه شُكْرَهَا ، وَأُمَّةٌ نَظَرَ اللهُ بِهَ إِلَيْهَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِخَلْقِهِ ، وَأَرَأْفُ بِعِبَادِهِ ،  
يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةَ .

وإنك بحيث لا يُجْهَلُ مَوْضِعُكَ من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ولا يُجْحَدُ

(١) الخنزروانة : السكر . (٢) فراش الرأس : عظام رفاق تلى القحف . (٣) الوحرة : وزغة ،  
والمراد العداوة والمقد . (٤) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو الطرف المشرف على البطن  
من الضلع . (٥) الجزر : كل شيء مباح للذبح . (٦) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن والرمي .

حَقُّكَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ ؛ وَلَكِنَّ لَكَ مَنْ يَزَاحِمُكَ بِمَنْسَكِبِ أَوْضَحَمَ مِنْ مَنْسَكِبِكَ ،  
وَقُرْبَى أَمْسٍ مِنْ قُرْبَاكَ ، وَسَنْ أَعْلَى مِنْ سَنِّكَ ، وَشَيْبَةَ أَرْوَعَ مِنْ شَيْبَتِكَ ،  
وَسِيَادَةَ لَهَا أَوْلَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَفِرْعَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَمَوَاقِفَ لَيْسَ لَكَ فِيهَا جَلُّ وَلَا  
نَاقَةٌ ، وَلَا تُذَكَّرُ فِيهَا فِي مَقْدَمَةٍ وَلَا سَاقِيَةٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَا تُضْرَبُ فِيهَا بِذِرَاعٍ وَلَا بِإِصْبَعٍ ،  
وَلَا تُخْرَجُ مِنْهَا بِبَازِلٍ وَلَا هُجَعٍ <sup>(٢)</sup> ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ حَبَّةَ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعِلَاقَةَ نَفْسِهِ ، وَعَيْبَةَ سَرِّهِ ، وَمَفْرَعَ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، وَرَاحَةَ كَفِّهِ ،  
وَمَرْمَقَ طَرْفِهِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمَحْضَرِ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛  
شُهْرَتُهُ مَعْنِيَةٌ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ .

وَلَعَمْرِي إِنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةً ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَبُ  
مِنْكَ قُرْبَةً <sup>(٣)</sup> ، وَالْقَرَابَةُ لِلْحَمِّ وَدَمٍ ، وَالْقُرْبَةُ نَفْسٍ وَرُوحٍ .

وَهَذَا فَرَقٌ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلِذَلِكَ صَارُوا إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ . وَمَهْمَا شَكَّكَتَ  
فِي ذَلِكَ ، فَلَا تُشَكِّ فِي أَنْ يَدَّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَرِضْوَانَهُ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ . فَادْخُلْ فِيمَا  
هُوَ خَيْرٌ لَكَ الْيَوْمَ ، وَأَنْفَعُ لَكَ غَدًا ، وَالْفِظْ مِنْ فِيكَ مَا يَمْلُقُ بِلَهَاتِكَ ، فَإِنْ يَكُ  
فِي الْأَمَدِ طَوِيلٌ ، وَفِي الْأَجْلِ فَسُحَّةٌ ، فَسْتَأْكُلْهُ مَرِيئًا أَوْ غَيْرَ مَرِيءٍ ، وَسَتَشْرِبُهُ  
هَنِيئًا أَوْ غَيْرَ هَنِيءٍ ، حِينَ لَا رَادَّ لِقَوْلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ آيِسًا مِنْكَ ، وَلَا تَتَابِعْ لَكَ إِلَّا  
مَنْ كَانَ طَامِعًا فِيكَ ، يَمُضُ <sup>(٤)</sup> إِيَّاكَ ، وَيَمْرُكُ <sup>(٥)</sup> أَدِيمَكَ ، وَيَزُرِّي عَلَى  
هَدْيِكَ ، هِنَالِكَ تَقْرَعُ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ ، وَتَجْرَعُ الْمَاءَ مِمَزُوجًا بِدَمٍ ، وَحِينَئِذٍ تَأْسَى <sup>(٦)</sup>

(١) ساقية الجيش : مؤخره . (٢) البازل : الجمل القوى الذي دخل في سنته التاسعة ،  
والهبع : الفصيل الذي ينتج في الصيف فيكون ضعيفاً . (٣) القرية : الوسيلة . (٤) يمض إهابك :  
يمرق جلدك . (٥) يمرك أديمك : يدلك . (٦) تأسى : تحزن .



على ما مضى من عمرك ودَارِجِ قوتك ، فعودَ أن لو سقيت بالكأس التي أيتها ،  
وَرُدِدْتَ إلى حالتك التي استغويتها . والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالفه ، وغيب  
هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسرّاتها وضرائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور  
الودود .

قال أبو عبيدة : فتمشيتُ مترملاً<sup>(١)</sup> ، أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقاً  
من الفرقة ، وشفقاً<sup>(٢)</sup> على الأمة حتى وصلت إلى عليّ رضي الله عنه في خلاء ،  
فابتشنته<sup>(٣)</sup> بتي كاه ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به ؛ فلما سمعها ووعاها ، وسرت  
في مفاصله حياها قال : حلت معلوطة<sup>(٤)</sup> ، وولت مخروطة<sup>(٥)</sup> ، وأنشأ يقول :  
إحدى لياليك فهيسى<sup>(٦)</sup> هيسى لا تنعيني الليلة بالتعريس<sup>(٧)</sup>  
نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم ، ويحسون به ، ويضطغنون<sup>(٨)</sup>  
عليه !

قال أبو عبيدة :

قلت : لا جواب لك عندي ، إنما أنا قاضٍ حقّ الدين ، وراتقُ فتق  
المسلمين ، وسادُّ ثلثة الأمة ، يعلم الله ذلك من جلجلان<sup>(٩)</sup> قلبي ، وقرارة  
نفسى .

فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلاف

---

(١) مترملاً : تزل : تلفف . (٢) الشفق : الشفقة . (٣) أبتثته السر : أظهرته له . والبث :  
الحال . (٤) معلوطة : مقتحمة من غير روية . (٥) مخروطة : مسرعة . (٦) هيسى : سيرى  
أى سير كان . (٧) عرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة . (٨) أى ينطوون على الضغن  
وهو الحقد . (٩) جلجلان قلبي : أى حبه .



ولا إنكاراً للمعروف ، ولا زراً على مسلمٍ ، بل لما قد وَقَدَنِي (١) به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد عليّ حزناً ، وذكرني شجناً ، وإن الشوق إلى اللحاق به كافٍ عن الطمع في غيره ، وقد عَكَفْتُ على عهدِ الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق ، رجاء ثواب مُعَدِّ لمن أخلص لله عمله ، وأسلم لعلمه ومشيشته ، وأمره ونهيه ، على أني ما علمت أن التظاهر عليّ واقعٌ ، ولا عن الحق الذي سيق إلى دافع .

وإذ قد أقيم الوادي بي ، وحُشِدَ النادى من أجلى ، فلا مرحباً بما ساء أحداً من المسلمين وسرني . وفي النفس كلامٌ لولا سابقُ عقدي وسالفُ عهدي ، لسفيتُ غيظي بخصمي وبنصري ، وخضتُ لِحَبَّتِهِ بِأَخْمَصِي وَمَمْرُقِي ، ولكني مُلَجِّمٌ إِلَى أَنْ أَلْتَمَى اللَّهُ رَبِّي ، وعنده أَحْتَسِبُ ما نزل بي . وإني غاد إلى جماعتكم ، فبايع صاحبكم ، صابرٌ على ما ساءني وسرّكم ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

قال أبو عبيدة: فَعُدْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ عَلَى غَرَّةٍ (٢) ، وَلَمْ أَخْتَزِلْ شَيْئاً مِنْ حُلُومِهِ وَمُرَّةِهُ ، وَبَكَرَتْ غَدُوءَةً إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا كَانَ كَانَ صَبَاحَ يَوْمِئِذٍ إِذَا عَلِيٌّ يَخْتَرِقُ الْجَمَاعَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَبَايَعَهُ ، وَقَالَ خَيْرًا ، وَوَصَفَ جَمِيلًا ، وَجَلَسَ زَمِيمًا ، وَاسْتَأْذَنَ لِلْقِيَامِ ، فَضَى وَتَبِعَهُ عَمْرٌ مُسْكِرٌ مَالَهُ ، مُسْتَثِيرًا لِمَا عِنْدَهُ .

وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده وقال : إن عصابةً أنتَ منها يا أبا الحسن

(١) وقده : تركه عليلاً ، وصرعه . (٢) على غرة : أي كما هو ، وكما قص على .

لمصومة<sup>(١)</sup> ، وإن أمة أنت فيها لمرحومة ، ولقد أصبحت عزيزاً علينا ، كريماً لدينا ،  
نخافُ الله إذا سَخِطَ ، ورجوه إذا رضيت ، ولولا أنى شدَّهت<sup>(٢)</sup> لما أُجبتُ إلى  
ما دُعيتُ إليه ، ولكني خِفتُ الفرقة ، واستثنار الأنصار بالأمر على قريش ،  
وأعجبتُ عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنتَ حاضراً لبايعتُك ولم أعدلُ بك ،  
ولقد حطَّ الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به ، وما أسدَّ من ينظر الله إليه بالكفاية ؛  
وإنا إليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، وإلى رأيك وهدْيِك في جميع الأحوال  
راغبون ، وعلى حمايتك وحَفِظتِك<sup>(٣)</sup> معوِّلون . ثم انصرف وتركه مع عمر ؛  
فالتفت على إلى عمر فقال :

والله ما قعدتُ عن صاحبكم كارهاً ، ولا أتيتُهُ فرَقاً ، ولا أقولُ ما أقول  
تَعْلَةً<sup>(٤)</sup> .

وإني لأعرف منتهى طَرْفي ، ومَحَطَّ قَدَمي ، ومَنْزِعَ قَوْسي ، ومَوْقِعَ سَهْمِي ؛  
ولكن قد أزمْتُ<sup>(٥)</sup> على قَأْسي ؛ ثِقَّةً بَرِّئِي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضی الله عنه : كَفَّفِكُ غَرَبَك ، واستوقفَ سِرَّك ، ودع  
العِصَى بلحائها ، والدلاء على رشائها<sup>(٦)</sup> ، فإننا من خلفها وورائها ، إن قدَحنا  
أوزينا ، وإن متَحَنَّا أروينا ، وإن قَرَحْنَا<sup>(٧)</sup> أدمينا ، ولقد سمعتُ أمائيلك<sup>(٨)</sup>  
التي لَفَزَتْ بها صادرة عن صدرِ أكيَلِ الجَوَى ، ولو شئتُ لَقُلْتُ على مَقالتك  
ما إن سمعته نَدِمْتُ على ما قلت ، وزعمتُ أنك قعدت في كَنِّ بيتك لما وقدك  
به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من فَقْدِهِ ، فهو وقدك ولم يَقْدُ غيرك ! بل مصابُه

(١) شدت : دهشت . (٢) الحفيظة : اسم بمعنى المحافظة . (٣) التعللة : ما يتعلل به .  
(٤) أزم الفرس على فأس اللجام : إذا عضها وقبض عليها ، وفأس اللجام : الحديد المعلقة منه  
في الحنك ، يريد أنه كتم ما في نفسه . (٥) الرشاء : حبل الدلو . (٦) قرح : جرح .  
(٧) أمائيل : جمع أمثلة ، تمثل : إذا أنشد بيتاً ثم آخر ثم آخر وهي الأمثلة .



أعظمُ وأعمُّ من ذلك ، وإنَّ من حقِّ مُصابه ألا تصدعَ شملَ الجماعةِ بِفُرْقَةٍ لا عصامَ لها ، ولا يُؤمِّنُ كيدُ الشيطانِ في بقائها ، هذه العربُ حولنا ، والله لو تداعت علينا في صُبحِ نهارٍ لم نلتقَ في مسائه .

وزعمتَ أن الشوقَ إلى اللحاقِ به كافٍ عن الطمعِ في غيره ! فمِنَ علامَةِ الشوقِ إليه نُصرةُ دينه ، ومؤازرةُ أوليائه ، ومعاونةُهم .

وزعمتَ أنك عكفتَ على عهدِ الله تجمَعُ ما تفرَّقَ منه ؛ فمن المُكوفِ على عهدِ الله النصيحةُ لعبادِ الله ، والرأفةُ على خَلقِ الله ، وبذلُ ما يصلحون به ويرشدون عليه .

وزعمتَ أنك لم تعلمَ أن التظاهرَ واقعٌ عليك ، أيُّ حقٍّ لَطَّ<sup>(١)</sup> دونك ! قد سمعتَ وعلمتَ ما قال الأنصارُ بالأمس سرًّا وجهراً ، وتقلبتَ عليه بطنًا وظهراً ، فهل ذكرتكَ أو أشادتْ بك ، أو وجدتْ رِضامَ عنك ؟ هل قال أحدٌ منهم بلسانه : إنك تصلحُ لهذا الأمر ، أو أواماً بعينه ، أو هم في نفسه ؟ أنظنُّ أن الناسَ ضلُّوا من أجلك ، وعادوا كُفَّاراً زُهْداً فيك ، وباعوا اللهَ تحاملاً عليك ؟ لا والله ! لقد جاءني عَقِيلُ بنُ زيادِ الخَزرجي في نفرٍ من أصحابه ، ومعهم شُرْحَبِيلُ بنُ يعقوبِ الخَزرجي وقالوا : إن علينا ينتظرُ الإمامةَ ويزعمُ أنه أولى بها من غيره ، وينسكلُ على من يعقِدُ الخِلافةَ ؛ فأنكرتُ عليهم ، ورددتُ القولَ في نحرِهِم حيثُ قالوا : إنه ينتظرُ الوحي ، ويتوكَّفُ<sup>(٢)</sup> مُناجاةَ الملكِ .

فقلت : ذاك أمرٌ طواه اللهُ بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمرُ

(١) لَطَّ : جعد . (٢) يتوكَّفُ : ينتظر .



مفقوداً بأنشوطة<sup>(١)</sup> ، أو مشدوداً بأطراف لِيْطَةِ<sup>(٢)</sup> ؟ كلا ! والله لا عجباً بحمد الله  
إلا أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت .

ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالفُ عهدٍ وسابقُ عقدٍ ، لشفيتُ غيظي » !  
وهل تركَ الدينُ لأهله أن يشفوا غيظهم بيدٍ أو بلسانٍ ؟ تلك جاهليةٌ ، وقد استأصل  
الله شأقتها ، واقتلع جُرمومها ، وهور<sup>(٣)</sup> ليلها ، وغور سَيْلها ، وأبدل منها  
الروحَ والرَّيحانَ ، والهدى والبرهان . وزعمت أنك مُلجَمٌ ؛ ولعمري إنَّ مَنْ اتقى  
الله ، وآثر رضاه ، وطلبَ ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبَقَ فاه ، وجعل سعيه لما  
وراه .

وأما قولك : إني لأعرفُ مَنْزِعَ قوسى ، فإذا عرفت مَنْزِعَ قوسك عرف  
غيرك مضرِبَ سيفه ومطعن رحمة ؛ وأما ما تزعمه من الأمر الذى جعله رسول الله  
لك فتخلقت إعداراً إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين ، فلو عرفه السامعون لجنحوا إليه  
وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على العمى ، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى ،  
ولو كان لرسول الله فيك رأىٌ ، وعليك عَزْمٌ ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماع أمته على  
أبي بكر لما سفته آراءهم ، ولا ضلل أحلامهم ، ولا آثرك عليهم ، ولا أَرْضاك بسخطهم ،  
ولأمرِكَ باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم .

فقال على رضى الله عنه : مهلاً يا أبا حفص ، والله ما بذلتُ ما بذلتُ وأنا أريدُ  
نكثته ، ولا أقررتُ ما أقررتُ وأنا أبتغى حِوْلاً عنه ؛ وإنَّ أخسرَ الناسَ صَفْقَةً

---

(١) الأنشوطة : عقدة يسهل انحلالها إذا أخذ بأحد طرفيها انفتحت . (٢) الليطة : قشرة  
القصبه التي تليط بها أى تلتزق . (٣) هور : أذهب .

عند الله مَنْ آثَرَ النِّفَاقَ ، واحتَصَنَ الشُّقَاقَ ، وفي الله خَلْفَ من كل فائت ،  
وعِوَضَ من كل ذاهب ، وسَلَوَةٌ عن كل حادث ، وعليه التوكل في جميع الحوادث .  
ارجع يا أبا حفص إلى مجلسك ناقِعَ القَلْبِ ، مَبْرُودَ الغَلِيلِ ، فسيح اللِّبَانِ<sup>(١)</sup> ،  
فصيح اللسان ؛ فليس وراء ما سمعتَ وقلتُ إلا ما يشدُّ الأزرَ ، ويحطُّ الوزرَ ،  
ويضع الإصرَ<sup>(٢)</sup> ، ويجمع الألفَةَ بِمَشِيئَةِ اللهِ وحسن توفيقه .

قال أبو عبيدة : فانصرف عليّ وعمر رضى الله عنهما ، وهذا أصعب ما مر عليّ  
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> .

---

(١) اللبان : الصدر . (٢) الإصر : الذنب والثقل . (٣) قال ابن أبي الحديد في نهاية هذه  
القصة : الذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله موضوع مصنوع ،  
وأنه من كلام أبي حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه ( انظر صفحة  
٥٩٧ من ج ٢ ) .

٩٣ — بِمَنْ أَسْتَجِيرُ مِنْ جَوْرِكَ؟\*

جلس معاويةُ بنُ أبي سفيان في مجلس كان له بدمشق ، وكان ذلك الموضع مفتوح الجوانب يدخلُ منه النسيم ، فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات في يومٍ شديد الحرِّ ، وقد اشتدَّ نَفْحُ الهجير<sup>(١)</sup> ، إذ نظر إلى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى بالنار من حرِّ التراب ، ويحجِل في مَشِيهِ حافياً ، فتأملهُ معاوية وقال جلسائه : هل خَلَقَ اللهُ أشقىَ ممن يحتاج إلى الحركة في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : لعله يقصدُ أمير المؤمنين ، فقال : والله لئن كان قاصدي سائلاً لأعطيته ، أو مستجيراً لأجيرته ، أو مظلوماً لأنصرته . . . يا غلام ؛ قف بالباب ؛ فإن طلبني هذا الأعرابي فلا تمنعه الدخول على .

فخرج الغلامُ فَوَافَى الأعرابيُّ ، وقال : ما تريد ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ادخل ، فدخلَ وسَلَّمَ على معاوية ، فقال له : بمن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : مالذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟ قال : جئتُك مشتكياً وبك مستجيراً . قال : بمن ؟ قال : من مروان بن الحَكَم ، ثم أنشد هذه الأبيات :

معاوي ، ياذا الفضلِ والحلمِ والعقلِ      وذا البرِّ والإحسانِ والجودِ والبذلِ  
أيتُّك لما ضاقَ في الأرضِ مذهبِي      وأنكرتِ مما قد أصبتُ به عقلي  
فقرِّج - كلاكَ اللهُ - عني فإني      لقيتُ الذي لم يلقه أحدٌ قبلي

\* المختار من نوادر الأخبار « مخطوط » ، نهاية الأرب : ٢ - ١٥٦

(١) الهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .



وخذلى - هداك الله - حتى من الذى رمانى بسهمٍ كان أيسره قتلى 1  
وكنت أرجى عدله إن أتيتهُ فأكثر تردادى مع الحبس والسكبل  
سباني سعدى وانبرى ليخصومتى وجار ولم يعدل وغاصبني أهلى  
فطلقتها من جهدٍ ما قد أصابني فهذا ، أمير المؤمنين ، من العدل ؟

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه قال : مهلاً يا أخا العرب ، اذكر  
قصتك وأفصح عن أمرك .

قال : يا أمير المؤمنين ، كانت لى زوجة وهى ابنة عمى وكنت لها محباً وبها  
كلفاً ؛ وكنتُ بها قير العين ، طيب العيش ، وكانت لى صرمة<sup>(١)</sup> من الإبل  
أستعينُ بها على قيام حالى وإصلاح أودى<sup>(٢)</sup> ؛ فأصابتنا سنة ذات قحطٍ شديد ،  
أذهبت الخف والظلف ، وبقيت لا أملك شيئاً ؛ فلما قل ما بيدي ؛ وذهب حالى  
ومالى ، بقيت مهاناً ثقيلاً على وجه الأرض ؛ قد أبعدي من كان يشتهى القرب  
منى ، وازور عنى من كان يرغب فى زيارتى !

فلما علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى ، وسألنى الفراق  
وجعدنى وطردي ، وأغلظ على ؛ فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مستصراً ،  
وبه راجياً لينصرنى ، فأحضر أباهاً وسأله عن حالى ، فقال : ما أعرفه قبل اليوم ،  
فقلت : أصلح الله الأمير ! إن رأى أن يحضرها ويسألها عن قول أبيها فليفعل .

(١) الصرمة : القطعة من الإبل ، وهى ما بين العشرين إلى الثلاثين . (٢) الأود : الموج .

فبعث إليها مروان وأحضرها مجلسه ، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب ؛ فصارت لي خصماً وعلى منكرراً ! واتهرني وأظهر لي الغضب وبعث بي إلى السجن ، فبقيت كأنما خررت من السماء في مكان سحيق !

ثم قال لأبيها : هل لك أن تزوجها مني على ألف دينار وعشرة آلاف درهم لك ؟ وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الأعرابي . فرغب أبوها في البذل وأجابته لذلك !

فلما كان من الند بعث إلي وأخرجني من السجن ؛ وأوقفني بين يديه ، ونظر إلي كالأسد الغضبان ؛ وقال : يا أعرابي ، طلق سعدى ؛ فقلت : لا أقدر على هذا ، فسأط على جماعة من غلمانها ، فأخذوا يمدونني بأنواع العذاب ، فلم أجد بداً من ذلك ففعلت ؛ ثم عادوا بي إلى السجن ؛ فكثت فيه إلى أن انقضت عديتها ، فزوجها ودخل بها . وقد أتيتك مستجيراً وإليك ملتجئاً ، ثم أنشد :

في القلب منى نار      والنار فيها استعمار !  
والجسم منى سقيم      واللون فيه اصفرار  
وفي فؤادي بحر      والجر فيه شرار  
والعين تبكي بشجوى      فدمعها مدرار  
والحب داء عسير      فيه الطيب يحار  
حملت منه عظيماً      فما عليه اضطبار  
فليس ليلى ليل      ولا نهاري نهار !

ثم اضطرب وخر مغشياً عليه ، وأخذ يتلو كالحيّة المقتولة ؛ فلما سمع كلامه وإنشاده قال : تعدى فظلم مروان بن الحكم في حدود الدين ، واجترأ على حرم



المسلمين ، ثم قال : والله يا أعرابي ، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط ؛ ثم دعا بدواة وقرطاس ، وكتب إلى مروان بن الحكم : قد بلغني أنك اعتديت على رعيتك ، وانتهكت حرمة من حرم المسلمين ؛ وتعديت حدود الدين ، وينبغي لمن كان والياً أن يفض بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته ، وكتب في آخره :

ركبتَ أمراً عظيماً لستُ أعرفُهُ      أستغفر الله من جورِ امرئِ زاني  
 قد كنتَ تشبه صوفياً له كُتِبَ      من الفرائض أو آياتِ قرآنِ  
 حتى أتاني الفتى العذرى مُنتحِباً      يشكو إلى بحقِّ غيرِ بهتانِ  
 أعطى الإله عهداً لا أخيسُ بها      أو لا فبرئتُ من دينِ وإيمانِ  
 إن أنتَ راجعتني فيما كتبتُ به      لأجعلنك لهما بين عقبانِ  
 طلق سعاداً ، ومجلها مجهزة      مع الكميت ومع نصر بن ذبيان !  
 فما سمعتُ كما بُلِّغْتُ من عجبٍ      ولا فمالك حقاً فعل إنسانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه ، واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان - وكان يستنهضهما في قضاء الحوائج لأمانتهما - فأخذهما وسارا حتى قدما المدينة ؛ ودخلا على مروان وسلما إليه الكتاب ، ففضّه وقرأه ، ثم ارتعدت فرائضه ، وطلّقتها في الحال وبعث بها إلى أمير المؤمنين ، وكتب إلى معاوية كتاباً فيه :

حوراء يقصر عنها الوصف إن وُصِفَتْ      أقولُ ذلك في سرِّ وإعلانِ  
 فلما قرأه قال : لقد أحسن في الطاعة ؛ وأطنب في حسن الجارية .

ولما رأى معاوية الجارية رأى صورة لم ير مثلها في الحسن والقدر والجمال ؟  
 وخطبها فوجدتها أفصح النساءِ بُعدوبة منطلق ، ثم قال : على بالأعرابي ؛ فأتى إليه



وهو على غاية من سوء الحال ، فقال : يا أعرابي ؛ هل لك عنها من سؤلة ، وأعوذك  
ثلاث جوارٍ مع كل جارية ألف دينار ، وأقسم لك من بيت المال في كل سنة  
ما يكفيك ويؤمنك على صحبتهم ؟

فلما سمع الأعرابي كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات ، ولما أفاق  
قال له : ما بالك ؟ فقال : شرّ بال ، وأسوأ حال ؛ استجرتُ بعدلك من جور  
ابن الحكم ، فبمن أستجيرُ من جورك ! ثم أنشد :

لا تجملني والأمثال تُضربُ بي      كالستجير من الرمضاء بالنار  
ازددُ سعاداً على حيران مكتئبٍ      يُمسى ويصبح في همٍّ وتذكارٍ  
قد شفه قلُقٌ ما مثله قلُقٌ      وأسعر القلبُ مني أي إسمارٍ  
كيف السلوٌ وقد هام الفؤادُ بها      وأصبح القلبُ عنها غيرَ صبارٍ !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما اعتضتُه دون  
سعدى .

فقال معاوية : يا أعرابي ؛ إنك مُقرئُ أنك طلقها ، ومروان مقرئُ أنه طلقها ،  
ومن نخبها ، فإن اختارت سواك زوجناه بها ، وإن اختارتك رجعنا بها إليك .  
قال : افعل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ودعاها معاوية وقال لها : ما تقولين ياسعدى ؟ أى أحب إليك ؟ أمير المؤمنين  
في عزه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده ، أو مروان بن الحكم في  
عسفه وجوره ، أو هذا الأعرابي مع جوعه وفقره وسوء حاله ؟ فأنشدت هذين  
البيتين :

هذا وإن كان في فقرٍ وإضرارٍ      أعزُّ عندي من قومي ومن جاري!  
وصاحبِ التاجِ أو مرَّوانَ عامِلِهِ      وكلُّ ذِي درهمٍ عندي ودينارٍ  
ثم قالت : والله يا أميرَ المؤمنين ؛ ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ، ولا لفدَّراتِ  
الأيام ؛ وإن لي معه صحبةً قديمةً لا تنسى ، ومحبةً لا تبلى ، وأنا أحقُّ من صبر  
معه على الضَّراءِ ، كما تنعمتُ معه في السَّراءِ .  
فتعجَّب معاويةُ من عقلها ومروءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وردَّها  
بعقد جديد ، فأخذها الأعرابي وانصرفَ يقول :  
خلِّوا عن الطريقِ للأعرابي      ألم ترِّقُوا ويحكم ، بما بي !

٩٤ - خدعة لمعاوية\*

سمع يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بجمال زينب بنت إسحاق زوج عبد الله ابن سلام القرشي؛ وكانت من أجمل النساء في وقتها، وأحسنهن أدباً، وأكثرهن مالاً؛ ففتن بها؛ فلما عيل صبره ذكر ذلك لبعض خاصة أبيه، واسمه رفيق، فذكر ذلك لمعاوية، وقال له: إن يزيد قد ضاق ذرعه بها.

فبعث معاوية إلى يزيد، فاستفسره عن أمره؛ فبث له شأنه؛ فقال: مهلاً يا يزيد؛ فقال له: علام تأمرني بالمهل وقد اقطع منها الأمل؟ فقال له معاوية: فأين مروءتك وحجالك وتقاك؟ فقال: قد عيل الصبر، ولو كان أحد ينتفع فيما يُبتلى به من الهوى ببقائه، أو يدفع ما أقصده<sup>(١)</sup> بحجاءه، لكان أولى الناس به داود<sup>(٢)</sup> حين ابتلى به.

قال: اكنتم يا بني أمرك؛ فإن البوح به غير نافعك، والله بالغ أمره فيك، ولا بد مما هو كائن.

وأخذ معاوية في الاحتيال في تبليغ يزيد مناه، فكتب إلى زوجها عبد الله ابن سلام - وكان قد استعمله على العراق: أن أقبل حين تنظر كتابي لأمر فيه حظك إن شاء الله تعالى، فلا تتأخر عنه.

\* نهاية الأرب: ٦ - ١٨٠

(١) أقصده: أقصدت الرجل إذا طعنته أو رميته بسهم فلم تخطى مقاتله. (٢) يشير إلى داود عليه السلام، حينما تروج من خطيبة أحد جنوده، ولقد طاب الله في ذلك، فاستغفره، فغفر له.



فَأَغَذَ<sup>(١)</sup> السَّيْرَ وَقَدِمَ ، فَأَنْزَلَهُ مَعَاوِيَةَ مَنْزِلًا كَانَ قَدْ هَيَّأَ لَهُ ، وَكَانَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ يَوْمَئِذٍ بِالشَّامِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ قَدَّمَ بَيْنَ عِبَادِهِ قَسَمًا ، وَوَهَبَهُمْ نِعْمًا أَوْجِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا شُكْرَهُ ، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ حِفْظَهَا ، فَجَبَانِي مِنْهَا عَزَّ وَجَلَّ بِأَتَمِّ الشَّرَفِ وَأَفْضَلِ الذِّكْرِ ، وَأَوْسَعَ عَلَى الرِّزْقِ ، وَجَعَلَنِي رَاعِي خَلْقِهِ ، وَأَمِينَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَالْحَاكِمَ فِي أَمْرِ عِبَادِهِ ، لِيَبْلُغُنِي أَشْكَرُ أَمْ أَكْفُرُ ! وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَفَقَّدَ وَيَنْظُرَ مِنْ اسْتِرْعَاءِ اللَّهِ أَمْرَهُ ، وَمَنْ لَأَغْنَى بِهِ عَنْهُ .

وقد بلغت لي ابنة أريد زواجها والنظر في اختيار من يبأ عليها<sup>(٢)</sup> ، لعل من يكون بعدى يقتدى فيه بهديي ، ويتبع فيه أثرى ؛ فإنه قد بلى هذا الملك بعدى من يلب عليه الشيطان ، ويحمله على تعضيل البنات<sup>(٣)</sup> ؛ فلا يرون لها كفتًا ولا نظيرًا . وقد رضيتُ لها ابن سلام القرشي ؛ لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه ؛ فقالا له : إن أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها ، وطلب مرضاته فيما اختصه لأنت .

فقال لهما معاوية : فاذكرا له ذلك عنى ! وقد كنتُ جعلتُ لها في نفسى سُورَى ، غير أنى أرجو ألا تخرج من رأيتُ إن شاء الله .  
فخرجنا من عنده ، وأتينا عبد الله بن سلام ، وذكرنا له القصة .

ثم دخل معاوية على ابنته ، وقال لها : إذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة ، فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام ، وحضاك على المسارعة إلى اتباع رأيتُ فيه ؛

---

(١) أغذ السير وفيه : أسرع . (٢) يبأ عليها : يتخذها زوجا وبعلا . (٢) تعضيل البنات : حبسهن عن الزواج ظلما .

قولى لها : إنه كفاء كريم ، وقريب حميم ، غير أن تحتة زينب بنت إسحاق ، وأخاف أن يمرض لى من العيرة ما يعرض للنساء ؛ فأتناول منه ما يسخط الله تعالى فيه ، فيعذبني عليه ، ولستُ بقاعلة حتى يفارقها .

فلما اجتمع أبو هريرة وأبو الدرداء بعبد الله ، وأعلماه بقول معاوية ، ردحا إليه يخطبأن له منه ، فأتياه ، فقال : قد علمتا رضائى به ، وحرصى عليه ، وكنت قد أعلمتكما الذى جعلتُ لها فى نفسها من الشورى ؛ فاذخلاً عليها ، واعرضا عليها الذى رأيتُ لها .

فدخلها عليها وأعلمها ، فقالت لها ما قاله معاوية لها ؛ فرجعا إلى ابن سلام ، وأعلماه بما قالته .

فلما ظن أنه لا ينعما منه إلا فراق زينب أشهدما بطلاقها ، وأعادها إلى ابنة معاوية .

فأتيا معاوية ، وأعلماه بما كان من فراق عبد الله زوجته ؛ رغبة فى الاتصال بابنته ؛ فأظهر معاوية كراهة فعله ، وفراقه لزينب ، وقال : ما استحسننتُ له طلاق امرأته ، ولا أحببته ؛ فانصرفتُ فى عافية ، ثم عودا إليها ، وخذنا رضاها .

فقاما ثم عادا إليه ؛ فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ؛ وقال : لم يكن لى أن أكرهها ، وقد جعلتُ لها الشورى فى نفسها .

فدخلها عليها فأعلمها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسرّها ؛ وذكرها من فضله وكمال مروءته وكرم تحته ؛ فقالت لها : إنه فى قریش لرفيع القدر ، وقد تعرفان أن الأناة فى الأمور أرفق لما يخاف من المحذور ؛ وإنى سأثله عنه حتى



أعرف دِخْلَةَ أمره ، وأعلمكما بالذي بُزِيَنَّهُ اللهُ لى ، ولا قوة إلا بالله ، فقالا :  
وقتك الله ، وخار لك . وانصرفا عنها ، وأعلما عبد الله بقولها ، فأنشد :

فإن بك صدرُ هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريبُ

وتحدث الناس بما كان من طلاق عبد الله زينب ، وخطبته ابنة معاوية ،  
ولأموه على مبادرته بالطلاق قبل إحكام أمره وإبرامه .

ثم استحثّ عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء ؛ فأتياها وقالا لها : اصنعى ما أنتِ  
صانعه واستخيري الله ، فإنه يُهدى من استهداه ؛ فقالت : أرجو أن يكون الله  
قد خار لى ، وقد استبرأت<sup>(١)</sup> أمره، وسألت عنه، فوجدته غير ملائم ولا موافق  
لما أريد لنفسى.

ولقد اختلف من استشرته فيه ، فمنهم الناهى عنه ، ومنهم الأمر به ، واختلفهم  
أول ما كرهت .

فلما بلغناه كلامها علم أنه مخدوع ، وقال : ليس لأمر الله رادُّ ، ولا لما لا بدَّ  
منه صادُّ ؛ فإن الرء وإن كُملَ حِلْمُهُ ، واجتمع له عقله واستد رأيه ، ليس بدافع  
عن نفسه قدراً برأى ولا كيد ، ولعل ما سرّوا به واستجذلوا له لا يدوم لهم  
سرورهم ، ولا يصرف عنهم محذورهم .

وذاع أمره ، وفشا في الناس ، وقالوا : خدّعه معاوية حتى طلق امرأته !  
وإنما أرادها لابنه ، وقبحوا فعله .

---

(١) المعنى أنها استقصت جميع أموره حتى عرفته كل المعرفة .



فتمت مكيدته تلك ، ولكن المقادير أتت بخلافٍ تديره ؛ وذلك أنه لما انقضت أقرأء<sup>(١)</sup> زينب ، وجه معاويةُ أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد ؛ فخرج حتى قدم الكوفة ، وبها يومئذ الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فبدأ أبو الدرداء بزيارته ، فسلم عليه الحسين ، وسأله عن سبب مقدمه ؛ فقال :

وجئني معاويةُ خاطباً على ابنه يزيد زينب بنت إسحاق ؛ فقال له الحسين : لقد كنت أردتُ نكاحها ، وقصدت الإرسال إليها إذا انقضت أقرأؤها ، فلم يمنعني من ذلك إلا تخيّر<sup>(٢)</sup> مثلك ؛ فقد أتى الله بك ؛ فاخطب - رحمك الله - على وعلية ، لتتخير من اختاره الله لها ، وهي أمانةٌ في عنقك حتى تؤديها إليها وأعطيهما من المهر مثل ما بذل معاوية عن ابنه ؛ فقال : أفعُلُ إن شاء الله .

فلما دخل عليها أبو الدراء ، قال : أيتها المرأة ؛ إن الله خلق الأمور بقدرته ، وكونها بغزته ، فجعل لكل قدرًا ، ولكل قدرٍ سببًا ؛ فليس لأحدٍ عن قدرِ الله مَحِيص ، ولا للخروج عن أمره مَهْرَب ؛ فكان مما سبق لك ، وقدر عليك ، الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إياك ، ولعل ذلك لا يضرك ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ؛ وقد خطبك أميرُ هذه الأمة وابنُ ملكها ، وولى عهده والخليفةُ من بعده : يزيد بن معاوية ، والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيدُّ شباب أهل الجنة ، وقد بلغك شأنهما وسناوؤهما وفضلهما ، وقد جئتك خاطباً عليهما فاختاري أيهما شئت .

فسكتت طويلاً ، ثم قالت : يا أبا الدرداء ؛ لو أن هذا الأمر جاءني وأنت

(١) المراد عدتها . (٢) التخير : الانتقاء .

غائب لأشخصتُ فيه الرسل إليك ، واتبعتُ فيه رأيك ، ولم أقتطعه دونك ،  
فأما إذ كنتَ أنتَ المرسل ؛ فقد فوّضتُ أمرى بعد الله إليك وجعلتهُ في يديك ؛  
فاخترتُ لى أرضها لديك ، والله شاهد عليك ، فاقضِ فى أمرى بالتحرى ،  
ولا يصدّنك عن ذلك اتباعُ هوى ، فليس أمرها عليك خفياً ، ولا أنتَ عما  
طوّقتك غيباً .

قال : أيتها المرأة ؛ إنما علىّ إعلامك ، وعليك الاختيار لنفسك . قالت :  
عفا الله عنك ! إنما أنا ابنةُ أخيك ، ولا غنى لى عنك ، فلا تمنعك رهبةُ أحدٍ عن  
قول الحق فيما طوّقتك ، فقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك ؛ والله خير من  
رُوعى وخيفه ، إنه بنا خير لطيف .

فلما لم يجد بُدّاً من القول والإشارة قال : أى بنية ؛ إن ابنَ بنت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أحبُّ لى وأرضى عندى والله أعلم بخيرها لك .

قالت : قد اخترته وأردته ورضيته .

فتزوَّجها الحسين ، وساق لها مهرأ عظيماً . فبلغ ذلك معاوية ، فتعاطمه ولام  
أبا الدرداء لوماً شديداً ، وقال : من يرسل ذابلاً وعمى يركب خلاف ما يهوى .  
ثم اطرح معاوية عبد الله بن سلام ، وقطع عنه جميع روافده ، لسوء قوله فيه ،  
وتهمته أنه خدعه ، ولم يزل يَجْفُوهُ حتى عِيلَ صبره ، وقلّ ما فى يده .

فرجع إلى العراق ، وكان قد استودع زينب قبل طلاقه مالا عظيماً ، ودراً  
كثيراً ؛ فظن أنها تجحدّه ؛ لسوء فعله بها ، وطلاقها من غير شئ كان منها .



فلقي حسيناً فسلم عليه ، ثم قال : قد علمت ما كان من خبري وخبر زينب ،  
وإني كنت قد استودعتها مالا ، ولم أقبضه - وأنتى عليها - وقال له : ذاكِرها  
أمرى ، واحضضها على ردِّ مالي .

فلما انصرف الحسين إليها ، قال لها : قد قدِمَ عبد الله بنُ سلام ، وهو مُحْسِنُ  
الثناء عليك ، ويحمل النَّشْرَ عنك في حسن صحبتك ، وما آنسَه قديماً من أمانتك ؛  
فسرّني ذلك وأعجبني ، وذكّر أنه كان قد استودعك مالا ، فأدّى إليه أمانته ،  
ورُدِّي عليه ماله ، فإنه لم يقل إلا صدقاً ، ولم يطلب إلا حقاً .

فقال : صدق ، استودعني مالا لا أدرى ما هو ، فادفعه إليه بطابعه ،  
فأنتى عليها حسين خيراً . وقال : ألا أدخله إليك حتى تتبرّئي إليه منه  
كما دفعه إليك ؟

ثم لقي عبد الله وقال : ما أنكرت مالك ، وإنما زعمت أنه بطابعك فأدخل  
إليها ، وتسلم مالك منها .

فقال : أو ما تأمر من يدفعه إليّ؟ قال : لا ؛ بل تقبضه منها كما دفعته إليها .  
ودخل عليها حسين ، وقال : هذا عبد الله قد جاء يطلبُ وديعته ؛ فأخرجت  
إليه البدر ، فوضعتها بين يديه ، وقالت : هذا مالك ، فشكر وأنتى .

وخرج حسين عنهما ، وفضَّ عبد الله بن سلام خواتم بدرّة<sup>(١)</sup> ، وحنى لها  
من ذلك ، وقال : خُدِّي فهو قليل مني ؛ فاستعبرا جميعاً ، حتى علّت أصواتهما  
أسفاً على ما ابتلياً به ، فدخل الحسين عليهما ، وقد رقا لهما ، فقال :

(١) البدرّة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف .



أشهد الله أنى طلقتمها ؛ اللهم إنك تعلم أنى لم أتزوجها رغبة فى مالها ولا جمالها ،  
ولكنى أردت إحلالها لبعليها .

فسألها عبد الله أن تصرف إلى حسين ما كان قد ساقه إليها من مهر ؛ فأجابته  
إلى ذلك ؛ فلم يقبله الحسين ، وقال : الذى أرجوه من الثواب خير لى .  
فلما انقضت أقرأوها تزوجها عبد الله ، وحرّمها الله يزيد بن معاوية .

٩٥ - مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ (١) نَجَا\*

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : إن ثلاثة نفرٍ انطلقوا إلى الصحراء فمطّرتهم السماء ؛ فلبثوا إلى كهفٍ في جبل ينتظرون إقلاعَ المطر ؛ فبينما هم كذلك إذ هبطت صخرةٌ من الجبل ، وجثمت على باب الغار فينسوا من الحياة والنجاة ، قال أحدهم : لينظر كل واحد منكم إلى أفضلِ عملٍ عملِه فليذكره ، ثم ليذعُ اللهُ تعالى عسى أن يرَحْمَنَا وينجينَا .

قال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنى كنت باراً بوالدي ، وكنت آتيهما بقبوقهما (٢) فيفتيقانه ، فأتيت ليلةً بقبوقهما ، فوجدتهما قد ناما ، وكرهتُ أن أوقظهما ، وكرهتُ الرجوع ؛ فلم يزل ذلك دأبى حتى طلع الفجر ؛ فإن كنتُ عملتُ ذلك لوجهك ، فأفرج عنا ؛ قالت الصخرةُ عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء .

وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنى هويت امرأة ، ولقيت في شأنها أهوالاً حتى ظفرتُ بها ، ولكنى تركتها خوفاً منك ؛ فإن كنتَ تعلم أنه ما حملنى على ذلك إلا مخافتك فأفرج عنا فانفرت الصخرة حتى لو شاء القوم أن يخرجوا لقدروا .

\* بحم الأمثال : ٢ - ١٦٧

(١) صدق الله : لى الله بالصدق ، وهو أن يحقق قوله عمله . (٢) القبوق : شراب العشى .

وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أنى استأجرتُ أُجْرَاءَ ، فعملوا لى فوقيتهم  
أجورهم إلا رجلاً واحداً ترك أُجْرَه عندى ، وخرج مُغَاضِباً ، فربيت أجره حتى  
نما وبلغ مبلغاً ، ثم جاء الأجيرُ ، فطلب أجرته ؛ فقلت : هاك ما ترى من المال ؛  
فإن كنتُ عملتُ ذلك لك فأفرج عنا ؛ فالت الصخرة وانطلقوا سالمين ! فقال  
صلى الله عليه وسلم : « من صدق الله نجاً » .



٩٦ — عمر بن أبي ربيعة في مضرب فاطمة بنت عبد الملك\*

كان عمر<sup>(١)</sup> بن أبي ربيعة جالساً بمنى في فناء<sup>(٢)</sup> مضرب به ، وغلمانُه حوله إذ أقبلت امرأة بَرْزَة<sup>(٣)</sup> عليها أثر النعمة ؛ فسلمت فردّ عليها عمرُ السلام ، فقالت له : أنت عمرُ بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ؛ فما حاجتُك ؛ قالت له : حيّاك الله وقرّبك ؛ هل لك في محادثة أحسن الناس وجهاً ، وأتمهم خلقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حسباً ؛ قال : ما أحبّ إليّ ذلك ؛ قالت : على شرط ؛ قال : قولي ، قالت : تُمكنني من عينيك فأشدّها وأقودك ، حتى إذا توسّطت الموضع الذي أريدُ حلّتُ الشدّة ، ثم أفلُ ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مضربك ، قال : شأنك . ففعلت ذلك به .

قال عمر : فلما انتهت بي إلى المضرب الذي أردتُ كَشَفَت عن وجهي فإذا أنا بامرأة على كرسي لم أر مثلها قطّ جمالاً وكالاً ، فسلمتُ وجلستُ ، فقالت : أنتَ عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر ، قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاك - جعلني الله فداءك ؛ قالت : ألسن القائل :

\* الأغاني : ١ - ١٩٠

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، اختلف شعره بوصف النساء وعد أنسب الشعراء ، وكان يقيم بمكة ويتعرض للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة . توفي سنة ٩٣ هـ . (٢) الفناء : الساحة على باب الدار . (٣) برزة : بارزة الجمال .

قالت: وَعَيْشٍ أَخِي وَنِعْمَةِ وَالِدِي لَا نَبِيَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ  
فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ (١)  
فَتَنَوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجٍ (٢)  
فَلِئِمْتُ فَاها آخِذَا بِقَرُونِهَا شُرْبَ الزَّرِيفِ (٣) بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرَجِ (٤)

ثم قالت : قم فاخرج عني ، ثم قامت من مجلسها وجاءت المرأة فشددت عيني ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضر بي وانصرفت وتركتني ، فخلت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم ؛ وبث ليلى ؛ فلما أصبحت إذا أنا بها ، قالت : هل لك في العود ؛ قلت : شأنك ، فعملت بي مثل فعلها بالأمس حتى انتهت بي إلى الموضع ، فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي ، قالت : إليه يا فضأح الحرائر اقلت : بماذا - جعلني الله فداك ؟ قالت : بقولك .  
« وناهدة التديين » .

ثم قالت : قم فاخرج عني .

فقلت فخرجت ثم رددت ، قالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوف القوت ، ومحبتتي لئناجاتك ، والاستكثار من محادثتك لأقصيتك ، هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني ، فكلمت أدب الناس وأعلمهم بكل شيء ، ثم نهضت

(١) لم تخرج : لم تضق ولم تكن جادة في حلفها . (٢) مشنج : متقبض . (٣) الزريف : المزوف ، وهو من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه . (٤) الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء فيصفر .



وأبطأت العجوز وخَلَّ لي البيت ، فأخذت أنظر ، فإذا أنا بتوزر<sup>(١)</sup> فيه خَلوق<sup>(٢)</sup> ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في رُذني<sup>(٣)</sup> ؛ وجاءت تلك العجوز فشَدَّت عيني ونهضت بي تقودني ، حتى إذا صرت على باب المضرب ، أخرجت يدي فضربتُ بها على المضرب ثم صرت إلى مضربي ، فدعوت غِلماني قلت : أياكم يقفني على باب مضرب عليه خَلوق ، كأنه أثر كف فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم .

فلم ألبث أن جاء بعضهم فقال : قم ، فنهضت معه فإذا أنا بالكف طرية ؛ وإذا المضرب مضربُ فاطمة بنتِ عبد الملك بن مروان ، فأخذتُ في أهبة الرحيل ، فلما نفرتُ نفرتُ معها فبصرتُ في طريقها يقبلُ ومضرب وهيئة جميلة ، فسألت عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمرُ بن أبي ربيعة ، فسأها أمره ؛ وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه : قولي له : نَشَدْتُكَ اللهُ والرحمَ ألا تصحَبني ، وَمَنحك ! ما شأنك ؟ وما الذي تُريد ؟ انصرف ولا تفضحني وتُشيط<sup>(٤)</sup> بدمك .

فسارت العجوز إليه فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمة ، فقال : لست بمنصرف أو توجَّه إلى بقميصها ، فوجهت إليه بقميص من ثيابها ، فزاده ذلك شغفًا ؛ ولم يزل يتبعهم ولا يخالطهم حتى إذا صاروا على أميال من دمشق انصرف ، وقال ذلك :

ضاق الغدأة بحاجتي صدرى      ويئستُ بعد تقارب الأمر  
وذكرتُ فاطمة التي علَّقَتْها      عَرَضًا فيا لِجَوادِثِ الدهرِ  
وكانَ فاهَا عند رَقْدِهَا      تجرى عليه سُلَافَةُ الخمرِ

(١) التور : إناء صغير . (٢) الخلوق : نوع من الطيب . (٣) الرذن : الكم . (٤) أشاط

بدمه : أهدره .



فَسَبَّتْ فَوَادِي إِذْ عَرَضَتْ لَهَا      يَوْمَ الرَّحِيلِ بِسَاحَةِ الْقَصْرِ  
بِمَزِينٍ رَدْعٌ<sup>(١)</sup> الْعَبِيرِ بِهِ      حَسَنَ التَّرَائِبِ<sup>(٢)</sup> وَاضِحَ النَحْرِ  
وَبِحَيْدِ آدَمَ<sup>(٣)</sup> شَادِنٍ<sup>(٤)</sup> خَرِقٍ<sup>(٥)</sup>      يَرْعَى الرِّيَاضَ بِيَلْدَةِ قَفْرِ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَطِيئَهَا حِزْقًا<sup>(٦)</sup>      خَفَقَ الْفَوَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبْرِ  
وَتَبَادَرَتْ<sup>(٧)</sup> عَيْنَايَ بَعْدَهُمْ      وَأَنْهَلْتُ دَمْعَهَا عَلَى الصَّدْرِ  
وَلَقَدْ عَصَيْتُ ذَوِي الْقَرَابَةِ فِيكُمْ      طُرًّا وَأَهْلَ الْوُدِّ وَالصَّهْرِ  
حَتَّى لَقَدْ قَالُوا وَمَا كَذَبُوا :      أَجْنَنْتَ أُمُّ بَكِّ دَاخِلَ السَّحْرِ !

---

(١) الردع : أثر الطيب في الجسد . (٢) الترائب : جمع تريبة، وهي موضع الفلادة من الصدر .  
(٣) الآدم : الأسمر . (٤) شادن الطي : ترعرع وشب . (٥) الخرق : الخائف المتحير .  
(٦) حزقاً : جماعات . (٧) تبادرت : سالت دموعها .

٩٧ - عمارة\*

كانت عند عبد الله<sup>(١)</sup> بن جعفر جارية مَغْنِيَّة يُقال لها عمارة ، وكان لها منه مكان لم يكن لأحد من جواريه .

فلما وقد عبد الله بن جعفر على معاوية خرج بها معه ، فزاره يزيد ذات يوم فأخرجها إليه ، فلما نظر إليها وسمع غناءها وقعت في نفسه ، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجدُ بها إلا مكانُ أبيه ، مع بأسه من الظفر بها ، فلم يزل يكاتمُ الناس أمرها إلى أن مات معاوية ، وأفضى الأمرُ إليه ، فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة وعامة من يثق به في أمرها ، وكيف الحيلةُ فيها ، فقيل له : إن أمر عبد الله ابن جعفر لا يُرام ، ومنزلته من الخاصة والعامة ومنك ما قد علمت ، وأنت لا تستجيز إكراهه ، وهو لا يبيعها بشئٍ أبداً ، وليس يُفنى في هذا إلا الحيلة .

قال : انظروا لي رجلاً عراقياً له أدبٌ وظرفٌ ومعرفة ، فطلبوه فأتوه به ؛ فلما دخل رأى بيانا وحلاوة وفهما ، فقال يزيد : إني دعوتك لأمرٍ إن ظفرتَ به فهو حظك آخر الدهر ، ويدُّ أ كافتك عليها إن شاء الله ؛ ثم أخبره بأمره ، فقال له : عبد الله بن جعفر ليس يُرام ما في قلبه إلا بالخدِيعَة ، ولن يقدر أحدٌ على ما سألت ، فأرجو أن أكونه والقوةُ بالله ، فأعني بالمسال . قال : خدما أحببت .

\* مصارع العشاق : ٣١٠

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان كريماً جواداً ، يميل إلى سماع الغناء ، وأخباره في الكرم والسماع كثيرة ، توفي سنة ٨٩٠ .

فأخذ من طُرف الشام وثياب مصر، واشترى متاعاً للتجارة من رقيق ودوابٍ وغير ذلك ، ثم شخص إلى المدينة ، فأناخ بعَرَصَة<sup>(١)</sup> عبد الله بن جعفر ، واكترى منزلاً إلى جانبه ، ثم توسّل إليه ، وقال : إني رجلٌ من أهل العراق قدمتُ بتجارة ، وأحببتُ أن أكونَ في عزِّ جوارك وكنفك ، إلى أن أبيع ما جئتُ به .

فبعث عبدُ الله بن جعفر إلى قَهْرمانه : أن أكرم الرجل ، ووسّع عليه في نُزله<sup>(٢)</sup> . فلما اطمانَ العراقي سلم عليه أياماً ، وعرفه نفسه ، وهياً له بقلّة طارئة ، وثياباً من ثياب العراق وألطافاً ؛ فبعث بها إليه ، وكتب معها : « ياسيدي ؛ إني رجلٌ تاجرٌ ، ونعمةُ الله عليّ سابعة ، وقد بعثتُ إليك بشيء من تحف ، وثياب وعطر ، وبعثتُ ببغلة خفيفة العنان ، وطيفة الظهر ؛ فآخذها لركوبك ؛ فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله إلا قبلت هديتي ، فإن أعظم أملِي في سفرتي هذه أن أستفيد الأُنس بك ، والتحرُّم بمواصلتك .

فأمر عبد الله بقبضِ هديته، وخرج إلى الصلاة ، فلما رجع مرّ بالعراقي في منزله فقام إليه ، وقبل يده ، واستكثر منه ، فرأى أدبا وظرفاً وفصاحة ، فأعجب به وسرّ بنزوله عليه ، فجعل العراقي في كل يوم يبعث إلى عبد الله بهدية طريفة . فقال عبد الله : جزى الله ضيفنا هذا خيراً ، فقد ملأنا شكرياً ، وما تقدر على مكافأته؛

(١) العرصة : كل بقعة بين الدور ليس بها بناء . (٢) النزل : ماهي\* للضيف أن ينزل فيه .



ولأنه لكذلك إلى أن دعاه عبد الله ، ودعا بُعارة في جواربه ، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة ، تعجب وجعل يزيد عجبته ، فلما رأى ذلك عبد الله سرَّ به إلى أن قال له : هل رأيت مثل عمارة ؟ قال : لا والله يا سيدي ، ما رأيتُ مثلها وما تصلح إلا لك ، وما ظننت أن يكون في الدنيا مثل هذه الجارية : حُسن وجه ، وحُسن عمل . قال : فكم تساوى عندك ؟ قال : ما لها ثمن إلا الخلافة ، قال : تقول هذا لتزين لي رأياً فيها وتجتلب سروري ! قال له : يا سيدي ؛ والله إني لأحب سرورك ، وما قلت لك إلا الجد ، وبعد فإني تاجرٌ أجمع الدراهم إلى الدراهم ، طلباً للربح ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها ، فقال له عبد الله : عشرة آلاف ؟ قال : نعم - ولم يكن في ذلك الزمان جارية بهذا الثمن - فقال له عبد الله : أنا أبيعكها بعشرة آلاف . قال : قد أخذتها . قال : قد وجب البيع . وانصرف العراقي .

فلما أصبح عبدُ الله لم يشعر إلا بالمسال قد جىء به ، فقيل لعبد الله : قد بعث العراقي بعشرة آلاف دينار ، وقال : هذا ثمن عمارة . فردّها ، وكتب إليه : إنما كنتُ أمزح معك ، ومما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها ، فقال له : جعلت فداءك ! إن الجد والهزل في البيع سواء ، فقال له عبد الله : ويحك ! ما أعلم جاريةً تساوى ما بذلت ، ولو كنت بائعها من أحد لآثرتك ، ولكني كنت مازحاً ، وما أبيعها بملك الدنيا لحرمتها بي ، وموضعها من قلبي . فقال العراقي : إن كنت مازحاً فإني كنتُ جاداً ، وما اطلعتُ على ما في نفسك ، وقد

ملكْتُ الجارية ، وبعثتُ إليك بشمها ، وليست تحمل لك ، ومالي مِنْ أخذها  
من بُدّ .

فانامه إياها فقال له : ليست لي بيّنة ، ولكني أَسْتَحْلِفُكَ عند قبر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، ومنبره ، فلما رأى عبدُ الله الجدَّ قال : بنس الضيفُ أنت !  
ما طرفنا طارق ، ولا نزل بنا نازل ، أعظمُ بليّةٍ منك ، أتخلفني فيقول الناس :  
اضطهد عبدُ الله ضيفه وقهره ، وأجأه إلى أن استخلفه ، أما والله لتعلمن أني  
سأعتصم في هذا الأمر بالصبر وحسن العزاء .

ثم أمر قهرمانه بقبض المسال منه ، وبتجهيز الجارية بما يُشبهها من الخدم  
والثياب والطيب ، فجهّزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار .

فقبض العراقي الجارية ، وخرج بها ؛ فلما برز من المدينة ، قال لها : يا عمارة :  
إني والله ما ملكتُك قط ، ولا أنت لي ، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف  
دينار ، وما كنتُ لأقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلبه أحبَّ  
الناس إليه لنفسى ، ولكني دسيس<sup>(١)</sup> من يزيد بن معاوية ، وأنتِ له ، وفي  
طلبك بعثت بي ، فاستتري مني .

ثم مضى بها حتى ورد دمشق ، فتلقاه الناسُ بمجازة يزيد ، وقد استخلف ابنه  
معاوية بن يزيد ؛ فأقام الرجل أياماً ، ثم تلطّف للدخول عليه ، فشرح له القصة  
— ولم يكن أحدٌ من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نبلاً ونسكاً — فلما

(١) الدسيس : من تدسه لياتيك بالأخبار . .

أخبره قال : هي لك ، وكل ما دفعه إليك من أمرها فهو لك ، وارحل من يومك فلا أسمعُ بخبرك في شيء من بلاد الشام .

فرحل العراقي ، ثم قال للجارية : إني قلتُ لك ما قلت حين خرجتُ بك من المدينة ؛ فأخبرتك أنك ليزيد ، وقد صرت لي ، وأنا أشهد أنك لعبد الله بن جعفر ، وأني قد رددتك عليه ، فاستترى مني .

ثم خرج بها حتى قدم المدينة ، فنزل قريباً من عبد الله ، فدخل عليه بعضُ خدمه ، فقال له : هذا العراقي ضيفك الذي صنع بنا ما صنع ، وقد نزل العرصة لحياته الله ! فقال عبد الله : مه ! أنزلوا الرجل وأكرموه ! فلما استقرَّ بعث إلى عبد الله : جعلت فداءك ! إن رأيت أن تأذن لي لأشأفك بشيء فعلت ؛ فأذن له ؛ فلما دخل سلم عليه ، وقبّل يده ففرَّ به عبد الله ، ثم اقتص عليه القصة حتى إذا فرغ ، قال : قد والله وهبها لك قبل أن أراها وأضع يدي عليها ، فهي لك ومردودة عليك ، وقد علم الله تعالى أني ما رأيت لها وجهاً إلا عندك .

فبعث إليها ، فجاءت ، وجاء بما جهزها به مؤفراً ، فلما نظرت إلى عبد الله ، خرجت مغشياً عليها ، وأهوى إليها عبد الله ، وخرج العراقي وتصايح أهل الدار : عمارة ! عمارة ! فجعل عبد الله يقول ، ودموعه تجري : أحلمُ هذا ؟ أحقُّ هذا ؛ ما أصدقُ بهذا ! فقال له العراقي : جعلت فداءك ! قد ردها عليك إيثارك الوفاء ، وصبرك على الحق ، وانقيادك له .

فقال عبد الله : الحمد لله ، اللهم إنك تعلم أني تصبرت عنها ، وآثرت الوفاء ،



وأسلمت لأمرك ، فرددتها على بيمتك ؛ فلك الحمد . ثم قال : يا أخا العراق ؛ ما في  
الأرض أعظم منةً منك ، وسيجازيك الله تعالى .

وأقام العراقي أياماً وباع عبداً لله غنماً له بثلاثة عشر ألف دينار ، وقال  
لقهرمانه : احملها إليه ، وقل له : اعذر ، واعلم أني لو وصلتك بكل ما أملك  
لرأيتك أهلاً لأكثر منه ؛ فرحل العراقي محموداً وافر المال .

٩٨ - عمر بن أبي ربيعة في لبسة أعرابي\*

قال عثمان بن إبراهيم الخطابي :

أتيتُ عمرَ بنَ أبي ربيعةَ بعد أن نسك بسنين ، وهو في مجلس قومه من  
بني مخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرق القوم ، ثم دنوتُ منه ومعى صاحبٌ لى طريف ،  
وكان قد قال لى : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل ، فننظر هل بقي في نفسه  
منه شيء ، فقال له صاحبي : يا أبا الخطاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العذري  
وأجاد فيما قال . فنظر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول :

لو جُدَّ بالسيفِ رأسى في مودِّها لمرَّ يهوى سريماً نحوها راسى  
فارتاح عمرُ إلى قوله وقال : هاهُ ! لقد أجاد وأحسن . فقلت : واللهِ درُّ جنادةِ  
العذريِّ ! فقال عمر : حيث يقول ماذا ؟ ويحك ! فقلت : حيث يقول :

سرتُ لعينك سلمى بعد مغفأها فبتُ مُسْتَنْهياً<sup>(١)</sup> من بعدِ مسراها  
وقلتُ : أهلاً وسهلاً من هداك لنا إن كنتِ تماهلاً أو كنتِ إياها  
تأتى الرياح التى من نحو بلدتكم حتى أقولَ دنتُ منَّا برياًها  
وقد تراخت بنا عنها نوى قذف<sup>(٢)</sup> هيهاتَ مُصْبِحُها من بعدِ مُمسأها  
من حُبِّها أتمنى أن يُبلاقينى من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها  
كيا أقولُ فراقٌ لا لقاءَ له وتُضْمِرُ النفسُ ياساً ثم تسلاها

\* الأغانى : ١ - - ١٧٤ ، الأمالى : ٢ - ٥٠ .

(١) مستنهباً : مستيقظاً . (٢) نوى قذف : بعيدة .

ولو تموت لراعيتني وقلتُ ألا يا بؤس للموت ! ليت الموت أبقاها

قال : فضحك عمر ، ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيجتُما على ساكننا ، وذكرتُماني ما كان عنى غائباً ، ولأحدتُنكما حديثاً حلواً :

بيننا أنا منذ أعوام جالس إذ أتاني خالد الخريت فقال لي : يا أبا الخطاب ؛ مرت بي أربع نسوة قبيل العشاء يُرذن موضع كذا وكذا ؛ ولم أر مثلهن في بدو ولا حصر ، فيهن هند بنت الحارث المرية ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً ، فتسمع من حديثهن ، وتتمتع بالنظر إليهن ، ولا يعلمن من أنت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ؛ ثم تجلس على قعود<sup>(١)</sup> ، فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن .

ففعلتُ ما قال ؛ وجلست على قعود ، ثم أتيتهن فسلمتُ عليهن ، ثم وقفتُ بقرْبهن ، فسألنني أن أنشدهن وأحدثهن ، فأنشدهن لكثير وجميل والأحوص ونصيب وغيرهم ؛ فقلن لي : ويحك يا أعرابي ! ما أمْلحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدثت معنا يوماً هذا ! فإذا أمسيت انصرفت في حفظِ الله !

فأنحْتُ بعيري ، ثم تحدثتُ معهن ، وأنشدهن فسررن بي وجدلن بقرْبِي ، وأعجبهن حديثي ، ثم إنهن تَعامزن ، وجعل بعضهن يقول لبعض : كأننا نعرف هذا الأعرابي ! ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر ! فدت هند يدها فانزعَت عمامتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هيه يا عمر !

(١) القعود من الإبل : ما يقتنعه الراعي في كل حاجة .



أترك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ؛ فأرسلناه  
إليك لتأتينا في أسوأ هيئة ، ونحن كما ترى . قال عمر : فحدثهن ساعة ،  
ثم انصرفت ، فذلك قولي :

ألم تسأل الأطلالَ وللتربما      بيطن<sup>(١)</sup> حلياتِ دوارسٍ بَلَقَما  
فبيخُننَ أو يُخَبِرَنَ بالعلمِ بعدما      نكأنُ فؤادا كان قِدمًا مُفَجِّعا  
بهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى      جميعٌ وإذ لم نخشُ أن يتصدَّعا  
وإذ نحن مثلُ الماءِ كان مِزاجُهُ<sup>(٢)</sup>      كاصفَق<sup>(٣)</sup> الساقِ الرحيقِ المُشعَّعا<sup>(٤)</sup>  
وإذ لا نطِيعُ العاذلينَ ولا نرى      لوأشٍ لِدِيننا يَطلبُ الصَّرمَ<sup>(٥)</sup> موضِعا  
تُنوعِتنَ حتى عاودَ القلبَ سقمُهُ      وحتى تذكُرْتُ الحديثَ المودَّعا  
قلتَ لمطريهينَ بالحسنِ : إنَّما      ضمرزتَ فهل تَسطيعُ نفعًا فتنفعا  
وهيجتَ قلبًا كان قد ودَّعَ الصِّبا      وأشياءه ، فاشفَعِ عسى أن تُشفعا  
لئن كان ما قد قلتَ حقًّا فما أرى      كمثل الألى أطريتَ في الناسِ أربعا  
فقال : تعالَ ، انظرَ ، وكيف لي !      أخافُ مَقامًا أن يشيعَ فَيَسُنعا  
فقال : اكْتَفِل<sup>(٦)</sup> ثم التَّمِّمِ وأتِ باغيا      فسلمَ ، ولا تكثِرِ بأن تتورعا  
فإني سأخفي العينَ عنك فلا تُرى      مخافةً أن يَفشُو الحديثَ فَيَسَمعا

(١) بطن حليات : اسم موضع قرب مكة . (٢) مزاج الشراب : ما يمزج به . (٣) التصفيق :  
المزج . (٤) الرحيق : أطيب الخمر ، والمشعشع : الممزوج . (٥) الصرم : القطع . (٦) اكتفل  
البعير : إذا أدار على موضع من ظهره كاء وركب عليه .

فأقبلتُ أهوى مثل ما قال صاحبي      لموعده أزعجى قعوداً موقعاً<sup>(١)</sup>  
فلما توافقنا وسلمتُ أشرقتُ      وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنعا  
تبالهنَّ بالعرفانِ لـاعرفنني      وقلنَ امرؤ باغٍ أكلٌ وأوضعا<sup>(٢)</sup>  
وقربنَ أسبابَ الهوى لمتيمٍ      يقيسُ ذراعاً كلما قسنَ إصبعاً  
فلما تنازعنا الأحاديثَ قلنَ لي :      أخفتَ علينا أن نغرَّ ونُخدعا ؟  
فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً      إليك وبيننا له الشأنَ أجمعاً  
فما جئتنا إلا على وفقٍ موعده      على ملأٍ منا خرَجنا له معاً  
رأينا خلاءً من عيونٍ ومجلساً      دميث<sup>(٣)</sup> الرُّبَا سهلَ المحلَّةِ مُمرِعا<sup>(٤)</sup>  
وقلنَ : كريمٌ نالَ وصلِ كرائمٍ      فحُقَّ له في اليومِ أن يتمتعا<sup>(٥)</sup>

(١) القعود الموقع : الذي يظهره آثار الجروح لكثرة ما حمل عليه وركب ، فهو بعير ذلول .  
(٢) أكل وأوضع : أسرع في سيره . (٣) دمث المكان : سهل . (٤) ممرع : مخضب .  
(٥) هذه القصيدة نفسها قصة ممتعة تتحدث عما كان في الشعر العربي من قصص .

٩٩ - حديث يوم الدوحة\*

قال حماد الراوية :

أتيت مكة ، فجلستُ في حلقةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعة ، وإذا همُ يتذاكرون  
العذريين<sup>(١)</sup> وعشقمهم وصبايتهم ، فقال عمر : أحدثكم عن بعض ذلك :  
كان لي خليلٌ من عذرة يقال له : الجعد بن مهجع ، ويكنى أبا مسهر ،  
وكان يلقي مثل الذي ألقى من الصباية بالنساء والوجدِ بهن ؛ على أنه كان لا عاهرَ  
الخلوة ، ولا سريعَ السلوة ؛ وكان يوافي للموسم في كل سنة ، فإذا رآه<sup>(٢)</sup> عن  
وقته ترجعت عنه الأخبارُ ، وتوَكَّفت<sup>(٣)</sup> له الأسفار<sup>(٤)</sup> حتى يقم ؛ فغمني ذات  
سنة إبطاؤه حتى قدِم حُجاج عذرة ، فأتيت القوم أنشد<sup>(٥)</sup> صاحبي ، وإذا غلام  
تنفس الصعداء ! ثم قال : أعن أبي المسهر تسأل ؟ قلت : عنه أسأل ، وإياه  
أردت . قال : هيناه هيناه ! أصبح والله أبو المسهر لامؤيساً فيهمل ، ولا مرجواً  
فيعمل ، وأصبح والله كما قال القائل :

\* الأغاني ١٠ - ٤٨ ، مصارع العشاق : ٥٦ ، العقد الفريد ٤ : ٣٨٤ ، تزيين الأسواق : ٢٤٨  
(١) عذرة : قبيلة اشتهر فيها العشق . قيل لأعرابي : بمن أنت ؟ قال : من قوم إذا عشقوا  
ماتوا ، قال : عذري ورب الكعبة ! ثم قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن في نائنا صباحة ، وفي  
فنياننا عفة . وقيل لعروة بن حزام : أصبح ما يقال فيكم : إنكم أرق الناس قلوباً ؟ قال : نعم ،  
وإنه لقد تركت ثلاثين شاباً في الحى ، قد خامرهم الموت ، ما لهم داء إلا الحب ! (٢) رات :  
أبطاً . (٣) يقال : توكت لفلان ، أى تعرض له حتى يلقاه . (٤) قوم أسفار : ذوو سفر  
(٥) أنشده : أطلبه .



لعمرك ما حُبِّي لأُنمَاءِ تاركِي أَعِيشُ وَلَا أَقْضِي بِهِ فَأُمُوتُ

قلت : وما الذى به ؟ قال : مثلُ الذى بك ؛ من تهوُّركا فى الضلال ،  
وجرُّ كما أذيل الخسار ؛ فكأنكما لم تسمعا بجنةٍ ولا ناراً ! قلت : مَنْ أَنْتَ مِنْهُ  
يابن أخى ؟ قال : أخوه . قلتُ : أما والله يابن أخى ما يمنعك أن تسلك مسلك  
أخيك من الأدب ، وأنْ تركب منه مركبه إلا عَجَزَكَ عن مجاراته . ثم صرفتُ  
وجهَ ناقتي وأنا أقول :

أرأيتُ حُجَّاجَ عُدْرَةٍ وَجْهَةً وَلَمَّا يَرْحُ فِي الْقَوْمِ جَمَدَ بْنَ مِهْجَعٍ  
خيلان نَشَكُو ما نلاقِ من الهوى متى ما يَقُلُ أَسْمَعُ وَإِنْ قُلْتُ يَسْمَعُ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَصَابَهُ فلي زافرات هيجن ما يَبِينُ أَضْلَعِي  
فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ خِلاَّ فَإِنِّي سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

ثم انطلقت حتى وقفتُ موقفي من عرفات ؛ فبينما أنا كذلك إذ يأنسان  
قد تغيَّرَ لونه ، وساءت هيئته ، فأدنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ،  
ثم عانقتى حتى اشتد بكأؤُه ، فقلت : ما وراءك ؟ فقال : برَّح العَدْلُ ، وطول المَطْلُ ،  
ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عديلة ذات مَطْلٍ لقد علمت بأن الحب داه  
ألم تنظرُ إلى تغيير جسمي وأنى لا يفارقني البكاء  
وإنك لو تكلفتِ الذى بى لزال السُّرُّ وانكشف الغطاء  
وإن معاشرى ورجال قَوْمِي حثوفهم الصباية واللقاء

فقلت : يا أبا المسهر ؛ إنها ساعة تُضرب إليها أ كبادُ الإبل من شرق الأرض  
وغربها ، فلو دعوت الله كنت قميناً بحاجتك ، وأن تُنصر على عدوك ؛ فتركني  
وأقبل على الدعاء ، فلما نزلت الشمس للغروب ، وهم الناس أن يُفيضوا سمعته  
يتكلم بشيء ، فأصغيتُ إليه ، فإذا هو يقول :

يا ربّ كلِّ غَدوة وروّحه من مُحرمٍ يشكو الصِّبا ونوَّحه  
أنت حسيبُ الخلق يوم الدَّوِّحه

فقلت له : وما يومُ الدَّوِّحه ؟ قال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني !

فيممنا نحو مُزْدَلَفَةَ<sup>(١)</sup> ، فأقبل عليّ وقال : إني رجلٌ ذو مال كثير ؛ من نعمٍ  
وشاء ، وقد خشيتُ على أموالِي التَّلَف ، فأتيتُ أخوالي كَلْباً ، فأوسعوا لي عن  
صدر المجلس ، وكنتُ فيهم في خير أخوال ؛ ثم إني خرجتُ يوماً إلى ماء لهم ،  
وركبتُ فرسي ، وسمعتُ<sup>(٢)</sup> خلفي شراباً كان أهدها إليّ بعضهم ثم مضيتُ حتى  
إذا كنتُ بين الحَيِّ ومرعى النعم ، رُفِعَتْ لي دَوْحَةٌ عظيمة ، فنزلتُ عن فرسي ،  
وشدّدته بُغْضٍ من أغصانها ، وجلستُ في ظلِّها ؛ فبينما أنا كذلك إذ سطع غبارٌ  
من ناحية الحَيِّ ، ورُفِعَتْ لي شخوص ثلاثة ، ثم تبينتُ فإذا فارس يطرُدُ أتانينِ ،  
فتأملته فإذا عليه درعٌ أصفر ، وعمامة خبزٍ سوداء ، وإذا فرّوع شعره تضرب خصريه  
فقلت : غلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرس ، أعجَلتُه لذّةُ الصيد ، فترك ثوبه ؛ ولبس ثوبَ  
امراته ؛ فما جاز عليّ إلا يسيراً حتى طعن الأتان ، وأقبل راجعاً نحوي .

(١) مزدلفة : موضع بين عرفات ومنى ، سمى بذلك لأنه يتقرب فيه إلى الله تعالى . (٢) سمط  
الشيء : علقه .



فقلت له : إنك قد تعبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلت ! فثني رجله ونزل ، ثم شدت فرسه بفصن من أغصان الشجرة ، وألقى رمحاً وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذؤيب :

وإنَّ حديثاً منكِ لو تبدلنيهِ جَنَى النَّحْلِ في ألبانِ عُوذٍ<sup>(١)</sup> مطافِلِ

فقمْتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حَسَرَ العِمامةَ عن رأسه ؛ فإذا غلامٌ كان وجهه الدينار المنقوش ، فقلت : سبحانك اللهم ! ما أعظمَ قدرتك ! وأحسنَ صنعتك ! فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : مما راعني من جمالك ، وبهرني من نُوركِ . قال : وما الذي يروعك من حبيس الترابِ وأكيل الدواب ، ثم لا يدري بعد ذلك أيَنعم أم ييأس ؟ قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً .

ثم تحدَّثتُنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : ما هذا الذي أرى قد سمَّطت في سرجك ؟ قلت : شراب أهداه إلى بعض أهلِكَ ، فهل لك فيه من أرب ؟ قال : أنت وذاك ، فأتيته به ، فشرب منه ، وجعل ينسكت أحياناً بالسوط على ثناياه ؛ فجعل والله يتبيَّن لي ظلُّ السوط فيهنّ ، فقلت : مهلاً ، فإنني خائف أن تكسِرهنّ ، فقال : ولم ؟ قلت : لأنهن رِفاق ، وهنَّ عذاب ؛ ثم رفع عقيرته يتغنّى :

إذا قبل الإنسانُ آخر يشتهي ثناياه لم يَأْتَمْ وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يحو الله عنه بها الوزرا

(١) العوذ : الحديثات التاج ، والمطافل جمع مطفل : ذات الطفل .



ثم قام إلى فرسه ، فأصلح من أمره ، ثم رجع .

قال أبو مُسَهِرٍ : فبرقت لي بارقةٌ تحت الدَّرْعِ ، فإذا ندي ، فقلت : نشدتك  
الله ! امرأة ! قالت : إني والله ؛ إلا أنني أكره العَشيْرَ . ثم جلست ، فجعلت  
تسرب معي ، وما أفقد من أنسها شيئاً ، فإلبثت إلا يسيراً حتى انتبهت فزعة ،  
فلانت عمامتها برأسها ، وجالت في متن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصُّحبة  
خيراً . قلت : أو ما تزوديني منك زاداً ، فناولتني يدها فقَبَلتها ، فشممت والله منها  
ريح المسك المفتوت ، فذكرت قول الشاعر :

كانها إذا تقضى النومُ وانتبهتُ سحابةٌ ما لها عينٌ ولا أثرُ

ثم قلت لها : وأين الموعد ؟ قالت : إن لي إخوة شُرساً ، وأباً غيوراً ،  
والله لأن أسرك أحبُّ إلي من أن أضرك ، ثم انصرفت ، فجعلت أتبعها  
بصرى حتى غابت ، فهي والله يا بن أبي ربيعة حلتني هذا الحل ، وأبلغتني هذا  
البلغ !

قال عمر : قلت له : يا أبا المُسَهِرِ ؛ إن الغدرَ بك مع ما تذكرُ للمليح ، فسبكي  
واشددْ بكأوه . فقلت : لا تبك ، فما قلتُ لك ما قلتُ إلا مازحاً ، ولو لم أبلغ  
في حاجتك بمالي لسعيتُ في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال : خيراً .

قال عمر : فلما انقضى الموسم شدتُ على ناقتي ، وشدتُ على ناقته ، ودعوت  
غلامي ، فشدتُ على بعير له ، وحملت عليه قبة حمراء من أدم<sup>(١)</sup> ، كانت لأبي ربيعة  
الخرزومي ، وحملت معي ألفدينار ومُطرف<sup>(٢)</sup> خزي ، وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب ،

(١) الأدم : الجلد . (٢) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .

فَشَدَّنَا أبا الجارية ، فوجدناه في نادى قومه ، وإذا هو سيّدُ الحى ، وإذا الناس حوله ، فوقفتُ على القوم ، فسَلَّمْتُ فردَّ الشيخُ السلام ، ثم قال : مَنْ الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُفيرة ، فقال : المعروف غير المنكر ! فما الذى جاء بك ؟ قلت : خاطباً ، قال : الكفاء والرغبة ، قلت : إني لم آتِ ذلكَ لِنَفْسِي عن غير زهادة فيك ، ولا جهالة بشرفك ؛ ولكنى أتيتُ في حاجة ابن أختكم المُدْرِي ، وما هو ذاك . فقال : والله إنه لكفاء الحسب ؛ رفيع البيت ، غير أن بنايَ لم يقمن إلا في هذا الحى من قريش .

فَوَجَّهْتُ لذلكَ ، وعَرَفَ التعميرُ في وجهي ، فقال : أما إني صانع بك ما لم أصنعه مع غيرك ، قلت : وما ذاك ؟ فنثلي مَنْ شكر . قال : أخيرها ، فهي وما اختارت ، ثم خيرها ، فقالت : وما كنتُ لأستبدَّ برأى دون القرشي ، فالخيارُ والحكم له . فقال لي : إنها وقد ولتكَ أمرها ، فاقضِ ما أنت قاض . فحمدت الله عز وجل وأثنيتُ عليه ، وقلت : اشهدوا أني قد زوجتُها من الجعد بن مهجع ، وأصدقتهُ هذا الألف الدينار ، وجعلتُ تسكرمتها العبد والبعير والقبة ؛ وكسوتُ الشيخ المُطرف ، وسألته أن يبنى بها في ليلته ؛ فأرسل إلى أمها ؛ فقالت : أنتخرج ابنتي كما تخرج الأمة ! فقال الشيخ : قومي في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحرم ؛ ثم أهديتُ إليه ليلاً ؛ وبت عند الشيخ ؛ فلما أصبحت أتيتُ القبة ، فصاحتُ بصاحبي فخرج إلى وقد أثار السرورُ فيه ، قلت : كيف كنتَ بعدى ؟ وكيف هي بمدك ؟ فقال لي : أبدتُ لي والله كثيراً مما كانت

أخفته عنى يوم لقيتها ؛ فقلت : أقيم على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت  
وأنا أقول :

كفيت أخى العذرى ما كان نأبهُ وإنى لأعباءِ النوائبِ حمال  
فقال العذرى :

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه فأفّـى لدنيا ليس من أهلها عمرا



١٠٠ — لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم\*

أمر الحجاج<sup>(١)</sup> صاحب حرّسه أن يطوف بالليل ؛ فمن رآه بعد العشاء سكران ضرب عنقه ؛ فطاف ليلة من الليالي ، فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون ، وعليهم أمارات السكر ؛ فأحاطت بهم الغلمان ، وقال لهم صاحب الحرس : من أنتم حتى خالقتم أمر أمير المؤمنين ، وخرجتم في مثل هذا الوقت ! فقال أحدهم :

أنا ابن من دانت الرقاب له ما بين مخزومها وهاشمها  
تأتيه بالرغم وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عنه ، وقال : لعله من أقارب أمير المؤمنين ! ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فقال :

أنا ابن لمن لا تنزل الدهر قدره وإن نزلت يوماً فسوف تعود  
تري الناس أفواجاً إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عنه ، وقال : لعله ابن أشرف العرب . ثم قال للآخر : وأنت من تكون ؟ فأنشد على البديهة :

أنا ابن لمن خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت  
وركباه لا ينفك رجلاه منهما إذا الخيل في يوم الكريهة ولّت

\* مجازي الأدب : ٣-١٥

(١) الحجاج بن يوسف : نشأ بالطائف ، وولى العراق والمشرق ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ .

فأمسك عنه أيضاً ، وقال : لعله ابن أشجع العرب ؛ واحتفظ عليهم .  
فلما كان الصباح رفع أمرهم إليه ؛ فأحضرهم ، وكشف عن حالهم ؛ فإذا الأول  
ابن حجاج ، والثاني ابن فوآل ، والثالث ابن حائك !  
فتمجّب من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فوالله لولا  
فصاحتهم لضربت أعناقهم .

## ١٠١ - يوم دارة جُلجل \* —

قال الفرزدق<sup>(١)</sup> : أصابنا بالبصرة مطر جود<sup>(٢)</sup> ، فلما أصبحت ركبت بغلتي ، وسرتُ إلى المرَبد<sup>(٣)</sup> ، فإذا أنا بآثار دوابٍ ، وقد خرجت إلى ناحية البرية ، فظننتُ أنهم قوم خرجوا للنزهة وهم حُلَقَاءُ أن يكون معهم سُفْرَةٌ<sup>(٤)</sup> ، فاتبعت آثارهم حتى انتهيت إلى بغال عليها رحائل<sup>(٥)</sup> موقوفة على غدِير ، فأمرعتُ إلى الغدير ، فإذا فيه نسوة مستنقعات في الماء ، فقلت ؛ لم أر كالأيوم قط ولا يوم دارة جُلجل ، وانصرفت مستحيياً .

فناديني : يا صاحبَ البغلةِ ؛ ارجِعْ نسألك عن شيء فرجعتُ إليهنّ ، فقدمن في الماء إلى حُلوقهنّ ، ثم قلن : بالله إلا ما أخبرتنا، ما كان من حديث دارة جُلجل .

قلت : حدّثني جدي - وأنا يومئذ غلامٌ حافظ - أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه - ويقال لها عُنيزة - وأنه طلبها زماناً فلم يصل ، حتى كان يوم الغدير - وهو يوم دارة جُلجل - وذلك أن الحَيّ تحمّلوا ، فتقدم الرجال ، وتخلف النساء والخدم والثقل ، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما سار مع رجال قومه غلوةً ، فكمن في غابة من الأرض حتى مرّ به النساء ، وفيهن عُنيزة ، فلما ورَدَ الغدير

\* المقعد الفريد : ٤ - ٣٥٢

(١) هو أبو فراس حماد بن غالب نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه فرواه ونبغ فيه . مات سنة ١١٠ هـ . (٢) الجود : المطر النزير . (٣) المرَبد : سوق بالبصرة ، كان يعقد للبيع ، وفيه ينشد الشعر . (٤) السفرة : طعام المسافر . (٥) الرحالة : السرج .



قلن : لو نزلنا واغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال ! فنزلن في الغدير ، ثم تجردن فوقفن فيه ، فاتاهن امرؤ القيس ، فأخذ ثيابهن فجمعها ، وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطى جاريةً منكن ثوبها ، ولو قعدت في الغدير يومها حتى تخرج متجردةً فتأخذ ثوبها ، فأبين ذلك عليه حتى تعالى النهار ، وخشين أن يقصرن عن المنزل الذي يردنه ، فخرجن جميعاً غير عُنيزة ، فناشدته الله أن يطرح ثوبها ، فأبى ، فخرجت فنظر إليها مقبلة مدبرة ، وأقبلن عليه ، فقلن له : إنك عذبنا وحبستنا وأجعتنا ، قال : فإن نحرته لكن نأقتى أنا كلن معي ؟ قلن : نعم ، فجرد سيفاً فزرقبها ونحرها ، ثم كسطها ، وجمع الخدم حطباً كثيراً ، فأججّن ناراً عظيمة ، فجعل يقطع أطايبها ، ويلقى على الجمر ، ويأكلن ويأكل معهن ، ويشرب من فضلة كانت معه ، ويسقيهن وينبذ إلى العبيد من الكباب<sup>(١)</sup> ، فلما أرادوا الرحيل قالت إحداهن : أنا أحمل طنفسته ، وقالت الأخرى : أنا أحمل رَحله ونساعده ، ففقسمن متاعه وزاده ، وبقيت عُنيزة لم تحمل له شيئاً ، فقال لها : يا بنت الكرام ؛ لا بد أن تحمليني معك ، فإني لا أطيق المشى ، فحملته على غارب بعيرها فكان يمنح إليها فيميل حدجها<sup>(٢)</sup> ، فتقول : « عقرت بعيري ، فانزل » ، وفي ذلك يقول :

الأربّ يوم لي من البيض صالحٍ ولا سيما يوم بدارة جُلجُل<sup>(٣)</sup>  
ويوم عقرت للعذارى مطيبي<sup>(٤)</sup> فيا عجباً من كورها المتحمّل

(١) الكباب: ضرب من قلى اللحم . (٢) الحدج : مركب للنساء كالحففة . (٣) دارة جلجل : مكان بنجد . (٤) مطيبيته : ناقته ، والعذارى : الأبيكار ، والكور : الرجل ، والمتحمل : المحمول .

فَظَلَّ الْعِذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا      وَشَحْمِ كَهْدَابِ<sup>(١)</sup> الدَّمَقْسِ الْمَقْتَلِ  
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ<sup>(٢)</sup> خِدْرَ عَنِيْزَةٍ      قَالَتْ: لَكَ الْوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي<sup>(٣)</sup>  
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيْطُ<sup>(٤)</sup> بِنَامِعًا      عَقَرْتُ<sup>(٥)</sup> بَعِيْرِي يَا مِرَاءَ الْقَيْسِ فَانزِلِ  
فَقُلْتُ لَهَا: سِيْرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ      وَلَا تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَّاكَ الْمَعْلَلِ<sup>(٦)</sup>

---

(١) هداب الدمقس: أطراف الحرير، والمقتل: المقتول. (٢) الخدر: الهودج، وهو في الأصل الستر. (٣) مرجلي: من أرجلته: صبرته راجلا. وقيل معناه: فأضحى بين رجالي.  
(٤) الغبيط: الرجل. (٥) عقرت بعيري: أدميت ظهره لثقلك. (٦) الجني: الثمر، والمعلل: المطيب مرة بعد أخرى.

١٠٢ - دَعْنِي وَرَبِّي الَّذِي لَا يَبْخَلُ وَلَا يَذْهَلُ\*

لما بلغ الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شرّد عنه القلوب ، واستجاش<sup>(٢)</sup> عليه أهل اليمن ، ونازعه في ملكه ؛ احتجب عن ستماره ، ودعا في بعض الليالي خادماً له ؛ فقال له : انطلق متنكراً حتى تقف ببعض الطرُق ؛ وتأمل من يمرُّ بك من الناس ؛ فإذا رأيت كهلاً رثاً الهيئته ؛ يمشي الهويني ؛ وهو مطرِق ، فسلم عليه ؛ وقل له في أذنه : أمير المؤمنين يدعوك ؛ فإن أسرع في الإجابة فأتني به ، وإن استراب<sup>(٣)</sup> فدعه ، واطلب غيره ؛ حتى تجد رجلاً على الشرط الذي ذكرت لك .

فانطلق الخادم ؛ فاتاه برجل على الشرط .

فلما دخل الرجل على الوليد حيّاه بتحية الخليفة ، فأمره الوليد بالجلوس والدُّنُو منه ؛ وصبر إلى أن ذهب رَوْعُهُ ، وسكن جَأْشُهُ ، ثم أقبل عليه ، فقال له : أتحننُ المسامرة للخلفاء ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال الوليد : إن كنت تحسنها فأخبرنا ماهي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ المسامرة إخبار لمنصبت ، وإنصاتٍ لمُخبرٍ ؛ ومفاوضة فيما يعجب ويليق .

\* ثمرات الأوراق : ١٧٤

(١) كان الوليد بن يزيد - ويكنى أبا العباس - ماجناً سفياً يقطع دهره بالاهو والغزل ، ويقول أشعار المغنين يعمل فيها الألمان . مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ . (٢) استجاش أهل اليمن : حلمهم على الهياج . (٣) استراب به : رأى منه ما يريبه .



قال له الوليد: أحسنت! لا أزيدك امتحاناً! قل: أسمع لقولك.

قال السكهل: نعم يا أمير المؤمنين؛ ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما: أحدهما الإخبار بما يوافق خيراً مسموعاً، والثاني الإخبار بما يوافق غرضاً من أغراض صاحب المجلس، وإني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين طريقةً فأخوِّنحوها، وألزم أسلوبها.

قال الوليد: صدقت، وها نحن أولاء فترح لك ما تقتضيه.

قد بلغنا أن رجلاً من رعيّتنا سعى في ضرر ملكنا، فأثر سعيه؛ وشق ذلك علينا، فهل سمعت ذلك؟ فقال السكهل: نعم يا أمير المؤمنين! قال له الوليد: قل الآن على حسب ما سمعت، وعلى ما ترى من التدبير.

قال: بلغني عن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان: أنه لما ندب الناس لقتال ابن الزبير؛ وخرج بهم متوجّهاً إلى مكة - حرسها الله - استصحب عمرو بن سعيد بن العاص، وكان عمرو قد انطوى على فساد نية، وخبث طوية، وطماعية في نيل الخلافة، وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك، إلا أنه كان يحترمه.

ولما بعد أمير المؤمنين عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد، واستأذن في العود إلى دمشق؛ فأذن له.

فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر، فخطب الناس خطبةً، نال فيها من الخليفة، واستولى على دمشق، ودعا الناس إلى خلع عبد الملك؛ فأجابوه إلى ذلك،

وبأيامه ، وحصن بعد ذلك سور دمشق وحى حوزتها .

فبلغ ذلك عبد الملك ، وهو متوجه إلى ابن الزبير ؛ وبلغه مع ذلك : أن وإلى  
حصن قد نزع يده من الطاعة ؛ وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلاف ؛ فأحضر  
وزراءه ؛ فأطلعهم على ما بلغه ، وقال لهم : دمشق قد استولى عليها عمرو بن سعيد ،  
وهذا عبد الله بن الزبير قد ملك الحجاز والعراق واليمن ومصر وأخراسان ، وهذا  
النعمان بن بشير أمير حصن ، وزفر بن الحارث أمير فلسطين قد خرجا عن الطاعة  
وبأيام الناس لابن الزبير .

فلما سمع وزراءه مقاله ذهلت عقولهم ، فقال لهم عبد الملك : مالكم لا تنطقون؟  
هذا وقت الحاجة إليكم .

فقال أفضلهم : وددت أن أكون طيراً على عودٍ من أعواد تيهامة حتى تنقضي  
هذه الفتن !

فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام ، وأمرهم بلزوم موضعهم ، وركب منفرداً ،  
وأمر جماعة من شجمانه أن يتبعوه متباعدين ، ففعلوا .

وسار عبد الملك حتى انتهى إلى شيخ ضعيف ، سمي الحصال ، وهو يجمع  
سُمّاً<sup>(١)</sup> ؛ فسلم عليه عبد الملك وآسنه بحديثه ، ثم قال له : أيها الشيخ ، ألك علم  
بنزول هذا العسكر ؟ فقال الشيخ : وما سؤالك عنه ؟ فقال عبد الملك : إني  
أردت الانتظام في سلكه ؛ فقال له : إني أرى عليك سمة الرياسة ، فينبغي لك

(١) السباق ، كرمان : ثمر يشهى .



أن تصرف نفسك عن هذا الرأي ؛ فإن الأمير الذي أنت قاصده قد انحلت  
عراً مُلكه ؛ والسُلطانُ في اضطرابِ أموره كالبحر إذا هاج !

فقال عبد الملك : أيها الشيخ ؛ قد تآقت نفسي إلى صحبة هذا الأمير ؛ فهل  
لك أن تُرشِدني إلى رأيي ؟ فقال له الشيخ : إن هذه النازلة التي نزلت بهذا الأمير  
من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول ، وإني لأكره أن أرد مسألتك بالخبيثة . فقال  
له عبد الملك : قل جزاك الله خيراً !

فقال الشيخ : إذا قصدت هذا الأمير ، وانتظمت في سلكه ؛ فانظر في أمره  
فإن رأيتَه قد أصرَّ على قصده ابن الزبير فاعلم أنه مخذول فاجتنبه ؛ وإن رأيتَه قد  
رجع من حيث جاء ، وترك قصده الأول ؛ فارحُ له النصر والسلامة .

فقال عبد الملك : يا شيخ ، وهل رجوعه إلى دمشق إلا كسيره إلى ابن  
الزبير ؟ قال الشيخ : إن الذي أشكل عليك لو اوضح ! وهأنذا أزيل عنك اللبس ؛  
إن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم ؛ لأن ابن الزبير ما وثب له  
على مملكة ؛ فإذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم ؛ لأنه نكث ببعثته ، وخان  
أمانته ، ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله ؛ بل كانت لعبد الملك  
ولأبيه من قبله ؛ وعمرُو عليها مُتعدِّ .

وفي الأمثال : سمين الغصْبِ مهزول ، ووليَّ الغدرِ معزول ، وسأضربُ  
لك مثلاً يشفي النفس ، ويزيل اللبس :

زعموا أن ثعلباً كان يسمى ظالماً ، وكان له جحر يأوي إليه ، وكان مُعْتَبِطاً به ؛



تخرج يوماً بيتقى ما يأكل، ثم رجع؛ فوجد فيه حيةً، فانظر خروجها، فلم تخرج؛  
فلم أنها استوطنته، ولما لم يمكنه السكني معها ذهب يطلب لنفسه مأوى؛  
فانتهى به السير إلى جحر حسن الظاهر، حصين في أرض منيرة ذات أشجار  
ملتفة وماء معين<sup>(١)</sup>؛ فأعجبه، وسأل عنه؛ فقالوا: هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه  
مفوض، وأنه ورثه عن أبيه؛ فساداه ظالم فخرج إليه، ورحب به،  
وأدخله إلى جحره، وسأله عن حاله؛ فقص عليه خبره مع الحية؛ فرق له  
مفوض، وقال له: الموت خير من الحياة في العار، والرأى عندي: أن  
تنطلق معي إلى مأواك الذي أخذ منك غضباً، حتى أنظر إليه، فلعل أهتدى إلى  
مكيدة تخلص بها مأواك.

فانطلقا معاً إلى ذلك الجحر؛ فتأمله مفوض، وقال لظالم: اذهب معي فبت  
الليلة عندي لأنظر ليلتي هذه فيما يسئح من الرأى والمكيدة.

ففعلاً ذلك، وبات مفوض مفكراً، وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض  
فرأى من سعته، وطيب هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه، وطقق يدبر  
في حيلة لاغتصابه، ونقى مفوض عنه.

فلما أصبحا قال مفوض لظالم: إني رأيت ذلك الجحر بعيداً من الشجر والماء  
فأصرف نفسك عنه، وهلم أعينك على احتفار جحر في هذا المكان المشتهى.

فقال ظالم: غير هذا يمكن؛ لأن لي نفساً تهلك لبعدها الوطن حينئذ؛ فلما سمع مفوض

(١) ماء معين: جار.

مقالة ظالم ، وما يتظاهر به من الرغبة في وطنه ، قال : إني أرى أن نذهب يومنا هذا ، فنحتطب حطباً ، ونربط منه حزمتين ، فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيام ؛ فأخذنا قبسَ نار ، واحتملنا الحطب والقَبَسَ إلى مسكنك ؛ فنجعل الحزمتين في بابه ، ونُضْرِم النار ؛ فإن خرجت الحية احترقت ، وإن لزمت الجُحْرَ قتلها الدخان .

فقال له ظالم : نِعَمَ الرَّأْيُ !

فذهبا واحْتَطَبَا حزمتين ، ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر تلك الخيام ، فأخذ قبساً ؛ فعمد ظالم إلى إحدى الحزمتين ، فأزالها إلى موضعٍ غيَّبها فيه ، ثم جرَّ الحزمة الأخرى إلى باب مسكن مفوض ، فسده بها سداً مُحْكَمًا ، وقدَّر في نفسه أن مفوضاً إذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول إليه لحصانته ، فإذا يتس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى .

وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاماً ادَّخَره لنفسه ؛ فمَوَّلَ على أنه يَتَقَاتُ به إن حاصره مفوض ، وهو من داخل ؛ وأذْهَلَهُ الشَّرَّهَ والحِرْصُ عن فساد هذا الرَّأْيِ .

ثم إن مفوضاً جاء بالقَبَسِ فلم يجد ظالماً ؛ فظن أنه قد حمل إحدى الحزمتين تخفيفاً عنه ، وأنه سبقه إلى مسكنه الذي فيه الحية ، إشفاقاً عليه ، فشقَّ ذلك عليه ، وظهر له من الرَّأْيِ أن يُبادِرَ إليه ويلحقه ؛ ليحمل معه الحطب .

فوضع القَبَسَ بالقرب من الحطب ، ولم يشعر أن الباب مسدود به ؛ لشدة الظلمة ، فما بَعُدَ عن الباب إلا وضوء النار وشدة الدخان قد لَحِقًا به ، فعاد وتأمل الباب ، فرأى الحطب قد صار ناراً ، فعلم مكيدة ظالم ، ورآه قد احترق من داخل



الجحر ، وحق به مَكْرُهُ ؛ فقال : هذا الباحث على حَتْفِهِ <sup>(١)</sup> بِظُلْفِهِ .  
ثم إن مفوضاً صبر حتى انطفأت النار ؛ فدخل جُحْرَهُ ؛ فأخرج جثة ظالم ؛  
فألقاها ؛ واستوطن جحره آمناً .

فهذا المثل ضربته لك ؛ لأنه ملائم لفعل عمرو بن سعيد في بَغْيِهِ وَمُحَادَعَتِهِ  
عبدَ الملك ، وحيلته في أخذ دار ملكه وتحصينها منه .

فلما سمع عبدُ الملك حكمةَ الشيخ في ضرب أمثاله سُرَّ بذلك سروراً عظيماً ،  
ثم أقبل عليه ؛ فقال : جُزَيْتَ عني خيراً ! وإني أريد أن تجعل بيني وبينك موعداً  
وتعرفني مكانك ؛ لألقاك به بعد يومى هذا .

فقال الشيخ : وما تريدُ بذلك ؟ فقال له عبد الملك : إني أريد مكافأتك على  
ما كان منك ؛ فقال الشيخ : إني أعطيتُ الله عهداً ألا أقبلَ منةً لبخيل .

فقال عبد الملك : ومن أين علمتُ أنى بخيل ؟ قال : لأنك أخرتَ صلتى مع  
القدرة ؛ فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك ؟ فقال عبد الملك : أقسم لقد ذهبت !  
ثم نزع سيفه ، وقال له : أقبل منى هذا واحرص عليه ؛ قيمته عشرون ألف درهم .  
فقال الشيخ : إني لا أقبلُ صلةَ ذاهل ، فدعنى وربى الذى لا يذهل ولا يبخل ؛  
فهو حسبي !

فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عَظُمَ في عينه ، وعلم فضله في دينه ، فقال له :  
أنا عبد الملك ؛ فارفع حوائجك إلى ، فقال الشيخ : وأنا أيضاً عبد الملك ؛ فهل  
ترفع حوائجنا إلى من أنت وأنا له عبدان .

(١) الخنف: الموت.



فانطلق عبد الملك وعمل برأى الشيخ ؛ فأنجح الله قصده ، وانتصر على أعدائه .  
فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجح عقله ، واستظرف أدبه ، واستحسن  
محاضرته ، وسأله عن نفسه ؛ فقسّم له وانّسب ؛ فلم يعرفه الوليد ، فاستحيا منه ،  
وقال له : من جهل مثلك في رعيتك ضاع .

فقال له الكهل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الملوك لا تعرف إلا من تعرف إليها ،  
ولزم أبوابها .

فقال له الوليد : صدقت ، ثم أمر له بصدقةٍ مُعجّلة ، وعهد إليه في ملازمته ؛  
فكان يتمتع بأدبه وحكمته .

١٠٣ - أبو جعفر المنصور في المرأة\*

قال شبيب بن شيبان: حججت عام هلك هشام؛ وولي الوليد بن يزيد، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة، فبينما أنا مريحٌ ناحيةً من المسجد، إذ طلع من بعض أبوابه فتى أسمر، رقيق السمرة، موفور اللمة<sup>(١)</sup>، خفيف اللحية، رطب الجبهة، أفتى<sup>(٢)</sup> بين القنا، أعين<sup>(٣)</sup> كأن عينيه لسانان ينطقان، يخالط أهبه الأملك<sup>(٤)</sup> بزي النسك، تقبله القلوب، وتقبه العيون، يعرف الشرف في تواضعه، والعفو<sup>(٥)</sup> في صورته، واللّب<sup>(٦)</sup> في مشيته؛ فما ملكتُ نفسي أن نهضتُ في أثره، سائلاً عن خبره، وسبقني فتحرم بالطواف؛ فلما سبعت<sup>(٧)</sup> قصد المقام، فركع وأنا أراعه ببصرى، ثم نهض منصرفاً، فكان عيناً أصابته، فكبا كبوة دميت لها إصبه؛ فقعدها القرُفُصاء، فدنوتُ منه متوجِّعاً لما ناله، متصلاً به؛ أمسحُ رجله من التراب، فلا يمتنع عليّ، ثم شقت حاشية ثوبه، فعصبتُ بها إصبه، وما ينكر ذلك ولا يدفعه، ثم نهض متوكئاً عليّ، واقعدتُ له أماشيته، حتى إذا أتى داراً بأعلى مكة ابتدره رجلان تكاد صدورهما تنفرج من هيبتته، ففتحاه له الباب، فدخل واجتذبنى، فدخلتُ بدخوله، ثم خلى يدي، وأقبل على القبلة، فصلى ركعتين أوجز فيهما في تمام.

\* المقد الفريد : ٣ - ٢٨٩

(١) اللمة : الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن . (٢) قنا الأنف : ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . (٣) الأعين : عظيم سواد العين في سعة . (٤) الأملك : الملوك . والأهبه : العظمة والكبر . (٥) العفو : الفضل . (٦) اللب : العقل . (٧) سبعت الشيء : جعله سبعة .

ثم استوى في صدر مجلسه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها ، ثم قال : لم يخف على مكانك منذ اليوم ولا فعلك بي ؛ فمن تكون يرحمك الله ؟ قلت : شبيب<sup>(١)</sup> بن شيبَةَ التَّمِيمِي . قال : الأهتمي ؟ قلت : نعم . فرحب وقرب ، ووصف قومي بأبين بيان وأفصح لسان ، فقلت له : أنا أجلك - أصلحك الله - عن المسألة ، وأحب المعرفة ؟ فتبسّم وقال : لطف أهل العراق ! أنا عبد الله<sup>(٢)</sup> بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ! فقلت : بأبي أنت وأمي ! ما أشبهك بنسبك ، وأدلك على منصبك ! ولقد سبق إلى قلبي من محبتك مالا أبلغه بوصفي لك . قال : فاحمد الله يا أخا تميم ، فإننا قوم يُسعد الله بحبنا من أحبه ويُشقى ببغضنا من أبغضه ، ولن يصل الإيمان إلى قلب أحدكم حتى يحب الله ويحب رسوله ، وإن ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه .

فقلت له : أنت توصف بالعلم ، وأنا من حَمَلته ، وأيام الموسم ضيقة ، وشغل أهل مكة كثير ، وفي نفسي أشياء أحب أن أسأل عنها ، أفتأذن لي - جعلت فداك ! قال : نحن من أكثر الناس مستوحشون ، وأرجو أن تكون للسرّ موضعاً وللأمانة راعياً ، فإن كنت كما رجوت فافعل !

فقدّمت من وثائق القول والأيمان ما سكن إليه ، فتلا قول الله : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ . ثم قال : سل عما بدا لك

---

(١) هو خطيب البصرة في زمانه ، نشأ في البصرة ، وامتاز بببالة نفس ، وسخاء كف ، وحن تواضع ، عرف أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها فجعله في حاشية ولي عهده المهدي حتى ولي المهدي الخلافة ، فصار من خيرة سماره وجلسائه ، إلى أن مات سنة ١٧٠ هـ .

(٢) أبو جعفر المنصور .



قلت : ما ترى فيمن على الموسم - وكان عليه يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى -  
ففتنفس الصعداء وقال : عن الصلاة خلفه تسألنى ، أم كرهت أن يتأمر<sup>(١)</sup> على آل  
الله من ليس منهم ؟ قلت : عن كلاً الأمرين .

قال : إن هذا عند الله لعظيم ، فأما الصلاة ففرض الله تعبد به خلقه ، فأدب  
ما فرض الله تعالى عليك في كل وقت مع كل أحد ، وعلى كل حال ، فإن الذى  
ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده لم يخبرك في كتابه بأنه لا يقبل منك  
نسكاً إلا مع أكل المؤمنين إيماناً ؛ رحمة منك ؛ ولو فعل ذلك بك ضاق الأمر  
عليك ؛ فاسمح بسمح لك . ثم كررت فى السؤال عليه ؛ فما احتجت أن أسأل  
عن أمر ديني أحداً بعده .

ثم قلت : يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة ؛ فقال : لا شك فيها ؛ تطلع  
طلوع الشمس ، وتظهر ظهورها ؛ فنسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها ، فنخذ  
بمحظ لسانك ويدك منها إن أدر كرتها . قلت : أويتخلف عنها أحد من العرب وأنتم  
ساداتها ؟ قال : نعم ، قوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطنمهم ، ونأبى إلا طالباً بحقنا  
فننصره ويخذلون ؛ كما نصرنا بأولنا أولهم ؛ ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم ؛  
فاسترجعت ، فقال : سهل عليك الأمر ، « سنة الله التى قد خلت من قبل ،  
ولن تجد لسنة الله تبديلاً » ، وليس ما يكون لهم مجاز لنا عن صلة أرحامهم ،  
وحفظ أعقابهم ؛ وتجديد الصنعة . قلت : كيف تسلم لهم قلوبكم ؛ وقد قاتلوا مع  
عدوكم ؟ قال : نحن قوم حبيب إلينا الوفاء وإن كان علينا ، وبغض إلينا العدو

(١) تأمر : تسلط .

وإن كان لنا، وإنما يشدّ عنا منهم الأقل ، فأما أنصار دولتنا وقيباء شيعتنا، وأمراء جيوشنا ، فهم مواليهم ، وموالى القوم من أنفسهم ، فإذا وضعت الحرب أوزارها صفّحنا عن السيء ، ووَهَبْنَا للرجل قومه ، ومن اتصل بأسبابه ؛ فتذهب المنابذة ، وتخبُّو الفتنة ، وتطمئن القلوب .

قلت : ويقال إنه يُبتلى بكم من أخلص لكم المحبة . قال : قدر وى أن البلاء أسرع إلى محبتنا من الماء إلى قراره . قلت : لم أرد هذا . قال : فنه ؟ قلت : تقعون بالولى ، وتحتظون بالعدو . قال : من يستعدُّ بنا من الأولياء أكثر ، ومن يسلم لنا من الأعداء أقل وأيسر ، وإنما نحن بشر ، وأكثرنا أذنًا ولا يعلم الغيب إلا الله ، وربما استترت عنا الأمور ، فنقع فيما لا نريد ، وإن لنا لإحسانًا يأسو<sup>(١)</sup> الله به ما نكلم<sup>(٢)</sup> ، ويرم<sup>(٣)</sup> ما نثلم ، ونستغفر الله مما لا نعلم ، وما أنكرت من أن يكون الأمر على ما بلغك ، ومع الولى التمزز والإدلال ؛ والثقة والاسترسال ، ومع العدو التحرز والاحتياط ، والتذلل والاعتيال ! وربما أمل المديء ؛ وأخلّ المسترسل ، وتجانب المقارب ، ومع الميعة<sup>(٤)</sup> تكون الثقة ، وعلى أن العاقبة لنا على عدونا ، وهى لوليتنا ، وإنك لسئول يا أخا تميم .

قلت : إني أخاف ألا أراك بعد اليوم . إني لأرجو أن أراك وترانى كما تحب عن قريب إن شاء الله . قلت : عجّل الله ذلك ! قال : آمين ! قلت : ووهب لى السلامة منكم فإنى مجيبكم . قال : آمين ؛ وتبسم ! وقال : لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت : وما هى ؟ قال : قدح فى الدين ، أو هتك للذك ، أو تهمة فى حرمة . ثم قال : احفظ عنى ما أقول لك : اصدق وإن ضرك الصدق ،

(١) يأسو : يداوى . (٢) نكلم : نجرح . (٣) يرم : يصلح . (٤) الميعة : المحبة .



وانصح وإن باعدك النصيح ، ولا تجالس عدونا وإن أحظيناها فإنه مخذول ،  
ولا تخذل ولينا فإنه منصور؛ واصحبنا بترك الماكرة، وتواضع إذا رفموك ، وصل  
إذا قطعوك ، ولا تسخف فيمقتوك ، ولا تنقبض فيحشموك<sup>(١)</sup> ، ولا تبدأ حتى  
يبدءوك ، ولا تخطب الأعمال ، ولا تتعرض للأموال ؛ وأنا راضح من عشيتي هذه  
فهل من حاجة ؟ فهضت لوداعه فودعته ، ثم قلت : أترقب لظهور الأمر وقتاً ؟  
قال : الله للمقدّر الوقت ، فإذا قامت النوحات بالشم فهما آخر العلامات . قلت :  
وما هما ؟ قال : موت هشام العام ، وموت محمد بن علي<sup>(٢)</sup> مستهلاً ذى القعدة .  
قلت : فهل أوصى ؟ قال : نعم ، إلى أخيه إبراهيم .

قال : فلما خرجت ، فإذا مولى له يقبني حتى عرف منزلي ، ثم أتاني بكسوة  
من كسوته ، فقال : يأمرك أبو جعفر أن تصلي في هذه .

قال شبيب : وافترقنا ، فوالله ما رأيتُهُ إلا وحرسيان قابضان على يدنيان  
منه في جماعة من قومي لأبابه ، فلما نظر إليّ أثبتني<sup>(٣)</sup> ، ثم قال : خلياً عن  
صحّت مودته ، وتقدمت حرمتُهُ ، وأخذت قبل اليوم بيعته ، فأكبر الناس ذلك  
من قوله ، ووجدته على أوّل عهده لي .

ثم قال لي : أين كنت عني في أيام أخي أبي العباس ؟ فذهبت أعتذر .  
قال : أمسك ؛ فإن لكل شيء وقتاً لا يعدوه ، ولن يفوتك إن شاء الله حظُّ

---

(١) فيسموك ما تكره . (٢) هو محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي  
القرشي والد السجاح والمنصور ، وكان يرأس جماعاً سرية تدعولبي العباس واعتقله هشام بن عبد الملك  
حين انكشف أمره فمات معتقلاً . (٣) عرفني حق المعرفة .



مودتك ، وحق مسابقتك ؛ فاختر بين رزقي يسعك ؛ أو عمل يرفعك . قلت :  
أنا حافظٌ لوصيتك . قال : وأنا لها أحفظ ؛ إنما نهيتك أن تخطب الأعمال ، ولم  
أنهك عن قبولها . قلت : الرزق مع قرب أمير المؤمنين أحبُّ إلي . قال : ذلك  
لك ، وهو أجملٌ لقلبك ، وأودعُ لك ، وأعفى إن شاء الله .

ثم قال : هل زدت في عيالك بعدى شيئاً ؟ وكان قد سألني عنهم  
فذكرتهم له - فعجبت من حفظه ! ثم قلت : الفرس والخدام ! قال : قد ألحقنا  
عيالك بعيالنا ، وخدامك بخادمتنا ، وفرسك بخيلنا ، ولو وسعني لملت لك من بيت  
المال ، وقد ضممتك إلى المهدي ، وأنا أوصيه بك فإنه أفرغ لك مني .

---

١٠٤ — واعظ أبي جعفر المنصور\*

بينما المنصور يطوف ليلاً ، إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهورَ  
البغي والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ! فخرج المنصور ،  
فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعو ، فصلى الرجل ركعتين ،  
واستلم الركن<sup>(١)</sup> ، وأقبل مع الرسول ؛ فسلم عليه بالخلافة .

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض  
وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني<sup>(٢)</sup> ،  
قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها ، وإلا  
احتجرت منك ، واقتصرت على نفسي ، ففيها لي شاغل .

فقال : أنت آمن على نفسك ؛ قل ! فقال : إن الذي دخله الطمع حتى حال  
بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد أنت ! قال : ويحك ! وكيف يدخاني الطمع ،  
والصفراء والبيضاء في قبضتي ، وأخلو والحامض عندي ؟ قال : وهل دخل أحد  
من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرعاك للمسلمين وأموالهم ، فأغفلت  
أمورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر ؛  
وأبواباً من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ؛ ثم سجدت نفسك فيها عنهم ، وبعثت

\* عيون الأخبار : ٢ - ٣٣٣

(١) استلم الركن : له ؛ بالقبلة أو باليد . (٢) ما أرمضني : ما أوجسني وآلني .

عَمَّاكَ فِي جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا ، وَقَوِيَّتِهِمْ بِالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَالسُّكْرَاعِ (١) ،  
وَأَمَرْتُ بِالْأَلَا يَدْخُلَ عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فُلَانٌ وَفُلَانٌ ، نَفَرٌ سَمِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَأْمُرْ بِإِصْصَالِ  
الْمُظْلُومِ ؛ وَلَا لِلْمُهْوَفِ ، وَلَا الْجَائِعِ الْعَارِي ، وَلَا الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ ، وَلَا أَحَدٍ إِلَّا وَهْلَهُ فِي  
هَذَا الْمَالِ حَق .

فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصَتْهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَآثَرْتَهُمْ عَلَى رِعْيَتِكَ ،  
وَأَمَرْتُ الْأَلَا يُحْجَبُوا عَنْكَ - تَجَبَّى الْأَمْوَالِ وَتَجْمَعُهَا وَلَا تَقْسِمُهَا قَالُوا : هَذَا قَدْ  
خَانَ اللَّهُ ، فَمَا بَالُنَا لَا نَخُونُهُ ، وَقَدْ سَجَنَ لَنَا نَفْسَهُ !

فَأْتَمَرُوا بِالْأَلَا يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِ أَخْبَارِ النَّاسِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادُوا ، وَلَا يُخْرِجُ  
لَكَ عَامِلٌ فَيُخَالِفَ أَمْرَهُمْ إِلَّا قَصَبُوهُ (٢) عِنْدَكَ ، وَنَفَوْهُ حَتَّى تَسْقُطَ مَنْزِلَتُهُ وَيَصْغُرَ  
قَدْرُهُ ؛ فَلَمَّا انْتَشَرَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَعِنْتَهُمْ أَعْظَمُهُمُ النَّاسِ وَهَابُوهُمْ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ  
صَانَهُمْ عَمَّاكَ بِالْمُهْدَايَا وَالْأَمْوَالِ ، لِيَقْوُوا بِهَا عَلَى ظُلْمِ رِعْيَتِكَ .

ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ذُووُ الْقُدْرَةِ وَالثَّرْوَةِ مِنْ رِعْيَتِكَ ، لِيُنَالُوا بِهِ ظُلْمَ مَنْ دُونِهِمْ ؛ فَامْتَلَأَتْ  
بِلَادُ اللَّهِ بِالطَّمَعِ ، بَغِيًّا وَفَسَادًا ، وَصَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ شُرَكَاءَكَ فِي سُلْطَانِكَ ، وَأَنْتَ  
غَافِلٌ ؛ فَإِنْ جَاءَ مُتَّظِمٌ حَيْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَدِينَتِكَ ؛ فَإِنْ أَرَادَ رَفْعَ قِصَّتِهِ  
إِلَيْكَ عِنْدَ ظَهْوَرِكَ وَجَدَكَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ذَلِكَ ؛ وَأَوْقَفْتَ لِلنَّاسِ رِجَالًا يَنْظُرُ فِي  
مِظَالِمِهِمْ ؛ فَإِنْ جَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَبَلَغَ بِطَانَتِكَ خَبْرَهُ سَأَلُوا صَاحِبَ الْمِظَالِمِ  
أَلَا يَرْفَعُ مِظَالِمَتَهُ إِلَيْكَ ، فَإِنَّ الْمِظَالِمَةَ مِنْهُ لَهُ بِهَرْمَةٍ ، فَأَجَابَهُمْ خَوْفًا مِنْهُمْ .

فَلَا يَزَالُ الْمُظْلُومُ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَيَلُودُ بِهِ ، وَيَشْكُو وَيَسْتَعِيثُ ، وَهُوَ يَدْفَعُهُ  
وَيَعْتَلُّ بِهِ ، فَإِذَا أُجْهِدَ وَأُخْرِجَ وَظَهَرَتْ صَرْخَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَضْرِبْ ضَرْبًا

(١) السُّكْرَاعُ : السَّلَاحُ ، وَقِيلَ : هُوَ اسْمٌ يَجْمَعُ الْمِخْلِيلَ وَالسَّلَاحَ . (٢) قِصَبُوهُ : عَابَوْهُ وَشَتَمُوهُ .



مُبْرَحًا ؛ ليكون نكالا لغيره ؛ وأنتَ تنظرُ فلا تُنْكِرُ ، فما بقاءُ الإسلامِ  
بمد هذا !

وقد كنتُ يا أميرَ المؤمنينُ أسافرُ إلى الصينِ ، فقدمتها مرةً ، وقد أصيبَ ملكها  
بسَمْعِهِ ؛ فبكى يوماً بكاءً شديداً ، فحَثَّه جلساؤه على الصبرِ ، فقال : أما إني لستُ أبكي  
للبليةِ النازلةِ بي ، ولكني أبكي لمظلومٍ بالبابِ يصرُخُ ولا أسمعُ صوته ، ثم قال :  
أما إذ ذهبَ سمعي ؛ فإن بصرى لم يذهب ! نادوا في الناسِ ألا يلبسَ ثوباً أحمر  
إلا متظلمٌ . ثم كان يركبُ الغيلَ طرقيَّ نهاره وينظر هل يرى مظلوماً !

فهذا يا أميرَ المؤمنينُ مُشركٌ بالله غلبت رأفتهُ بالمشركين شُحَّ نفسه ؛ وأنتَ  
مؤمنٌ بالله ، ثم من أهلِ بيتِ نبيِّه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شُحِّ نفسك فإن  
كنتَ إنما تجمعُ المالَ لولدك ، فقد أراك الله عِبراً في الطفلِ يسقطُ من بطنِ أمه ، وماله  
على الأرضِ مالٌ ، وما من مالٍ إلا ودونه يدٌ شحيحةٌ تحويه ؛ فما يزالُ الله يُلطفُ  
بذلك الطفلِ حتى تعظمَ رغبةُ الناسِ إليه ؛ ولستَ بالذي تُعطى ، بل الله يُعطى من  
يشاء ما يشاء . وإن قلتَ : إنما أجمعُ المالَ لتشديدِ السلطانِ فقد أراك الله عِبراً في  
بنى أمية ؛ ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهبِ والفضةِ ، وأعدوا من الرجالِ والسلاحِ  
والكُرَاعِ ، حتى أرادَ اللهُ بكم ما أراد . وإن قلتَ : إنما أجمعُ المالَ لطلبِ غايَةٍ  
أجسمُ من الغايَةِ التي أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنتَ فيه إلا منزلةٌ لا تدركُ إلا  
بخلاف ما أنتَ عليه يا أميرَ المؤمنينِ ، هل تعاقبُ مَنْ عصاك بأشدَّ من القتلِ ؟

قال المنصورُ : لا . قال : فكيف تصنعُ بالملكِ الذي خولك ملكُ الدنيا وهو لا يعاقبُ  
مَنْ عصاه بالقتلِ ! ولا يكن بالخلودِ في العذابِ الأليمِ ، قد رأى ما قد عقد عليه قلبك

وعلمته جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت إليه رجلاك ؛ هل  
يعنى عنك ماشححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب !  
فبكى المنصور وقال : يا ليتنى لم أخلق ! ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟  
قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ؛  
فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسدّدوك . قال : قد بعثت إليهم  
فهربوا مني . فقال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ؛ ولكن افتح بابك ،  
وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النية والصدقات مما حلّ  
وطاب ، واقسمه بالحق والعدل على أهله ، وأنا الضامن عنهم أن يأتوك ،  
ويسعدوك على صلاح الأمة .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، فصلى ، وعاد إلى مجلسه وطُلب الرجل فلم يوجد !

---

١٠٥ - لماذا سُلِبُوا الملك\*

تَمَر المنصورُ ذاتَ ليلة ، فذكر خُلفاءَ بنى أمية وسيرهم ، وأنهم لم يزالوا على استقامة ؛ حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين ، وكانت همتهم - مع عظم شأنِ الملك وجلالةِ قدره قَصَدَ الشهوات ، وإيثارَ اللذات ، والدخول في معاصي الله ومساخِطِهِ ، جهلاً باستِدراجِ الله ، وأمنًا لمكْرِهِ ، فسَلَبَهُمُ اللهُ العزَّ ، ونقل عنهم النعمة .

قال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ؛ إن عبدَ الله بن مروان لما دخل النوبةَ هاربًا فيمن تبعه ، سألُ ملكَ النوبة عنهم ، فأخبر ، فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجيب في هذا النحو ، لا أحفظه ، وأزججه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ، ويسأله عن ذلك .

فأمر المنصور بإحضاره ، وسأله عن القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قدِمنا أرضَ النوبة ، وقد أخبر الملك بأمرنا ، فدخل على رجل أفتى<sup>(١)</sup> الأنف ، طووال ، حسن الوجه ، فقعده على الأرض ، ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعدَ على ثيابنا ؟ قال : لأنى ملك ، ويحق على الملك أن يتواضع لعظمة الله إذا رفمه الله ، ثم قال : لأى شيء تشربون الخمر وهى مُحَرَّمَةٌ عايكم ؟ قلت : اجترأ على

\* العقد الفريد : ٣ - ١٩٣ ، عيون الأخبار : ١ - ٢٠٥ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٢١٦

(١) قنا الأنف : ارتفاع أعلاه ، واحديداب وسطه .



ذلك عبيدنا وغلماطنا وأتباعنا ؛ لأنَّ الملك قد زال عنا . قال : فلم تطئون الزروع بدوابكم ، والفسادُ محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم . قال : فلم تلبسون الدِّياج والحريز ، وتستعملون الذهب والفضة ، وذلك محرمٌ عليكم ؟ قلت : ذهبَ الملكُ عنا ، وقلَّ أنصارُنا ؛ فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا ، فلبسوا ذلك على الكُفرة منا .

قال : فأطرق ملياً ، وجعل يقلبُ يده ، وينكت الأرض ويقول : عبيدنا وأتباعنا وقومٌ دخلوا في ديننا ، وزال الملكُ عنا ! يردده مراراً .

ثم قال : ليس ذلك كذلك ؛ بل أنتم قومٌ قد استحلتم ما حرّم الله ، وركبتم ما نهاكم عنه ، وظلمتم من مَلَّكم أمرهم ؛ فسلبكم الله العز ، وألبسكم النل بذنوبكم ، والله فيكم نعمة لن تبلغ غايتها ، وأخاف أن يحل بكم العذاب ، وأنتم ببلي ، فيصيبني معكم ؛ وإنما للضيافة ثلاثة أيام ، فتزودوا ما احتجتم ، وارتحلوا عن بلي .

١٠٦ - جعفر البرمكي والرشيدي\*

قال إبراهيم بن المهدي : قال لي جعفر بن يحيى<sup>(١)</sup> يوماً : إني استأذنت أمير المؤمنين في الحجامة ، وأردت أن أخلّو بنفسي ، وأفرّ من أشغال الناس ، وأتوحد<sup>(٢)</sup> ، فهل أنت مساعدي ؟ قلت : جعلني الله فداك ! أنا أسعدُ بمساعدتك وآنسُ بمخالّتك<sup>(٣)</sup> ، فقال : بَكَرُّ إلى بُكورِ الغراب .

قال : فأتيتُ عند الفجرِ الثاني ، فوجدتُ الشمعةَ بين يديه ، وهو قاعدٌ ينتظرني للميعاد ؛ فصلّينا ، ثم أفضنا في الحديث حتى أتى وقت الحجامة ، فأتى الحجامُ فحجمنا في ساعة واحدة ، ثم قدم إلينا الطعام ، فطمعنا ، فلما غسلنا أيدينا خلع علينا ثيابَ المفادمة ، وضمّختنا<sup>(٤)</sup> بالخلوق ؛ وظللنا بأمرٍ يوم مرّ بنا .

ثم إنه تذكّر حاجةً ، فدعا الحاجب ؛ فقال له : إذا جاء عبدُ الملك القهرمان ، فأذن له ، فنسيَ الحاجبُ . وجاء عبد الملك بن صالح<sup>(٥)</sup> الهاشمي - على جلالته وسنّه وقدره - فأذن له الحاجب ، فما راعنا إلا طلعةُ عبد الملك بن صالح ! فتغيّر لذلك وجهُ جعفر ، وتنفّص عليه ما كان فيه .

\* العقد الفريد : ٣ - ٢٦٨

(١) جعفر بن يحيى كان على القدر عظيم السكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيدي ، فصيحاً لسناء ، قتله الرشيدي سنة ١٨٧ هـ . (٢) توحد : بقى مفرداً . (٣) الخالة : المصادقة . (٤) تضمخ بالخلوق : تلطخ به ، والخلوق : نوع من الطيب . (٥) عبد الملك بن صالح : أمير من أمراء بني العباس ، تولى عدة ولايات ، ثم عزله الرشيدي حين علم أنه يطعم في الخلافة ، توفى سنة ١٩٦ هـ .

فلما نظر إليه عبْدُ الملك على تلك الحالة دعا غلامه ، فدفع إليه سيفه  
وسواده<sup>(١)</sup> وعمامته ، ثم جاء فوقف على باب المجلس ، فقال : اصنعوا بنا  
ماصنعتُم بأنفسكم .

قال : فجاء الغلام ، فطرح عليه ثياب المنادمة ؛ ودعا بطعام فطيم ، ثم دعا  
بالشراب فشرب ثلاثاً ، ثم قال : ليخفف عنى فإنه شىء ماشربته قط ، فتهلّل  
وجه جعفر فرحاً - وقد كان الرشيد حاوّر عبد الملك على المنادمة ، فأبى ذلك ،  
وتنزّه عنه - ثم قال له جعفر بن يحيى : جعلنى الله فداك ا قد تفضلت وتطوّلت ،  
فهل من حاجة تبلغها مقدرتى ، وتحيط بها نعمتى ، فأقضيها لك مكافأة لما صنعت؟  
قال : نعم ؛ إن قلب أمير المؤمنين عاتب علىّ فتسأله الرضا عنى . فقال : قد  
رضى عنك أمير المؤمنين . ثم قال : وعلىّ أربعة آلاف دينار . قال : هى  
حاضرة ، ولكن من مال أمير المؤمنين أحبّ إلىّ من مالى . قال : وابنى إبراهيم  
أحبّ أن أشدّ ظهره بمصاهرة أمير المؤمنين . قال : قد زوجه أمير المؤمنين  
ابنته الغالية . قال : وأحبّ أن تخفق الألوية على رأسه بولاية . قال : وقد ولّاه  
أمير المؤمنين مصر ؛ فانصرف عبد الملك ونحن نعجب من إقدام جعفر على الرشيد  
من غير استئذان .

فلما كان الغدُ وقفنا على باب أمير المؤمنين ، ودخل جعفر فلم يلبث أن دعى  
بأبى يوسف القاضى ، ومحمد بن الحسن ، وإبراهيم بن عبد الملك ، فمعد له على ابنة  
الرشيد ، وحملت البدر<sup>(٢)</sup> إلى عبد الملك ، وكتب سجل إبراهيم على معمر .

(١) سواد الأمير : نقله ومتاعه . (٢) البدر : كيس فيه ألف دينار .



وخرجَ جمعراً فأشار إلينا ، فلما صار إلى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله ،  
فالتفت إلينا وقال : تعلقتُ قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم أن تعرفوا آخره ،  
وإني لما دخلتُ على أمير المؤمنين ومثت بين يديه سألتني عن أمسي ، فابتدأت  
أحدثه بالقصة من أولها إلى آخرها ، فجعل يقول : أحسنَ والله ؛ ثم قال :  
فما أجبتُه ؟ فجعلت أخبره وهو يقول في كل شيء : أحسن . وخرج إبراهيم والياً  
على مصر !

١٠٧ — إخوان الصفاء\*

روى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

ذكروا أن فتياناً كانوا مجتمعين في نظام واحد ، كلهم ابنُ نِعْمَةٍ ؛ فذكر ذا كِرْمٍ منهم ، قال : كنا أكثرينا داراً شَارِعَةً<sup>(١)</sup> على أحد طرق بغداد المعمورة بالناس ، وكنا نُفلس<sup>(٢)</sup> أحياناً ، ونُوسِرُ أحياناً ، على مقدار ما يمكن الواحد من أهله ، وكنا لا نُشكر أن تقع مئونتنا على واحدٍ منا إذا أمكنه ، ويبقى الواحدُ منا لا يقدر على شيء ، فيقوم به أصحابه الدهرَ الأطول ، وكنا إذا أيسرنا أكلنا من الطعام أليئَةً ، ودعونا للمهين والمهيات ؛ وكان جلوسنا في أسفل الدار ، فإذا عدنا العارب جلسنا في عُرفَةٍ لنا تمتع منها بالنظرِ إلى الناس ، وكنا لا نُخل<sup>(٣)</sup> بالنبيذ في عُسر ولا يسر .

فإننا لكذلك يوماً إذا بفتى يستأذنُ علينا ، قلنا له : اصعد ؛ فإذا رجل نظيف حُلُو الوجه ، سَرِيءُ الهيئة ، ينيُّ رُوَاؤُهُ أنه من أبناء النعم ، فأقبل علينا ، وقال : إني سمعت مجتمعكم وحسن منادمتكم ، وصحة ألفتكم ، حتى كأنكم أدرجتم في قالب واحد ، فأحييتُ أن أكون واحداً منكم ، فلا تحتشموا<sup>(٤)</sup> عني .

\* العقد الفريد ٤ : - ٣٤٥

(١) دار شارع ، أى على طريق نافذ . (٢) أفلس الشخص : إذا لم يبق معه مال . (٣) لا نخل بالنبيذ : لا تتركه . (٤) احتشم عنه ومعناه : اتقوا .

وصادف ذلك منا إقتاراً من القوت وكثرة من النبيذ—وقد كان قال لفلان له :  
أول ما يأذنون لي أن أكون كأحدهم هاتِ ما عندك ، فقاب الفلام عنا غير كثير ،  
ثم أتانا بسلة خيزران ، فيها طعام المطبخ من جـسدى ودجاج وفراخ ورُقاق  
وشُنَّان<sup>(١)</sup> ومَحَلَب<sup>(٢)</sup> وأخِلة<sup>(٣)</sup> ؛ فأصبنا من ذلك ؛ ثم أفضنا في شرابنا ، وانبسط  
الرجل ؛ فإذا أحلى خلقِ الله إذا حدث ، وأحسنهم استماعاً إذا حدث ، وأمسكهم  
عن ملاحاة إذا خولف ، ثم أفضينا منه إلى أكرم مخالفة ، وأجمل مساعدة ، وكنا  
ربما امتحناه بأن ندعوه إلى الشيء الذى نعلم أنه يكرهه ، فيُظهر لنا أنه لا يجب  
غيره ، ويرى ذلك في إشراقِ وجهه ؛ فكنا نغنى به عن حسن الغناء ، وتندارس  
أخباره وآدابه ، فشغلنا ذلك عن تعرف اسمه ونسبه ، فلم يكن منا إلا تعرف  
الكنية ، فإننا سألناه عنها ، فقال : أبو الفضل .

وقال لنا يوماً بعد اتصالِ الأنس : ألا أخبركم بم عرفتكم ؟ قلنا : إنا لنحبُّ  
ذلك . قال : أحببت جارية في جواركم ؛ فكنتُ أجلس لها في الطريق ألتس  
اجتيازها ، فأراها حتى أخلقنى الجلوس على الطريق ، ورأيت عرفتكم هذه ،  
فسألت عن خبرها ، فخبرتُ عن ائتلافكم وتملُّبكم ، ومساعدة بعضكم بعضاً ،  
فكان الدخول فيما أنتم فيه أسراً عندي من الجارية ، فسألناه عنها فخبرتنا ،  
فقلنا له : نحن نُظفرُك بها ، فقال : يا إخواني ؛ إني والله على ما ترون مني من

---

(١) الشنان : الماء البارد . (٢) المحلب : العسل . (٣) الأخلة : جمع خلال ، وهو  
العود الذى يتخلل به .



شدة الشغف والكلف بها ما قدّرت فيها حراماً قط ، ولا تقديري إلا مطاولتها  
ومصابرتها إلى أن يمن الله على بثرة فأشترتها .

فأقام معنا شهرين ، ونحن على غاية الاغتباط بقره ، والسرور بصحبته إلى  
أن اختلس منا ، فناننا بفراقه ثكل مُمض ، ولوعة مؤلمة ، ولم نعرف له منزلاً  
نلتمسهُ فيه ؛ فتكدّر علينا من العيش ما كان طاب لنا به ، وقبحَ عندنا ما كان  
حسن بقره ، وجعلنا لا نرى سروراً ولا غمّاً إلا ذكرنا السرور بصحبته ، والغم  
بمفارقتة ؛ فكنا فيه كما قال الشاعر :

يذكرُنيهم كلَّ خير رأيتُهُ      وشرِّ فما أنفكُ منهم على ذكر

فغاب عنا زهاء عشرين يوماً ؛ فبينما نحن مجتازون يوماً من الرصافة<sup>(١)</sup> إذاهو  
قد طلع في موكب نبيل ، وزيّ جليل ، فلما بصّر بنا انحطّ من دابّته ، وانحطّ  
غلمانهُ ، ثم قال : يا إخواني ؛ والله ما هنا لي عيشٌ بعدكم ، ولست أُميط لكم عن خبري  
حتى آتي المنزل ، ولكن ميلوا بنا إلى المنزل ، فمِلنا معه ، فقال : أعرّفكم أولاً  
بنفسي ، أنا العباس<sup>(٢)</sup> بن الأحنف ، وكان من خبري بعدكم أني خرجت إلى  
منزلي من عندكم ، فإذا الشرطةُ محيطة بي ، فمضى بي إلى دار أمير المؤمنين ، فصرتُ  
إلى يحيى بن خالد ، فقال لي : ويحك يا عباس ! إنما اخترتُك من ظرفاء الشعراء  
لقرب مأخذك وحسن تأتيك ، وإن الذي ندبتك له من شأنك ، وقد عرفت  
خطرات الخلفاء ، وإني أخبرك أن ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين اليوم ،

(١) الرصافة : محلة بيفداد . (٢) كان منشؤه بيفداد وكان صاحب غزل ، ويشبه من المتقدمين

عمر بن أبي ربيعة ولم يكن يمدح ولا يهجو . توفى سنة ١٩٢ هـ .

وأنه جرى بينهما عتب ، فهي بذلة المشوق تأبى أن تعتذر ، وهو بمنزلة الخلافة  
وشرف الملك يأبى ذلك ، وقد رمت الأمر من قبلهما فأعيانى ، وهو أخرى أن  
تستعبده الصباية ؛ فقل شعراً سهلاً يسهّل عليك هذه السبيل .

ثم دعاني إلى أمير المؤمنين فصرتُ إليه ، وأعطيت قرطاساً ودواة ، فاعتراني  
الزَّمَعُ<sup>(١)</sup> ، وتعدّرت على كل عروض ، ونفرت عنى كلّ قافية ، ثم انفتح لى شيء  
والرسل تتعقبني ، فجاءتني أربعة أبيات رضىتها ، وقعت صحيحة المعنى ، سهلة  
الألفاظ ، ملائمة لما طُلب منى ، فقلت لأحد الرسل : أبلغ الوزير أنى قلت أربعة  
أبيات ، فإن كان بها مَقْنَعٌ وجهتُ بها ، فرجع إلى الرسول بأن هاتما ، فنى أقل  
منها مقنع ، وفى ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروى ، فكتبتُ  
الأبيات الأربعة فى صدر الرقعة ، وعقبتُ بالبيتين ، فقلت :

العاشقان كلاهما متغضبٌ وكلاهما متوجّدٌ مُتَعَتَّبٌ  
صدت مغاضبةً وصدت مغاضباً وكلاهما مما يعالجُ متعَبٌ  
راجع أحببتك الذين هجرتهم إن المتيمّ قلماً يتجنب  
إن التجنب إن تطاول منك دابّ السلو له وعزّ المطلبُ

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بد للعاشق من وقفةٍ تكون بين الهجر والصّرْمِ  
حتى إذا الهجر تمادى به راجعٌ من يهوى على رَغْوِ

ثم وجهتُ بالكتاب إلى يحيى بن خالد ، فدفعه إلى الرشيد ، فقال : والله

(١) الزمع : رعدة تأخذ بالإنسان .



ما رأيتُ شعراً أشبهَ بما نحن فيه من هذا ، والله لكأني قُصِدْتُ به ، فقال له يحيى :  
وأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به ، هذا يقوله العباس بن الأحنف في هذه القصة :  
فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله : « راجعَ من يهوى على رَغمٍ » : استغرب ضحكا  
حتى سمعتُ ضحكك ، ثم قال : إى والله ! أراجع على رَغمٍ ، يا غلام ؛ هاتِ نعلِي ؛  
فنهض وأذهله السرور عن أن يأمرَ لى بشيء ؛ فدعاني يحيى ، وقال : إن شعرك قد  
وقع بغاية الموافقة ، وأذهلَ أميرَ المؤمنين السرورُ عن أن يأمر لك بشيء ؛ ثم جاء  
غلام فسارَه ، فنهض وثبت مكانه ، فنهضت بنهوضه ، ثم قال : يا عباس ؛ أمسيتَ  
أنبلَ الناس ، أتدرى ما سارني به هذا الرسول ؟ قلت : لا ، قال : ذكر لى أن ماردة  
تلقت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه ، ثم قالت له : يا أمير المؤمنين ؛ كيف كان هذا ؟  
فناولها الشعر ، وقال : هذا أتى بى إليك ، قالت : فمن يقوله ؟ قال : عباس  
ابن الأحنف ، قالت : فِيمَ كوفى ؟ قال : ما فعلت شيئاً بصد ، قالت : إذن والله  
لا أجلسُ حتى يكافأ - قال : فأمر المؤمنين قائم لقيامها ، وأنا قائم لقيام أمير  
المؤمنين ، وهما يتناظران فى صلتك ، فهذا كله لك . قلت : مالى من هذا إلا الصلة !  
فقال : هذا أحسنُ من شعرك . قال : فأمر لى أمير المؤمنين بمالٍ كثير ، وأمرت لى  
ماردة بمالٍ دونه ، وأمر لى الوزير بمالٍ دون ما أمرت به ، وُحِلْتُ على ما ترون من  
الظَّهر ، ثم قال الوزير : من تمام اليدِ عندك ألا تخرج من الدار حتى يكون لك من  
هذا المال ضياع ، فاشتريت لى ضياعاً بعشرين ألف درهم ، ودفع لى بقية المال ، فهذا  
الخبر الذى عاقنى عنكم ، فلهوا حتى أقاسمكم الضياع وأفرقَ فيكم المال . فقلنا له : هناك  
الله ، فكل منا يرجع إلى نعمةٍ من أبيه ، فأقسم وأقسمنا . قال : فامضوا بنا إلى



الجارية حتى نشترها ، فشيننا إلى صاحبها ، وكانت جارية جميلة حلوة ، لا تحسن شيئاً ، أكثر ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل ؛ وكانت تساوى على وجهها خمسين ومائة دينار ، فلما رأى مولاها ميل المشتري استام بها خمسمائة ، فأجبتنا بالمعجب ؛ فخطت مائة ، ثم خطت مائة ، ثم قال العباس : يا فتيان ، إني والله أحتشم أن أقول بعد ما قلت ، واسكنها حاجة في نفسي ، بها يتم سروري ، فإن ساعدتم فعلت ، قلنا له : قل ، قال : هذه الجارية أنا أعاينها منذ دهر ، وأريد إثارة نفسي بها ، فأكره أن تنظر إلى بعين من قد ما كس في ثمنها ، دعوني أعطه بها خمسمائة دينار كما سأل ، قلنا له : وإنه قد خط مائتين . قال : وإن فعل . قال : فصادفت من مولاها رجلاً حراً ، فأخذ ثلاثمائة ، وجهزها بالمائتين ، فما زال إلينا محسناً حتى فرّق الموت بيننا .

١٠٨ — لأحبُّ تخديشَ وجهِ الصاحبِ\*

زعمت العرب أن الثعلب رأى حجراً أبيض بين لصبئين<sup>(١)</sup> ، فأراد أن  
يفتال به الأسد ، فأتاه ذات يوم ، فقال له : يا أبا الحارث ، الفنيمة الباردة ! شحمة  
رأيتها بين لصبئين ، فكرهت أن أدنو منها ، وأحييتُ أن تتولى ذلك أنت !  
فهلمَّ لأريكها !

فانطلق به حتى جاء به إليها ؛ فقال : دونك يا أبا الحارث !

فذهب الأسد ليدخل ، فضاق به المكان ؛ فقال له الثعلب : ادفع برأسك !  
فأقبل الأسد يدفع برأسه حتى نشب ، فلم يقدر أن يتقدم ولا أن يتأخر .  
ثم أقبل الثعلب يخدش خوزانه<sup>(٢)</sup> ؛ فقال الأسد : ما تصنعُ يا ثعلبة<sup>(٣)</sup> ؟  
قال : أريد لأستنقذك ؛ قال : فمن قبل الرأسِ إذن ! فقال الثعلب : لا أحب  
تخديش وجه الصاحب !

\* بجمع الأمثال : ٢ - ١٧١

(١) اللصب : الثعب الصغير في الجبل . (٢) المراد مؤخره . (٣) ثعالة : لقب الثعلب .

١٠٩ — حكومة الضب\*

زعموا أن أرنبا التقطت ثمرة؛ فاختمسها الثعلب فأكلها، فانطلقا يختصمان إلى الضب؛ فقالت الأرنب: يا أبا الحسل<sup>(١)</sup>! قال: «سميعة دعوت» . قالت: أتيناك لنحتكم إليك. قال: «عادلا حكمتما» . قالت: فاخرج إلينا. قال: «في بيته يؤن الحكم» ، قالت: إني وجدت ثمرة، قال: حلوة فكليها . قالت: فاختمسها الثعلب. قال: «لنفسه بنى الخير» ، قالت: فلطمته. قال: «بحقك أخذت» ، قالت: فلطمني، قال: «حر انتصر» ، قالت: فاقض بيننا؛ قال: قد قضيت!

\* بجمع الأمثال : ٢ - ١٧

(١) كنية الضب ، والحسل : ولد الضب .



١١٠ — أعلمك ثلاث خصال\*

قالوا : إن رجلا صاد قُبْرَةَ ؛ فقالت : ما تريد أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك  
وآكلك ! قالت : والله ما أشنى من قرَم<sup>(١)</sup> ، ولا أشبع من جوع ، ولكني  
أعلمك ثلاث خصال ؛ هي خير لك من أكلي : أما الأولى فأعلمك إياها وأنا في  
يدك ، وأما الثانية فإذا صرتُ على الشجرة ؛ وأما الثالثة فإذا صرتُ على الجبل .  
فقال : هاتي الأولى ، قالت : لا تَلْمَنَنَّ على ما فات ؛ فخلها ؛ فلما صارت  
على الشجرة ؛ قال : هاتي الثانية ؛ قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ،  
ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت : يا سقى ؛ لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتى  
دُرَّتَيْن وزنُ كل واحدة ثلاثون مثقالا !

فمضت على يديه وتَلْمَفَتْ تَلْمَفًا شديدًا ، وقال : هاتي الثالثة ، فقالت : قد  
نسيت الاتنتين ، فما تصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تَلْمَنَنَّ على ما فات ! وقد  
تَلْمَفْتُ ، أو لم أقل لك : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ! وأنا ولحى ودمى  
وريشى لا يكون عشرين مثقالا ، فكيف صدقت أن في حوصلتى درتين كل واحدة  
منهما ثلاثون مثقالا ! ثم طارت وذهبت .

\* ابن أبي الحديد : ٤ - ٣٧٤

(١) القرم : شدة شهوة اللحم .

١١١ — مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ\*

خَرَجَ قَوْمٌ إِلَى الصَّيْدِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ؛ فَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ؛ إِذْ عَرَضَتْ لَهُمْ أُمُّ عَامِرٍ<sup>(١)</sup> - وَهِيَ كُنْيَةُ الضَّبْعِ - فَطَرَدُوهَا؛ فَاتَمَبَتْهُمْ حَتَّى أَلْجَأُوهَا إِلَى خِيَابِ أَعْرَابِيٍّ، فَاتَّحَمَتْهُ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: صَيْدْنَا وَطَرَيْدْنَا؛ فَقَالَ: كَلَّا؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَصْلُونَ إِلَيْهَا مَا ثَبِتَ قَائِمٌ سِنْفِي فِي يَدِي، فَرَجَعُوا وَتَرَكَوهُ، وَقَامَ إِلَى لَقْحَةٍ<sup>(٢)</sup> فَخَلَبَهَا، وَمَاءَ قُورِبٍ مِنْهَا، فَأَقْبَلَتْ تَلَعُ مَرَّةً فِي هَذَا وَمَرَّةً فِي هَذَا حَتَّى رَوَيْتَ وَاسْتَرَاحْتَ، فَبَيْنَا الْأَعْرَابِيُّ نَائِمٌ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ، إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْهِ فَبَقَرَتْ بَطْنَهُ، وَشَرِبَتْ دَمَهُ وَتَرَكَتْهُ!

فَجَاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَطْلُبُهُ، فَإِذَا هُوَ فِي قَبْرِ فِي بَيْتِهِ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى مَوْضِعِ الضَّبْعِ، فَلَمْ يَرَهَا، فَقَالَ: صَاحِبَتِي وَاللَّهِ، فَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ وَاتَّبَعَهَا، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَدْرَكَهَا فَقَتَلَهَا، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ      يَلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ!

\* مجمع الأمثال: ٢ - ٨٢

(١) عامر: جرو الضبع، وأم عامر: كنيته.

(٢) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن، ولا يوصف به.

١١٢ — كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ! \*

حكى أن أخوين كانا في إبل لهما ، فأجذبت بلادهما ، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب ، وفيه حية تحميه من كل أحد ، فقال أحدهما للآخر : يا فلان ؛ لو أنى أتيت هذا الوادى المسمى<sup>(١)</sup> فرعيتُ فيه إبلى وأصلحتُها ، فقال له أخوه : إني أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحداً لا يهبط ذلك الوادى إلا أهلكته ؟ قال : فوالله لأفعلن ! فهبط الوادى ورعى به إبله زماناً .

ثم إن الحية نهشته فقتلته ، فقال أخوه : والله ما فى الحياة بعد أخى خير ، فلا طلبنَّ الحية ولاقتننَّها أو لأتبعنَّ أخى ، فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها ؛ فقالت الحية : ألت ترى أنى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فأدعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ؟ قال : أو فاعلة أنت ! قالت : نعم . قال : إنى أفعل ، وحلف لها وأعطها الموائيق لا يضرها ، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً ، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً ، ثم إنه ذكر أخاه ، فقال : كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخى ؟ ثم عمد إلى فأس فأخذها ؛ ثم عمد لها ؛ فررت به فتبعها ، فضربها فأخطأها ، ودخلت الجحر ، ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعلت قطعت عنه الدينار ؛ فخاف الرجل شرها وندم ؛ فقال لها : هل لك أن نتواتق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت : « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ! »<sup>(٢)</sup> .

\* بجمع الأمثال : ٢ - ٨٢

(١) المسمى : الكثير الكلام . (٢) سارت مثلاً .



١١٣ - حكيم \*

لما مات بعضُ الخلفاء ، اختلفت الروم ، واجتمعت ملوكها ؛ فقالوا : الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض ، فتمكننا الغيرة<sup>(١)</sup> منهم والوثبة عليهم ، وعقدوا لذلك المشورات ، وترجموا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر .

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائباً عنهم ، فقالوا : من الحزم عرضُ الرأى عليه ؛ فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال : لأرى ذلك صواباً ؛ فسألوه عن علة ذلك ؛ فقال : فى غدٍ أخبركم .

فلما أصبحوا أتوا إليه ، وقالوا : قد وعدتنا أن نخبرنا فى هذا اليوم بالرأى فيما عوّلنا عليه ؛ فقال : سمعاً وطاعة ! وأمر بإحضار كلبين عظيمين ، كان قد أعدّهما ؛ ثم حرّش<sup>(٢)</sup> بينهما ، وحرّض كل واحد منهما على الآخر ؛ فتوائبا وتهارشا<sup>(٣)</sup> ، حتى سالت دماؤهما .

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده ، وأرسل على الكلبين ذئباً كان قد أعدّه لذلك ، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه ، وتألقت قلوبهما ووثبا جميعاً على الذئب فقتلاه .

---

\* المستطرف : ١  
(٢) الغرة : الغفلة .  
(٣) المهارشة : تحريش الكلاب .  
(٢) التحريش : الإغراء .  
بعضها على بعض .

فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال : مثلكم مع المسلمين مثلُ هذا  
الذئب مع الكلاب ؛ لا يزال الهرج<sup>(١)</sup> بين المسلمين ما لم يظهر  
لهم عدو من غيرهم ؛ فإذا ظهر تركوا العداوة بينهم ، وتآلفوا على  
العدو .

فاستحسنوا قوله ، واستصوبوا رأيه ، واتبعوا مشورته .

---

(١) الهرج : الفتنة والاختلاط .

## البَابُ الْخَامِسُ

---

في القصص التي يعرف بها مذهبهم في شياطين الشعر  
وأصوات الجن في الفياق ، وأحاديثهم عن الغول ،  
ورؤية من رآها منهم ، وما إلى ذلك مما يصور سعة  
أخيلتهم ، وسميهم وراء المجهول بأجنحة التفكير  
والتصور .

---



١١٤ — تَأْبَطُ شَرًّا يَقْتُلُ الْغَوْلَ\*

قال عمرو بن أبي عمرو الشيباني : نزلت على حمّ من قهم ، فسألهم عن خبر  
تأبَطَ شَرًّا<sup>(١)</sup> ، فقال لي بعضهم : وما سؤالك عنه ؟ أتريد أن تكون لصاً ! قلت :  
لا ، ولكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين فأحدث بها . فقالوا : نُحَدِّثُكَ  
بِخَبْرِهِ .

إنَّ تأبَطَ شَرًّا كان أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عَيْنَيْنِ ، وكان إذا جاع  
لم تقم له قائمة ، فكان ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أئمةً لها ، ثم يجرى خلفه  
فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ، ثم يشويه فيأكله .

وإنما سمي تأبَطَ شَرًّا ؛ لأنه فيما حكى لنا : لقي الغولَ في ليلة ظلماء في موضع  
يقال له : رحى بَطَانٍ<sup>(٢)</sup> ، في بلاد هُدَيْل ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى  
قتلها ، وبات عليها . فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له :  
لقد تأبَطَ شَرًّا ، وقال في هذا :

ألا من مبلغ فتیان قهمِ      بما لا قيتُ عند رَحَى بَطَانِ  
وأنى قد لقيتُ الغولَ هَوِي      بسُهْبٍ<sup>(٣)</sup> كالصحيفة صحصحانِ  
قتلتُ لها : كِلاناً نِضوُ أَيْنِ<sup>(٤)</sup>      أخو سفرٍ فَنَخَلِي لى مكاني

\* الأغانى : ٨ - ٢٠٩ ، معجم البلدان : ٤ - ٢٣١

(١) هو ثابت بن جابر ، وتأبَطَ شَرًّا لقبه ، توفى نحو سنة ٨٠ ق . هـ (٢) رحى بَطَانِ :  
موضع لهذيل . (٣) السهب : الفلاة ، والصحصحان : ما استوى من الأرض واتسع . (٤) الأين :  
الإعياء والتعب .

فشدت شدةً نحوى فأهوى لها كفى بمصقولٍ يمانى  
فأضربها بلا دهسٍ فخرتُ صريماً لليدين وللجيران<sup>(١)</sup>  
فقلت: عدتُ قلت لها: رويداً<sup>(٢)</sup> مكانك! إننى تبتُ الجنانِ  
فلم أنفك متكثراً عليها لأنظرَ مُصيحاً ماذا أتانى  
إذا عينان فى رأسٍ قبيحٍ كرأس المهر مشقوق اللسانِ  
وساقاً مُخدجٍ وشواة كلبٍ<sup>(٣)</sup> وثوبٌ من عباء أو شنانِ

(١) الجران للبعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منخره . (٢) زعمت العرب أن الفول إذ ضربت ضربة واحدة ماتت بها ، فإذا ضربت ضربة أخرى عاشت . (٣) مخدج: ناقص الخلق، والشواة: جلدة الرأس ، والشنان : جمع شن، وهو القرية الخلق.

١١٥ - رثي<sup>(١)</sup> الأعشى \*

قال جرير بن عبدالله البجليّ : سافرتُ في الجاهلية فأقبلتُ على بَعير ليلَةٍ  
أريد أن أستقيه ، فجعلتُ أريدهُ على أن يتقدم ، فوالله ما يتقدّم ، فتقدمتُ فدنوتُ  
من الماء وعَقَلتهُ ، ثم أتيتُ الماء فإذا قومٌ مشوّهُون عند الماء فعمدت .

فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدُّ تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرُهم . فقالوا  
له : يا فلان ؛ أنشدُ هذا فإنه ضيف ؛ فأنشد :

\* ودّع هريرة إن الركب مُرّجِلُ \*

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً ، حتى انتهى إلى هذا البيت :

تسمع للحجليّ وسواساً إذا انصرفتُ كما استعانَ بريحٍ عَشْرِقُ زَجِلٍ<sup>(٢)</sup>

فأعجب به . قلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول  
لأخبرتُك أن أعشى بنى نعلبة أنشدنيها عاماً أوّلَ بنجران . قال : فإنك صادق ، أنا  
الذي ألقيتها على لسانه ، وأنا مسجّل صاحبه ، ماضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون  
ابن قيس !

\* الأغاني : ٩ - ١٥٦

(١) الرثي : الجني . (٢) الوسواس : صوت الحلي ، والعشريق : شجيرة مقدار ذراع ، لها  
أكام فيها حب صفار إذا جفت فرت بها الريح تحرك الحب ، فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس  
حليها بصوته إذا ضربته الريح . والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر : صفة منه .



١١٦ — هاجس الأعشى\*

قال الأعشى<sup>(١)</sup> : خرجتُ أريدُ قَيْسَ بنَ مَعْدِيكَرِبٍ بِحَضْرَمَوْتِ ، فَضَلَلْتُ  
فِي أَوَائِلِ أَرْضِ الْيَمَنِ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ سَلَكَتُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ قَبْلُ ، فَأَصَابَنِي مَطَرٌ ،  
فَرَمِيتُ بِبَصْرِي أَطْلُبُ مَكَانًا أَلْجَأُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعْتُ عَيْنِي عَلَى خِيبَاءٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ شَعْرٍ ،  
فَقَصَدْتُ نَحْوَهُ ، وَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ عَلَى بَابِ الْخِيبَاءِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ  
السَّلَامَ ، وَأَدْخَلَ نَاقَتِي خِيبَاءَ آخَرَ كَانَ بِجَانِبِ الْبَيْتِ ، فَحَطَطْتُ رَحْلِي وَجَلَسْتُ ،  
فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَقْصِدُ ؟ قُلْتُ : أَنَا الْأَعْشَى ، أَقْصِدُ قَيْسَ بنَ مَعْدِيكَرِبٍ .  
فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ ! أَظُنُّكَ امْتَدَّحْتَهُ بِشَعْرٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْشِدْنِيهِ ، فَابْتَدَأْتُ  
مَطْلِعَ الْقَصِيدَةِ :

رَحَلْتُ سُمِّيَّةَ غُدُوَّةَ أَجْمَالِهَا غَضَبًا عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا !

فلما أنشدته هذا المطلع قال : حسبك ! أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم ، قال :  
مَنْ سُمِّيَّةَ الَّتِي تَنْسُبُ بِهَا ؟ قلت : لا أعرفها ، وإنما هو اسم أَلْتِي فِي رُوعِي<sup>(٣)</sup> ؛  
فنادى : يَا سُمِّيَّةُ ؛ اخْرُجِي ، وَإِذَا جَارِيَةٌ خَمَاسِيَّةٌ<sup>(٤)</sup> قَدْ خَرَجْتُ ، فَوَقَفْتُ وَقَالَتْ :

\* خزانة الأدب : ٣ - ٤٤٩ ( طبعة بولاق ) .

(١) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي من غول شعراء الجاهلية ، و طال  
عمره حتى كان الإسلام ، فأعد قصيدة يمدح بها النبي وقصده بالحجاز فلقبه كغفار فريش وصدوه عن  
وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ، ويرجع إلى بلده ففعل ، ولما قرب من اليمامة سقط عن  
ناقته فدقت عنقه ومات . (٢) الخباء من الأبنية : يكون من وبر أو صوف أو شعر .

(٣) الروع : القلب والعقل . (٤) خماسية : طولها خمسة أشبار .

ما تريد يا أبت؟ قال . أنشدني عمك قصيدتي التي مدحتُ بها قيس بن معديكرب ،  
ونسبتُ بكِ في أولها ، فاندفعت تُنشدُ القصيدة حتى أنت على آخرها لم تخرمُ منها  
حرفاً ، فلما أتممتها قال : انصرفي ، ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت : نعم ،  
كان بيني وبين ابن عمي لي يقال له يزيد بن مسهر ، ما يكون بين بني العم ،  
فهجاني وهجوته فأفحمتُه . قال : ماذا قلت فيه ؟ قال : قلت :

ودع هُريرةَ إن الركبَ مُرْتَحِلُ      وهل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ !

فلما أنشدته البيتَ الأول ، قال : حسبك ! من هُريرةَ هذه التي نسبتَ بها ؟  
قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها ؛ فنادى : ياهريرة ؛ فإذا جاريةٌ قريبة  
السن من الأولى خرجتُ ، فقال : أنشدني عمك قصيدتي التي هجوتُ بها يزيدَ بنَ  
مسهر ، فأنشدتها من أولها إلى آخرها لم تخرم منها حرفاً ، فسقط في يدي وتحيّرت  
وتفشتني رعدة .

فلما رأى ما نزل بي قال : ليُفرخِ روعك<sup>(١)</sup> يا أبابصير ؛ أنا هاجسك مسحل  
ابن أئامة ، الذي ألقى على لسانك الشعر .

قال الأعشى : فسكنتُ نفسي ورجعتُ إلى ، وسكن المطر ، فدلتني على  
الطريق ، وأراني سمتَ مقصدي ، وقال : لا تعجُ يمينا ولا شمالاً حتى تقع ببلاد  
قيس .

(١) ليفرخ روعك : ليذهب رعبك وفزعك ؛ فإن الأمر ليس على ما تخاذر .

١١٧ — عبيد بن الأبرص والشجاع\*

قال القاضي يحيى بن أكرم : دخلت يوماً على هارون الرشيد ، وهو مطرق مفكر ، فقال لى : أنعرف قائل هذا البيت :

الخير أبهى وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد  
قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن لهذا البيت شأنًا مع عبيد بن الأبرص ! فقال :  
أخبرنى عنه . قلت : يا أمير المؤمنين ؛ حدث عبيد قال :

كنتُ فى بعض السنين حاجًا ، فلما توسطت البادية فى شديد الحر سمعتُ  
ضجعةً عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها ، فسألت عن القصة ، فقال لى رجل  
من القوم : تقدم ترما بالناس . فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع<sup>(١)</sup> أسود  
فاغبر فاه كالخدع ، وهو يخور كما يخور الثور ، ويرغو كرغاء البعير ؛ فهالنى أمره ،  
وبقيت لا أتهدى إلى ما أصنع ؛ فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى ، فعارضنا  
ثانيًا ؛ ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه ، فقلت : أفدى هذا العالم بنفسى ،  
وأقرب إلى الله تعالى بمخلص هذه القافلة منه .

فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسلات سيفى ، فلما رآنى قربتُ منه سكن ،  
وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعنى فيها ، فلما رأى القربة فتح فاه ، فجعلت فم القربة

\* المختار من نوادر الأخبار (مخطوط) ، الأغانى : ١٩ - ٨٦ ، المستطرف : ١ - ٢٤٤  
(١) الشجاع : الذكر من الحيات .



في فيه ، وصببتُ الماء كما يُصبُّ في الإناء . فلما فرغت القربة تسبَّب في  
لرمل ومضى ؛ فتمعجبت من تعرُّضه لنا وانصرافه عنا عن غير سوء لحقنا ،  
ومضينا لحجَّنا .

ثم عدُّنا في طريقنا ذلك ، وحططنا في منزلنا ذلك ، في ليلة مظلمة مُدْهِمَةٌ ،  
فأخذت شيئاً من الماء وعدلتُ إلى ناحية عن الطريق ، فأخذتني عيني ؛ فنمتُ  
مكاني ؛ فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حساً ، وقد ارتحلوا ، وبقيتُ منفرداً  
لم أر أحداً ، ولم أهتد إلى ما أفعله ، وأخذتني حيرة ، وجعلت أضطربُ ، وإذا  
بصوت هاتف أسمعُ صوته ولا أرى شخصه يقول :

بأيها الشخصُ المضلُّ مركبُهُ ما عنده من ذي رشادٍ يصحبه  
دونك هذا البكرُ منا تركبه وبسكرُك الميمون حقاً تجنِّبه<sup>(١)</sup>  
حتى إذا ما الليل زال غيبهُ<sup>(٢)</sup> عند الصباح في الفلا تسبِّبه<sup>(٣)</sup>

فنظرت فإذا ببكرٍ قائمٌ عندي وبسكرٍ إلى جانبي ، فأنتختُ وركبته ،  
وجنبتُ بكرى ؛ فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة ، وانفجر الفجر ،  
ووقف البكر ، فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى البكر ، وقلت :  
بأيها البكرُ قد أنجيتَ من كربٍ ومن همومٍ تضل المدلج الهادى  
ألا فحَبَّرْنِي بالله خالقِنَا من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادى

(١) جنب البعير : قاده إلى جنبه . (٢) النيهب : شدة سواد الليل . (٣) سيب الشيء :

وارجع حميداً فقد بَلِّغْتَنَا مِنَّا      بوركتَ من ذى سنامِ رَأْمِحِ غَادِي

فالتفت البكر إلى ، وهو يقول :

أنا الشجاعُ الذى أَلْفَيْتَنِي رَمِيضاً      والله يكشِفُ ضرَّ الحائرِ الصَّادِي

فجدتَ بالماءِ لَمَّا ضَنَّ حَامِلُهُ      نصف النهار على الرَّمْضَاءِ فى الوادِي

الخيرُ أبقي وإن طال الزمانُ به      والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

هذا جزاؤك مِنَّا لا يُمنُّ به      لك الجليلُ علينا إنك البادِي

فمجب الرشيْدُ من قوله ، وأمر بالقصة والأبيات فكتبت ، وقال : لا يضيع

للمعروف أين وُضع !

١١٨ — وَمَنْ عَبِيدٌ لَوْ لَا هَبِيدٌ\*

قال راوي:

خرجتُ على بعيرٍ لي صعبٍ يمرّ لا يُملِّكُنِي من أمرِ نفسي شيئاً ، حتى مرّ على جماعةٍ ظباءٍ في سفحِ جبلٍ ، على قُلَّتِهِ رجلٌ عليه أظمارٌ<sup>(١)</sup> ، فلما رأنتي الظباءُ هربت ، فقال : ما أردتِ إلى ما صنعتِ؟ إنكم لتعرضون بمن لو شاء قدعكم<sup>(٢)</sup> عن ذلك ! فداخلى عليه من الغيظِ ما لم أقدر أن أحمله ، فقلت : إن تفعل بي ذلك لا أرضى لك ؛ فضحك ، ثم قال : امض - عافاك الله - لبالك .

فجعلت أردد البعير في مراعى الظباء ، لأغضبه ، فنهض وهو يقول : إنك لجليد القلب ؛ ثم أتاني فصاح ببعيري صيحة ، ضرب بجرّانه<sup>(٣)</sup> الأرض ، ووثبتُ عنه إلى الأرض ، وعلمت أنه جانٌّ ، فقلت : أيها الشيخ ؛ إنك لأسوأ مني صنيعاً ؛ فقال : بل أنت أظلم وأأم ، بدأت بالظلم ، ثم لوُثمت في تركك المضي ، فقلت : أجل ! عرفتُ خطئي ، قال : فاذا كر الله فقد رُعنالك ، وبذا كر الله تطمئن القلوب ، فذكرت الله تعالى ، ثم قلت دهشاً : أتروى من أشعار العرب شيئاً؟ فقال : نعم ، أروى وأقول قولاً فائقاً مبرّزاً ، فقلت : فأرني من قولك ما أحببت ؛ فأنشأ يقول :

\* الجمهرة : ٢٣

(١) الأظمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق . (٢) قدعكم : كفكم ومنعكم . (٣) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .



طاف الخيال علينا ليلة الوادي      من آل سلى ولم يُعلم بميعاد  
إني اهتديت إلى مَنْ طال ليلهمُ      في سبَسبٍ<sup>(١)</sup> ذاتِ كَدَاكِ وَأَعْقَادٍ<sup>(٢)</sup>  
يَكْفُونَ سُراها كلَّ يَمَعَلَةٍ<sup>(٣)</sup>      مثل المِهْأَةِ إِذَا ما حَمَّها الحادى  
أبلغ أبا كَرَبٍ<sup>(٤)</sup> عني وأسرته      قولا سَيَذْهَبُ غَوْرًا بعدِ إِنْجَادِ  
يَاعْمَرُو؛ ماراح من قومٍ ولا ابتكروا      إلا وللموتِ في آثارهم حادى  
لأعرفنك بعد اليوم تندُبني      وفي حياتي ما زودتني زادى  
أما حَمَامُك يومًا أنت مُدْرِكُه      لاحاضرٍ مُفْلِتٌ منه ولا بادى

فلما فرغ من إنشاده قلت : لهذا الشعر أشهر في معد بن عدنان من ولد الفرس  
الأبلىق<sup>(٥)</sup> في الدُّمِّ<sup>(٦)</sup> العراب<sup>(٧)</sup> ، هذا لعبيد بن الأبرص الأَسدى ، فقال : ومن  
عبيد لولا هبيد ! قلت : ومن هبيد ؟ فأنشأ يقول :

أنا ابن الصّلام أدعى الهبيد      حبوت القوافى قرمى<sup>(٨)</sup> أسد  
عبيدا حبوتُ بمأثورة      وأنطقتِ بشرًا<sup>(٩)</sup> على غير كد  
ولاقي بمُدْرِكِ رهط الكُميت<sup>(١٠)</sup>      ملاذًا عزيزًا ومجدًا وجد  
منحنامُ الشعر عن قُدْرَة      فهل تشكرُ اليومَ هذا معد !

قلت : أما عن نفسك فقد أخبرتنى ، فأخبرنى عن مُدْرِك ، فقال : هو مُدْرِك  
ابن واغم صاحب الكُميت ، وهو ابن عمى ، وكان الصّلام وواغم من أشعر الجن .

(١) السبب : المفازة . (٢) الكدك : أرض فيها غلظ . الأعقاد : جمع عقده ، مانعقد من الرمل .  
(٣) اليمعة : الناقة النجيبة . (٤) أبو كرب : عمرو بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار .  
(٥) الأبلىق : ما فيه سواد وبياض . (٦) الدّم : السود . (٧) العراب : الأصيلة . (٨) القرم :  
السيد ، ويريد بقرى أسد عبيدا وبشرا فهما من قبيلة أسد . (٩) بشرًا : هو بشر بن أبى  
خلزم الشاعر . (١٠) الكميت : هو الكميت بن زيد الأَسدى .

ثم قال : لو أنك أصبت من لبنٍ عندنا ! فقلت : هات ، أريد الأُنسَ به ، فذهب  
فأتاني بُسٌّ<sup>(١)</sup> فيه لبنٌ ظبي ، فكرهته لزُهومته<sup>(٢)</sup> ، فقلت : إليك ! وَجَّجْتُ  
ما كان في فمي منه ، فأخذه ثم قال : امض راشداً مصاحباً ، فوليت منصرفاً ،  
فصاح بي من خلقي ؛ أما إنك لو شربت ما في العُسِّ لأصبحت أشعر قومك .  
قال : فندمت على أني لم أشرب ما في عُسِّه في جوفِي على ما كان من زُهومته ،  
وأنشأت أقول في طريقي :

أسفت على عُسِّ الهبيد وشربه      لقد حَرَمْتَنِيهِ صروف المقاديرِ  
ولو أنني إذ ذاك كنتُ شربته      لأصبحتُ في قومي لهم خيرَ شاعرِ

(١) عس : إلاء . (٢) الزهومة : رائحة غير مقبولة .

١١٩ — لافظ بن لاحظ ! \*

حدث أحد الرواة قال : خرجت في طلب لِقَاح<sup>(١)</sup> لي على فَحْلٍ كأنه فَدَن<sup>(٢)</sup> ،  
يمرُّ بي يسبق الريح ، حتى دفعت إلى خيمة وإذا بفنائها شيخٌ كبير ، فسلمت فلم يرد  
عليّ ، فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟ فاستحمته ؛ إذ بجِلِّ بردٍ السلام ، وأسرعَ إلى  
السؤال . فقلت : من هنا ! وأشرتُ إلى خلفي ، وإلى ههنا ! وأشرتُ إلى أمامي ؛  
فقال : أَمَا مِنْ ههنا فنم ، وأما إلى ههنا فوالله ما أراك تبتهج بذلك ، إلا أن يسهل  
عليك مُدَاراة من ترد عليه ! قلت : وكيف ذلك أيها الشيخ ؟ قال : لأن الشكلَ  
غير شكلك ، ، والزيّ غيرُ زيك ، فضرب قلبي أنه من الجن ، وقلتُ : أتروى من  
أشعار العرب شيئاً ؟ قال : نعم وأقول ، قلت : فأنشدني - كالمستهزئ به ! فأنشدني  
قول امرئ القيس :

قفا نَبِكْ من ذِكْرِي حبيبٍ ومَنْزِلٍ بِسِقْطِ<sup>(٣)</sup> اللوى بين الدخولِ فَحَوَمَلٍ  
فلما فرغ قلت : لو أن امرأ القيس يُنْشِرُ لِرَدْعِكَ عن هذا الكلام . فقال :  
ماذا تقول ؟ قلت : هذا لامرئ القيس ، قال : لستُ أولَ من كُفِرَ نعمة أسداها !  
قلت : ألا تستحي أيها الشيخ ، المثلِ امرئ القيس يقال هذا ؟ قال : أنا والله  
منحْتُهُ ما أعجبك منه ! قلتُ : فما اسمك ؟ قال : لافظ بن لاحظ ، فقلت : اسمان  
منكران ! قال : أجل ! فاستحمتُ نفسي له ، بعد ما استحمته لها ، وأنستُ به

\* الجمهرة : ٢٣

(١) اللقاح : الإبل . (٢) الفدن : القصر . (٣) سقط اللوى والدخول وحومل : مواضع

بنجد .



لطول محاورتي إياه ، وقد عرفت أنه من الجن ، فقلت له : مَنْ أشعرُ العرب ؟  
فأنشأ يقول :

ذهب ابنُ حُجْرٍ<sup>(١)</sup> بالقريض وقوله ولقد أجاد فما يُعاد زياد<sup>(٢)</sup>  
لله هاذر إذ يُجودُ بقوله إن ابن ماهر بعدها لجوادُ

قلت : من هاذر؟ قال : صاحب زياد الذي ياني وهو أشعر الجن ، وأضنهم بشعره ،  
ولقد علم بنية لي قصيدة له من فيه إلى أذنها ، ثم صرخ بها : اخرجي فدي لك  
ما ولدتُ حواء ! فقلت له : ما أنصفت أيها الشيخ ، فقال : ما قلتُ بأساً ، ثم رجعت  
إلى نفسي فعرفتُ ما أراد ، فسكت ، ثم أنشدتني الجارية :

نأتُ بسعادَ عنك نوى شطون<sup>(٣)</sup> فباتت والفؤادُ بها حزين

حتى أتت على قوله منها \* كذلك كان نوح لا يخنون \* قال : لو كان رأيُ  
قوم نوح فيه كراي هاذر ما أصابهم الفرق ! لحفظت البيتين ، ثم نهض بي الفحل  
فعدتُ إلى لقاحي .

---

(١) ابن حجر : امرؤ القيس . (٢) زياد : النابغة الذبياني . (٣) شطون : بيعة .

١٢٠ — تابع زهير بن أبي سلمى \*

قال عليّ بن الجهم القرشي : دخلتُ على المتوكل يوماً ، وهو جالسٌ وحده ،  
فسلمتُ عليه فردّ السلام ؛ وأجّسني ، فحانت مني التفاتة ، فرأيتُ الفتحَ بن  
خاقان<sup>(١)</sup> واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها ، متكئاً على سيفه مُطْرِقاً ، فأنكرت  
حاله ، فكنتُ إذا نظرتُ إليه نظر إلى الخليفة ، فإذا صرفتُ وجهي نحو الخليفة أطرق .  
قال : يا عليّ ، أنكرت شيئاً ؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : ما هو ؟  
قلت : وقوفُ الفتحِ في غير رُتبتِهِ التي كان يقومُ فيها !

قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام . قلت : ما السببُ يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
خرجتُ من عند قبيلة<sup>(٢)</sup> آفقا ، فأسررتُ إليه سرّاً ، فما عداني السرُّ إذ عادَ إلى ا  
قلت : لعلك أسررتَه إلى أحد غيره يا أمير المؤمنين ! قال : ما كان هذا ؟ قلت :  
فلعل مُستَمِعاً استمعَ عليكما ! قال : ولا هذا أيضاً .

فأطرقتُ مليّاً ؛ ثم رفعتُ رأسي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد وجدتُ له مما هو  
فيه نخرجاً ! قال : ما هو ؟ قلت : حدثنا الفضل بن دُكين ، قال أبو الجوزاء : طلقتُ  
امرأتِي في نفسي ، وأنا في المسجد ، ثم انصرفتُ إلى داري ، فقالت لي امرأتِي : أطلقتني

\* معجم الأدباء : ١٦ - ١٨٠

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد القائد ، كان في نهاية الذكاء والفتنة وحسن الأدب ، وكان من  
أولاد الملوك ، اتخذته المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على جميع أولاده وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ  
وهو غير الفتح بن خاقان الأندلسي . (٢) قبيلة : جارية المتوكل .

يا أبا الجوزاء؟ قلتُ: من أين لك هذا؟ قالت: خبّرني جارتى الأنصارية اقلت: ومن خبّرها بذلك؟ قالت: ذكرت أن زوجها خبّرها بذلك!

فعدوتُ على ابن عباس فقصصت عليه القصة؛ فقال: علمتُ أن وسواس<sup>(١)</sup> الرجل يحدث وسواس الرجل، فمن ههنا يَفْشُو السر.

قال أبو نعيم: فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات، قال: خرجت سنة من السنين أريد مكة، فلما جُرْتُ في بعض الطريق ضلّت راحلتى، فخرجتُ أطلبها، فإذا بائنين قد قبضاً علىّ، أحسّ حسّهما؛ وأسمعُ كلامهما، ولا أرى شخصهما! فأخذاني وجاءا بي إلى شيخ قاعدٍ على تلعة<sup>(٢)</sup> من الأرض، حسن الشيبة؛ فسلمت عليه فردّ السلام؛ فأفرخ<sup>(٣)</sup> روعى؛ ثم قال: من أين؟ وإلى أين؟ قلت: من الكوفة أريد مكة.

قال: ولم تخلفتَ عن أصحابك؟ قلت: ضلّت راحلتى فجنّتُ أطلبها!

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه؛ فقال: زاملة<sup>(٤)</sup>؛ فأنيخت بين يدي؛ ثم قال لي: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم! قال: هاته! فقرأت حتى انتهيت إلى هذه الآية: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ؛ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا: أَنْصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

فقال لي: على رسلك! تدرى كم كانوا؟ قلت: اللهم لا! قال: كنا أربعة؛

وكنتُ مخاطبهم، قلت: «يا قومنا أجيئوا داعي الله».

(١) وسواس الرجل: الشيطان الذي يوسوس له. والوسوسة: الصوت الخفي والهمس.

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض. (٣) الروع: القلب، وأفرخ: أخرج ما به من خوف.

(٤) منادى محذوف منه حرف النداء، اسم ناقته.



ثم قال لى : أتقول الشعر؟ قلت : اللهم لا ! قال : أفترؤبه؟ قلت : نعم !  
قال : هاته ! فأشدته قصيدة :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَسْكَمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَدِّ (١)

فقال : لمن هذه؟ قلت : لزهير بن أبي سلمى ! قال : الجنى؟ قلت : بل  
الإنسى ! مراراً .

فرفع رأسه إلى قوم على رأسه ، فقال : زهير ! فأنى بشيخ كأنه قطعة لحم ؛  
فألتنى بين يديه ، فقال له : يا زهير ! قال : لبيك ! قال : « أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى » لمن ؟  
قال : لى ! قال : هذا حمزة الزياتُ يذكرُ أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسى ، قال :  
صدق هو ، وصدقت أنت !

قال : وكيف هذا؟ قال : هو إلتنى من الإنس ، وأنا تابعه من الجن ، أقول  
الشيء فألقيه فى وهمه ، ويقولُ الشيء فأخذه عنه ؛ فأنا قائلها فى الجن ، وهو قائلها  
فى الإنس .

قال أبو نعيم : فصدق عندى هذا الحديثُ حديثُ أبى الجوزاء إن وسواس  
الرجل يحدثُ وسواس الرجل ! فمن ها هنا يفشو السر !

فاستفرغ (٢) المتوكل ضحكاً ، وقال : إلتى يافتح ! فصب عليه خلماً (٣) ، وحمل  
على شيء من الظمّر ، وأمر له بمال ، وأمر لى بدون ما أمر له به .  
فانصرفت إلى منزلى ، وقد شاطرنى الفتح ما أخذ ، فصار الأكثر إلى ،  
والأقل عنده .

(١) أم أوفى : على حذف مضاف ، أى آمن منازل أم أوفى ، والدمنة : ما بقى من أثار الديار ،  
وحومانة الدراج : ماء فى طريق البصرة إلى مكة ، والمثلج : موضع أول أرض الصمان . (٢) بذل  
جهده فى الضحك . (٣) ما يخلع على الإنسان من الثياب وغيرها .

١٢١ — حاتم يقرى الضيف بعد موته\*

مرّ فرفر من عبد القيس بقبر حاتم<sup>(١)</sup> ، فنزلوا قريباً منه ، فقام إليه رجل يقال له أبو الخيبري<sup>(٢)</sup> ، وجعل يركض<sup>(٣)</sup> برجله قبره ؛ ويقول : أقرنا ، فقال له بعضهم : ويلك ! ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات ؟ قال : إن طيًّا تزعم أنه ما نزل به أحدٌ إلا قرّاه ، ثم أجنهم الليل ، فناموا .

فقام أبو الخيبري فزعماً ، وهو يقول : وارا حلتاه ! فقالوا له : مالك ؟ قال : أتاني حاتم في النوم ، وعقرناقتي بالسيف ؛ وأنا أنظرُ إليها ، ثم أنشدني شعراً حفظته ، يقول فيه :

أبا الخيبري ، وأنت امرؤٌ      ظلومُ العشيِّرة شتأمها  
أتيت بصحبك تبغي القرى      لدى حفرة قد صدت<sup>(٤)</sup> هامها  
أتبغى لي الذم عند المبيت      وحوك طيًّا وأنعامها  
فإننا لنشبع أضيافنا      وتأتي المطى فنعمتأمها<sup>(٥)</sup>

\* بلوغ الأرب : ١ - ٧٤

(١) هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طي ، وهو من أجواد العرب ، وله أخبار كثيرة في السخاء مشهورة ، حتى جرى ذكره بجرى الأمثال ، وكان مع ذلك شاعراً وشجاعاً ، توفي سنة ٥٠٦ م .  
(٢) قال في القاموس : كانه ولد بنخير . وخبير : حصن قرب المدينة . (٣) ركض الرجل ركضاً من باب قتل : ضرب برجله . (٤) صدت : صوتت . والهامة : طير تزعم العرب أنه يصيح على قبر الميت القليل ، فلا يفتأ ينادى بشاره حتى يؤخذ به . (٥) نعمتها : عتمت الإبل ، واعتمت ، واستعتمت : إذا حلبت عشاء .

فقاموا ، وإذا ناقة الرجل تكوم<sup>(١)</sup> عقيراً ، فاتحروها وباتوا يأكلون ،  
وقالوا : قرانا حاتم حياً وميتاً !

وأردفوا صاحبهم ، وانطلقوا سائرين ، وإذا برجل راكب بعيراً وهو يقود  
آخر ، قد لحقه ، وهو يقول : أيكم أبو الخيبري ؟ قال الرجل : أنا ! قال : فنخذ هذا  
البعير ؛ أنا عدى بن حاتم ؛ جاءني حاتم اليوم في النوم ، وزعم أنه قراكم بناقتك ،  
وأمرني أن أحملك ؛ فشأنك والبعير<sup>(٢)</sup> !  
ودفعه إليهم وانصرف .

---

(١) تكوم : كاس البعير ، مشى على ثلاث قوائم وهو معرّب . (٢) إلى هذه القصة أشار  
ابن دارة النطفاني في قوله يمدح عدى بن حاتم :

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل	لذن شب حقيمات في الخير داعيا
به تضرب الأمثال في الشعر ميتا	وكان له إذ ذاك حيا مصاحبا
قري قبره الأضياف إذ نزلوا به	ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا



١٢٢ — جَارُ مَالِكِ بْنِ حَرِيمٍ \*

خرج مالك بن حريم في نفر من قومه يريدون عُكَاظَ ، فاصطادوا ظُبِيًّا ،  
وأصابهم عطش شديد ، فأنهوا إلى موضع فَصَدُّوا الظَّبِيَّ ، وجعلوا يشربون من  
دمه من العطش ، فلما ذهب دمه ذبحوه ، وخرجوا في طلب الحطب ، وكمن مالك  
في خبائه فأثار بعضهم شجاعاً<sup>(١)</sup> فأقبل منساباً حتى دخل رَحْلَ مالك ، فلأذ به ،  
وأقبل الرجل في أثره ؛ وقال : يا مالك ، استيقظ فإن الشجاع عندك ؛ فاستيقظ  
مالك ، ونظر إلى الشجاع ، فإذا هو يُلُوذُ<sup>(٢)</sup> به ؛ فقال للرجل : عزمتُ عليك إلا  
تركته ، فكف عنه وانساب الشجاع إلى مأمنه ، وأنشأ مالك يقول :

وأوصاني الحريم بعز جاري      وأمنعه وليس به امتناع  
وأدفع ضيمه وأذب عنه      وأمنعه إذا منع المتاع

ثم ارتحلوا واشتد بهم العطش ، وإذا بهاتف يهتف بهم ويقول :

يا أيها القوم لا ماء أمامكم      حتى تسوموا المطايا يومها التعبا  
ثم اعدلوا شامة فالله عن كذب      عين رواء وماء يذهب اللعبا<sup>(٣)</sup>  
حتى إذا ما أصبتم منه ريكم      فاسقوا المطايا ومنه فاملثوا القربا

فمدلوا شامة ، فإذا هم في عين خَرَّارَةٍ في أصل جبل ، فشربوا وسقوا إبلهم .

\* بلوغ الأرب : ٢ - ٣٦٢

(٢) لاذ به : لجأ إليه . (٣) الشامة : ضد البينة ،

(١) الشجاع : الذكر من الميات .

والكذب : القرب ، واللعب : التعب .

وحلوار يهيم حتى أتوا عكاظ ، ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى ذلك الموضع ، فلم يروا شيئاً ، وإذا بهاتف يقول :

يا مالٍ عنى جزاك الله صالحاً      هذا وداعٌ لكم منى وتسلمُ  
لا تزهدن في اصطناع الخير مع أحدٍ      إن الذي يحرم المعروف محرومُ  
من يفعل الخير لا يعدّم مغيبته      ما عاش ، والكفر بعد الغيب مذموم  
أنا الشجاع الذي أنجيت من رهي      شكرتُ ذلك إن الشكر مقسوم  
ثم طلبوا العين فلم يجدوها .

١٢٣ — الجن وابن الحمارس \*

كان عبيد بن الحمارس السكلي رجلاً شجاعاً ، وكان نازلاً بالسماوة<sup>(١)</sup> ، أيام الربيع ، فلما حَسَرَ الربيع ، وقلَّ ماؤه ، وأقلعت أنواؤه ، تحمل<sup>(٢)</sup> إلى وادي تبَل<sup>(٣)</sup> فرأى روضة وغديراً ، فقال : روضة وغدير وخطب يسير ، وأنا لما حويتُ مجير .

فزل هناك ، وله امرأتان : اسم إحداهما الرِّباب ، والأخرى خَوْلَة ؛ فقالت له خَوْلَة :

أرى بلدةً قفراً قليلاً أنيسها وإنا لنخشى - إن دجالليلُ - أهلها  
وقالت له الرِّباب :

أرنتك برأى ، فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جنَّ التعريف<sup>(٤)</sup> وجهلها  
فقال محبباً لهما :

أستُ كميًّا<sup>(٥)</sup> في الحروب مجرباً شجاعاً إذا شُبَّتْ له الحرب مجرباً<sup>(٦)</sup>  
سريعاً إلى الهيجا<sup>(٧)</sup> إذا حمس<sup>(٨)</sup> الوغى فأقسم لا أغدو الفدير منكباً<sup>(٩)</sup>  
ثم صعد إلى جبل تبَل فرأى شيهمة<sup>(١٠)</sup> ، فرماها فأقصصها<sup>(١١)</sup> ، ومعها ولدها  
فارتبطه ؛ فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن :

\* بلوغ الأرب : ٢ - ٣٥٥ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٤٤٨

- (١) السماوة : بادية قرب الشام . (٢) تحمل : سافر . (٣) تبَل : واد على أميال يسيرة من الكوفة ، وأعله متصل بسماوة كلب . (٤) التعريف : الحلفاء . (٥) السكى : الشجاع . (٦) المحرب : صاحب الحرب . (٧) الهيجا : الحرب . (٨) حمس : اشتد وصب في القتال . (٩) نكب : عدل . (١٠) الشيهمة : الأتني من القنائف . (١١) أقصصها : قتلها مكانها .



يابن الحمارس قد أسأت جوارنا  
وعقرت لفتحته<sup>(١)</sup> وقذت فصيلها  
وزلت مرعى شائنا وظلمتنا  
فلنظرقنك بالذى أو ليتنا

فأجابه ابن الحمارس :

يامدعى ظلى ، ولست بظالم  
لا تطعموا فيما لدى فالكم

فأجابه الجنى :

ياضارب اللقحة<sup>(٢)</sup> بالعضب الأفل<sup>(٣)</sup>  
وساقت الحين إلى جن تبلى

فأجابه ابن الحمارس :

يا صاحب اللقحة هل أنت بجمل  
وكثرة المنطق فى الحرب فشل  
ليث ليوث ، وإذا هم فعل  
من كان بالعقوة<sup>(٦)</sup> من جن تبلى

فسمعها شيخ من الجن ؛ فقال : لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا ، ثابت  
القلب ، ماضى العزيمة ! فقام ذلك الشيخ فأنشد :

(١) اللقحة : الناقة . (٢) العضب : السيف . (٣) الأفل : المثلث . (٤) أقوى : افتقر .  
(٥) التمام : السيد . (٦) العقوة : المحلة .

يا بن الحمارس قد نزلت بلادنا  
فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحننا  
فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى  
واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً  
فأجابه ابن الحمارس :

الله يعلم حيث يرفع عرشه  
أما ادعائك ما ادعيت فإنني  
فأسمت<sup>(٢)</sup> فيها مالنا ونزأتها  
فليغد صاحبكم علينا نعظه  
ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً<sup>(٣)</sup> .

(١) الأثام: الإثم . (٢) أسام المال : أرقاه . والمال (هنا) : الإبل . (٣) قال ابن أبي الحديد  
بعد إيراد هذه القصة في شرح نهج البلاغة: وهذه الحكاية وإن كانت كذباً إلا أنها تتضمن أدباً،  
وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها ولمتاعها .

١٢٤ — حارس مال ابن الخشرم\*

خرج نُجَيْحُ الْيَرْبُوعِيُّ يوماً إلى الصيد ، فعرض له حمارٌ وَخْشٍ فاتبعه ، حتى دفع إلى أكمة ، فإذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار<sup>(١)</sup> ، بين يديه ذهب وفضة ودُرٌّ وياقوت . فدنا منه نُجَيْحٌ ؛ فتناول منها بعضها ، فلم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاها ؛ فقال : يا هذا ؛ ما الذى بين يديك ؟ وكيف تستطيع حملَه ؟ أَلَاكَ هو أم لغيرك فإني أعجب مما أرى ، أجواد أنت فتجود لنا ، أم بخيل فأعذرك ؟ فقال الأعمى : كيف تطلب مال رجل قد غاب منذ سنتين ، وهو سعد بن خَشْرَمَ ، فأنتى بسعد يعطك ما تشاء .

فانطلق نُجَيْحٌ مسرعاً ، قد استظير فؤاده ، حتى وصل إلى محلته<sup>(٢)</sup> ، ودخل خبائه ، فوضع رأسه ، ونام لما به من النعم ؛ لا يدري من سعد !

فأتاه في منامه آت ؛ فقال له : يا نُجَيْحُ ؛ إن سعد بن خشرم في حى مُحَلِّمٍ من ولد ذهل بن شيبان ؛ فخرج وسأل عن بنى مُحَلِّمٍ ، ثم سأل عن خَشْرَمَ ، فإذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه ، فحياه نُجَيْحٌ ، فردَّ عليه ، فقال له نُجَيْحٌ : من أنت ؟ قال : خَشْرَمَ بن شماس . قال : وأين ابْنُكَ ؟ قال : خرج في طلب نُجَيْحِ الْيَرْبُوعِيِّ ؟

\* المحاسن والأضداد : ٦٩

(١) الأطمار : الملابس البالية . (٢) المحلة : منزل القوم .



وذلك أن آتياً أتاه في منامه ، فحدثه أن مالا له في نواحي بني يربوع لا يعلم به إلا نجيح ، فضرب نجيح بطن فرسه ، وهو يقول :

أبطلبني من قد عنائي طلابه فياليتني ألقاك سعد بن خشم  
أنت بني يربوع تبني لقاءنا وقد جئت - كي ألقاك - حتى محم

فلما دنا من محلته استقبل سعداً ، فقال له : أيها الراكب ؛ هل لقيت سعداً في بني يربوع ؟ فقال : أنا سعد ؛ فهل تدلني على نجيح ؟ قال : أنا نجيح ! وحدثه بالحديث ؛ ثم قال : الدالُّ على الخير كفاعله .

فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان ؛ فتوارى الرجل الأعمى حين أبصرها ، وترك المال ، فأخذه سعد كله ، فقال له نجيح : يا سعد ؛ قاسمني ، فقال له : اطو عن مالي كسحاً ! وأبي أن يعطيه شيئاً ، فانتضى نجيح سيفه ، وجعل يضربه ، حتى برد ؛ فلما وقع قتيلاً تحوّل الرجل الحافظ للمال سِعْلاًة<sup>(١)</sup> ، وأعاد المال إلى مكانه ؛ فلما رأى نجيح ذلك ولّى هارباً إلى قومه !

(١) السعلاة : النول أو ساحرة الجن .

١٢٥ - في موت أمية بن أبي الصلت\*

لما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم أخذ أمية بنتيةً وهربَ بهما إلى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ، فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غَيْلان هناك إذ سقط غراب على شُرْفة في القصر ، فَتَعَبَّ نَعْبَةً ؛ فقال أمية : بفيك الكَشْكَشْ<sup>(١)</sup> ! فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول : إنك إذا شربت الكأس التي بيدك ميت . فقات : بفيك الكَشْكَشْ ، ، ثم نعب نَعْبَةً أخرى ، فقال أمية نحو ذلك ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زعم أنه يقع على هذه المِزْبَلَةِ<sup>(٢)</sup> أسفل القصر ، فيستثير عظاما فيبتلمه فيشجى به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغرابُ على المِزْبَلَةِ ، فَأثار العظم ، فشجى به فمات .

فانكسر أمية ، ووضع الكأس من يده ، وتغيّر لونه ، فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا ! ثم ألحوا عليه حتى شرب الكأس فقال وأُغْمِيَ عليه ، ثم أفاق ، ثم قال : لا برى ؛ فأعتر ، ولا قوى فأتضر ، ثم خرجت نفسه .

\* الأغاني : ٤ - ١٣٣

(١) الكَشْكَشْ : التراب . (٢) موضع السرجين .

١٢٦ — في بحر الخزر\*

قال ميمون الأمدى : ركبت بحر الخزر أريد بلداً حتى إذا ما كنت منه غير بعيد لُجِّج<sup>(١)</sup> مركبنا ، فاستاقته ريح الشمال شهراً في اللجة ، ثم انكسر بنا ، فوقعت أنا ورجل من قريش إلى جزيرة في البحر ليس بها أنيس .

فجعلنا نطوف حتى أشرفنا على هوة ، وإذا بشيخ مستند إلى شجرة عظيمة ، فلما رأنا تحشش<sup>(٢)</sup> وأناف إلينا ! ففزعنا منه ، ثم دنونا نحوه ، وقلنا : السلام عليك أيها الشيخ ! قال : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فأنسنا به ، فقال : ما خطبكما ؟ فأخبرناه ، فضحك وقال : ما وطئ هذا الموضع أحد من ولد آدم قط ، فن أنما ؟ قلنا : من العرب ، قال : بأبي وأمي العرب ، فن أيها ؟ قلت : أما أنا فرجل من خزاعة ، وأما صاحبي فن قريش . قال : بأبي قريش وأحمدها ! قال : يا أبا خزاعة ، هل تدري من القائل :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ<sup>(٣)</sup> إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ  
بَلِي نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاتِرُ  
قلت : نعم ، ذلك الحارث بن مضاخ الجرهمي . قال : ذلك مؤدبها ، وأنا

\* الجمهرة : ٢٦

(١) لجت السفينة : خاضت اللجة . ولجة البحر : معطيه . (٢) تحشش : تحرك ، أناف : أشرف . (٣) الحجون : جبل بمكة ومقبرة .



قائلها في الحرب التي كانت بينكم معشر خزاعة وبين جرهم .

يا أخا قريش ؛ أولد عبد المطلب بن هاشم ؟ قلت : أين يذهب بك ، رحمك الله ، فربأ وعظم وقال : أرى زمانا فد تقارب إبانه ، أفولد ابنه عبد الله ؟ قلنا : وأين يذهب بك ، إنك لتسألنا مسألة من كان في الموتى .

قال : فتزايد ، ثم قال : فابنه محمد الهادي ؟ قلت : هيهات ! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة .

فشهق حتى ظننا أن نفسه قد خرجت ، وانمقض حتى صار كالفرخ وأنشأ يقول :

ولرب راجح حيل دون رجائه ومؤمل ذهبته به الآمال

ثم جعل ينوح ويبكى ، حتى بلّ دمه حقيقته ، فبكينا لبكائه ، ثم قال : ويحكما ! فمن ولى الأمر بعده ؟ قلنا : أبو بكر الصديق ، وهو رجل من خير أصحابه . قال : ثم من ؟ قلنا : عمر بن الخطاب ، قال : أفمن قومه ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن العرب لا تزال بخير ما فعلت ذلك !

١٢٧ — نجى<sup>(١)</sup> سواد بن قارب\*

وفد سوادُ بنُ قارب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ فسلم عليه فردّ السلام، فقال عمر: يا سواد! قال: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: ما بقى من كهانتك؛ ففضب ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ ما أظنك استقبّلت بهذا الكلام غيرى؛ فلما رأى عمرُ الكراهية في وجهه قال: يا سواد؛ إن الذى كُنّا عليه من عبادة الأوثان أعظم من الكهانة، فحدثنى بحديث كنتُ أشتى أن أسمعَه منك.

قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا فى إبلَى بالسّراة، وكان لى نجى من الجن؛ إذ أتانى فى ليلةٍ وأنا كالنائم، فرَكّضني برجله، ثم قال: قم يا سواد، فقد ظهر بيّهامة نبيٌ يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، قات: تنح عنى فإنى ناعس؛ فولى عنى وهو يقول:

عجبت للجنّ وتطلّابها      وشدها العيسَ بأكوارها<sup>(٢)</sup>  
تهوى إلى مكة تبنى الهدى      ما مؤمنو الجنّ ككفارها  
فارحل إلى الصّفوة من هاشم      بين روايبها وأحجارها

ثم لما كان فى الليلة الثانية أتانى، فقال مثل ذلك القول، قلت: تنح عنى فإنى ناعس، فولى عنى وهو يقول:

عجبت للجنّ وتخبّارها      وشدها العيسَ بأقتابها<sup>(٣)</sup>

\* بلوغ الأرب : ٢ - ٣٠٣ ، الجمهرة : ٢٥

(١) النجى : من يلقي بالقول السر . (٢) الأكوار : جمع كور ، وهو الرجل . (٣) الأتاب : جمع قتب ، وهو ما يوضع على سنام البعير .

تهوى إلى مكة تبغى الهدى      ما مؤمنو الجن ككفارها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم      ليس قداماها كاذنابها

ثم أتاني في الليلة الثالثة ، فقال مثل ذلك ، قلت : إني ناعس ، فولى عني وهو يقول :

عجبت للجن وإيجاسها<sup>(١)</sup>      وشدها العيس بأحلاسها<sup>(٢)</sup>  
تهوى إلى مكة تبغى الهدى      ما مؤمنو الجن كأجاسها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم      واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال سواد : فلما أصبحت يا أمير المؤمنين أرسلت لناقة من إبلي ، فشددت عليها ، وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت وبايعت ، وأنشأت أقول :

أتاني نجي بعد هذه<sup>(٣)</sup> ورقدة  
ثلاث ليال قوله كل ليلة  
فשמرت عن ذبلي الإزار وأرقلت<sup>(٤)</sup>  
فأشهد أن الله لا رب غيره  
وأنت أذن المرسلين وسيلة  
ولم يك فيما قد بلوت بكاذب  
أناك رسول من لؤي بن غالب  
بي الذعلب الوجفاء بين السباب<sup>(٥)</sup>  
وأنت مأمون على كل غائب  
إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

(١) أوجس : وقع في نفسه الخوف . (٢) المجلس : كاء رقيق يكون تحت البرذعة بمنزلة المرشحة . (٣) الهدى : السكون . (٤) أرقلت : أسرع . (٥) الذعلب : الناقة السريعة ، شبهت بالذعلبة وهي النعامه لسرعتها ( اللسان مادة ذعلب ) ، والوجفاء : الشديدة . والسباب ، جمع سبب : المغازة .



فمرّني بما أحببت يا خيرَ مرسلٍ وإن كان فيما قلتَ شيبُ النوائبِ  
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ بمغنٍ فتيلًا عن سوادِ بن قارب  
ففرح رسول الله وأصحابه بمقاتلي فرحاً شديداً حتى رُئي الفرح في وجوههم ؛  
فوثب إليه عمر فالتزمه ، وقال : قد كنت أحبُّ أن أسمع هذا الحديث منك ،  
فهل يأتيك رثيتك اليوم ؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله  
تعالى من الجن !

١٢٨ — ليلي الأخيلية على قبر توبة\*

مرّت ليلي الأخيلية<sup>(١)</sup> مع زوجها بقبر توبة بن الحمير ، فقال لها : هذا قبرُ  
الكذاب الذي قال :

ولو أن ليلي الأخيلية سلّمتْ عليّ ودوني جندلّ وصفائحُ  
لسلّمتُ تسليماً البشاشةِ أو زقاً إليها صدّي من جانب القبرِ صائحُ

فقال : دعه ، فقال : أقسمتُ عليك إلا مادنوتِ منه فسلّمتِ عليه. فأبت ،  
فكرّر عليها ذلك ، فلما تقدّمتُ إلى القبر ، وقالت : السلام عليك ياتوبة ، طار من  
جانب القبر طائر كان هناك ، وزقاً ونقر منه جمل ليلي ، فوَقعت من أعلاه فاندقت  
عنقها وماتت من وقها !

\* ديوان الصبابة : ١٨٤

(١) هي ليلي بنت عبد الله من بني الأخيل بن عامر ، من النساء المتقدّمات في الشعر ، وكان توبة  
ابن الحمير يهواها ، وقال فيها الشعر الكثير ثم تزوجها ، توفيت سنة ٨٠ هـ .

١٢٩ - جان يَخْتطف فتاة\*

حدّث زياد بن النضر الحارثي قال : كنا على غدير لنا في الجاهلية ، ومعنا رجلٌ من الحَيّ يقال له : عمرو بن مالك ، معه بنية له شابة ، على ظهرها ذُوابة ، فقال لها أبوها : خذي هذه الصَّحفة ، ثم ائتي الغدير ، فجيئينا بشيء من مائه .

فانطلقت فواقفها عليه جان فاختطفها ، فذهب بها ؛ فلما فقدناها نادى أبوها في الحَيّ ، فخرجنا على كل صَعْبٍ وذَلُولٍ<sup>(١)</sup> ، وقصدنا كل شِعْبٍ<sup>(٢)</sup> ونَقَبٍ ، فلم نجد لها أثراً ؛ ومضت على ذلك السنون ، حتى كان زمنُ عمر بن الخطاب ، فإذا هي قد جاءت ، وقد عفا<sup>(٣)</sup> شعرها وأظفارها ، وتغيّرت حالها ، فقال لها أبوها : أي بنية ؛ أني كنت ؟ وقام إليها يقبّلها ، ويشم ريحها ، فقالت : يا أبت ؛ أتذكرُ ليلةَ الغدير ؟ قال : نعم ؛ قالت : فإنه واقفني عليه جان ، فاختطفني ، فذهب بي ، فلم أزل فيهم ، حتى إذا كان الآن غزا هو وأهله قوماً مشركين ، أو غزاهم قوم مشركون ، فجعل الله تبارك وتعالى نذراً إن هم ظفروا بعدوهم أن يعتمني ويردني إلى أهلي فظفروا ؛ فحملني فأصبحتُ عندكم ، وقد جعل بيني وبينه أمارةً ، إن احتجبتُ إليه أن أولول بصوتي ، فإنه يحضرنى .

\* المنتقى من أخبار الأصمعي : ١٣

(١) الصعب : الجمل العصى ، والتلؤلؤ : الجمل الهادي . (٢) الشعب : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما انفرج بين الجبلين . (٣) عفا شعرها : كثرت وطال .



فأخذ أبوها من شعرها وأظافرها ، وأصلح من شأنها ، وزوجها رجلا من أهله ؛  
فوقع بينها وبينه ذات يوم ما يقع بين المرأة وبعلمها فعيّرهما ، وقال : يا مجنونة !  
والله ، إن نشأت إلا في الجن .

فصاحت وولولت بأعلى صوتها ، فإذا هاتفٌ يهتف : يامعشر بنى الحارث ؛  
اجتمعوا وكونوا حياءً كراماً ، فاجتمعنا قفلنا : ما أنت - رحمك الله ؟ فإننا نسمع  
صوتاً ولا نرى شخصاً ! فقال : أنا راب<sup>(١)</sup> فلانة ، رعيّتها في الجاهلية بحسبي ؛  
وصدّتها في الإسلام بديني ، والله إن نلتُ منها محرماً قط ! واستغاثت في هذا  
الوقت ، فحضرتُ فسألته عن أمرها ، فزعمت أن زوجها عيّرَها بأنها كانت فينا ،  
ووالله ، لو كنت تقدمت إليه لفقأتُ عينيه ! قفلنا : يا عبد الله ؛ لك الحياء والجزاء  
والمكافأة ! فقال : ذلك إليه (يعنى الزوج) !

فقامت إليه عجوز من الحمى ، فقالت : أسألك عن شيء ؛ فقال : سئلي اقلت :  
إن لى بنية أصابها حصبة<sup>(٢)</sup> ، فتمزّقَ رأسها ، وقد أخذتها حمى الربع<sup>(٣)</sup> ؛ فهل لها  
من دواء ؟ قال : نعم ! اعمدي إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذى يكون على  
أفواه الأنهار ، فخذى منه واحدة ، فاجعلها في سبعة ألوان عهن<sup>(٤)</sup> ، من أصفرها  
وأحمرها وأخضرها وأسودها ، وأبيضها وأكحلها وأزرقها ، ثم اقتلى ذلك الصوف  
بأطراف أصابعك ، ثم اعقديه على عضدك ؛ ففعلت أمها ذلك ، فكانتما نشطتُ  
من عقّال !

---

(١) راب : كافل . (٢) الحصبة : بثر يخرج بالجد . (٣) الربع فى الحمى : أن تأخذ يوماً  
وتدع يومين ، ثم تجيىء فى اليوم الرابع . (٤) العهن : الصوف .

١٣٠ — لا بقاء للإنسان\*

لبس سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك يوم الجمعة في ولايته لباساً شهيراً به ، وتعطر ودعا  
بَتَخَتْ<sup>(٢)</sup> فيه عمام ، ويده مرآة ، فلم يزل يعمّ بواحدة بعد أخرى حتى رضى  
بواحدة منها ، فأرخى من سدولها ، وأخذ بيده مَحْضَرَةً<sup>(٣)</sup> ، وعلا المنبر ناظراً في  
عِطْفِيهِ ، وجمع جمعه ، وخطب خطبته التي أرادها ، فأعجبته نفسه ، فقال : أنا للملك  
الشاب ، السيد المهاب ، الكريم الوهاب ، فتمثلت له جارية من بعض جواريه ،  
فقال لها : كيف ترين أمير المؤمنين ؟ قالت : أراه مُتَى النفس ، وقرّة العين ، لولا  
ما قال الشاعر ! قال : وما قال الشاعر ؟ قالت :

أنت نعم المتاع لو كنتَ تَبَقَى      غير أن لا بقاء للإنسان  
أنت من لا يرينا منك شيء      علم الله - غير أنك فان

فدمعت عيناه وخرج على الناس باكياً ، فلما فرغ من خطبته وصلاته دعا  
بالجارية ، فقال لها : ما دعاك إلى ما قلت لأمر المؤمنين ؟ قالت : والله ما رأيت  
أمير المؤمنين اليوم ، ولا دخلتُ عليه ؟ فأكبر ذلك ، ودعا بقيمة جواريه ،  
فصدقها في قولها ، فراع ذلك سليمان ، ولم ينتفع بنفسه ، ولم يمكث بعد ذلك إلا  
مدّة حتى تُوفى .

\* مروج الذهب : ١ - ١٦٣

(١) سليمان بن عبد الملك من خلفاء بني أمية ، كانت أيامه أيام فتح وغزو وكان فصيحا بليغا ،  
إلا أنه كان نهما ، توفي سنة ٩٦ هـ . (٢) التخت : وعاء تصان فيه الثياب . (٣) المنصورة :  
ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب ، والمخيط إذا خطب .



١٣١ — الغرييض يتلقى غناءه عن الجن \*

قال مولى لآل الغرييض (١) :

حدثتني بعض موليآتي وقد ذكّرَنَ الغرييض فترحمَ عليه وقلن : جاءنا يوماً  
يحدثنا بحديث أنكرناه عليه ، ثم عرّفنا بعد ذلك حقيقةه ، وكان من أحسن الناس  
وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكنا نلقى من الناس عنقاً بسببه ، وكان ابنُ سُريجٍ في  
جوارنا فدفعناه إليه فلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففتن أهل مكة  
بِحُسْن وجهه مع حسن صوته ؛ فلما رأى ذلك ابنُ سُريجٍ نحاه عنه ، وكانت بعضُ  
موليّاته تعلمه النياحة ، فبرز فيها ، فجاءني يوماً فقال : نهتني الجن أن أنوح ،  
وأسمعتني صوتاً عجيباً ، فقد ابنتُ عليه لحناً فاسمعه مني ، واندفع فغنى بصوت عجيب  
في شعر المرّار الأسدي :

حلفتُ لها بالله ما بين ذى الغصا وهضب القنان (٢) من عوانٍ ولا بكرٍ  
أحبُّ إلينا منك دلاً وما نرى به عند ليلي من ثوابٍ ولا أجرٍ

فكذبناه وقلنا بشيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن ، فكان في كل يومٍ  
يأتينا فيقول : سمعتُ البارحة صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع قد بنيت عليه صوت  
كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نُنكر عليه ؛ فإننا لكذلك ليلة

\* الأغانى : ٢ - ٣٧٣

(١) اسمه عبد الملك ، والغرييض لقبه ، كان يضرب بالعود ، وينقر بالدف ، أخذ الغناء عن ابن  
سريج ثم فاق عليه ، وتوفى في خلافة سليمان بن عبد الملك . (٢) القنان : جبل لبني أسد .



وقد اجتمع جماعة من نساء أهل مكة في جمع سمرنا فيه ليلتنا ، والغريص يفنينا  
بشعر عمر بن أبي ربيعة :

أَمِنْ آلِ زَيْنَبِ جَدِّ الْبُكُورِ      نَمِ فَلَايِيَّ هَوَاهَا تَصِيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عزيفاً مجيباً وأصواتاً مختلفة ذعرتنا وأفرعتنا ، فقال لنا  
الغريص : إن في هذه الأصوات صوتاً إذا نمتُ سمعته ، وأصبحُ فأبني عليه غنائى ،  
فأصغيتنا إليه ، فإذا نعمته نعمة الغريص بعينها ، فصدفناه تلك الليلة .

١٣٢ - شيطان أبي نواس \*

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوماً أنا وأبو نواس<sup>(١)</sup> وعلى بن الخليل في سوق الكرخ<sup>(٢)</sup> ، وكنا نجتمع وتناشد الأشعار وتذاكر الأخبار وتحدث بها ، فقال أبو نواس : أدبر من كان في نفسي ، وكان أسرع الخلق في طاعتي ؛ فما أدري ما أحتال له ؟ فقال علي بن الخليل يمازحه : يا أبا علي ؛ سل شيخك وأستاذك يُعطفه عليك ؛ فقال له أبو نواس : من تعني ؟ قال : من أنت في طاعته ليلاً ونهارك - يعني إبليس ، فإن لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ، ولا أن تقر عينه بمعصية . فقال : هو أسد رأياً من أن يُخلّ بي أو يُخذلني ، واتقضى مجلسنا ذلك .

فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع ، وأخذنا في أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، قلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول علي بن الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك ، حينئذ قد سألته يا أبا الحسن ، فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث إليه ومن غير أن أستزيره ، فعاتبني واستزضاني ، وكان الغضب مني والتجني ، وأحسب الشيخ - يعني إبليس -

\* عصر المؤمن : ٣ - ٢٣٣

(١) هو الحسن بن هاني ، رحل إلى بغداد ، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ، وهو أول من نهج للشعر طريفته الحضرية ، وأخرجه من اللهجة البدوية ، توفي سنة ١٩٢ هـ .  
(٢) من أسواق بغداد .

كان يتسمع علينا في وقت كلامنا ، وقد قلت أبياتاً في ذلك ؛ فقلنا : هاها ،  
فأنشد :

لما جفاني الحبيبُ وامتنعتُ	عني الرسالاتُ منه والخبرُ
واشدتْ شوقى فكاد يفتلني	ذكرُ حبيبي والهَمُّ والفِكرُ
دعوتُ إبليسَ ثم قلت له	في خَلوةِ والدموعُ تنحدرُ :
أما ترى كيف قد بُليتُ وقد	أفرح جفنى البكاءِ والسهرُ
إن أنت لم تُلقي لي المودةَ في	صدر حبيبي وأنت مقدر
لا قلتُ شعراً ولا سمعتُ غننا	ولا جرى في مفاصلِ السكرِ (١)
فما مضتْ بعد ذلك ثلاثة	حتى أتاني الحبيبُ يعتذرُ
فيا لها مِنَّةٌ لقد عظمتُ	عندي لإبليس ما لها خطرُ

(١) السكر : السكر .



١٣٣ — إبليس في ضيافة إبراهيم الموصلي \*

قال إبراهيم بن إسحاق الموصلي :

سألت الرشيد<sup>(١)</sup> أن يهب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب لأخوِّ فيه بجواري وإخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أسْتَنْقَلِه ، قاله فيه بما شئت ؛ فأقت يوم السبت بمنزلي ، وتقدمت في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوّابي فأغلق الأبواب ، وتقدمت<sup>(٢)</sup> إليه ألا يأذن عليّ لأحد .

فبينما أنا في مجلسي والخدم قد حَفُوا بي وجوّاري يتردّدن بين يدي ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه قميصان ناعمان وخفّان قصيران ، وعلى رأسه قلنسوة لاطئة<sup>(٣)</sup> ، ويده عكازة مُمَمَّعة بفضة ، ورواحُ المسك تفوح منه حتى ملأ البيت والدار ، فداخني بدخوله عليّ - مع ما تقدمت فيه - غيظٌ ما تداخني قطُّ مثله ، وهممتُ بطرد بوّابي ومن حجّبتني لأجله ، فسلم عليّ أحسن سلام ؛ فرددتُ عليه ، وأمرته بالجلوس فجلس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأحاديثها وأشعارها حتى سلّى ما بي من الغضب ، وظننتُ أن غلماي تحرّوا مسرّتي بإدخالهم مثله عليّ لأدبه وظرفه .

(\*) الأغاني : ٥ - ٢٣١ ، ذيل زهر الآداب : ٢٦٤

(١) أعظم خلفاء بني العباس ، وأكبرهم شأنًا ، كان محافظًا كثير الجهاد وافر العطاء . توفي

سنة ١٩٣ . (٢) تقدمتُ إليه : أمرته . (٣) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تترك بالراس .

فقلتُ : هل لك في الطعام ، فقال : لا حاجة لي فيه ، قلت : هل لك في  
الشراب ، فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلاً وسقيته مثله ، فقال لي : يا أبا إسحاق ؛  
هل لك أن تُغني لنا شيئاً من صنعتك وما قد نفقت<sup>(١)</sup> به عند الخاصّ والعالم ؟  
ففاظني قوله ، ثم سهلتُ على نفسي أمره ، فأخذتُ العود فجسسته ثم ضربتُ  
فغنيتُ ، فقال : أحسنت يا إبراهيم ! فازداد غيظي وقلت : ماضى بما فعله من  
دخوله علىّ بغير إذن واقتراحه أن أغنيه حتى سمّاني ولم يُكِنِّي ولم يُجِمل مخاطبتي ا  
ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتدَمَمْتُ<sup>(٢)</sup> فأخذتُ العود فغنيتُ ، فقال : أجدتُ  
يا أبا إسحاق ! فأتممتُ حتى نكافيتك ونفنيك ، فأخذتُ العود وتغنيت وتحمّفتُ  
وقمتُ بما غنيتهُ إياه قياماً تاماً ما تحمّفتُ مثله ، ولا قتُ بغناء كما قتُ به له بين يدي  
خليفة قطّ ولا غيره ، لقوله لي : أ كافتك ، فطرب وقال : أحسنت ياسيدي ،  
ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنك ، واستضعفتُ عقله في أن يغني  
بمحضرتي بعد ماسمعه مني ، فأخذ العود وجسه فوالله لَخِلَّتْهُ ينطق بلسانٍ عربيٍّ لحسن  
ما سمعته من صوته ثم تغنى :

ولي كبدٌ مقروحةٌ منّ يببيني      بها كبداً ليست بذات قروح  
أباها علىّ الناسُ لا يشترونها      ومنّ يشتري ذا علةٍ بصحيح ؟  
أئنّ من الشوق الذي في جوانبي      أئينّ غصيصٍ بالشراب جريح

قال إبراهيم : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلّ ما في البيت يجيبه

(١) نفقت : يريد سار ذكره به . (٢) تدمم الرجل : استنكف ، ويقال : لو لم أترك  
الكذب تأمماً لتركته تدمماً .



وَيُعَيِّنِي مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غَنَائِهِ ، حَتَّى خَلَّتْ وَاللَّهِ أَنِي أَسْمَعُ أَعْضَائِي وَثِيَابِي تُجَاوِبُهُ !  
وَبَقِيْتُ مَبْهُوتًا لَا أَسْتَطِيعُ السِّكَّامَ وَلَا الْجَوَابَ وَلَا الْحَرَكَةَ لِمَا خَالَطَ قَلْبِي ،  
ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا حَامَاتِ اللَّوْمَى عُدْنَ عَوْدَةً      فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ  
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمْتَنِّئَنِي      وَكَلْتُ بِأَسْرَارِي لَهْنِ أَيْبِنِ  
دَعْوَنَ بَتَزْدَادِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا      سَقِينَ حُمِيًّا أَوْ بَهْنَ جُنُونُ  
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَامِمًا      بَكِينًا وَلَمْ تَدْمَعْ لَهْنِ عَيُونُ  
فَكَادَ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ ، عَقْلِي أَنْ يَذْهَبَ طَرِبًا وَارْتِيَا حَا لَمَّا سَمِعْتُ ، ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا صَبَا نَجْدِي مَتَى هَجَجْتَ مِنْ نَجْدِ      لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكُ وَجْدًا عَلَى وَجْدِ  
أَأَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاهُ فِي رَوْنِقِ الضُّحَا (١)      عَلَى قَنْنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ (٢)  
بَكَيْتِ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ صَبَابَةً      وَذُبَّتْ مِنَ الْحَزَنِ الْمَبْرَحِ وَالْجَهْدِ  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْحَبَّ إِذَا دَنَا      يُمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ  
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا      عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبَعْدِ  
عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ      إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهِ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

ثُمَّ قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ؛ هَذَا الْغَنَاءُ نَغْدُهُ وَأَنْحُ نَحْوَهُ فِي غَنَائِكَ وَعَلَّمَهُ جَوَارِيكَ ،  
قُلْتُ : أَعِدَّهُ عَلَيَّ ، قَالَ : لَسْتَ تَحْتَاجُ ، قَدْ أَخَذْتَهُ وَفَرَّغْتَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَابَ مِنْ  
بَيْنِ يَدَيَّ فَارْتَعْتُ وَقَمْتُ إِلَى السِّيفِ فَجَرَدْتَهُ ، وَعَدْتُ نَحْوَ أَبْوَابِ الْحَرَمِ فَوَجَدْتُهَا  
مُعَلَّقَةً ، فَقُلْتُ لِلْجَوَارِي : أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَنَ عِنْدِي ؟ قُلْنَ : سَمِعْنَا أَحْسَنَ غَنَاءِ

(١) رَوْنِقِ الضُّحَا : حُسْنُهُ وَإِشْرَاقُهُ . (٢) الرَّنْدُ : شَجَرٌ طَيِّبٌ الرَّائِحَةِ .



مُسمعَ قَطِّ ، نخرجتُ متحيراً إلى باب الدار ، فوجدته مُغلَقاً ؛ فسألتُ البوابَ عن الشيخ . فقال لي : أى شيخ هو؟ والله ما دخل إليك اليوم أحد ، فرجعتُ لِأَتأملُ أمرى ، فإذا هو قد هتَفَ بى من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ! أنا إبليس وأنا كنتُ جليستُك ونديمك اليوم ، فلا ترع .

فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أظرفه أبدا بطرفة مثل هذه ، فدخلتُ إليه فحدثته بالحديثِ ، فقال : وَيَحك ! تأملُ هذه الأصواتَ ، هل أخذتها ؟ فأخذتُ العودَ أمتحنها ، فإذا هى راسخة فى صدرى كأنها لم تزل ، فطرب الرشيد وجلس يشرب ولم يكن عزَمَ على الشراب ، وأمر لى بصليةٍ ومُخلانٍ وقال : الشيخ كان أعلم بما قال لك من أنك أخذتها وفرغتَ منها ، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً  
كما أمتعك !

١٣٤ — دعبل بن علي ورجل من الجن \*

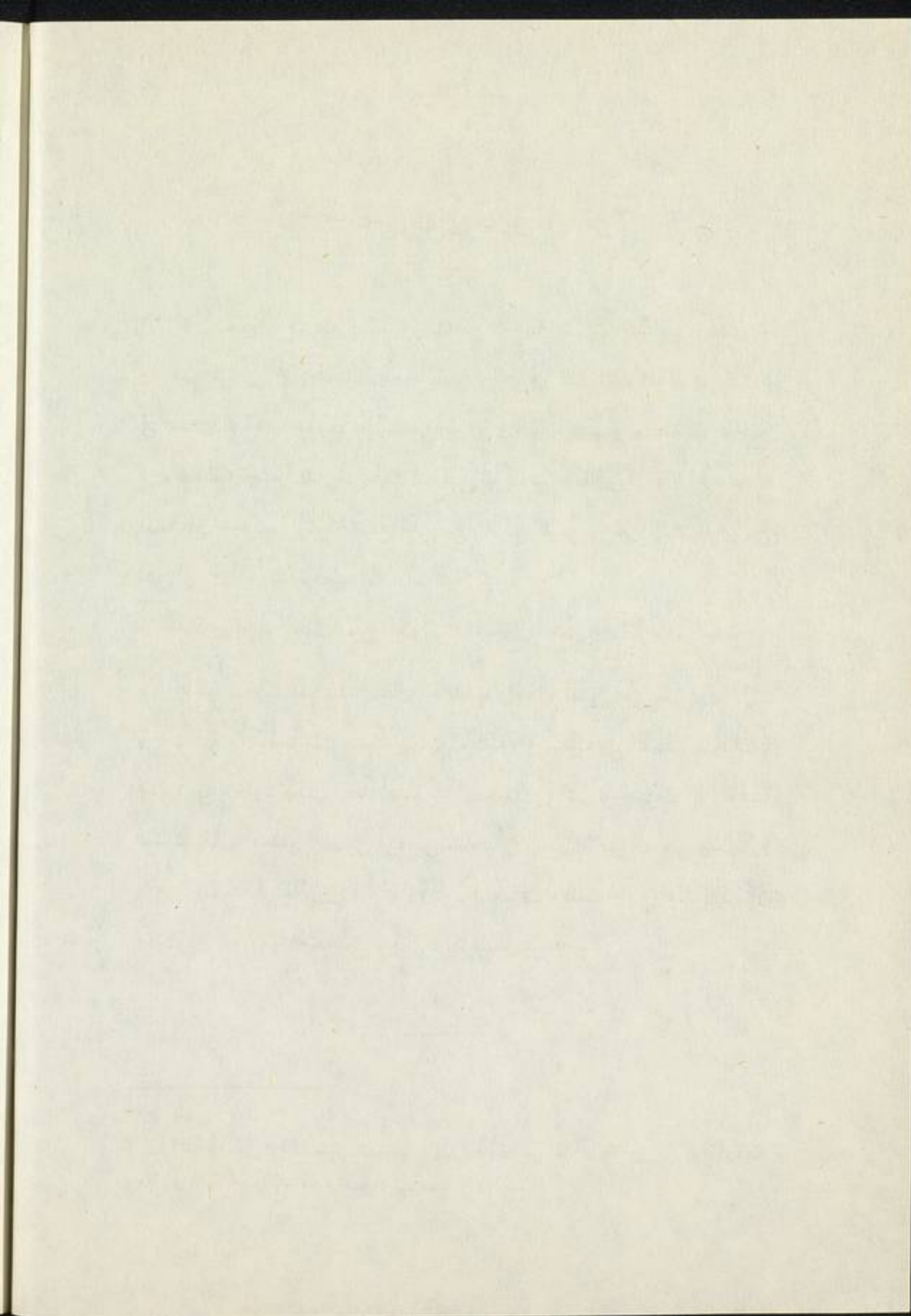
قال دعبل<sup>(١)</sup> بن عليّ: لما هربتُ من الخليفة بث ليلةً بنيسابور وحدي ،  
وعزمت علي أن أعملَ قصيدةً في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ؛ فإني لفي ذلك ؛  
إذ سمعتُ - والباب مروددٌ عليّ - من يقول : السلام عليكم ورحمة الله ، انجُ  
يرحمك الله ، فاقشعرُّ بدني من ذلك ، ونالني أمرٌ عظيم ، فقال لي : لا تُرغ ، عافاك  
الله ، فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن ، طراً إلينا طارياً من  
أهل العراق ، فأنشدنا قصيدتك :

مدارسُ آياتٍ خلتُ من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍ مُقفرِ العرصاتِ

فأحبيتُ أن أسمعها منك . قال : فأنشدته إياها ، فبكي حتى خرّ ، ثم قال :  
رَحِمَكَ اللهُ ، ألا أحدثُك حديثاً يزيد في نيتك ، ويُعينك على التمسك بمذهبك ؟  
قلت : بلى ، قال : مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد ، فصرت إلى المدينة  
فسمعتُه يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« عليٌّ وشيعته هم الفائزون » ، ثم ودّعني لينصرف ، فقلت له : يرحمك الله ، إن  
رأيت أن تخبرني باسمك فافعل ، فقال : أنا ظبيان بن عامر !

\* الأغاني : ٧ - ٣٩

(١) شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم  
ولا ذى نباة أحسن إليه أم لم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ .





## البَابُ السَّادِسُ

---

في القصص التي تسرد بارع الملح التي أشرت  
عن الحمقى والمجانين، وتفصل روائع النوادر التي فاضت بها  
قرايح الطفيليين والمتنبئين، وما يشبه ذلك مما فيه راحة  
للنفوس، ونشاط للخواطر.

١٣٥ — أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ\*

دفع الربيع بن كعب اللمازى فرساً كان قد أُبرِّ<sup>(١)</sup> على الخيلِ كرمًا وجودة إلى أخيه كَيْشٍ لِيَأْتِيَ به أهله ، وكان كَيْشٌ مشهوراً بالحق ، وقد كان رجلٌ من بنى مالك يقال له : قُرَادُ بْنُ جَرْمٍ ، قدم على أصحاب الفرس ؛ ليصيب منهم غرَّةً فيأخذها ، وكان داهية ؛ فكث فيهم مقياً ؛ لا يعرفون نسبه ، ولا يظهره هو . فلما نظر إلى كَيْشٍ راكبا الفرس ركب ناقته ، ثم عَارَضَهُ<sup>(٢)</sup> ، فقال : يا كَيْشُ ؛ هل لك في عَانَةٍ<sup>(٣)</sup> لم أر مثلها سَمَنًا ولا عِظْمًا ، وعَيْرٍ<sup>(٤)</sup> فيها الذهب ؛ فأما الأُتُنُ فتروح بها إلى أهلك ، فتملاً قدورهم وتُفْرَحُ صدورهم ؛ وأما العَيْرُ فلا افتقار بعده !

قال له كَيْشٌ : وكيف لنا به ؟ قال : أنا لك به ، وليس يُدْرِكُ إلا على فرسك هذا ، ولا يرى إلا بَلَيْلٌ ، ولا يراه غيرى !  
قال كَيْشٌ : فدُونِكِهِ ! قال : نعم ، وأمْسِكِ أنتِ راحتي .  
فركب قُرَادُ الفرس ، وقال : انتظرنى فى هذا المكان إلى هذه الساعة من غد .  
قال : نعم !

ومضى قُرَادُ ؛ فلما توارى أنشأ يقول :

ضِيَعَتْ فى العَيْرِ ضَالًّا مُهْرًا كَأَنْتَ لَتَطْعَمَ الحَى جَمِيعًا عَيْرًا كَأَنْتَ

\* بجمع الأمثال : ٢ - ٢٢٦

(١) أبر على أصحابه : علام . (٢) عارضه : سار حيا له . (٣) العانة : القطيع من حمر الوحش .

(٤) العير : القافلة تحمل الميرة .

فسوف تأتي بالهوان أهلكا وقبل هذا ما خدعت الأنوكا<sup>(١)</sup>  
فلم يزل كيش ينتظر حتى أمسى من غدِهِ وجاع . فلما لم يرَ له أثراً انصرف  
إلى أهله ، وقال في نفسه : إن سألني أخي عن الفرس ، قلت : تحوّل ناقةً !  
فلما رآه الربيعُ عرف أنه خُدع عن الفرس ؛ فقال له : أين الفرس ؟ قال : تحوّل  
ناقة ! قال : فما فعل السرج ؟ قال : لم أذكر السرج فأطلب له عِلَّة !  
فصرعه الربيع ليقته ؛ فقال له قنفذ بن جَعَوَنَة : ألهُ عما فاتك ، فإن أنفَكَ  
منك وإن كان أجَدَع<sup>(٢)</sup> !

وقدم قراد بن جرم على أهله بالفرس ، وقال في ذلك :

يومّلُ عيراً من نُضارٍ وعَسَجَدٍ فهل كان لي في غير ذلك مطمع  
وقلت له : أمسِك قلوصى<sup>(٣)</sup> ولا ترم<sup>(٤)</sup> خِدَاعاً له إذ ذو المكايد يحدّع  
فأصبح يرعى الخاقين بطرفه وأصبح تحتي ذو أفانين<sup>(٥)</sup> جرّشع<sup>(٦)</sup>

(١) أنوك : أحمق . (٢) صارت مثلاً : يضرب لمن يلزمك خيره وشره ، وإن كان ليس بمستحکم  
القرب . (٣) القلووس من الإبل : الشابة . (٤) لاترم : لاتبرح . (٥) الأفانين : جمع أفنان ،  
وأفنان جمع فنان ، وهو الحصلة من الشعر ، يقول : إنه ذو خصل من الشعر في ناصيته وذنبه  
(٦) الجرشع : العظيم من الخيل .



١٣٦ - أبو رافع لا يكذب في نوم ولا يقظة\*

حكى أن امرأة أبي رافع<sup>(١)</sup> رأتَه في نومها بعد موته ، فقال لها : أتعرفين فلاناً الصيرفي<sup>(٢)</sup> ؟ قالت له : نعم ، قال : فإن لي عليه مائتي دينار .

فلما انتبعت عدت إلى الصيرفي فأخبرته ، وسألته عن المائتي دينار ! فقال : رحم الله أبا رافع ، والله ما جرت بيني وبينه معاملة قط !

فأقبلت إلى مسجد المدينة فوجدت مشايخ من آل أبي رافع ، كلهم مقبول القول ، جازت الشهادة ، فقصت عليهم الرويا ، وأخبرتهم خبر همام الصيرفي ، وإنكاره لما ادّعاه أبو رافع .

قالوا : ما كان أبو رافع ليكذب في نوم ولا يقظة ! قرّبي صاحبك إلى السلطان ، ونحن نشهد لك عليه .

فلما علم الصيرفي عزم القوم على الشهادة لها ! وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم يبرح حتى يؤديها ، قال لهم : إن رأيتم أن تصلحوا بيني وبين هذه المرأة على ماترونه فافعلوا ، قالوا : نعم ، والصلح خير ، ونعم الصلح الشطر ، فآذ إليها مائة دينار من المائتين ، فقال لهم : أفضل ، ولكن اكتبوا بيني وبينها كتاباً يكون وثيقة لي .

\* العقد الفريد : ٤ - ٢٠٤

(١) أبو رافع : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وآل أبي رافع من فضلاء أهل المدينة وخيارهم ، مع بله فيهم وعى شديد . (٢) الصيرفي : صراف الدراهم .

قالوا : وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال : تكتبون لي عليها أنها قبضت مني مائة دينار صلحاً عن مائتي الدينار التي ادّعاها أبو رافع في نومها، وأنها قد أبرأتني منها، وشرطت علي نفسها ألا ترى أباً رافع في نومها مرةً أخرى ، فيدعي عليّ بغير هذه المائتي الدينار ؛ فتجيء بفلان وفلان يشهدان عليّ لها . فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لأنفسهم ، وقالوا : قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به !

١٣٧ — أهلك أعلم بك ! \*

كان لأبي الأسود<sup>(١)</sup> الدؤلى دُ كان<sup>(٢)</sup> إلى صدر الجبل يجلس فيه وحده ،  
ويضع بين يديه مائدة ، ويدعو إليها كل من يمر به ، وليس لأحد أن يجلس ،  
فينصرفون عنه .

فمرَّ به صبيٌّ من الأنصار ، فقال له أبو الأسود : هلمَّ إلى الغداء يا فتى ! فأتى  
إليه ، فلم يرَ موضعاً يجلسُ فيه ، فتناول المائدة فوضعها في الأرض ؛ ثم قال :  
يا أبا الأسود ، إن كان لك في الغداء حاجة فانزل ، وأقبل الفتى يأكل ، حتى أتى  
على جميع ما في المائدة ، وسقطت آخر الطعام من يده لقمَةً على الأرض فأخذها ،  
وقال : لا أدعُها للشياطين ! فقال أبو الأسود : والله ما تدعُها للملائكة المقرَّبين ،  
فكيف تدعُها للشياطين ؟ ثم قال له : ما اسمُك ؟ قال : لقمان . فقال أبو الأسود :  
أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سمَّوك بهذا الاسم ؛ ولم يعدْ إلى ما كان يصنع !

\* ذيل زهر الآداب : ١٦٧

(١) هو: ظالم بن عمرو، وأبو الأسود كنيته، وكان قد أدرك حياة النبي، وسافر إلى البصرة على عهد عمر، واستعمله على بن أبي طالب على البصرة وكان شيعياً، وهو أول من وضع العربية، توفي سنة ٦٩ هـ. (٢) الدكان: الدكة المبنية للجلوس عليها.



١٣٨ — المقادير تصير العمي خطيباً\*

وُصف عند الحجاج<sup>(١)</sup> رجلاً بالجهل ؛ وكانت له إليه حاجةٌ ، فقال في نفسه :  
لَأَخْتَبِرَنَّهُ ! ثم قال له حين دخل عليه : أعصامى أنت أم عظامى<sup>(٢)</sup> ؟ فقال الرجل :  
أنا عصامى وعظامى ، فقال الحجاج : هذا أفضلُ الناس ، وقضى حاجته وزاده ،  
ومكث عنده مدةً .

ثم باحثه فوجده أجهلَ الناس ، فقال له : تصدقنى وإلا قتلْتُكَ ، قال له :  
قُلْ ما بدَا لك وأصدقك ! قال : كيف أجبتنى بما أجبت لما سألتك عما سألتُ ؟  
قال له : والله لم أعلم : أعصامى خيرٌ أم عظامى ! نخشيتُ أن أقول أحدهما فأخطيء  
فقلتُ : أقول كليهما ، فإن ضررتنى أحدهما نفعنى الآخر ؛ فقال له الحجاج عند ذلك :  
للمقاديرُ تصيرُ العميَّ خطيباً !

\* مجمع الأمثال : ٢ - ٢٦٠

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي : قائد خطيب ، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام ،  
وهو مشهور بشدته ، توفى سنة ٩٥ هـ . (٢) يريد : إشرفت بنفسك أم تفتخر بأبائك الذين  
صاروا عظاماً .

١٣٩ - لئن شكرتم لأزيدنكم\*

أخذ الحجاج لَصّاً أعرابياً ؛ فضربه سبعمائة سوط ، فكلما قرعه بسوط قال :  
اللهم شكراً ! فاتاه ابنُ عم له فقال : والله ما دعا الحجاجَ إلى التمددِ في ضَرْبِكَ  
إلا كثرةُ شُكْرِكَ ، لأن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ؛

فقال : أهذا هو في كتاب الله ؟ فقال : اللهم نعم ، فأنشأ الأعرابي يقول :  
يا ربَّ لا شُكْرَ فلا تَزِدْني أسرفتُ في شُكْرِكَ فاعفُ عني  
باعدْ ثواب الشاكرين مِنِّي  
فبلغ قوله الحجاج ، فخلى سبيله .

١٤٠ — الحمد لله الذي مسخك كلباً\*

كان لأبي حية النُمَيْرِي<sup>(١)</sup> سيفٌ ليس بينه وبين الخشب فرق ، كان يسميه « لُمَابُ المنيّة » ، فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال : أشرفتُ عليه ليلة وقد انتصاه ؛ وهو واقفٌ بباب بيتٍ في داره ، قد سمع فيه حسياً ، وهو يقول : أيها المعتزُّ بنا ، المجترئُ علينا ، بنسِ والله ما اخترتَ لنفسك ! خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيلٌ « لعابُ المنيّة » الذي سمعتَ به ، مشهورةٌ صَوْلته ، لا تُخَافُ نبوتَهُ ، اخرجُ بالعفو عنك ، لا أدخِلُ العقوبة عليك ! إني والله إن أدعُ قَيْساً تملأُ الفضاء عليك خَيْلاً ورَجَلاً<sup>(٢)</sup> ، سبحان الله ! ما أكرها وأطيبها ! والله ما أنتَ ببعيدٍ من تابعها ، والرسوبِ في قِيَارِ لُجَّتِهَا .

وهبت ريحٌ ففتحت الباب ، فخرج كلبٌ ، فارتدَّ وجهه ، وشفر<sup>(٣)</sup> برجليه ، وتبادرت إليه نساء الحى فقلن : بأبا حية ، ليفرخ روعك<sup>(٤)</sup> إنما هو كلب ، فجلس وهو يقول : الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً .

\* الأغانى : ١٥ - ٦١ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٤١

(١) هو الميثم بن الربيع ، شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية مدح خلفاء عصره فيها ، وكان فصيحاً راجزاً ، له أخبار وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق توفي نحو سنة ١٦٠ هـ .  
(٢) الرجل : جمع راجل . وهو ضد الفارس . (٣) شفر : رفع إحدى رجليه . (٤) لينكسف عنك فزعك .



١٤١ - يوم الحساب\*

قال أحد الرواة :

كان في زمن المهدي<sup>(١)</sup> رجل صوفي ؛ يركب قَصَبَةً في كل جمعة يومين :  
الاثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حُكْم ولا  
طاعة ، فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان .

شاهدته يوماً وقد صعد تلاً ؛ فنادى بأعلى صوته : ما فعل النبيون والمرسلون؟  
أليسوا في أعلى عليين؟ فقالوا : بلى ! قال : هاتوا أبا بكر الصديق ؛ فأخذ غلام  
فأجلس بين يديه ، فقال : جزاك الله خيراً أبا بكرٍ عن الرعيّة ، فقد عدلتَ وقمتَ  
بالقسط ، وخلفت محمداً - عليه السلام - في حُسن الخلافة ، ووصلتَ حبلَ الدّين  
بعد حلِّ وتنازعٍ ، وفرغتَ منه إلى أوثق عُروة وأحسن ثقة ، اذهبوا به إلى أعلى  
عليين !

ثم نادى : هاتوا عُمر ، فأجلس بين يديه غلام ، فقال : جزاك الله خيراً  
يا أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحتَ الفتوح ، ووسّعتَ النّبيّ ، وسدّكتَ سبيل  
الصالحين ، وعدلتَ في الرعيّة ، اذهبوا به إلى أعلى عليين بمحذاء أبي بكر .

\* العقد الفريد : ٤ - ١٩٨

(١) محمد بن عبد الله من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولي بعد وفاة أبيه وقام في الخلافة

عشر سنين ومات سنة ١٦٩ هـ .

ثم قال : هاتوا عثمان ؛ فَأَتَى بِغلام فأجلس بين يديه ، فقال له : خَلَطْتَ في تلك السنين ، ولكنَّ الله تعالى يقول : « خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ » . ثم قال : اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عِلْيَيْن .

ثم نادى : هاتوا علي بن أبي طالب ، فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : جزاك الله عن الأمة خيراً أبا الحسن فأنت الوصيُّ ، ووليّ النبي ، بسَطْتَ العدل ، وزهدت في الدنيا ، واعتزلت النَّبِيَّ ، فلم تَحْمَشْ فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أَبُو الذَّرِيَّةِ المباركة ، وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى عِلْيَيْن .

ثم قال : هاتوا معاوية ، فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : أنت القاتل عمار ابن ياسر وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وأنت الذي جعل الخلافةَ مُلْكًا ، واستأثرَ بالنبيِّ ، وحكم بالهوى ، وبَطَرَ بالنعمة ، وأنت أولُ من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقضَ أحكامه ، وقام بالبغى ؛ اذهبوا به فأوقوه مع الظلَّة .

ثم قال : هاتوا يزيد ؛ فأجلس بين يديه غلام ؛ فقال له : أنت الذي قتلتَ أهلَ الحرة<sup>(١)</sup> ، وأباحتَ المدينة ثلاثة أيام ، وانتهكتَ حرَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآويتَ المُلجدين ، وبؤتَ باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمثلتَ بشعرِ الجاهلية :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدِرُ شَهْدُوا جَزَعًا خَلَزَرَجٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ<sup>(٣)</sup>

(١) موضع بظاهر المدينة بها كانت وقعة الحرة أيام يزيد . (٢) الخزرج : إحدى قبيلتي الأنصار

(٣) الأسل : الرماح .

وَقَتَلَتْ حُسَيْنًا ، وَحَمَلَتْ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا عَلَى حَقَائِبِ<sup>(١)</sup> الْإِبِلِ ، أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ !

ولم يزل يذكر والياً بعد والٍ حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز ، فقال : هاتوا عمر ، فَأَتَى بِغَلَامٍ ، فَأَجْلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الْإِسْلَامِ ؛ فَقَدْ أَحْيَيْتَ الْعَدْلَ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَأَلَنْتَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ ؛ وَقَامَ بِكَ عَمُودُ الدِّينِ عَلَى سَاقٍ بَعْدَ شِقَاقِ وَنِفَاقٍ ، أَذْهَبُوا بِهِ فَأَلْحِقُوهُ بِالصَّادِقِينَ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى أَنْ بَلَغَ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَسَكَتَ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَبَلَغَ أَمْرَنَا إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ! ارْفَعُوا حِسَابَ هَؤُلَاءِ جَمَلَةً ، وَاقْذِفُوا بِهِمْ فِي النَّارِ جَمِيعًا !

---

(١) الحقيفة : الرفادة في مؤخر النتب ، وكل ما شد في مؤخر رحل أو نتب فقد احتقب .



١٤٢ — إِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا\*

ركب محمد بن سليمان<sup>(١)</sup> يوماً بالبصرة وسوار القاضي يسايره في جنازة ابن عم له ، فاعترضه مجنون يُعرف برأس النعجة ، فقال له : يا محمد ؛ أَمِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَكُونَ نَحْلُتَكَ<sup>(٢)</sup> فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، وَأَنَا أُطَلِّبُ نِصْفَ دَرَاهِمٍ فَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ ؟

ثم التفت إلى سوار فقال : إِنْ كَانَ هَذَا عَدْلًا فَأَنَا أَكْفَرُ بِهِ ؟ فَأَسْرِعْ إِلَيْهِ غُلْمَانُ مُحَمَّدٍ ؛ فَكَفَّمَهُمْ عَنْهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دَرَاهِمٍ !

فلما انصرف محمد وسوار معه اعتراضه رأس النعجة فقال : لقد كرم الله مَنْصِبِكَ<sup>(٣)</sup> ، وشرّف أبوتك ، وحسّن وجهك ، وعظّم قدرك ، وأرجو أن يكون ذلك لخير يريدّه الله بك !

فدنا منه سوار فقال : يا خبيث ؛ ما كان هذا قولك في البداءة ! فقال له : سألتك بحق الله وبحق الأمير إلا ما أخبرتنى في أي سورة هذه الآية : « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ » ؟ قال : في « براءة » . قال : صدقت ؛ فبرئ الله ورسوله منك ! فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابّته !

\* السعدي : ٢ - ٢٦٣

(١) محمد بن سليمان بن علي العباسي : أمير البصرة ، وليها في أيام المهدي ، واستمر إلى أن توفي فيها ، وكان غنياً نبيلاً سمّت نفسه إلى الخلافة ؛ وصدّه عن الجهر بطلبها ما كانت عليه من القوة أيام المهدي والرشيدي ، توفي سنة ١٧٣ هـ . (٢) النحلة : العطية . (٣) المنصب : الأصل .

١٤٣ - ما اختار غير عبد الله بن طاهر\*

شكا اليزيدى<sup>(١)</sup> إلى المأمون خلة<sup>(٢)</sup> أصابته وديننا لحقه ، فقال : ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الأمر قد ضاق على ، وإن غرماي قد أرهقوني ، قال : فرم لنفسك أمراً تنل به نفعاً .

فقال : لك منادمون ، فيهم ما إن حرر كتبه نلت منه ما أحب ، فأطلق لي الحيلة فيهم ، قال : قل ما بدا لك ؛ قال : فإذا حضروا وحضرت فمر فلاناً الخادم أن يوصل إليك رقتي ، فإذا قرأتها فأرسل إلي : دخولك في هذا الوقت متمذراً ؛ ولكن اختر لنفسك من أحببت .

فلما علم اليزيدى بجلوس المأمون ، واجتماع ندمائه إليه ، وتيقن أنهم في سرورهم أتى الباب فدفع إلى ذلك الخادم رقعة قد كتبها ، فأوصلها إلى المأمون فقرأها ، فإذا فيها :

يا خير إخواني وأصحابي هذا الطفيلي لدى الباب  
خبر أن القوم في لذة يصبو إليها كل أواب  
فصيروني واحداً منكم أو أخرجوا لي بعض أترابي

\* عصر المأمون : ١ - ٣٣٣

(١) اليزيدى : يحيى بن المبارك بن المعيرة من علماء العربية والأدب ، اتصل بالرشيد فعهد إليه في تأديب المأمون فمات إلى أيام خلافته ، توفي سنة ٢٠٢ هـ . (٢) الخلة : الحاجة والفقير .

فقرأها للمأمون على من حضره ؛ فقالوا : ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحالة ؛ فأرسل إليه المأمون : دخولك في هذا الوقت متعذر ، فاختر لنفسك من أحببت تنادمه .

فقال : ما أرى اختياراً غير عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك ؛ فسير إليه . قال : يا أمير المؤمنين ، فما أكون شريك الطفيلي ! قال : ما يمكن ردّ أبي محمد عن أمرين ، فإن أحببت أن تخرج وإلا فافتد نفسك !

فقال : يا أمير المؤمنين ، له على عشرة آلاف درهم ! قال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك ، قال : فلم يزل يزيد عشرة عشرة ، والمأمون يقول له : لا أرضى له بذلك ، حتى بلغ مائة ألف ، فقال له المأمون : فمجلها له ، فكتب له بها إلى وكيله ، ووجه معه رسوياً فأرسل إليه المأمون : قبض هذه في مثل هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله ، وأنفع عاقبة .



١٤٤ — أترى الله يُعطيك وَيَنسَانِي؟\*

خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ أبصر بهلولاً<sup>(١)</sup> المجنون على قصبية، وخلفه الصبيان وهو يعدو، فقال: من هذا؟ فقيل له: بهلول للمجنون، فقال: كنت أشتى أن أراه، فادعوه من غير تزويج، فذهبوا إليه وقالوا: أجب أمير المؤمنين؛ فلم يجب، فذهب إليه الرشيد، وقال: السلام عليك يا بهلول، فقال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، فقال: دعوتك لاشتياق إليك، فقال بهلول: لكنني لم أشتق إليك! فقال الرشيد: عظني يا بهلول، فقال: وبم أعظك؟ هدى قصورهم وهدى قبورهم! فقال الرشيد: زدني فقد أحسنت! فقال: يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً، ففقد في جماله، وواسى في ماله كُتب في ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئاً؛ فقال: قد أمرنا لك أن تقضي دينك، فقال: لا، يا أمير المؤمنين، لا يقضى الدين بدَيْن، ارُدِّ الحق على أهله، واقض دين نفسك من نفسك، قال: فإننا قد أمرنا أن يُجرى عليك. فقال: يا أمير المؤمنين؛ أترى الله يُعطيك وَيَنسَانِي! ثم ولى هارباً.

\* عقلاء المجانين: ٦٩

(١) هو بهلول بن عمرو، كان من عقلاء المجانين، ولد ونشأ بالكوفة واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسباع كلامه، وله كلام مليح، ونوادير وأشعار، توفي سنة ٥١٩٠.

١٤٥ — طَفِيلِي فِي حَضْرَةِ الْمَأْمُونِ\*

أمر المأمونُ أن يُحْمَلَ إِلَيْهِ عَشْرَةٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ سُمُّوا لَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فَجُمِعُوا  
فَأَبْصَرَهُمْ طَفِيلِي فَقَالَ : مَا اجْتَمَعُوا إِلَّا لِصَنْبِيعٍ ، فَدَخَلَ فِي وَسْطِهِمْ ، وَمَضَى بِهِمْ  
الْمُوكَلُونَ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى زَوْرَقٍ قَدْ أُعِدَّ لَهُمْ ، قَالَ الطَّفِيلِي : هِيَ نَزْمَةٌ ، فَدَخَلَ  
مَعَهُمُ الزَّوْرُقَ ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ يَقِيدُوا ، وَقَيَّدَ مَعَهُمُ الطَّفِيلِي .

ثُمَّ سَيرَ بِهِمْ إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَدْخَلُوا عَلَى الْمَأْمُونِ ، فَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ رِجَالًا  
رِجَالًا ؛ وَيَأْمُرُ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الطَّفِيلِي ، وَقَدْ اسْتَوَى فِي الْعِدَّةِ ،  
فَقَالَ لِلْمُوكَلِينَ : مَا هَذَا؟ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي ، غَيْرَ أَنَّا وَجَدْنَاهُ مَعَ الْقَوْمِ ، فَجُئْنَا بِهِ .  
فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : مَا قِصَّتُكَ وَبَيْتُكَ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا أَعْرِفُ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ  
شَيْئًا ، وَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ طَفِيلِي ، رَأَيْتُهُمْ مَجْتَمِعِينَ ، فَظَنَنْتُ صَنِيعًا يُدْعَوْنَ إِلَيْهِ .  
فَضَحِكَ الْمَأْمُونُ ، وَقَالَ : يُؤَدَّبُ !

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ قَائِمًا عَلَى رَأْسِ الْمَأْمُونِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
هَبْ لِي أَدَبَهُ ، وَأَحْدِثْكَ بِحَدِيثِ حَبِيبٍ عَنِ نَفْسِي ، قَالَ : قُلْ يَا إِبْرَاهِيمَ .  
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ يَوْمًا ؛ فَطُفْتُ فِي سِكَكِ بَغْدَادَ  
مُتَطَرِّفًا ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا ، فَشَمَمْتُ مِنْ قُتَارِ (١) أَبَازِيرٍ قُدُورِ

\* العقد الفريد : ٤ - ٢٣٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٣٣٢

(١) القنار : ريح القدر والشواء ، والأبازير : التوابل .



قَدْ فَاحَ ؛ فَتَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَيْهَا ، وَإِلَى طَيْبِ رِيحِهَا ، فَوَقَفْتُ إِلَى خِيَاطٍ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
لِمَنْ هَذِهِ الدَّارُ ؟ فَقَالَ : لِرَجُلٍ مِنَ التَّجَارِ . قُلْتُ : مَا اسْمُهُ ؟ قَالَ : فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ ،  
فَرَمَيْتُ بَطْرَفِي إِلَى الدَّارِ ؛ فَإِذَا شُبَّكَكُ بِهِ جَارِيَةٌ ذَاتُ مَنْظَرٍ حَسَنٍ ، فَبُهِتَتْ سَاعَةً  
ثُمَّ أُدْرِكُنِي ذِهْنِي ، فَقُلْتُ لِلخِيَاطِ : أَهْوَمِنِ بِشَرِّبِ النَّبِيذِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَحْسَبُ  
أَنَّ عِنْدَهُ الْيَوْمَ دَعْوَةَ ، وَهُوَ لَا يُنَادِمُ إِلَّا تُجَّارًا مِثْلَهُ مَسْتَوْرِينَ .

فَإِنِّي لِكَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلُ رَجُلَانِ نَبِيلَانِ رَاكِبَانِ مِنْ رَأْسِ الدَّرْبِ ، فَقَالَ لِي  
الْخِيَاطُ : هُوَ لَاءُ مُنَادِمَاهُ ، فَقُلْتُ : مَا اسْمَاهُمَا وَمَا كُنَّاهُمَا ؟ فَقَالَ : فُلَانٌ وَفُلَانٌ ،  
فَحَرَّكَتُ دَابَّتِي وَدَاخَلْتُهُمَا ، وَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكُمَا ، قَدْ اسْتَبَطَا كَمَا أَبُو فُلَانٍ ،  
وَسَايَرْتُهُمَا حَتَّى بَلَّغْنَا الْبَابَ ، فَأَجَلَّانِي وَقَدَّمَانِي ؛ فَدَخَلْتُ وَدَخَلَا .

فَلَمَّا رَأَيْتُ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ مَعَهُمَا لَمْ يَشْكُ أَيُّ مِنْهُمَا ؛ فَرَحَّبَ بِي وَأَجْلَسَنِي فِي  
أَفْضَلِ الْمَوَاضِعِ ، فَجِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا خَبِزٌ نَظِيفٌ ، وَأَتَيْنَا بِتِلْكَ  
الْأَلْوَانِ ، فَكَانَ طَعْمُهَا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِهَا ، ثُمَّ رَفَعَ الطَّعَامَ ، وَجِئْتُ بِالْوَضُوءِ ، ثُمَّ  
صِرْنَا إِلَى مَجْلِسِ الْمُنَادِمَةِ ، وَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ يَلْطَفُ بِي ؛ وَيَمِيلُ عَلَيَّ بِالْحَدِيثِ ؛  
حَتَّى إِذَا شَرِبْنَا أَقْدَامًا خَرَجْتُ عَلَيْنَا جَارِيَةٌ ، كَأَنَّهَا بَدْرٌ فَأَقْبَلْتُ ؛ وَسَلَّمْتُ  
غَيْرَ خَجَلَةٍ ، وَثَنَيْتُ لَهَا وَسَادَةً ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهَا ؛ وَأَتَى بِالْعُودِ فَوَضِعَ فِي حِجْرِيهَا ؛  
فَجَسَّتْهُ فَاسْتَبَنَّتْ حِدْقَهَا فِي جَسْمِهَا ؛ ثُمَّ انْدَفَعَتْ مُنَعِّي :

تَوَهَّمَهَا طَرَفِي فَأَصْبَحَ خَدُّهَا      وَفِيهِ مَكَانُ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أَثَرُ  
نَصَافِحِهَا كَفِي فِتْوَايُمْ كَفِيهَا      فَمِنْ مَسِّ كَفِي فِي أَنْامِلِهَا عَقْرُ<sup>(١)</sup>



فهيَّجتُ يا أمير المؤمنين بلأبلي ، وطربتُ لِحُسْنِ شِعْرِهَا ، ثم اندفعتُ  
تفنى :

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودتي ؟ فردتُ بطرفِ العين : إني على العهدِ  
فحدتُ عن الإظهارِ عمداً لسرها وحادتُ عن الإظهارِ أيضاً على عمدِ

فصحتُ يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطرب ما لم أملكِ نفسى معه ، ثم  
اندفعتُ ففنتُ الصوت الثالث :

أليس عجبياً أن بيتاً يضمني وإياك لا نخلو ولا نتكلم !  
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وتقطع أكباده على النارِ تضرمُ  
إشارة أفواهٍ وعمزِ حواجبٍ وتكسير أجفانٍ وكفِ تسلُّمِ

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حدِّقها ومعرفتها بالفناء ، وإصابتها لمعنى  
الشعر ، قلت : بقی عليك يا جارية ، فضربتُ بالعود على الأرض ، وقالت : متى  
كنتم تُحضرون مجالسكم البُغضاء ؟ فندمتُ على ما كان مني ، ورأيت القوم قد  
تغيروا لي ، قلت : أما عندكم عودٌ غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فأتيتُ بعود فأصلحتُ  
من شأنه ثم غنيت :

ما للمنازلِ لا يُجبنَ حزينا أصممنَ أم قدمَ البلي فبلينا ؟  
راحو العشيّة روحةً منكورة إن متن متنا أوحين حيينا

فاستتممتُهُ يا أمير المؤمنين حتى قامتِ الجارية ، فأكبتُ على رجلي تقبلهما ،  
وقالت : معذرة يا سيدي ، فوالله ما سمعتُ أحداً يغني هذا الصوت غناءك ، وفعل

مولاها وأهل المجلس كفعالها ، وطرب القوم واستحسثوا الشرب فشرَبوا ، ثم  
المدفَعْتُ أُعْنِي :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمْشِي وَلَا تَذْكَرَنَّيْ      وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدِّمَا  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُخْلَهَا وَسَمَاحَتِي      لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبْذُلُ عَلَقَمَا  
فَرُدِّي مَصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ      وَلَا تَتْرِكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُغْرَمًا

فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ ، فَأَمَسَكْتُ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَايَعُوا ،  
ثم غنيت الثالث :

هَذَا مُحِبُّكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدِهِ      عَبْرِي مَدَامُهُ تَجْرِي عَلَى جَسَدِهِ  
لَهُ يَدٌ نَسَأَلَ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ      مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

فَجَعَلْتُ الْجَارِيَةَ تُصِيحُ : هَذَا الْغَنَاءُ وَاللَّهُ يَا سَيِّدِي ، لَا مَا كُنَّا فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ .  
وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ : يَا سَيِّدِي ؛ ذَهَبَ مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِي ضَيَاعًا ، إِذْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُكَ ،  
فَمَنْ أَنْتِ ؟ وَلَمْ يَزَلْ يُبْلِغُ عَلَيَّ حَتَّى أَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ ، فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسِي ، وَقَالَ : وَأَنَا  
أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِلْمَلِكِ ! وَإِنِّي جَالِسٌ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَلَا أَشْعُرُ ، ثُمَّ  
سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي ، فَأَخْبَرْتَهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى تِلْكَ الْجَارِيَةِ الَّتِي رَأَيْتَهَا ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ :  
قَوْمِي قَتَلُوا لِفُلَانَةٍ : تَنْزِلَ ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْزِلُ جَوَارِيَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فَأَنْظُرِي إِلَى كَفِّهَا  
وَمِعْصَمِهَا ، وَأَقُولُ : لَيْسَتْ هَذِهِ ! حَتَّى قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَقِيَ غَيْرَ أُخْتِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ  
لَأَنْزِلَنَّهُمَا ؛ فَمَجِبْتُ مِنْ سَعَةِ صَدْرِهِ ، فَقُلْتُ : جَعَلْتُ فِدَاكَ ! ابْدَأُ بِالْأُخْتِ قَبْلَ  
الْأُمِّ ، فَسَمِي أَنْ تَسْكُونَ هِيَ .

فبرزت ، فلما رأيت كفتها ومِعصَمها ، قلت : هذه هي ! فأمر غلمانَه ، فساروا إلى عشرة مشايخ من جَلَّةِ جيرانه ؛ فأقبل بهم ، وأمر ببذرتين فيهما عشرون ألف درهم ؛ ثم قال للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أشهدكم أني قد زوجتُها من سيدي إبراهيم ابن المهدي ؛ وأمهرتُها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبلت الزواج ، فدفع إليها بدرة ، وفرق الأخرى على المشايخ وصرفهم ، ثم قال : يا سيدي ، أمهد بمض البيوت ! فأخسمني ما رأيت من كرمه ، فقلت : أخضر عمارية<sup>(١)</sup> وأحملها إلى منزلي . فوالله يا أمير المؤمنين لقد أتبعها من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا ، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين - يشير إلى ولده .

فمجب المأمون من كرم الرجل ، وألحقه في خاصة أهله ، وأطلق الطفيلي ، وأجازَه .

---

(١) العمارية : هودج يجلس فيه .



١٤٦ — أَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِكَ\*

تنبأ رجلٌ في أيام المأمون ، وادّعى أنه إبراهيم الخليل ، فقال له المأمون :  
إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين . قال : وما براهينه ؟ قال : أضربتُ  
له ناراً ، وألّقي فيها ؛ فصارت عليه برداً وسلاماً ، ونحن نُوقِدُ لك ناراً ، ونطرحُك  
فيها ، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمناً بك . قال : أريدُ واحدة أخفّ من  
هذه ! قال : فبراهين موسى ! قال : وما براهينه ؟ قال : ألقى عصاه فإذا هي حية  
تسعى ! وضربَ البحر بها فانفلق ! وأدخلَ يده في جيبه فأخرجها بيضاء ، قال :  
وهذه على أصعب من الأولى ! قال : فبراهين عيسى ، قال : وما هي ؟ قال :  
إحياء اللوتى ! قال : مكانك قد وصلت ! أنا أضربُ رقبة القاضي يحيى بن أكثم ،  
وأحييه لكم الساعة !

فقال يحيى : أنا أول من آمن بك وصدق !

١٤٧ — أبو دُلف وجُعيفران الموسوس\*

قال علي بن يوسف : كنتُ عند أبي دُلف<sup>(١)</sup> القاسم بن عيسى العجليّ ،  
فاستأذَنَ عليه حاجبُه جُعيفران<sup>(٢)</sup> الموسوس ، فقال له : أي شيء أصنع بموسوس؟  
قد قضينا حقوقَ العقلاء ، وبقي علينا حقوقُ المجانين ! فقلت له : جعلتُ فداء  
الأمير ، موسوس أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لساناً يُتَقَى ، وقولاً ماثوراً  
يُبَقَى . قاله الله أن تحجبه ! فليس عليك منه أذى ولا ثقل ! فأذِنَ له . فلما  
مثَل بين يديه قال :

يا أكرمَ العالمِ مَوْجوداً      ويا أعزَّ الناسِ مفقوداً  
لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ      أصبح في الأُمَّةِ محموداً  
قالوا جميعاً : إنه قاسمٌ      أشبهَ آباءَ له صيداً<sup>(٣)</sup>  
لو عبَدُوا شيئاً سوى ربِّهم      أصبحت في الأُمَّةِ معبوداً  
لازلت في نُعمى وفي غِبْطَةٍ      مُكرِّماً في الناسِ معدوداً

فأمر له بِكِسوةٍ وبألفِ درهمٍ ، فلما جيءَ بالدرهم أخذ منها عشرة وقال : تأمر  
القهرمان<sup>(٤)</sup> أن يُعطيني الباقي مُفرقاً كلما جئتُ ؛ لثلاثِ تضييعِ مني ، فقال للقهرمان :

\* الأغانى : ٨ - ٦٤

(١) أبو دلف : هو أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده ، كان كريماً سرياً جواداً ممدحاً  
شجاعاً . مقدماً ذا وقائع مشهورة ، وصنائع مأثورة ، وله مشاركة في الغناء ، توفي سنة ٢٢٦ هـ .  
(٢) ولد جعيفران ببغداد ونشأ بها ، ثم سكن سر من رأى ، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت  
عليه المرة السوداء فاختلط في أوقاته ، ثم كان إذا أفاق تاب إليه عقله وطبعه فقال الشعر الجيد .  
(٣) الأصيد : الملك ، ورافع رأسه كبراً . (٤) القهرمان : هو السيطر الحفيظ على ماتحت  
يده ، وهو من أمناء الملك وخاصته .

أعطيه المال ، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا ، فبكى عند ذلك  
جميعاً وتنفس الصعداء وقال :

يَمُوتُ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ      وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَفَادُ  
لَوْ غَيْرَ ذِي الْعَرْشِ دَامَ شَيْءٌ      لِذَا الْمُنْفِصِلُ الْجَوَادُ

ثم خرج . فقال أبو دلف : أنت كنت أعلم به مني .

قال ؛ وغير<sup>(١)</sup> عنى مدة ثم لقينى ، وقال : يا أبا الحسن ؛ ما فعل أميرنا  
وسيدنا ؟ وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشوق إليك . فقال : أنا والله  
يا أخى أشوق . ولكنى أعرف أهل العسكر وشرهم وإلحاقهم ؛ والله ما أراهم  
يتركونه من المسألة ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية حتى يخرج قبيراً .  
فقلت : دع هذا عنك وزرره ؛ فإن كثرة السؤال لا تضر بماله . فقال : وكيف ؟ أهو  
أيسر من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو تبدل<sup>(٢)</sup> لهم الخليفة كما يتبدل أبو دلف  
وأطمعهم فى ماله كما يطمعهم لأفقروه فى يومين ، ولكن اسمع ما قلته فى وقتى هذا .  
قلت : هاته يا أبا الفضل ! فأنشأ يقول :

أَبَا حَسَنِ بَلَّغَنِي قَاسِمًا      بَأَنِّي لَمْ أُجِبْهُ عَنِ قَلَا<sup>(٣)</sup>  
وَلَا عَنِ مَلَالِ لِإِنِّي أَنِي      وَلَا عَنِ صُدُودِ وَلَا عَنِ عَنَا  
وَلَكِنْ تَعَفَّفْتُ عَنِ مَالِهِ      وَأَصْفَيْتُهُ<sup>(٤)</sup> مِدْحَتِي وَالشَّنَا  
أَبُو دَلْفٍ سَيِّدٌ مَاجِدٌ      سَيِّئُ الْعَطِيَّةِ رَحْبُ الْفِنَا

(١) غير : مكث وذهب ، ضد . (٢) الابتذال : ضد الصيانة . (٣) القلا : البغض .  
(٤) أصفيته مدحتى : أخلصتها له .



كريم إذا أنتابه المعتقون عنهم بجزيل الجبا<sup>(١)</sup>  
قال : فأبلغتها أبا دلف ، وحدثته بالحديث الذي جرى . فقال لي : قد لقيته  
منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلمت عليه وتحفيت<sup>(٢)</sup> به ؛ فقال لي : سير أيتها  
الأمير على بركة الله ، ثم قال لي :

يامعدى الجود على الأموال      ويا كريم النفس في الفعال  
قد صنتني عن ذلة السؤال      بمجودك الموفى على الآمال  
صانك ذو العزة والجلال      من غير الأيام والليال  
قال : ولم يزل يختلف إلى أبي دلف ويبره حتى افترقا .

---

(١) الجباء : العطاء . (٢) تحفى به : بالغ في إكرامه .

١٤٨ — رميت به في بطنك\*

قال دِعْبِلُ<sup>(١)</sup> : أقفنا يوماً عند سهل بن هارون ، فأطنفنا الحديث حتى اضطررنا  
 الجوع إلى أن دعا بغدادنه ، فأتي بصَفْحَةٍ عُدْ مِلْيَةٍ<sup>(٢)</sup> ، فيها مَرَقُ لَحْمِ دِيكٍ عَاسٍ<sup>(٣)</sup>  
 هريم ، ليس قبلها ولا بعدها غيرها ، لا تَحْمُزُ<sup>(٤)</sup> فيه السكين ، ولا تَوْتُرُ فيه الأضراس .  
 فاطلع في القَصْعَةِ ، وقلب بصره فيها ؛ فأخذ قطعة خُبْزٍ يابس ؛ فقلّب بها  
 جميع ما في الصَفْحَةِ ففقدَ الرأس ؛ فبقي مطرِقاً ساعة ، ثم رفع رأسه إلى الغلام ،  
 وقال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : ما طنفتُ أنك تأكله ،  
 ولا تسألُ عنه ! قال : ولأى شيء ظننتَ ذلك ؟ فوالله إني لأمقتُ من يرْمِي برجله ؛  
 فكيف من يرْمِي برأسه !

والرأس رئيس ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيحُ الديك ، ولولا صوته  
 ما أريد ، وفيه عُرْفُهُ الذي يُتَبَرَّكُ به ، وفيه عينُهُ التي يُضْرَبُ بها المثل ؛ فيقال :  
 « شرابٌ كَعَيْنِ الدِّيكِ » ، ودماغه عجبٌ لوجع السكّلية ، ولن ترى عظماً قط  
 أهدس من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله !  
 أو ما علمت أنه خيرٌ من طَرَفِ الجناح ومن الساق والعنق !  
 انظر أين هو ! قال : والله ما أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكني أدرى  
 أنك رميت به في بطنك ، والله حسبك !

\* عيون الأخبار : ٣ - ٢٥٩

(١) كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بذي اللسان أولع بالهجو والحط من أقدار الناس ، كان  
 بينه وبين السكيت بن زيد وأبي سعد الخزومي مناقضات ، ومات سنة ٢٤٦ هـ . (٢) عدلية :  
 قديمة . (٣) العاسي : الذي أسن حتى جف وصلب . (٤) لا تحمز : لا تقطع .

١٤٩ — لو عَلِمْتُ بِحَالِهِ لَوَلَّجْتُ عَلَيْهِ\*

قال بشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل نزل بيني أخت له في سكة بني مازن ، فخرج رجالهم إلى ضياعهم ، وذلك في شهر رمضان ، وقيمت النساء يصلين في المسجد ، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس<sup>(١)</sup> ، فرأى بيتاً فدخل وانصق<sup>(٢)</sup> الباب ، فسمع الحركة بمض الإمام ، فظنوا أن لصاً دخل الدار .

فذهبت إحداهن إلى الشيخ ، وليس في الحى رجل غيره فأخبرته فقال : ما بيتنى اللص منّا؟ ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت فقال : إليه يأملاًمان<sup>(٣)</sup> ! أما والله إنك بي لعارف ، وإني بك أيضاً لعارف ، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن ، شربت حامضاً خبيثاً ، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأمانى ، وقلت : أطرقُ بني عمرو ، والرجالُ خلوف ، والنساء يصلين في مسجدهن ، فأسرقهن ، سوءة لك ! والله ما يفعل هذا الأحرار ! ليس والله ما منتك نفسك ، فأخرج وإلا دخلت عليك فصدمتك منى العقوبة ، وإيم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشثومة يلتقى فيها الحيان : عمرو وحنظلة ، ويحي سعد بحد الحصى ، ويسيل عليك الرجال من هاهنا ومن هاهنا ، ولئن فلت لتكونن أشأم مولود .

\* عيون الأخبار : ١ - ١٦٧ ، الحيوان : ٢ - ٨٤

(١) كلب عسوس : مطلوب لما يأكل . (٢) انصق : أغلق . (٣) اللأمان : اللئيم .



فلسأرى أنه لا يجيبه أخذه باللين ، وقال : اخرج بأبى وأمى ! إني والله ما أراك تعرفنى ، ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأنتت إلی ! أنا عروة بن مرثد ؛ أبو الأغرّ ، وأنا خالُ القوم ، وجِلْدَةُ ما بين أعينهم ، لا يهصوننى فى أمر ، وأنا لك بالنِّمَّة<sup>(١)</sup> كَفَيْلٌ خَفِيرٌ ، أَصْبِرُكَ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِي وَعَمَاتِي ، لا تُضَارُّ ؛ فأخرج فأت فى ذمتى ، وإلا فإن عندى قَوْصَرَتَيْنِ أَهْدَاهَا إِلَى ابْنِ أُخْتِي الْبَارِ الْوَصُولِ ، فخذ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله تعالى ورسوله !

وكان الكلبُ إذا سمع الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وثب يريد المخرج ؛ فتضاحك أبو الأغرّ ، ثم قال : يا ألبمَ الناس وأوضعهم ؛ لا أرى إلا أنى الليلة فى وادٍ وأنت فى آخر ، إذا قلت لك : السوداء والبيضاء تسكت وتطرق ، فإذا سكت عنك تريدُ المخرج ، والله لتخرجنَّ بالعفو عنك ، أو لألجِنَّ<sup>(٢)</sup> عليك البيت بالعقوبة ؛ فلما طال وقوفه جاءت جاريةٌ من إماء الحى ، فقالت : أعرابى مجنون والله ! ما أرى فى البيت شيئاً ، ودفعت الباب فخرج الكلب شديداً ، وحاد عنه أبو الأغرّ ، ساقطاً على قفاه ! ثم قال : أما والله لو علمت بحاله لَوَلَجْتُ عليه !

(١) النِّمَّة : المهد والأمان . (٢) ولج الباب : دخل .

١٥٠ — وعلى أيضا !\*

قال أبو الحسن : كان عندنا بالمدينة رجل قد كثر عليه الدين حتى توارى من غرماؤه ، ولزم منزله ، فأناه غريم عليه شيء يسير فتلطفت حتى وصل إليه ، فقال له : ما تجعل لي إن أنا دلتك على حيلة تصير بها إلى الظهور والسلامة من غرمائك ؟ قال : أفضيك حقك وأزيدك مما عندي مما تقر به عينك . فتوثق منه بالأيمان ، فقال له : غداً قبل الصلاة مرّ خادمك يكنس بابك وفناءك ، ويرش ويسط على دكانك حصراً ، ويضع لك متسكاً ، ثم اجلس وكل من يمر عليك ويسلم تنبج له في وجهه ، ولا تزيدن على النباح أحداً كائناً من كان ، ولو كلمك أحد من أهلك أو خدمك أو من غيرهم أو غريم أو غيره ، حتى تصير إلى الوالى ، فإذا كلمك فانبج له ؛ وإياك أن تزيد أو غيره على النباح ، فإن الوالى إذا أيقن أن ذلك منك جد لم يشك أنه قد عرض لك عارض من مسر فيخلى عنك .

ففعل ، فرّ به بعض جيرانه فلم عليه ؛ فنبج في وجهه ؛ ثم مر آخر ففعل مثلاً ذلك حتى تسمع غرماؤه ؛ فأناه بعضهم فلم عليه فلم يزد على النباح ، ثم آخر وآخر ؛ فتملقوا به فرفعوه إلى الوالى ؛ فسأله الوالى فلم يزد على النباح ، فرفعه معهم إلى القاضى فلم يزد على ذلك ؛ فأمر بحبسه أياماً ، وجعل عليه العيون . فملك نفسه ، وجعل لا ينطق بحرف سوى النباح .

فلما رأى القاضى ذلك أمر بإخراجه ، ووضع عليه الميونَ فى منزله ، وجعل لا ينطق بحرف إلا النباح ، فلما تقرر ذلك عند القاضى أمر غرماءه بالكف عنه ، وقال : هذا رجل به لَم ؛ فكث ما شاء الله تعالى .

ثم إن غريمه الذى كان علمه الحيلة أتاه متقاضياً لِعِدَّتِه ، فلما كلفه جعل لا يزيدُه على النباح ! فقال له : ويلك يا فلان ! وعلى أيضاً ! وأنا علمتك هذه الحيلة ! فجعل لا يزيدُه على النباح ، فلم يئس منه انصرف غير آمل فيما يطالبه به .



١٥١ - كَذِبٌ بِكَذِبٍ \*

قال الجاحظ<sup>(١)</sup> : حدثني محمد بن يسير<sup>(٢)</sup> عن والي كان بفارس قال : بينا هو يوماً في مجلس ، وهو مشغولٌ بحسابه وأمره ، وقد احتجب جُهدَه<sup>(٣)</sup> ، إذ نَجِمَ<sup>(٤)</sup> شاعر من بين يديه ، فأنشده شعراً مدَّحه فيه وقرَّظه<sup>(٥)</sup> ومجده . فلما فرغ قال : قد أحسنتَ ، ثم أقبل على كاتبه فقال : أعطِه عشرة آلاف درهم ؛ ففرح الشاعر فرحاً قد يُستطار<sup>(٦)</sup> له .

فلما رأى حاله قال : وإني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموقع . اجعلها عشرين ألف درهم . وكاد الشاعر يخرج من جلده ! فلما رأى فرحه قد تضاعف قال : وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعفِ القول ! أعطِه يا فلان أربعين ألفاً . فكاد الفرحُ يقتله . فلما رجعتُ إليه نفسه قال له : أنتَ - جعلتُ فِدَاكَ - رجل كريم ، وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددتُ فرحاً زدتنِي في الجائزة . وقبولُ هذا منك لا يكون إلا من قلةِ الشكر له ! ثم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه فقال : سبحان الله ! هذا كان يرُضَى منك بأربعين درهماً ، تأمر له بأربعين ألف درهم ! قال : وَيَلَاكَ ! وتريدُ أن تعطيه شيئاً ؟ قال :

\* البخلاء : ١ - ٥٩ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) عمرو بن بحر، ولد بالبصرة، كتبه أشهر من أن تحصى، توفي سنة ٢٥٥ هـ . (٢) شاعر بصرى . (٣) أى احتجب عن الناس ما أمكنه الاحتجاب . (٤) نجم : ظهر . (٥) قرظه : مدحه . (٦) يستطار له : يذعر منه .

ومِنْ إِنْفَازِ أَمْرِكَ بَدٌّ؟ قَالَ : يَا أَحْمَقُ ؛ إِنَّمَا هَذَا رَجُلٌ سَرَّنا بِكَلَامِهِ وَسَرَّرَناهُ  
بِكَلَامِهِ ؛ هُوَ حِينَ زَعَمَ أَنِّي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْأَسَدِ ، وَأَنَّ لِسَانِي أَقْطَعُ  
مِنَ السَّيْفِ ، وَأَنَّ أَمْرِي أَفْذُ مِنَ السَّنَانِ ، جَعَلَ فِي يَدِي مِنْ هَذَا شَيْئًا أَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى شَيْءٍ ؟ أَلَسْنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَذَبَ ؟ وَلَكِنَّهُ قَدْ سَرَّنا حِينَ كَذَبَ لَنَا . فَنَحْنُ أَيْضًا  
نَسْرَهُ بِالْقَوْلِ ، وَنَأْمُرُ لَهُ بِالْجَوَائِزِ ، وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ؛ فَيَكُونُ كَذِبٌ بِكَلَامِهِ ،  
وَقَوْلٍ يَقُولُ . فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبٌ بِصَدْقِهِ ، وَقَوْلٍ يَقُولُ ، فَهَذَا هُوَ  
الْخُسْرَانُ الَّذِي مَاسَمَعْتُ بِهِ !

١٥٢ — ذهب الحمارُ بأُمِّ عمرو\*

قال الجاحظ : دخلت يوماً مدينةً ، فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة ، فسأمتُ عليه ، فردَّ عليَّ أحسنَ ردِّ ، ورحَّبَ بي ، فجلستُ عنده ، وباحثتُه في القرآن ؛ فإذا هو ماهرٌ فيه ، ثم تفتَّحنا الفقه والنحو وأشعار العرب ؛ فإذا هو كامل الآداب ؛ فقلت : سأختلفُ إليه وأزوره .

وجئت يوماً لزيارته ، فإذا بالكتاب<sup>(١)</sup> مُغلق ، ولم أجد به ؛ فسألتُ عنه ، فقيل : مات له ميتٌ ؛ فحزن عليه ، وجلس في بيته للغراء .  
فذهبتُ إلى بيته ، وطرقتُ الباب ، فخرجتُ إلى جارية وقالت : ما تريد ؟ قلت : سيِّدك . فدخلتُ وخرجتُ ، وقالت : باسم الله ؛ فدخاتُ إليه ، وإذا به جالس . فقلت : عَظَّمَ اللهُ أجرك ؛ لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة . كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت ؛ فمليك بالصبر .

ثم قلتُ له : هذا الذي تُوفِّي ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا . قلت : فأخوك ؟ قال : لا . قلت : فزوجتك ؟ قال : لا . قلت : فمن هو ؟ قال : حبيبتى . فقلت في نفسي : هذه أولى المعائب . فقلت : سبحان الله ! النساء كثيرٌ وستجد غيرها . فقال : أتظن أنى رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية .

\* المستطرف : ١ - ٢٤٢

(١) المكتب والكتاب : موضع التعليم .



ثم قلت : وكيف عشقتَ من لم تر؟ فقال : اعلم أني كنت جالساً في هذا  
المكان ، وأنا أنظر من الطاق<sup>(١)</sup> ، إذ رأيت رجلاً عليه بُرْدٌ ، وهو يقول :

يا أمَّ عمرو جزاكِ اللهُ مكرمةً رُدِّي عَلَيَّ فَوادى أينما كانا

فقلت في نفسي : لولا أن أمَّ عمرو هذه ما في الدنيا أحسنُ منها ما قيل فيها هذا  
الشعر؛ فعشقتُها .

فلما كان منذ يومين مرَّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمارُ بأمِّ عمرو فلا رجعتُ ولا رجَعَ الحمارُ

فعلمت أنها ماتت ، فحزنت عليها ، وأغلقتُ للكتب ، وجلست في الدار !

قلت : يا هذا ؛ إني كنت قد ألقتُ كتاباً في نواذرهم معشر المعلمين ،

وكنت حين صاحبُك عزمتم على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمي على إبقائه ،

وأول ما أبدأ بك إن شاء الله .

---

(١) الطاق : ماعقد من الأبنية .

١٥٢ — أعجب ما رأيت من المجانين\*

حدث المبرد<sup>(١)</sup> قال : قال لى للمازنى : بلغنى أنك تنصرف من مجلسنا إلى مواضع المجانين والمعالجين<sup>(٢)</sup> فما معنى ذلك ؟ فقلت : أعزك الله تعالى ؛ إن لهم طرائف من الكلام ! قال : فأخبرنى بأعجب ما رأيت من المجانين ! فقلت : صرت يوماً إليهم فررت على شيخٍ منهم ، وهو جالس على حصير قصيب ، فجاوزته إلى غيره ، فقال : سبحان الله ! أين السلام ؟ من المجنون ؛ أنا أم أنت ؟ فاستحييتُ منه ، وقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حُسنَ الردِّ ، على أنا نصرفُ سوءَ أدبك إلى أحسنِ جهاته من العذر ، لأنه كان يقال : إن للداخل على القوم دهشةً ، اجلس - أعزك الله - عندنا ، وأوماً إلى موضع من الحصير ، فجلستُ إلى ناحية منه ، فقال لى - وقد رأى معى محبرتى : أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما : أصحاب الحديثِ الأعنثات ، أو الأدباء أصحاب النحو والشعر ؟ قلت : الأدباء ! قال : أتعرفُ أبا عثمانَ للمازنى ؟ قلت : نعم ! قال : أتعرف الذى يقول فيه القائل :

وفتى من مازن أستاذ أهل البصرة  
أمه معرفة وأبوه نكرة

\* معجم الأدباء : ١٩ - ١١٦

(١) هو محمد بن يزيد ، المعروف بالمبرد إمام العربية فى زمنه ببغداد وأحد أئمة الأدب والأخبار . مولده ببغداد وتوفى بها سنة ٢٨٦ هـ . (٢) المدخولين فى عقولهم ، والتعاطلين للعلاج .

فقلت : لا أعرفه ، فقال : أتعرفُ غلاماً له قد نبغَ في هذا العصر ، له ذهنٌ وحفظٌ وقد برزَ في النحو ، يعرفُ بالمبرِّدِ ؟ فقلت : أنا والله الخبيرُ به ! قال : فهل أنشدك شيئاً من شعره ؟ قلت : لا أحسبه يُحسِنُ قول الشعر ! فقال : يا سبحان الله ! أليس هو القائل :

حَبِّدَا مَا الْعَنَاقِيدِ بِرِيقِ الْغَائِنِيَاتِ  
بِهِمَا يَنْبِتُ لَحْمِي وَدَمِي أَيُّ نَبَاتِ

قلت : قد سمعته ينشد هذا في مجلس أنسٍ ؛ فقال : يا سبحان الله ! ألا يستحي أن ينشد مثل هذا الشعر حول الكعبة ؟ ثم قال : ألم تسمع ما يقولون في نسبه ؟ قلت : يقولون : إنه من الأزدِ أزدِ شنوءة ، ثم من ثُمالة ! قال : أتعرفُ القائل في ذلك :

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ  
فَقَالَ الْقَائِلُونَ : وَمَا ثُمَالَةٌ ؟  
فَقُلْتُ : مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدٍ مِنْهُمْ  
فَقَالُوا : زِدْنَا بِهِمْ جَهَالَةً !  
فَقَالَ لِي الْمُبَرِّدُ : خَلَّ قَوْمِي  
فَقَوْمِي مَعْشَرٌ فِيهِمْ نَدَالَةٌ !

فقلت : أعرفه ! هذا عبدُ الصمدِ بنُ المعدَّلِ يقولها فيه ! فقال : كذب فيما ادَّعاه ! هذا كلامُ رجلٍ لا نسبَ له ، يريد أن يُثبِتَ له بهذا الشعر نسباً ، فقلت له : أنت أعلم ! فقال : يا هذا ، قد غلبت خفةُ روحك على قلبي ، وقد أخرتُ ما كان يجب تقديمه ، ما الكنية ؟ أصلحك الله ! فقلت : أبو العباس ، قال : فما الاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ؟ قلت : يزيد . قال : قبَّحك الله ! أحوجتني إلى الاعتذار بما قدمتُ ذكره ، ثم وثب وبسط يده فصاغني ؛ فرأيتُ القيدَ في



رجله ، فأمنتُ غائلته ، فقال : يا أبا العباس ، صنُ نفسك من الدخول في هذه  
المواضع ؛ فليس يتهيأ في كل وقتٍ أن تصادفِ مثلي على مثلِ حالي ، ثم قال :  
أنت المبرّد ! أنت المبرّد ! وجعل يصفقُ ، وانقلبتُ عيناه واحمرّت وتغيّرت  
حالته ، فبادرت مسرعاً خوفَ أن تبتدرَ إليّ منه بادرة ؛ وقبلتُ منه والله نصيحة ،  
ولم أعاودُ بعدها إلى تلك المواضع أبداً !

١٥٤ — مجنون أديب \*

قال أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب<sup>(١)</sup> : كان ببغداد فتى يُجَنّ  
ستة أشهر ، فاستقبلني يوماً ببعض السكك فقال : نعلب ! قلت : نعم ، قال :  
فأنشدني ، فأنشدته :

وإذا مررت بقبره فاعقِر به كُوم<sup>(٢)</sup> الهجان وكل طرف<sup>(٣)</sup> سابع  
وانضح جوانب قبره بدمائها فكذا يكون أخا دم وذباح  
فضحك ثم سكت ساعة ؛ وقال : ألا قال :

اذها بي إن لم يكن لكما عقرٌ على ترُب قبره فاعقِراني  
وانضح من دمي عليه فقد كان دمي من نداءه لو تعلمان  
ثم رأني يوماً بعد ذلك فتأملتني ، وقال : نعلب ! قلت : نعم ؛ قال : أنشدني ،  
فأنشدته :

أعارَ الجود<sup>(٤)</sup> نائله إذا ما ماله نُفداً  
وإن أسدَّ شكاً جُبناً أعار فؤاده الأسداً

فضحك وقال : ألا قال :

علمَ الجودَ الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسدُ  
فله الجودُ مقرٌّ بالندى وله الليثُ مقرٌّ بالجلدُ

\* عقلاء المجانين : ١٣٥ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٣

(١) أحمد بن يحيى إمام الكوفيين في النحو واللغة كان راوية للشعر مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ،  
تفة حجة ، توفي سنة ٢٩١ هـ . (٢) الكوم : القطعة من الإبل . (٣) الطرف : الكريم من  
الحيل . (٤) الجود : المطر الغزير .

١٥٥ — كدّر الله من كدّر العيش \*

قال الحدوثي : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة ، السماء فيها مغمية ،  
فأنته ، والمائدة موضوعة مُعَطَّاة ، وقد وافت « عجاب » المغنية ؛ فأكلنا جميعاً  
وجلسنا على شرابنا ؛ فمراعنا إلا داق يدق الباب فأتاه الغلام ؛ فقال : بالباب  
فلان ! فقال لى : هو فتى من آل المهلب ، ظريف نظيف ! قلت : ما تريد غير  
ما نحن فيه !

فأذن له ؛ فجاء يتبختر ، وقْدَامى قَدَحُ شراب فكسره ، فإذا رجل آدم<sup>(١)</sup>  
ضخم ! وتكلم ؛ فإذا هو أعيا الناس .

فجلس بينى وبين « عجاب » ؛ فدعوت بدواة ، وكتبت إلى أحمد  
ابن حرب :

كدّر الله عيش من كدّر العيد ش ؛ فقد كان صافياً مُسْتَطَاباً  
جاءنا والسماء تهطل بالغيث ش وقد طابق السماعُ الشرابا  
كسر الكأس وهى كالكوكب الدر<sup>(٢)</sup> رى ضمت من المدام<sup>(٣)</sup> رُضاباً<sup>(٤)</sup>  
قلت لماً رُميت منه بما أكره ، والدهر ما أفاد أصابا !  
مجلّ الله نعمة لابن حرب تدع الدار به شهر خراباً !

\* زهر الآداب : ٤ - ١٧٧

(١) الآدم : الأسمر . (٢) الكوكب الدرى : الثاقب المضى ، نسب إلى الدر لبياضه .

(٣) المدام : الحمر . (٤) الرضاب : العسل ، أو رغوته .



ودفعتُ الرقعة له ؛ فقال : ألا نَفَسْتُ<sup>(١)</sup> ؛ فقلتَ : بعد حول<sup>(٢)</sup> ؟ قلتُ :  
أردتُ أن أقولَ بعد يوم ؛ نَحِفْتُ أن يصيبني مضرَّةٌ ذلك !  
وفِطِنَ الثَّقِيلَ ؛ فنهض ، فقال : آذَيْتَهُ ! قلتُ : هو آذاني !

---

(١) نفس تنفيسا : فرج ، يريد ألا فرجت عن نفسك وصبرت . (٢) يريد : بدل شهر التي وردت في البيت .

## ١٥٦ - يضيف أهل الصفة ثم يضر بهم

كان زيادُ بنُ عبد الله الحارثي والياً على المدينة ، وكان فيه بُخْلٌ وجفاء ؛ فأهدى إليه كاتبٌ سِلاًلاً فيها أطعمة ، وقد تنوق<sup>(١)</sup> فيها ، فوافقتهُ وقد تقدى ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : غداء بعته فلان السكاتب ! فغضب ، وقال : يبعثُ أحدم الشيء في غير وقته ! ياخيتم بن مالك - يريد صاحبَ شرطته : ادعُ لى أهل الصفة<sup>(٢)</sup> يا كلون هذا !

فبعث خيتم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذي جاء بالسلال : أصلح الله الأمير ! لو أمرت بهذه السلال تُفتح وينظرُ ما فيها !

قال : اكشفوها ، فإذا طعام حسن من دجاج وجداء<sup>(٣)</sup> وسمك وأخبصة<sup>(٤)</sup> وحلواء ! فقال : ارفعوا هذه السلال .

وجاء أهل الصفة ؛ فأخبر بهم ، فأمر بإحضارهم ، وقال : ياخيتم ، اضر بهم عشرة أسواط ، فإنه بلغنى أنهم يحدثون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم !

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٥ .

(١) تنوق في الأمر : تأنق فيه (٢) أهل الصفة : كانوا أضياف الإسلام ، وكانوا يبيتون في مسجده صلى الله عليه وسلم (٣) الجداء : جمع الجدى ، وهو ولد الغز (٤) الخبصة : طعام من التمر والسمن .

( ٢٩ قصص - رابع )

١٥٧ - ابن المدبر وطفيلي \*

كان ابن المدبر قليل الجلوس للنادمة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنسُ بغيرهم ولا ينبسط إلى سوام ، قد اصطفاهم لعشرته ، واختارهم لمفادته ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره .

وكان طفيلي يُعرف بابن دُرّاج من أكمل الناس أدباً ، وأخفهم روحاً ، وأشدهم في كل مليحة افتناناً ؛ فلم يزل يمتالئ إلى أن عرف وقت جلوس ابن المدبر للندماء ، فتزيّاً في زى ندمائه ، ودخل في جملتهم ، وظنّ حاجبه أن ذلك يعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ، ولم ينكر شيئاً من حاله .

وخرج ابن المدبر ، فنظر إليه بين القوم ، فقال لحاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل ، فقل له : ألك حاجة ؟ فسقط في يد الحاجب ، وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدبر لا يرضى في عقوبته إلا بقتله ، فذهب إليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا . فقال له : ارجع إليه فقل له : أي شيء أنت ؟ فقال : قل له : طفيلي يرحمك الله !

فقال له ابن المدبر : أنت طفيلي ؟ قال : نعم ! أعزك الله ! قال : إن الطفيلي يُتمل دخوله بيوت الناس وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بندمائهم والخوض في أسرارهم لخصال ، منها أن يكون لاعباً بالشطرنج ، أو بالترّد ، أو ضارباً بالعود أو الطنبور !



فقال : أيدك الله ! أنا أحسنُ هذه الأشياء كلها ، قال : وفي أى وظيفة أنت منها ؟ قال : فى العُلَيَّا من جميعها !

فقال لبعض ندمائه : لا عبه بالشطرنج ، فقال الطفيلى : أصلح الله الأستاذ ! فإن قمرت<sup>(١)</sup> ؟ قال : أخرجناك من ديارنا . قال : فإن قمرت ؟ قال : أعطيناك ألفَ درهم . قال : فإن رأيت - أيدك الله - أن تحضر الألف ؛ فإن فى حضورها قوة للنفس والإيقان بالظفر .

فأحضرت ؛ فلعبا فغلب الطفيلى ، ومدَّ يده لياخذَ الدراهم ، فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعضَ ما وقع فيه : أعزَّ الله الأستاذ ؛ إنه زعم أنه فى الطبقة العُلَيَّا ، وابنُ فلان غلامك يَغلبه .

فأحضر الغلام ، فغلبَ الطفيلى ، فقال له : انصرف ، فقال : أحضروا الترد ، فأحضرت فوُعب فغلب ، فقال الحاجب : ولا هذا - يا سيدى - فى الطبقة العليا من الترد ، ولكن به أبنا فلان يغلبه ، فأحضر البواب فغلب الطفيلى ، فقال له : اخرج ، فقال : يا سيدى ، فالعود ؟

فأتى بالعود ، فضرب فأصاب ، وغنَّى فأطرب ، فقال الحاجب : يا سيدى ؛ فى جوارنا شيخ هاشمى يُعلم القِيانَ أحذقُ منه ، فأحضر الشيخ ، فكان أطربَ منه ، فقال له : اخرج ، قال : فالطنبُور ، فأعطى طنبوراً فضرب ضرباً لم يرَ الناسُ أحسنَ منه ، وغنَّى غناءً فى النهاية ، فقال الحاجب : أعزَّ الله الأستاذ ؛ فلان فى جوارنا أحذقُ منه ، فأحضر فكان أحذقُ منه وأطيب ، فقال له ابن المدبر :

(١) قمرت : غلبت فى اللعب .

قد تقصينا لك بكل جهد ، فأبت حِرْفَتِكَ إلا طردَكَ عن منزلنا .

فقال : ياسيدي ، بقي شيء ! قال : ما هو ؟ قال : تأمر لي بقوس بُندُق <sup>(١)</sup> مع خمسين بُندُقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع وأرميه بها ، وإن أخطأتُ بواحدة منها ضربت رقبتي . فضجّ الحاجب من ذلك ، ووجد ابنُ المدير في ذلك شفاءً لنفسه وعقوبة له على ما فرط منه في إدخال الطفيلي إلى مجلسه . فأمر ياكافين <sup>(٢)</sup> فأحضرا ، وجعل أحدهما فوق الآخر ، وشدّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق فدفعا إلى الطفيلي ، فرمى به ؛ فما أخطأه ؛ وخطى عن الحاجب وهو يتأوه لما به ، فقال له الطفيلي : أعلی باب الأستاذ من يُحسن مثل هذا ؟ فقال : ما دام البرجاس <sup>(٣)</sup> استي فلا !

---

(١) البندق : الذي يرمى به ، الواحدة بهاء (٢) الإكاف : البرذعة (٣) البرجاس : غرض في الهواء على رأس رمح أو نحوه .

١٥٨ — صناعتهم التطفيل \*

قال دراج : قدمتُ من بغداد ، فررتُ بباب قومٍ وعندهم وليمة ، وإذا بصاحب الدار يدخلُ ويضع سَلماً فكلمنا رأى إنساناً لا يعرفه قال : اصعدْ يا أبا ؛ فصعدتُ إلى غرفةٍ مفروشة حتى وافيتُ فيها ثلاثة عشر طفيلياً ، ثم رُفِع السَلْمُ ، ووُضِعَت الموائد ، فبقي أصحابي قد تحيَّروا وقالوا : ما مرَّ بنا مثل ذا قط ؛ قلت : يا فتيان ، ما صناعتكم ؟ قالوا : التطفيل ، قلت : فما عندكم في هذا الأمر الذي وقعنا فيه ؟ قالوا : ما عندنا فيه حيلة ، قلت : فإذا احتلتُ لكم حتى تأكلوا وتنزلوا يُقرئون أنى أعلمكم بالتطفيل ؟ قالوا : ومن تكون بالله ؟ قلت : أنا ابن دراج . قالوا : قد أقررنا لك قبل أن تحتال لنا . قال : فجننتُ إلى صاحب الدار فاطلمتُ عليه والناس يأكلون وقلت : يا صاحب الدار ؛ قال : مالك ؟ قلت : أيما أحبُّ إليك : تصعدُ إلينا بخوانٍ كبير ، نأكلُ ونزلُ أو أزمى بنفسى ، فيخرج من دارك قتيلاً ؛ ويصير عُرْسُك مأتماً ؟ وجعلتُ أريه كأنى أزمى بنفسى ، فصاح وقال : اصبر وياك لا تفعل ! وجعل يمجِّل ويقول : هذا مجنون . وأصعدوا إلينا خواناً ، فأكلنا ونزلنا .



١٥٩ — اصبروا على غدير \*  
—

ادعى مدّيع النبوة ، فطلب ودعى له بالسيف والنّطع ؛ فقال : ما تصنعون ؟  
قالوا : نقتلك ، قال : ولم تقتلونني ؟ قالوا : لأنك ادّعت النبوة ، قال : فلست  
ادّعيها ، قيل له : فأى شيء أنت ؟ قال : أنا صديق ، فدعى له بالسيّاط ، فقال :  
لم تضربونني ؟ قالوا : لادّعاك أنك صديق ، قال : لا ادّعى ذلك ، قالوا : فمن  
أنت ؟ قال : من التابعين لهم بإحسان ، فدعى له بالدرّة<sup>(١)</sup> ، قال : ولم ذلك ؟  
قالوا : لادّعاك ما ليس فيك ، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبيّ تريدون أن  
تخطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام ! اصبروا على غدير حتى أصير لكم  
ما شئتم !

---

\* نهاية الأرب : ٤ - ١٦

(١) الدرّة بالكسر : التي يضرب بها .

١٦٠ — هو خيرُ الناسِ مهما يفعل \*

حدث رجلٌ من عامر بن لؤي ، قال : كان صبيٌّ منا ترك له أبوه غنماً وعبيداً ؛ فخرج يوماً ، فنظر إلى جاريةٍ في خباياها فهويها ، ومال إلى أمها ، وسألها لمن تزوجها منه ، فقالت : حتى أسألَ عن أخلاقك .

فسأل عن أقرب الناس إليها ، فدلَّ على شيخٍ كان معروفاً بمُسنِّ المحضَر . فأتاه وسلمَ عليه ، وقال : ما جاء بك ؟ فأخبره . فقال : لا عليك ! فإنَّ العجوزَ غيرُ خارجةٍ من رأيي ، فامضِ إلى منزلك ، وأقمِ يوماً أو يومينِ ، ومُرْ بفتنك أن تُساقَ ، ونادِني أهلك : أمّا من أراد أن يجلِبَ فليأتنا ! ودعني والأمر !

فشاع الخبرُ ، فخرجت العجوزُ مع مَنْ خرج ، والشيخُ مع القومِ ، فنظر إلى الشابِّ ، وقد كانت العجوزُ قد أخبرته بشأنه ، فقال : هو هو ! فقالت : نعم ! قال : لقد حرمتِ حظك ! قالت : إني أريد أن أسألَ عن أخلاقه . قال : أنا ربيته . قالت : فكيف لسانه ؟ قال : خطيبُ أهله ، والمتكلمُ عنهم . قالت : فكيف سماعته ؟ قال : ثَمَالٌ<sup>(١)</sup> في قومه ، وريعمهم ! قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : حامى قومه والمدافعُ عنهم !

قال : فطلَّعَ الفتى ، فقال : أما ترين ما أحسن ما أقبل ! ما انحنى ولا اثنى !

\* المحاسن والساوى : ٦٤٣ ( طبع ليزج ) .  
(١) الثمال : النيات الذى يقوم بأمر قومه .

فلما قرب سلم ، فقال : ما أحسن ما سلم ! ما حار ولا نار . ثم استوى جالساً ،  
فقال : ما أحسن ما جلس ! ما ركع ولا عجز . قالت : أجل ! فذهب يتحرك  
فضرط ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما ضرط ، ما أطنأ ولا أغنأ ولا نفخأ  
ولا ترترأ<sup>(١)</sup> . فهض الفتي خجلاً ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما نهض !  
قالت المجوز : أجل والله ! فصيح به ورده ، فوالله لزوجناه ولو فعل أكثر  
مما فعل !

---

(١) التتر : الزلزل والتقلل .



١٦١ - طفيلى فى عرس \*

دخل طفيلى عرساً فلم يقدر على الدخول ، فأخذ قرطاساً وأدْرَجَه<sup>(١)</sup> ، ولم يكتب فيه شيئاً ، وسأل عن العروس : هل له قريب غائب ؟ فقيل : أخوه . فكتب عنوان الكتاب من فلان ابن فلان أخيه . وجاء فدقَّ الباب ، وقال : معى كتابٌ من أخى العروس . فخرج العروس مبادراً فأدْخَلَه وأحضَرَ له الطعام ؛ فلما قرأ العنوان قال : سبحان الله ! تراه نَسِيَ اسمى إذ لم يكتبه على الكتاب ! فقال الطفيلى : وأعجبُ من هذا أنه لم يكتب داخله شيئاً من العجلة ! فعلم مراده وأدْخَلَه !

---

\* ذيل زهر الآداب : ٢٨٠ .  
(١) أدرج الكتاب : طواه .

١٦٢ - طفيلي محدث \*

قال أبو عمرو نصر بن علي : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظرًا ، وأعذبهم منطقًا ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباسًا ، وكان من شأنه معي أني إذا دعيتُ إلى مدعاة<sup>(١)</sup> تبعني ، فيكرمه الناس من أجلي ، ويظنون أنه صاحب لي ؛ فاتفق يوماً أن جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يَحْتَن بعض أولاده ، فقلت في نفسي : كأني برسول الأمير قد جاء ، وكأني بهذا الرجل قد تبعني ، والله لئن تبعني لأفضحنه !

فأنا على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني ، فزدتُ أن لبستُ ثيابي وخرجت ، وإذا أنا بالطفيلي واقفٌ على باب داره ، وسبقني بالتأهب فتقدمتُ وتبعني ؛ فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ، ودعا بالطعام ، وأحضرت الموائد وكان كلُّ جماعة على مائدة لكثرة الناس ، فقدمتُ إلى مائدة والطفيلي معي ، فلما مدَّ يده ، وشرع في تناول الطعام قلت : حدثنا نافع عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار قومٍ بغير إذْنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً ، وخرج مُعْبِراً » . فلما سمع ذلك قال : أُنِفْتُ لك والله أبا عمرو من هذا الكلام ! فإنه ما من أحدٍ من الجماعة إلا وهو يظنُّ أنك تمرض به دون صاحبه ، أو - نستحي أن نتكلم بهذا الكلام على مائدة سيِّد من أطعم الطعام ، وتبخل بطعام غيرك على من سواك !

\* التطفيل للبغدادى : ٦٦ .

(١) المدعاة : الدعوة

ثم لا تستحي أن تحدث بهذا الحديث وهو ضعيف ، وتحكم برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون على خلافه ! لأن حكم السارق القطع ، وحكم المفير أن يُعزَّر على ما يراه الإمام ، وأين أنت عن حديث حدثناه أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طعامُ الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية » . وهو إسنادٌ صحيح ومَتَّنٌ صحيح !

قال نصر : فأفحمني فلم يحضرنى له جواب ، فلما خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشى ورأى ، وسمته يقول :

ومن ظنَّ يَمُنَّ بِلِقَى الحروبِ      بالأَّ يصابُ فقد ظنَّ عَجْزاً



١٦٣ — غِنَى وَغَفْلَةٌ \*

كان بمصر شريف من وُلد العباس يعرف بأبي جعفر ؛ شبيهه بابن الجصاص في الغفلة والجَدِّ والنِّعْمَةِ .

قال أبو القاسم بن محمد التنوخي : بعثني أبي إليهِ من قرية تعرف بتلا يستقرضه عشرة أَرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر ، وكتب معي بذلك رقعة ، فأتيتُ إليهِ وسلمت عليهِ ، ودفعت إليهِ الرقعة ؛ فقال : ذكرتُ أباك ، فهو صاحبي وصديقي وخليطي ! وأين هو الآن ؟ قلت : بقرية تلا - أعزَّ اللهُ سيدي الشريف ! قال : نعم ! حفظه اللهُ ! هو بالنُّسْطَاط معنا ، وقد انقطع عنا كذا ! ما كنتُ أظنُّه إلا غائباً !

قلت : لا سيدي هو بتلا ! قال : فمالك ما قلتَ لي ؟ فما كان سبيله أن يؤنسنى برقعة من قبله ؟ قلت : يا سيدي ، قد دفعتُ إليك رُقْعَتَهُ ! قال : وأين هي ؟ قلت : تحت البساط ! فأخذها وقرأها ، وقال : قل لي الآن ، أكان لك أخٌ أعرفه حادٍ لذهنٍ يحسن النحو والعروض والشعر ؛ فافعلَ اللهُ به ؟ قلت : أنا هو - أعزَّكَ اللهُ ! قال : كبرتَ كذا ! وعهدى بك تأتيني معه ؛ قلت : نعم ! أيَّد اللهُ الشريف !

قال : وما الذي جئتَ فيه ؟ قلت له : والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أَرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر . قال : وهو الآن بالنُّسْطَاط ؟ !

قلت : لا يا سيدي هو بتلا ! قال : نعم ! وإنما ذاك الفتى أخوك ؟ قلت : لا !  
أنا هو .

فصار يراجعني في الكلام وقد ضجرتُ من شدة غفلته ، وكثرة نسيانه لما  
أقول له ، حتى أقبل كاتبه أبو الحسين ، فقال له : سَلْ هذا الفتى ما يريد ؟ فسألني  
فعرّفته فأخبره ، فقال له : نَعَدْ له حاجته . فوَقَعَ لي الكتاب بما أَرَادَ ، وقال :  
تَلَقَّاني للقبضِ بالديوان ، فشكرت الشريف ونهضت ! فقال : اصبر يا بني فقد حضر  
طعامنا ؛ وقدم الطعام ، وفيه طعام غير جيد ، فرفع يده ، وقال : مثل مطبخي يكون  
فيه مثل هذا ! عليّ بالطباخ ! فأنى ، فقال له : ما هذا العمل ! فقال : يا سيدي ؛  
إنما أنا صانع ، وعلى قدر ما أُعْطِيَ أعمل ! وقد سألت المُنْفِقَ أن يشتري لي ما أحتاجُ  
إليه فتأخر عني ، فعملتُ على غير تمكّن ؛ فجاء التّقصير كما ترى .

فقال : عليّ بالمُنْفِقِ فأحضر ، فقال : مالي قليل ؟ قال : لا ، يا سيدي إنما أنفق  
ما أُعْطِيَ ، وقد سألت الجُهَيْدَ<sup>(١)</sup> أن يدفع لي فتأخر عني ؛ فقال : عليّ بالجُهَيْدِ !  
فأنى به . فقال : مالك لم تدفع للمُنْفِقِ شيئاً ؟ قال : لم يوقّع لي الكاتب ! فقال  
للکاتب : لِمَ لَمْ تدفع إليه شيئاً ؟ فتلّغتم في الكلام ، ولم يكن عنده جواب ؛  
فقال للكاتب : قف ها هنا ، ووقف خلفه الجُهَيْدُ ، ووقف خلف الجُهَيْدِ  
المُنْفِقُ ، وخلف المُنْفِقِ الطباخ ، وقال : ليصنع كلُّ واحد منكم بمن يليبه بأكثر  
ما يقدر عليه فتصافعوا .

قال : فخرجت وأنا متمجّب من غباوته وغفلته !

(١) الجُهَيْدُ : النقاد الحبير ، ويريد القائم بالإفناق وحفظ الأموال .

١٦٤ — حذاء أبي القاسم \*

كان في بغداد رجلٌ اسمه أبو القاسم الطنبُورِي ، وكان له مَدَّاسٌ <sup>(١)</sup> ، وهو يلبسه سبع سنين ، وكان كلما تقطع منه موضعٌ جعل مكانه رقعةً إلى أن صار في غاية النَقْل ، وصار الناسُ يضر بون به المثل .

فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج ، فقال له سَمْسَارٌ <sup>(٢)</sup> : يا أبا القاسم ، قد قدِم إلينا اليوم تاجر من حَلَب ، ومعه حِمْلٌ زجاجٍ مُذَهَّبٌ قد كسَدَ ، فأشتره منه ، وأنا أبيعك لك بعد هذه المدة ؛ فتيكسبُ به المثل مِثْلَيْنِ ! فبشئنا بشتين ديناراً .

ثم إنه دخل إلى سوق المطارين ؛ فصادفه سَمْسَارٌ آخر ، وقال له : يا أبا القاسم ؛ قد قدِم إلينا اليوم من نصيبين <sup>(٣)</sup> تاجرٌ ، ومعه ماء ورْد ، ولِجَلَّةٌ سفره ، يمكن أن تشتريه منه رخيصةً ، وأنا أبيعك لك فيما بعد ، بأقرب مدة ؛ فتيكسبُ به المثل مِثْلَيْنِ !

فبشئنا بشتين ديناراً أخرى ، وملاً به الزجاج المذهب وحمله ، وجاء به فوضعه على رَفٍ من رفوف بيته في الصِّدْر !

ثم إن أبا القاسم دخل الحمام ينقل ؛ فقال له بعض أصدقائه : يا أبا القاسم ؛

\* بحان الأدب : ٣ - ٢٣٢ .

(١) اللداس كحجاب : الذي يلبس في الرجل (٢) السمسار : المتوسط بين البائع والمشتري

(٣) قاعدة ديار ربيعة .



أشهى أن تغير مداسك هذا ! فإنه في غاية الشناعة ! وأنت ذو مال بحمد الله ! فقال له أبو القاسم : الحق معك ؛ فالسمع والطاعة .

ثم إنه خرج من الحمام ، ولبس ثيابه ، فرأى بجانب مداسه مداساً آخر جديداً ؛ فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له ؛ فلبسه ، ومضى إلى بيته !

وكان ذلك المداسُ الجديدُ للقاضي ، وقد جاء في ذلك اليوم إلى الحمام ، ووضع مداسه هناك ، ودخل يستحم !

فلما خرج فنس عن مداسه ؛ فلم يجده ؛ فقال : أمن لبس حذائي لم يترك هوضه شيئاً ؟ ففتشوا ؛ فلم يجدوا سوى مداس أبي القاسم ! فعرفوه ؛ لأنه كان يُصْرَ . به المثل !

فأرسل القاضي خدمه ، فكبسوا<sup>(١)</sup> بيته ، فوجدوا مداسَ القاضي عنده ؛ فأحضره القاضي ، وضربه تأديباً له ، وحبسه مدة ، وغرمه بعض المال وأطلقه !

فخرج أبو القاسم من الحبس ، وأخذ حذاه ، وهو غضبان عليه ، ومضى إلى دجلة ، فألقاه فيها ؛ ففاص في الماء !

فأتى بعض الصيادين ورمى شبكته ، فطاع فيها ! فلما رآه الصياد عرفه ، وظن أنه وقع منه في دجلة ! فحمله وأتى به بيت أبي القاسم ؛ فلم يجده ! فنظر فرأى نافذة إلى صدر البيت ، فرماه منها إلى البيت ، فسقط على الرف الذي فيه الزجاج ، فوقع ، وتكسر الزجاج وتبدد ماء الورد !

(١) كبس داره : هجم عليها واحتاط بها .

فجاء أبو القاسم ونظر إلى ذلك فعرف الأمر ، فلطم وجهه ، وصاح يبكي ،  
وقال : واققرّاه ! أققرني هذا المداس الملعون !

ثم إنه قام : ليحفّر له في الليل حفرة ، ويدفنه فيها ، ويرتاح منه ؛ فسمع  
الجيران حس الحفر ؛ فظنوا أن أحداً ينقب عليهم ؛ فرفعوا الأمر إلى الحاكم ؛  
فأرسل إليه ، وأحضره ، وقال له : كيف تستحل أن تنقب على جيرانك حائطهم ؟  
وحبسّه ، ولم يُطلقه ، حتى غريم بعض المال !

ثم خرج من السجن ومضى وهو حرّ دان<sup>(١)</sup> من المداس ، وحمله إلى كنيف  
الخان ، ورماه فيه ، فسدّ قصبه الكنيف ؛ ففاض وضجر الناس من الرأحة  
الكريهة ! وبحثوا عن السبب ؛ فوجدوا مداساً فتأملوه ؛ فإذا هو مداسُ أبي القاسم !  
فحملوه إلى الوالي ، وأخبروه بما وقع ؛ فأحضره الوالي ، ووبخه وحبسّه ، وقال  
له : عليك تصليح الكنيف ! فغرم بجملة مال ، وأخذ منه الوالي مقدار ما غرم  
تأديباً له وأطلقه .

فخرج أبو القاسم والمداسُ معه ، وقال - وهو مغتاض منه : والله ما عدتُ  
أفارقُ هذا المداس !

ثم إنه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف ؛ فرآه كلب ؛ فظنه رمةً فمّله  
وعبر به إلى سطح آخر ؛ فسقط من الكلب على رأس رجل ، فألّمه وجرحه جرحاً  
بليغاً ، فنظروا وفنشوا لمن المداس ، فعرفوا أنه لأبي القاسم !

(١) حران : غضبان (٢) الرمة بالكسر : العظام البالية .

فرفعوا الأمر إلى الحاكم ؛ فألزمه بالعوض ، والقيام بلوازم المجروح مدة مرضه ! فنقدَ عند ذلك جميع ما كان له ، ولم يبق عنده شيء !

ثم إن أبا القاسم أخذ اللداس ، ومضى به إلى القاضي ، وقال له : أريد من مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا اللداس مبارأة شرعية على أنه ليس مني ولستُ منه ! وأن كلاً منا برىء من صاحبه ، وأنه مهما يفعله هذا اللداس لا أؤاخذ أنا به ! وأخبره بجميع ما جرى عليه منه !  
فضحك القاضي منه ووصله ومضى !

---

﴿ تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه ﴾



## فهرس القصص

### الباب الأول

في القصص التي تصف ما عقده من مجالس الطرب ، وحفلات الفناء ، وما  
أثاروه من أسباب المنافسة بين المعنين ، قاصدين الترفيه عن النفوس ، وجلاء الهم ،  
وتهذيب المشاعر ، وترقيق الوجدان :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
الشعر والفناء	١٠	١
قل للسكرام ببابنا يلجوا	١٢	٢
عبد الله بن جعفر ضيف طويس	١٣	٣
سقوني وقالوا لا تغن	١٥	٤
عبد الله بن جعفر عند جميلة	١٨	٥
بيتان من الشعر	٢٠	٦
ماذا فعلت بزاهد متعبد ؟	٢٣	٧
دُعَابَةُ ابن أبي عتيق	٢٤	٨
لحن لجميلة	٢٦	٩
في أيام الحج	٣٠	١٠
في وادي العتيق	٣٥	١١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
من أين صببك الله على !	٣٧	١٢
ارجع إلى عمك راشداً	٣٩	١٣
الأحوص يحتمل حتى تسمع سلامة غناء الفريض .	٤١	١٤
غناء في ختان	٤٤	١٥
يضطرب حين يسمع الغناء	٤٧	١٦
في قصر الوليد بن يزيد	٤٩	١٧
معبد في مكة	٥١	١٨
معبد في السفينة	٥٣	١٩
وفاء مالك بن أبي السمح لمعبد	٥٧	٢٠
مالك بن أنس بغنى	٦١	٢١
أفسد آخر ما أصلح أولاً !	٦٢	٢٢
ابن جامع في دار الخلافة	٦٣	٢٣
ابن جامع وأبو يوسف القاضي	٧٢	٢٤
سرقة الغناء	٧٤	٢٥
أنا والصبح كفرسى رهان	٧٨	٢٦
ما هذا بجزأى منك !	٨٠	٢٧
ما نفعنى الغناء إلا ذلك اليوم	٨٢	٢٨
طفيلي ولكنن ظريف	٨٤	٢٩
زرياب وإسحاق الموصلي	٨٨	٣٠
في مسجد رسول الله تنغى !	٩٢	٣١

العنوان	الصفحة	رقم القصة
شعر رقيق	٩٥	٣٢
صوت بدرهمين	٩٦	٣٣
أم جعفر تنوح على الرشيد	٩٨	٣٤
أما إليك سبيل غير مسدود؟	١٠٠	٣٥
عند مخارق	١٠١	٣٦
مخارق يعني لأبي العتاهية في شعره	١٠٤	٣٧
المغنون عند الواثق	١٠٦	٣٨
في دار الواثق	١٠٩	٣٩
محبوبة جارية للمتوكل	١١٣	٤٠
قينة تحن إلى بغداد	١١٥	٤١

### الباب الثاني

في القصص التي تفضح عن رقة قلوب العرب، ورفاهة عواطفهم وسمو نفوسهم بالإخبار عن وقع الحب في قلبه وامتزج العفاف والشرف بحبه، ولكن امتنع عليه أمه، فبقى معذباً في سبيل من أحب؛ وراح شهيداً الرقة والعفاف:

العنوان	الصفحة	رقم القصة
جنى الجمال على نصر ففرّ به	١١٨	٤٢
عن المدينة تبكيه ويبكيها		
عروة وعفراء	١٢١	٤٣



العنوان	الصفحة	رقم القصة
قتيل الحب	١٢٨	٤٤
قيس ولبنى	١٢٩	٤٥
ما أبالي ما نيل من شعري ومن بشرى	١٤٤	٤٦
في القلبين ثم هو دفين	١٤٦	٤٧
أخبرني عن ليلة الغيل	١٤٨	٤٨
أيا شبه ليلى لا تراعى	١٥٠	٤٩
استبكاني السيل إذ جرى	١٥١	٥٠
عهدو جبل التوباد	١٥٢	٥١
حديث المجنون عن ليلى	١٥٣	٥٢
حلال لليلي شتمنا	١٥٤	٥٣
إن دأى ودوائى أنتِ	١٥٥	٥٤
ما رأيت مثل حزنها ووجدتها عليه قط	١٥٧	٥٥
عند الكعبة	١٥٩	٥٦
ذهول !	١٦١	٥٧
خاتمة المجنون	١٦٣	٥٨
اليوم يجمعنا في بطنها الكفن	١٦٧	٥٩
العفة في الحب	١٧١	٦٠
حديث جميل وبثينة	١٧٣	٦١
عتاب بين بثينة وجميل	١٨١	٦٢
يتذاكران الشعر والهوى	١٨٢	٦٣
لا أزال أبكيه حتى الممات	١٨٣	٦٤

العنوان	الصفحة	رقم القصة
حيّ ويحك من حياك يا جمل	١٨٥	٦٥
إلى الخلوات بأنس فيك قلبي	١٨٨	٦٦
من لم يقيد جوارحه أتعب قلبه	١٩٠	٦٧
غداً يكثر الباكون منا ومنكم	١٩٢	٦٨
وذو الشوق القديم وإن تعزّى	١٩٤	٦٩
مشوق حين يلقى العاشقين		
قضى كل ذي دين فوفى غريمه	١٩٦	٧٠
وعزة ممطول معنى غريمها		
تغنيه فيموت	١٩٨	٧١
فاضت نفسها عليه	٢٠١	٧٢
يموتان في وقت واحد	٢٠٤	٧٣
رحلت مية ولم يبق إلا الديار	٢٠٧	٧٤
صباية ابن الطّرية	٢١٠	٧٥
معبد الصغير وأحد المشاق	٢١٦	٧٦
نعب الغرابُ بفراقهما	٢٢٠	٧٧
نخلتا حلوان	٢٢٤	٧٨
وارحمتا للعاشقين	٢٢٦	٧٩
الله يعلم أننى كد	٢٢٩	٨٠
في دار المجانين	٢٣١	٨١
عتاب	٢٣٦	٨٢
يا غريب الدار عن وطنه	٢٤٠	٨٣

### الباب الثالث

في القصص التي تحتجُّ لما تصفوا به من شديد الغيرة على الحرم ، وبالغ المخافة من الآفة ؛ إغلاء بالشرف ، وضمناً لوفرة العرض ، وما جره بعد ذلك من إزهاق الأرواح وسفك الدماء ، درءاً للظنة ، واتقاءً للسمعة :

رقم القصة	الصفة	العنوان
٨٤	٢٤٢	لا أحد أذل من جديس
٨٥	٢٤٥	آبي الذل
٨٦	٢٤٧	أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس
٨٧	٢٥٤	خل سبيل الحرمة المنيعة
٨٨	٢٥٨	عند الموت
٨٩	٢٦٢	تعدو الذئاب على من لا كلاب له
٩٠	٢٦٣	الأحوص وابن حزم الأنصاري

### الباب الرابع

في القصص التي أراد بها الكتاب تصوير حالة ، أو شخص أو مجلس ، واخترعوا لها من الكلام ما يبلغ إرادتهم ، ويدخل في ذلك الباب ما وضعوه على ألسنة الطير والبهائم ، وأنواع الحيوان من محاورات وأحاديث تحمل في أثنائها العبرة والعظة والنصح :



العنوان	الصفحة	رقم القصة
أُكَلَّتْ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورِ الْأَبْيَضِ	٢٦٨	٩١
حديث السقيفة	٢٦٩	٩٢
بمن أستجير من جورك؟	٢٨٥	٩٣
خدعة لمعاوية	٢٩١	٩٤
من صدق الله نجاً	٢٩٩	٩٥
عمر بن أبي ربيعة في مضرب فاطمة بنت عبد الملك	٣٠١	٩٦
عمارة	٣٠٥	٩٧
عمر بن أبي ربيعة في لبسة أعرابي	٣١١	٩٨
حديث يوم الدوحة	٣١٥	٩٩
لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم	٣٢٢	١٠٠
يوم دارة جلجل	٣٢٤	١٠١
دعني وربى الذى لا يبخل ولا يذهل	٣٢٧	١٠٢
أبو جعفر المنصور فى المرأة	٣٣٥	١٠٣
واعظ أبى جعفر المنصور	٣٤١	١٠٤
لماذا سلبوا الملك؟	٣٤٥	١٠٥
جعفر البرمكى والرشيد	٣٤٧	١٠٦
إخوان الصفا	٣٥٠	١٠٧
لا أحبّ تخديش وجه الصاحب	٣٥٦	١٠٨
حكومة الضب	٣٥٧	١٠٩
أعلمك ثلاث خصال	٣٥٨	١١٠
مجير أم عامر	٣٥٩	١١١
كيف أعاودك وهذا أثر فأسك!	٣٦٠	١١٢
حكيم	٣٦١	١١٣

## الباب الخامس

في القصص التي يعرف بها مذهبهم في شياطين الشعر ، وأصوات الجن في  
القيافي وأحاديثهم عن الغول ، ورؤية من رآها منهم ، وما إلى ذلك مما يصور سعة  
أخيائهم ، وسعيهم وراء المجهول بأجنحة التفكير والتصوير :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
تأبط شرًا يقتل الغول	٣٦٤	١١٤
رئى الأعشى	٣٦٦	١١٥
هاجس الأعشى	٣٦٧	١١٦
عبيد بن الأبرص والشجاع	٣٦٩	١١٧
ومن عبيد لولا هبيد	٣٧٢	١١٨
لافظ بن لاحظ	٣٧٥	١١٩
تابع زهير بن أبي سلى	٣٧٧	١٢٠
حاتم يقرى الضيف بعد موته	٣٨٠	١٢١
جار مالك بن حريم	٣٨٢	١٢٢
الجن وابن الحارس	٣٨٤	١٢٣
حارس مال ابن الخشرم	٣٨٧	١٢٤
في موت أمية بن أبي الصلت	٣٨٩	١٢٥
في بحر الخزر	٣٩٠	١٢٦
نجى سواد بن قارب	٣٩٢	١٢٧
ليلي الأخيلية على قبر توبة	٣٩٥	١٢٨
جان يختطف فتاة	٣٩٦	١٢٩

العنوان	الصفحة	رقم القصة
لا بقاء للإنسان	٣٩٨	١٣٠
الفريض يتلقى غناؤه عن الجن	٣٩٩	١٣١
شيطان أبي نواس	٤٠١	١٣٢
إبليس في ضيافة إبراهيم بن المهدي	٤٠٣	١٣٣
دعبل بن علي ورجل من الجن	٤٠٧	١٣٤

### الباب السادس

في القصص التي تسرد بارع للملح التي أثرت عن الحمقى والمجانين ، وتفصل  
روائع النوادر التي فاضت بها قرائح الطفيليين والمتنبئين ؛ وما يشبه ذلك مما فيراحة  
للنفوس ونشاط للخواطير :

العنوان	الصفحة	رقم القصة
أنفك منك وإن كان أجدع	٤١٠	١٣٥
أبورافع لا يكذب في نوم ولا يقظة	٤١٢	١٣٦
أهلك أعلم بك	٤١٤	١٣٧
المقادير تصير العبي خطيباً	٤١٥	١٣٨
لئن شكرتم لأزيدنكم	٤١٦	١٣٩
الحمد لله الذي مسخك كلباً	٤١٧	١٤٠
يوم الحساب	٤١٨	١٤١
إن أعطوا رَضُوا	٤٢١	١٤٢
ما أختار غير عبد الله بن طاهر	٤٢٢	١٤٣



العنوان	الصفحة	رقم القصة
أرى الله يعطيك وينساني؟	٤٢٤	١٤٤
طفيلي في حضرة المأمون	٤٢٥	١٤٥
أنا أول من آمن بك	٤٣٠	١٤٦
أبو دلف وجعيفران الموسوس	٤٣١	١٤٧
رميت به في بطنك!	٤٣٤	١٤٨
لو علمت بحاله لولجت عليه	٤٣٥	١٤٩
وعلى أيضاً!	٤٣٧	١٥٠
كذب بكذب	٤٣٩	١٥١
ذهب الحمار بأمر عمرو	٤٤١	١٥٢
أعجب ما رأيت من المجانين	٤٤٣	١٥٣
مجنون أديب	٤٤٧	١٥٤
كدر الله من كدر العيش	٤٤٧	١٥٥
يضيف أهل الصفة ثم يضربهم	٤٤٩	١٥٦
ابن المدبر وطفيلي	٤٥٠	١٥٧
صنائعهم التطفيل	٤٥٣	١٥٨
اصبروا على إلى الغد	٤٥٤	١٥٩
هو خير الناس مهما يفعل!	٤٥٤	١٦٠
طفيلي في عرس	٤٥٧	١٦١
طفيلي يحدث	٤٥٨	١٦٢
غنى وغفلة	٤٦٠	١٦٣
حذاء أبي القاسم	٤٦٢	١٦٤

## فهرس الأعلام

ابن المدبر : ٤٥١	(١)
أبو الأسود الدؤلى : ٢٦٢ ، ٤١٤	إبراهيم الحرانى : ٩٢
أبو بكر بن أبى قحافة (الصديق) : ٢٦٩	إبراهيم بن عبد الملك بن صالح : ٣٤٩
أبو الحسن البغواء : ٢٣٦	إبراهيم بن المهدي : ٨٢ ، ٣٤٧ ، ٤٢٥
أبو حية النميرى : ٤١٧	إبراهيم الموصلى : ٢٦ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٤٠٣ ، ٩٦
أبو الخبيرى : ٣٨٠	ابن أبى عتيق : ١٥ ، ٢٤ ، ١٣٠
أبو الدرداء : ٢٩٢	ابن بسخر : ١٠٩
أبو رافع (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ٤١٢	ابن جامع : ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٦
أبو ريحانة ( حاجب عبد الملك بن مروان ) : ١٩٢	ابن دراج : ٤٥٣
أبو صالح الفزارى : ٢٠٧	ابن سريج : ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٣٩٩
أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٢٦٩	ابن صياد (مغن) : ١٠
أبو العتاهية : ١٠٤	ابن مكحول (عراق اليمامة) : ١٢٥
أبو على بن الأسكر : ١١٥	
أبو العنيس الصيمرى : ٢٢٢ ، ٢٣٣	

بنو تغلب : ٢٨١  
بنو الحريش : ١٥٧ ، ١٦٣  
بنو حمزة : ١٩٦  
بنو حنظلة : ١٣٥ ، ٢٠٤  
بنو عامر : ١٥٢ ، ١٥٧  
بنو قشير : ٢١٠  
بنو كعب : ١٢٩  
بنو نهد : ١٨٦  
بهلول (المجنون) : ٤٢٤  
( ت )  
تأبط شرا : ٣٦٤  
تميم بن أبي تميم : ١١٥  
توبة بن الحمير : ٣٩٥  
( ج )  
الجاحظ : ٢٢٦ ، ٤٥١  
جديس ( قبيلة ) : ٢٤٢  
جرم ( قبيلة ) : ٤١٠  
جرير بن عبد الله البجلي : ٣٦٦  
الجمد بن مهجع : ٣١٥  
جعفر بن يحيى : ٦٩ ، ٧٤ ، ٢١٩ ،

٣٤٧

أبو نواس : ٤٠١  
أبو هريرة : ٢٨٤ ، ٢٩٢  
أبو يوسف القاضي : ٧٢  
أحمد بن بشر : ٢٦٩  
أحمد بن حرب المهلبى : ٤٤٧  
أحمد بن يحيى ( ثعلب ) : ٤٤٦  
إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٢٦ ،  
١٠٠ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٨٤  
إسماعيل بن المرزبند : ٩٦  
الأصمعى : ٨٠  
أعشى قيس : ٣٦٦ ، ٣٦٧  
امرؤ القيس : ٢١ ، ٣٢٤  
أم جحلدر ( معشوقة ابن ميادة ) : ٢٢٠  
أمية بن أبي الصلت : ٣٨٩  
( ب )  
بثينة ( معشوقة جميل ) : ١٧١ ،  
١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣  
البحتري : ٢٣٣  
البرامكة : ٢١٦  
بشر بن مروان : ١٤٤  
بلى ( قبيلة ) : ١٢٧



(د)

دريد بن الصمة : ٥٢٤

دعبل بن علي : ٤٠٧ ، ٤٣٤

(ذ)

ذو الرمة : ٢٠٧

(ر)

الربيع بن كعب اللمازني : ٤١٠

ربيعة بن مكدم : ٢٥٥

رزين الكاتب : ٤٠١

الرماح بن أبرد : ٢٢٠

رملة بنت الزبير : ١٩٠

ريطة بنت جندل : ٢٥٧

(ز)

زرياب المغني : ٨٨

زفر بن الحارث : ٣٢٠

زلزل المغني : ١٠٦

زياد بن عبد الله الحارثي : ٤٤٩

زياد بن عثمان الغطفاني : ٢٢٠

زياد بن النضر الحارثي : ٣٩٦

زياد بن زيد العنزي : ٢٥٨

جعيفران الموسوس : ٤٥١

جميل بن عبد الله بن معمر : ١٧١ ،

١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

جميلة المغنية : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦

جناد (مولى عمر بن أبي ربيعة) :

٣٠

(ح)

حاتم الطائي : ٣٨٠

الحارث بن سعد : ٢٤٨

حي للمدينة : ٢٥٩

الحجاج الثقفي : ٣٢٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦

الحسن بن الحسن بن علي : ٣٥

الحسين بن دحمان : ٦١

الحسين بن علي : ١٣٠ ، ٢٩٥

حمزة الزيات : ٣٧٨

حمزة بن عبد الله بن الزبير : ٥٧

(خ)

خالد الخريت : ٣١٢

خالد بن الحكم : ١٣٧

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٩٠

خليفة بن بوزل : ٢١٤

(ص)

صالح بن علي : ٣٤٥

(ط)

طسم (قبيلة) : ٢٤٢

طفيل بن عامر العمرى : ١٦٧

طويس المغنى : ١٣

(ظ)

ظبيان بن عامر : ٤٠٧

ظبية (مغنية) : ٥٣

(ع)

العباس بن الأحنف : ٢٣٩ ، ٣٥١

عبثر المغنى : ٩٥

عبدالرحمن بن إبراهيم الخجرومى : ٤٤٠

عبدالرحمن بن الحارث بن هشام : ١٤

عبدالرحمن بن حسان بن ثابت : ١٣ ، ٢٦٠

عبد الرحمن بن الحكم : ٩١

عبد الرحمن بن زيد العذرى : ٢٥٨

عبد قيس (قبيلة) : ٣٨٠

عبد الله بن جعفر : ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،

٣٠٠ ، ٢٠ ، ١٨ ، ١٥

زينب بنت إسحاق : ١٩١

(س)

سالم بن قتيبة : ٣٢٤

سبيعة (من ولد عبد الرحمن بن

أبي بكر) : ٢٨

سعد بن خشرم : ٣٨٧

سعيد بن العاص : ٢٥٩

سفيان بن عيننة : ٦٢

سلام الأبرش : ٦٤

سلامة الزرقاء (المغنية) : ٢٤ ، ٤١

سليمان بن عبد الملك : ٣٩٨

سهل بن هارون : ٤٣٤

سواد بن قارب : ٣٩٢

سوار القاضى : ٤٢١

سياط المغنى : ٢٦

(ش)

شبيب بن شيبه : ٣٣٥

شرحبيل بن يعقوب الخزرجى : ٢٨٢

شميلة (زوج مجاشع بن مسعود) :

١٢٠

عقيلة بنت الضحاك : ٢٠٦  
علويه المغني : ١٠٠  
علي بن أبي طالب : ٢٦٨ ، ٢٦٩  
علي بن الجهم : ١١٣ ، ٢٧٧  
علي بن الخليل : ٤٠١  
علي بن محمد التوحيدى : ٢٦٩  
عمارة ( مغنية عبد الله بن جعفر ) :  
٣٠٥  
عمر بن أبي ربيعة : ٢٨ ، ٣٠ ، ١٩٢ ،  
٣٠١ ، ٣١١ ، ٣١٥  
عمر بن الخطاب : ١١٨ ، ٢٤٧ ،  
٢٦٩ ، ٣٩٢  
عمر بن سعيد بن العاص : ٣٢٨  
عمر بن عبد العزيز : ٤٠  
عمر بن كلثوم : ٢٤٥  
عمر بن مالك : ٣٩٦  
عمر بن معد يكرب : ٢٤٧  
عمر بن هند : ٢٤٥  
( غ )  
الغريض ( المغني ) : ٤١ ، ٤٤ ،  
١٧٣ ، ٣٩٩

عبد الله بن الزبير : ٣٢٨  
عبد الله بن سلام : ٢٩١  
عبد الله بن طاهر : ١١٣ ، ٤٢٣  
عبد الله بن مروان : ٣٤٥  
عبد الملك بن صالح : ٣٤٧  
عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح :  
٩٣  
عبد الملك بن مروان : ١٥ ، ١٩٠ ،  
١٩٢ ، ٣٢٨  
عبيد بن الأبرص : ٣٦٩ ، ٣٧٢  
عبيد بن الحمارس : ٨٣٢  
عثمان بن إبراهيم الخاطبي : ٣١١  
عثمان بن حيان المرسي : ٢٤  
عدى بن حاتم : ٣٨١  
عُدرة ( قبيلة ) : ١٢٨  
عروة بن حزام : ١٢١ ، ١٢٨  
عزة ( معشوقة كثير ) : ١٨٥ ، ١٩٦  
عصمة بن مالك : ٥٧  
عطاء بن أبي رباح : ٤٤ ، ٤٧  
عفراء بنت عقال : ١٢٨  
عقال بن مالك : ١٢٨  
عقيل بن زياد الخارجي : ٢٨٢



١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٣

( ك )

كثير بن الصلت : ١٤١

كثير بن عبد الرحمن : ١٨٢ ، ١٨٥ ،

١٩٦

( ل )

لبنى بنت الحباب الكعبية : ١٢٩ ،

١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،

١٤٨

ليلي الأخيلية : ٣٨٧

ليلي العامرية : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،

١٦٣

ليلي بنت مهلهل : ٣٩٥

( م )

مالك بن أبي السمح : ٥٧

مالك بن أنس : ٦١

ملك بن حريم : ٣٨٢

( ٣١ - قصص العرب - ٤ )

( ف )

فارعة بنت ثابت : ١٤

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان :

٣٠١

الفتح بن خاقان : ٣٧٧

الفرزدق : ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٣٢٤ ،

فريدة (مغنية الواثق والمتوكل) : ١١٠

فزارة (قبيلة) : ١٣٦

الفضل بن الربيع : ٦٤ ، ٦٩

فليح (الغني) : ٩٦

فهم (قبيلة) : ٣٦٤

( ق )

القاسم بن عيسى العجلي : ٤٣١

قواد بن جرم : ٤١٠

قنفذ بن جمونة : ٤١١

قيس بن ذريح : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ،

قيس بن معد يكرب : ٣٦٧

قيس بن الملوح : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،

١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،

مسكين الدارمي : ٢٣  
مطيع بن إبّاس : ٢٢٤  
معاوية بن أبي سفيان : ١٠ ، ١٢٧ ،  
١٢٨ ، ١٣٨ ، ٢٥٨ ، ٢٨٥ ،  
٢٩١ ، ٣٠٥  
معبد الصغير : ٢١٦  
معبد بن وهب : ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ،  
٥٧ ، ١٧٣  
ملاحظ (المغني) : ١٠٦  
الملوح (أبو المجنون) : ١٥٤ ، ١٥٩ ،  
المنصور (الخليفة العباسي) : ٢٦٤ ،  
٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٥  
المهلب بن أبي صفرة : ١٤٤  
مى بنت مقاتل المنقرية : ٢٠٧  
مياد الجرمي : ٢١٠  
(ن)  
نجيح اليربوعي : ٣٨٧  
نصر بن حجاج : ١٠٩  
نصر بن ذبيان : ٢٨٨  
النعمان بن بشير : ١٢٨ ، ٣٢٩  
نوفل بن مساحق : ١٦١

للمأمون (الخليفة العباسي) : ٨٦ ،  
١٠٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ،  
للمتوكل (الخليفة العباسي) : ١١١ ،  
١١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣١  
مجاهع بن مسعود السلمي : ١١٨  
محبوبة (جارية المتوكل) : ١١٣  
محمد بن إبراهيم : ٢٢٦  
محمد بن سليمان : ٤٢١  
محمد بن عائشة : ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٧  
محمد بن عبد الله (الرسول صلى الله  
عليه وسلم) : ٢٩٩  
محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري :  
٢٦٣  
محمد بن عمرو الزف (المغني) : ٧٥  
محمد بن القاسم : ٢٣١  
محمد بن قيس : ٢٠١  
محمد بن يزيد (المبرد) : ٢٢٩ ، ٢٣١ ،  
٤٤٣  
مخارق (المغني) : ١٠١ ، ١٠٤  
مروان بن الحكم : ١٣٧ ، ٢٨٥  
مسحل بن أثناية (شيطان الأعشى) :  
٣٦٦ ، ٣٦٨

الوليد بن عبد الملك : ٣٧ ، ٢٦٣

الوليد بن يزيد : ٤٩ ، ٣٢٧

( لا )

لا فظ بن لاحظ ( شيطان امرئ )

القيس : ٣٧٥

( ي )

يحيى بن أكرم : ٣٦٩ ، ٤٣٠

يحيى بن خالد : ٧٢ ، ٣٥٢

يحيى بن المبارك : ٤٢٢

يزيد بن الطثرية : ٢١٠

يزيد بن عبد الملك : ٣٤ ، ٤١ ،

١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٧

يزيد بن مسهر : ٣٦٨

يزيد بن معاوية : ٢٩١ ، ٣٠٥

يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ٣٢٧

بونس بن محمد السكاتب : ٢٦ ، ١٨٨

( هـ )

هاذر ( شيطان النابغة الذبياني ) ٣٧٦

هارون بن أحمد بن هشام : ١٠١

هارون الرشيد : ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٤ ،

٧٨ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ٩٨ ، ٢١٩ ، ٣٥٢ ، ٣٦٩

٤٠٣ ، ٤٢٤

هبيد ( شيطان عبيد بن الأبرص ) :

٣٦٨

هدبة بن خشم : ٢٥٨

هشام بن عبد الملك : ١٨٦

هند بنت الحارث ( أم عمرو بن هند ) :

٢٤٥

هند بنت الحارث المرية : ٣١٣

( و )

الوائق ( الخليفة العباسي ) : ١٠٦ ، ١٠٩



## فهرس الأماكن

(ع)	(١)
العقيق : ٢١٧ ، ١٨٨ ، ٣٥	الأبلة : ٥٣
(ق)	إضم : ٥٣
القاطول (نهر) : ٢٢٦	الأهواز : ٥٣
قرطبة : ٩١	(ب)
قميعةان : ٩١	باب محول : ٦٤
(ك)	بحر الخزر : ٣٩٠
كثيب أبي شحوة : ٣٢	البصرة : ١١٩
(م)	(ت)
المدينة : ٢٤ ، ١	التوباد : ١٥٢
مصر : ٣٤٨	(ح)
(ن)	حلوان : ٢٢٤
النوبة : ٣٤٥	(ذ)
(ى)	ذو طوى : ٤٧
الياسرية : ١١٦	(س)
اليمين : ٢٠٤ ، ١٥٢	سامرا : ٢٢٦

## مراجع هذا الجزء

الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
الأمالي	: لأبي علي القمالي
الأمالي	: للزجاجي
البخلاء	: للجاحظ
بلوغ الأرب	: للألوسي
تزيين الأسواق	: لداود الأنطاكي
التطفيل	: للبغدادي
ثمرات الأوراق	: للحموي
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي
الحيوان	: للجاحظ
خزانة الأدب	: للبغدادي
ذيل الأمالي	: لأبي علي القمالي
ذيل زهر الآداب	: للحموي
رغبة الأمل	: للمرصفي
زهر الآداب	: للحموي
شرح الأمالي	: للبكري

شرح مقامات الحريري	: للشربشى
شرح نهج البلاغة	: لابن أبي الحديد
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبى إسحاق الوطواط
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
الكامل فى الأدب	: للمبرد
مجانى الأدب	: للأب لويس شيخو
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحسن والأضداد	: للجاحظ
المحسن والمساوى	: للبيهقى
محاضرات الأبرار	: لابن عربى
المختار من نوادى الأخبار (مخطوط)	: لمحمد بن أحمد الأنبارى
مروج الذهب	: للمسعودى
المستطرف فى كل فن مستظرف	: للأبشهبى
مصارع المشاق	: لأبى جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموى
معجم البلدان	: لياقوت الحموى



المتقى من أخبار الأصمعي

: للمرحوم الخضرى

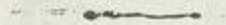
مهذب الأغاني

: للمقرى

نفتح الطيب

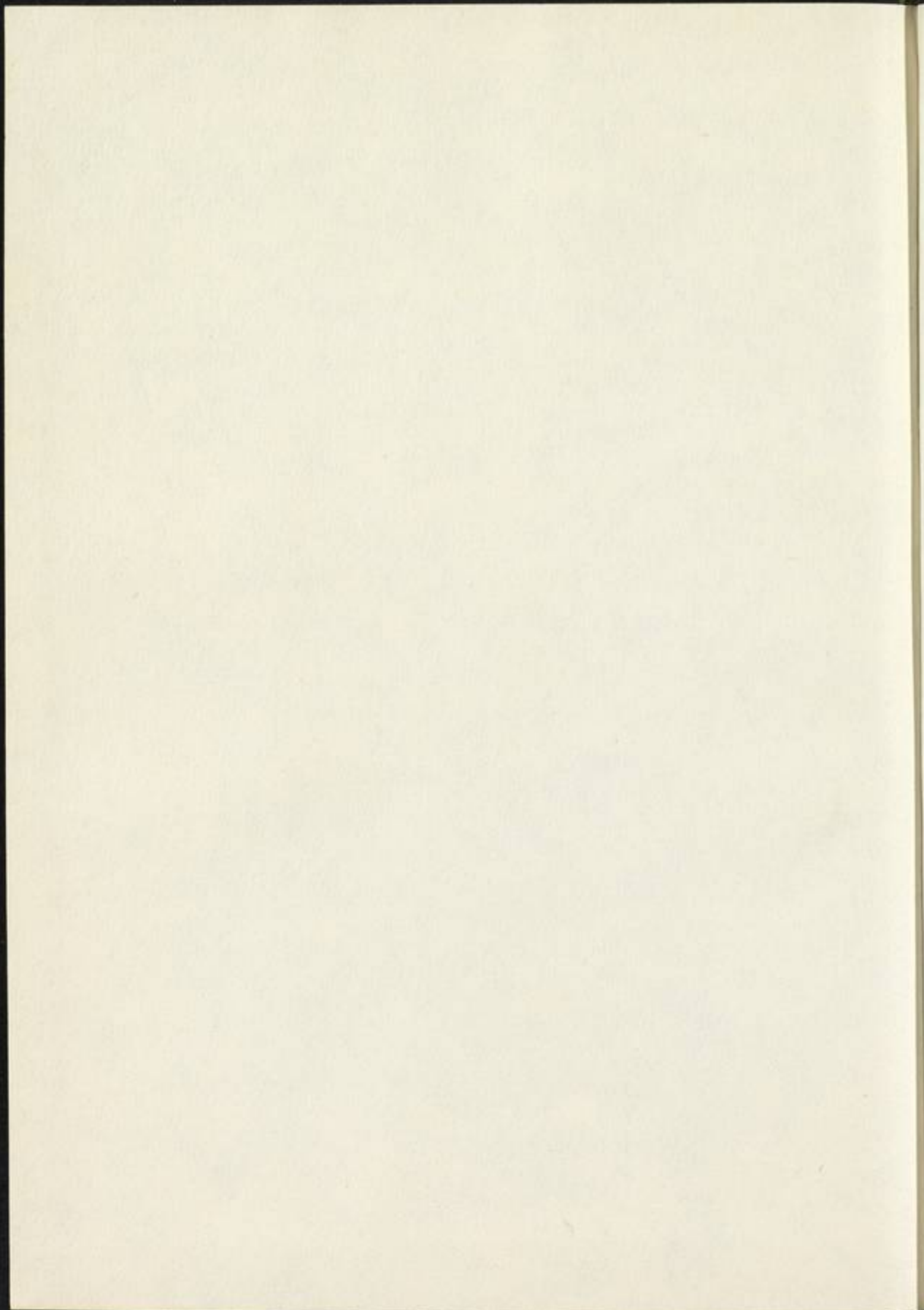
: للنويرى

نهاية الأرب

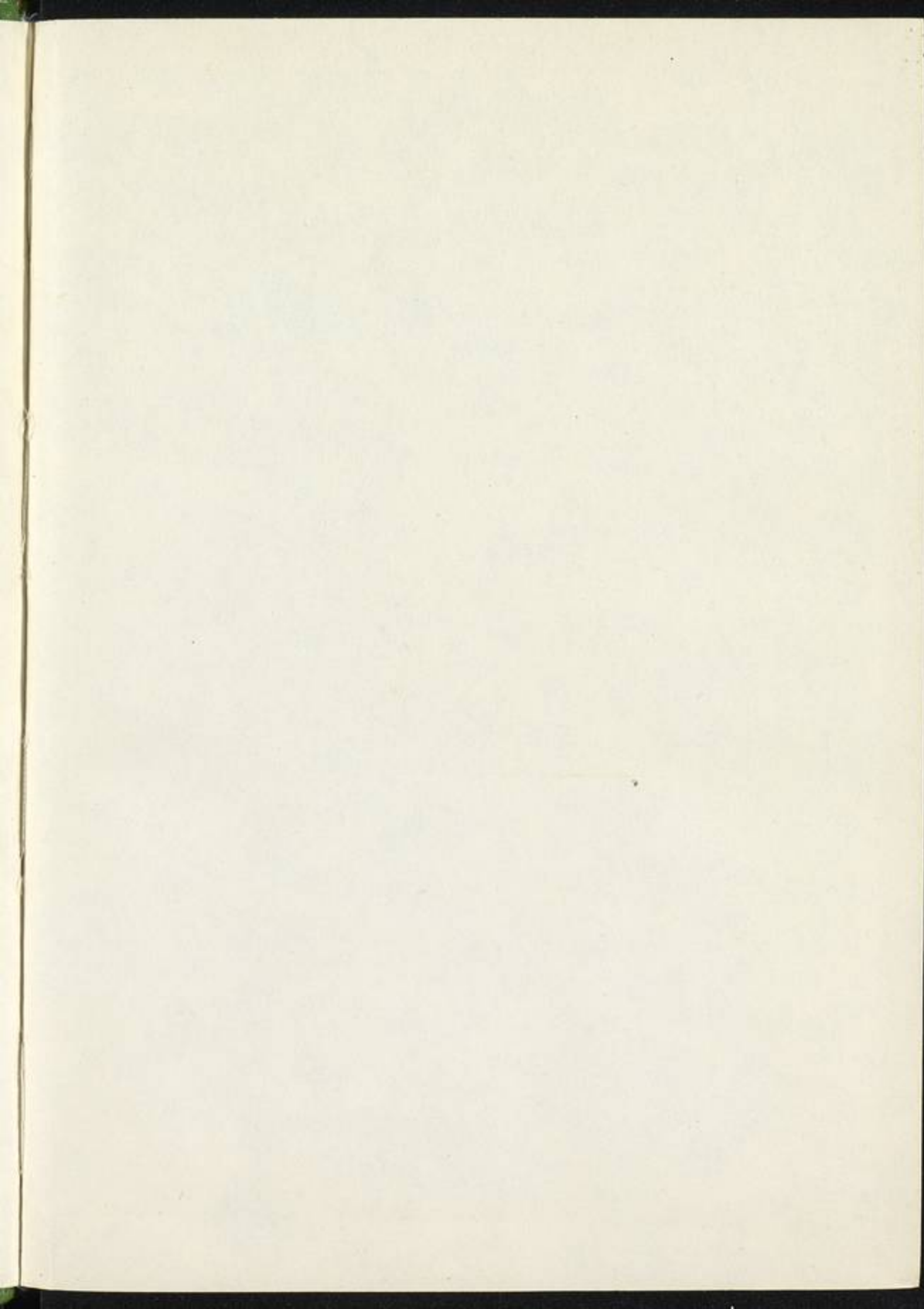


## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

: للزخشرى	أساس البلاغة
: للزركلى	الأعلام
: لجورجى زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
: للمرحوم الخضرى	تاريخ الأمم الإسلامية
: للمرصفى	رغبة الآمل من كتاب الكامل
: للتبريزى	شرح ديوان الحماسة
: للبكرى	شرح الأمالى
: لابن الأنبارى	شرح المفضليات
: لابن سلام	طبقات الشعراء
: لابن قتيبة	طبقات الشعراء
: للضبى	الفاخر فى الأمثال
: لأمين واصف	فهرس خريطة الممالك الإسلامية
: للفيروزابادى	القاموس المحيط
: لابن منظور	لسان العرب
: لابن قتيبة	المعارف
: لياقوت الحموى	معجم البلدان
: لابن خلكان	وفيات الأعيان









Ir-Ar-Y8-931147

Jād al-Mawlá, Muḥammad Aḥmad.

Qiṣaṣ al-‘Arab / ta’līf Muḥammad Aḥmad Jād al-Mawlá, ‘Alī Muḥammad al-Bajāwī, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. -- al-Ṭab‘ah 5. -- Qum : Manshūrāt al-Sharīf al-Raḍī, 1364 [1985 or 1986]

4 v. ; 25 cm.

In Arabic; romanized record.

Cover title.

Reprint of the 1962 ed.

Includes bibliographies and indexes.

3000.00IR

For requesting libraries only.

(Anecdotes from various Arab countries)

AACR2 lAg88 AS

ID(CI/OLC/10)

WK07 Ir88-2355

26/5-1





